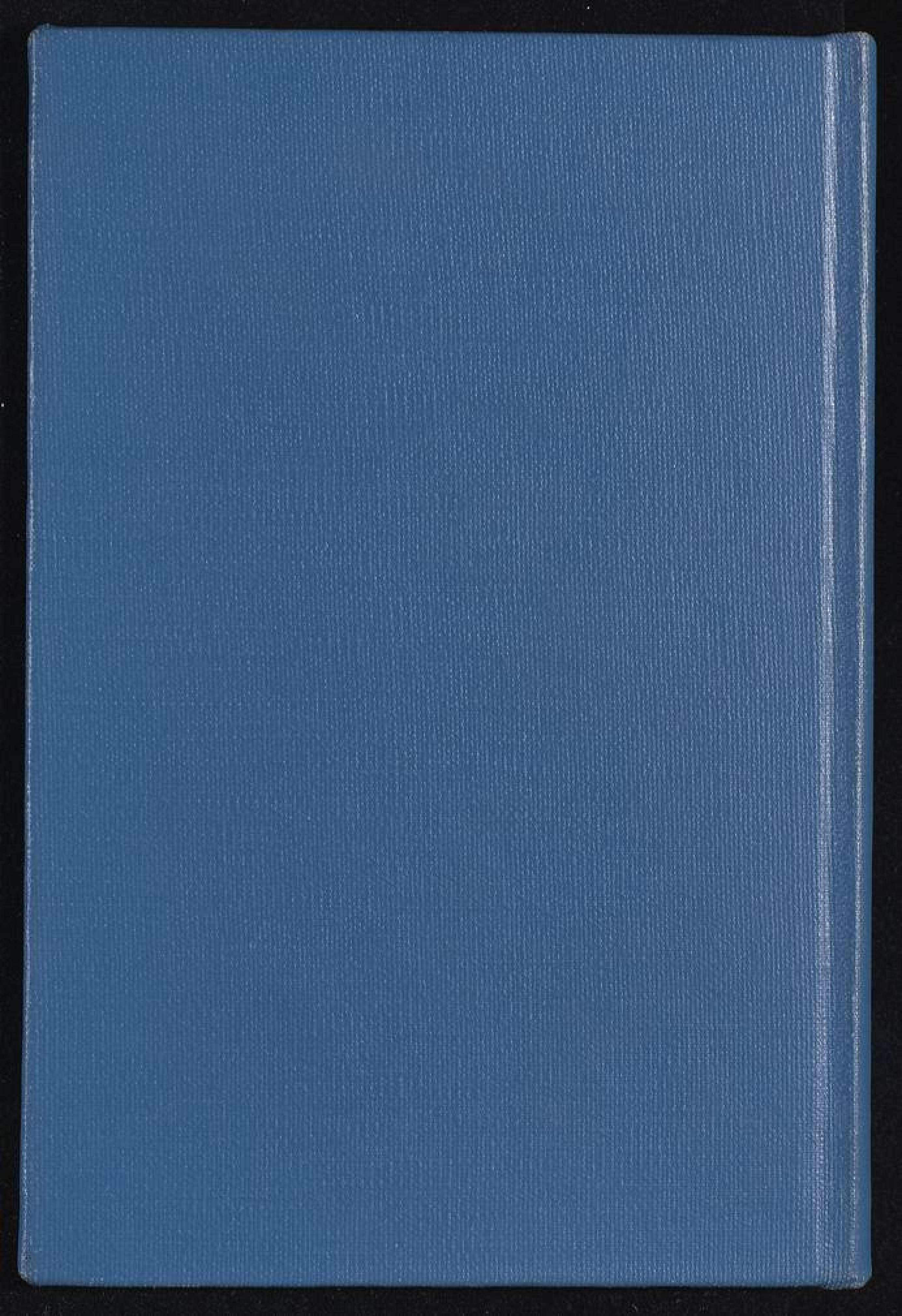
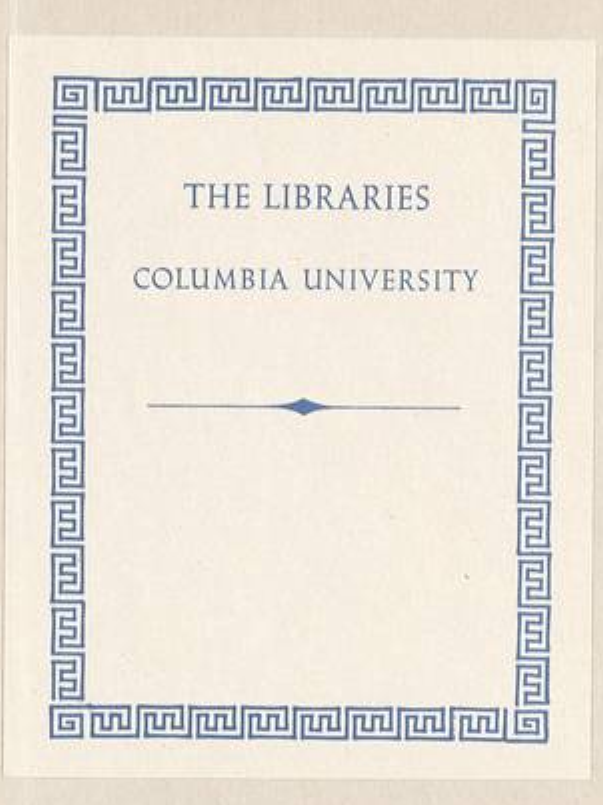
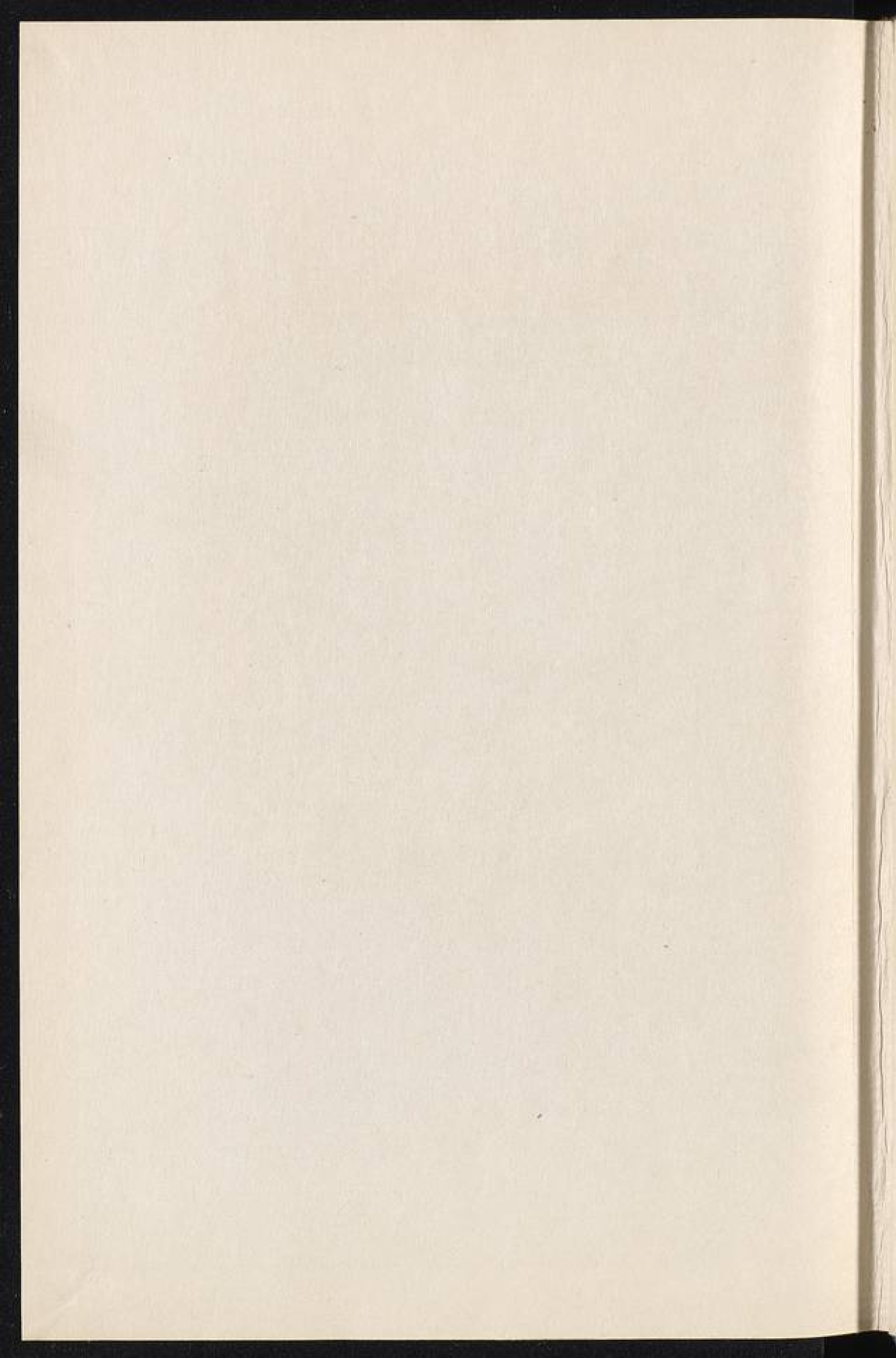
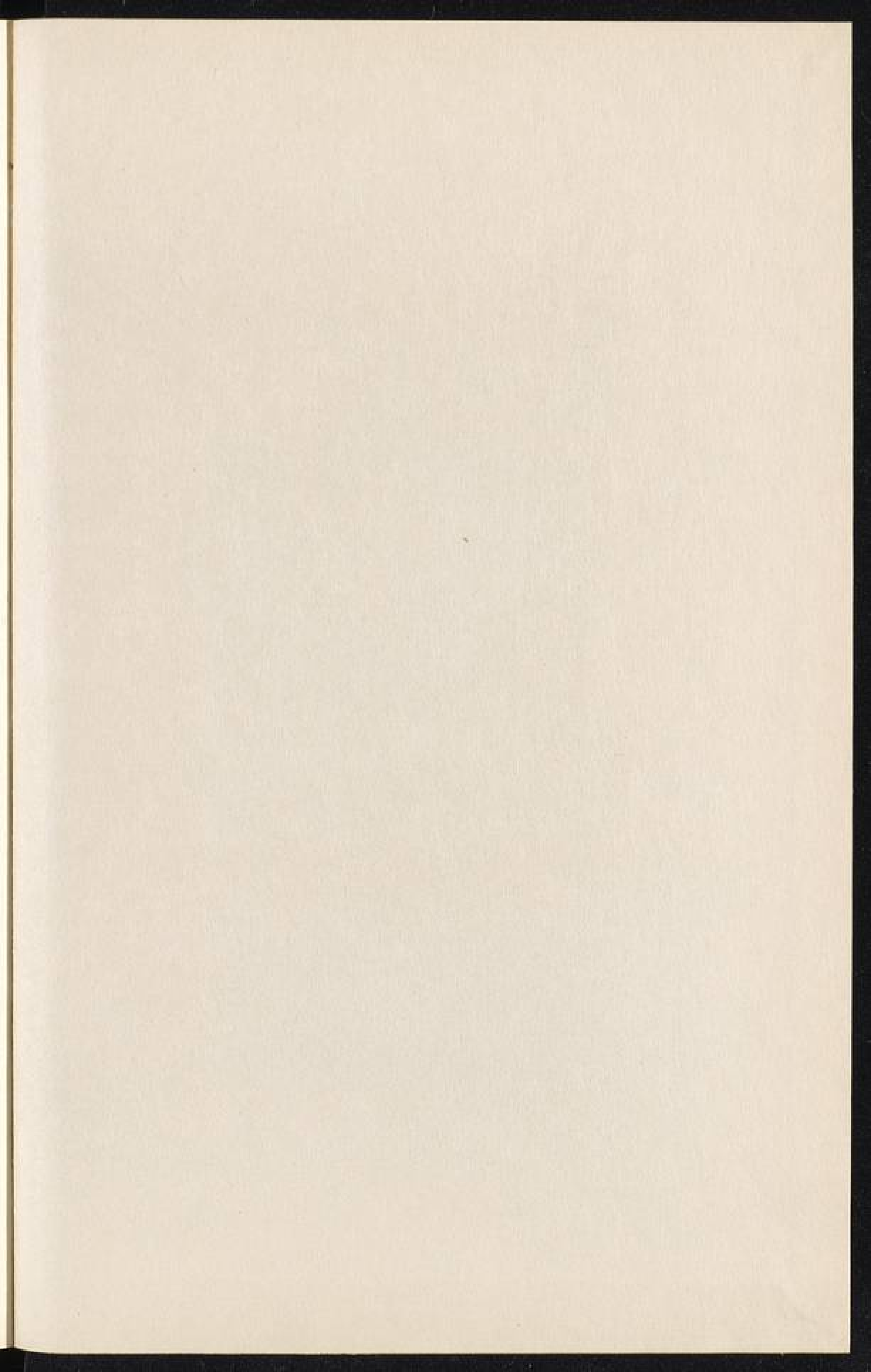
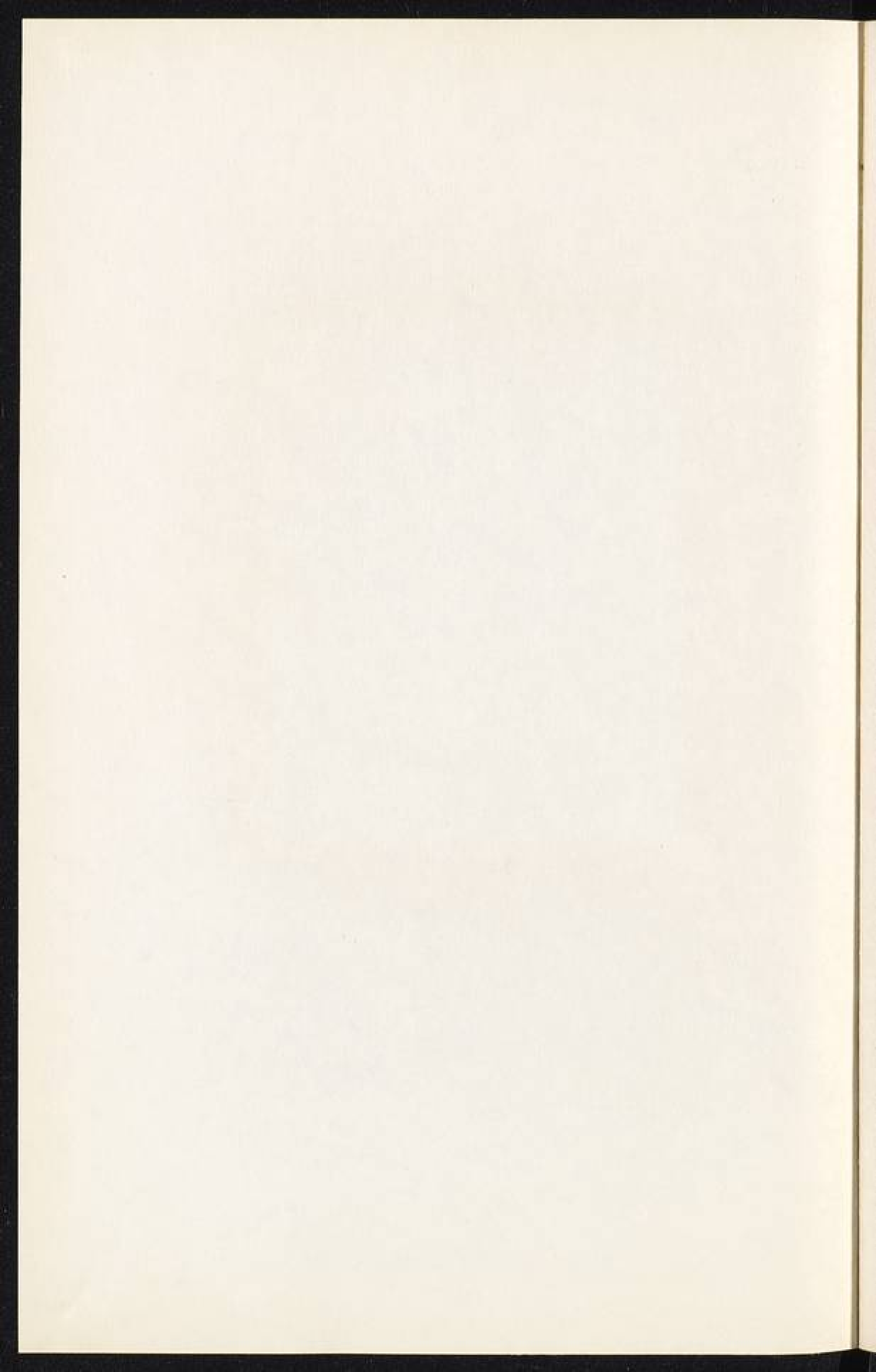
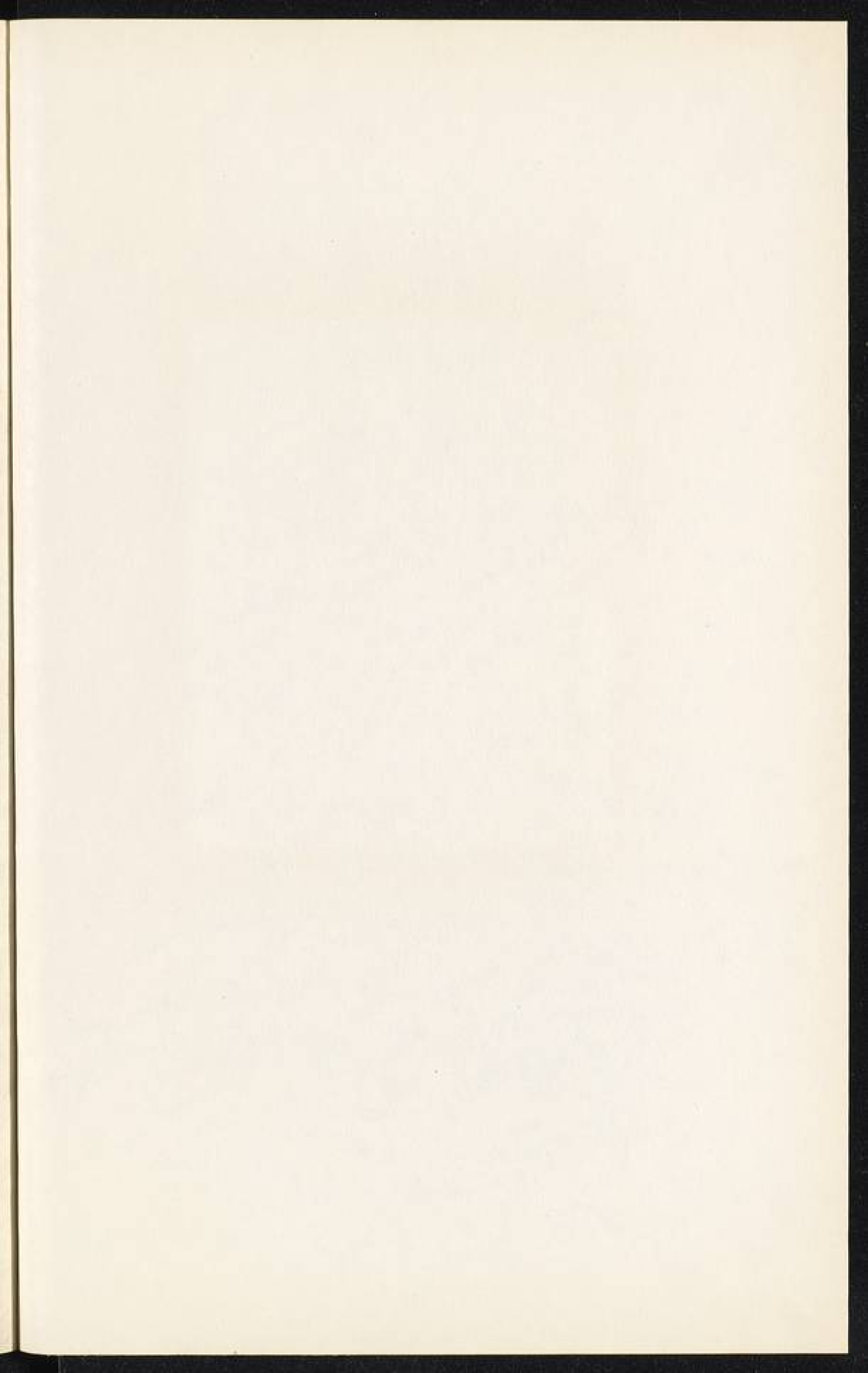












فوات الوفيات

تأليف

محمد بن شاكر بن أحمد ، الكتبي

المتوفى فى عام ٧٦٤ من الهجرة

وهو ذيل على « وفيات الأعيان » لابن خلكان

حققه ، وضبطه ، وعلق حواشيه

محمد محيي الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه !

الجزء الثاني

ملتزمة النشر والطبع

مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلي باشا ، بالقاهرة

أغسطس ١٩٥١

مطبعة السعادة بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلامُ على صَفْوَة المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عُدْوَانَ إلا على الظالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٥١)

أبو محمد عبد القادر الجيلانى

عبد القادر الجيلانى[١] : ابن أبى صالح بن جنكى دوست .

ينتهى نسبه إلى الحسن[٢] بن على - رضى الله عنهما ! - الشيخ أبو محمد ، الجيلى ، الحنبلى ، المشهور ، الزاهد ، صاحب المقامات والكرامات ، وشيخ الحنابلة رحمه الله تعالى ! .

قدم بغداد ، وتفقه على القاضى أبى سعد ، وسمع الحديث ، وكان يأكل من عمل يده ، وتكلم فى الوعظ ، وظهر له صِيت ، وكان ذا سَمْت وصَمْت .

قال الشيخ شمس الدين : ولد بجِيلان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وتوفى سنة إحدى وستين وخمسمائة .

وقدم بغداد شابا ، وتفقه على أبى سعد المخرمى ، وسمع من أبى بكر أحمد ابن المظفر بن سوس ومن غيره ، وروى عنه أبو سعد السَّمعانى وعمر بن على القرشى وولداه عبد الرزاق وموسى والحافظ عبد الغنى والشيخ الموفق ويحيى بن سعد الله التكريتى وغيرهم ، وكان إمام زمانه ، وقُطْبَ عصره ، وشيخ شيوخ الوقت بلا مُدَافعة .

---

(١) لأبى محمد عبد القادر الجيلى ترجمة فى شذرات الذهب ٤/١٩٨ وارتفع بنسبه إلى الحسن بن على بن أبى طالب ، وفى ابن الأثير ١١ / ١٣١ وفى النجوم الزاهرة ٥/٣٧١ وفى ابن كثير ١٢/٢٥٢ والجيلى : نسبة إلى جيلان - وهو اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان - وقد ينسب إليها جيلانى كما فعل المؤلف ، وقوم يقولون «جيلانى» فى النسب إلى البلاد ، و «جيلى» فى النسب إلى الواحد من أهلها ، والعجم يقولون «كيلان» (٢) فى ب «الحسين بن على» وأثبتنا ما اتفقت عليه الأمهات

قال أبو الحسين اليونيني : سمعت الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول : ما نُقِلت الكرامات عن أحد بالتواتر ، إلا عن الشيخ عبد القادر .

وكان الشيخ عبد القادر قد لازم الأدبَ على أبى زكريا التبريزى ، واشتغل بالوعظ إلى أن برّز فيه ، ثم لازم الخلوة والرياضة والسياحة والمجاهدة والسهر والمقام فى الصحراء والخراب ، وصحب الشيخ أحمد الدباس ، وأخذ عنه علم الطريق ، ثم إن الله أظهره للخلق ، وأوقع له القبول العظيم ، وعقد المجلس سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، وأظهر الله الحكمة على لسانه ، ثم جلس فى مدرسة أبى سعد للتدريس والفتوى سنة ثمان وعشرين ، وصار يُقْصَد بالزيارة ، وصنف فى الفروع والأصول ، وله كلام على لسان أهل الطريق .

قال : طالبتنى نفسى بشهوة ، فكنت أضاجرها[(١)] وأدخل فى دَرْب وأخرج إلى درب ، أطلب الصحراء ، فبينا أنا أمشى إذ رأيت رُقْعَة مُلْقَاة فإذا فيها : ما للأقوياء والشهوات ؟ إنما خلقت الشهوات للضعفاء يتقوون بها[(٢)] على طاعتى ، فلما قرأتها خرجت تلك الشهوة من قلبى .

قال : كنت أقتات بخرنوب الشوك وورق الخس من جانب النهر .

وكان يقول : الخلق حِجَابُكَ عن نفسك ، ونفسك حجابك عن ربك . مادمت ترى الخلق لا ترى نفسك ، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك .

وكان يقول : الدنيا أشغال ، والآخرة أهوال ، والعبد فيما بين الأشغال حتى يستقر قراره إمّا إلى جنة وإمّا إلى نار .

وكان يقول : الأولياء عرائس الله ، لا يُطْلع عليهم إلا ذا محرم .

---

(١) أضاجرها : أصل معناه أغالبها فى الضجر حتى تسأم ، وأراد أنه كان يسوف عليها .

(٢) فى ب « يتقووا » والعربية تقتضى ما أثبتناه موافقا لما فى ث .

وكان يقول : فتشت الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام ، أودّ لوأن الدنيا بيدى فأطعمها الجِياع .

وقال عبد الرزاق ولده : وُلد لوالدى تسعة وأربعون ولداً عشرون ذكراً والباقى إناث .

(٢٥٢)

عبد الكريم بن الفضل أمير المؤمنين الطائع لله

عبد الكريم بن الفضل بن جعفر بن أحمد ، أمير المؤمنين ، الطائع لله ، ابن المطيع بن المقتدر بن المعتضد[١] .

تولى الخلافة فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وقبضوا عليه فى شعبان سنة إحدى وثمانين ، وكانت خلافته تسعَ عشرةَ سنة وتسعة أشهروستة أيام .

قال علىّ بن شاذان : رأيته رجلا مَرْبُوعاً ، كبير الأنف ، أبيض ، أشقر ، وفى أنفه يقول ابن الحجاج :

خليفة فى وجهه رَوْشَن ... خر بشته قد ظلل العسكرا

عهدى به يمشى على رجله ... وأنفه قد صَعدَ المِنْبَرَا

وكان الطائع شديد الحيل ، فى خُلُقه حدّة ، خَلَعه بهاء الدولة بن عضد الدولة بإشارة الأمراء ومَعُونتهم ، وسَمَلوا عينيه ، ولما جلس القادر فى الخلافة أسكنه معه فى زاوية من قصره رِقّةً له ، وكان يحسن إليه ، ويتحمل غلظة كلامه ، ويقضى معظم ما يستقضيه من الحوائج ، وكلّفه يوماً حاجةً لم يقدر عليها ، واعتذر إليه بأن الديلم غالبون على الأمر ، فلما توسط النهار وقدّم الطعام أتوه بعدَس مطبوخ فلمسَه وقال : ما هذا ؟ قالوا عدسية[٢] ، قال : أمن هذا أ كل أمير المؤمنين ؟ قالوا : نعم ،

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٦٣ . وكناه « أبا بكر » وذكر أن أمه أم ولد اسمها هزار ، وفى شذرات الذهب ٣ / ١٤٣ ، وفى المنتظم لابن الجوزى (٧ / ٦٦ و١٥٦) وتاريخ ابن الوردى (١ / ٢٩٨ و٣١٠) وفى كامل ابن الأثير (٨/٢٢٩ – ٩/٢٩) وفى النجوم الزاهرة (٤/٢٠٨) .

(٢) فى ب « عدسة » بدون ياء النسب .

قال : إذا كان هذا أكله وجاهه ما رأيناه أوّل النهار كان الأولى به أن يقعد فى البَطيحة ، ولا يتعنَّى ، ولا يتكلف مشقة الخلافة ، فضحك القادر ، وقال : منعناه من راحة البصر فلا نمنعه من راحة اللسان .

وكان الطائع قد استعرض جارية ، فأعجبته ، فأمر بشرائها ، فنظرت إليه ورأت عظم أنفه ، فقالت : ما يقدم على أن يُباع عندكم إلا من يُوَطِّن نفسه على المرابطة فى سبيل الله ! فضحك الطائع ، وقال : اشتروها فإن لم يكن عندها أدب الملوك فعندها نوادر الظرفاء .

وتوفى ـ رحمه الله تعالى ! ـ ليلة الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، وصلى عليه القادر ، وكبر خمسا، وحُمل إلى الرصافة ، وشيعه الأكابر ، ورثاه الشريف الرضى بقصيدة موجودة فى ديوانه ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !

(٢٥٣)

أبو القاسم عبد الكريم بن محمد ، الرافعى ، الفقيه الشافعى

عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل ، الإمام ، العلامة ، إمام الدين ، أبو القاسم ، الرافعى ، القزوينى ، صاحب الشرح الكبير[1] .

ذكره ابن الصلاح وقال : ما أظن فى بلاد العجم مثله ، وكان ذا فُنُون ، حَسَنَ السيرة ، صنف شرح « الوجيز » فى اثنى عشر مجلدا ، لم يُشْرَح الوجيز بمثله .

وقال الشيخ محيي الدين النووى : الرافعى من الصالحين المتمكنين ، كانت له كرامات كثيرة ظاهرة .

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد الإسفراينى فى الأربعين تأليفه : هو شيخنا إمام الدين ، وناصر السنة ، كان أوحَدَ عصره فى العلوم الدينية أصولا وفروعا ،

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ١٠٨/٥ ، وذكره الذهبي فى وفيات ٦٢٣ ، وفى طبقات الشافعية ١١٩/٥ .

وكان له مجلس بقَزْوين فى التفسير وتفسير الحديث ، صنف شرحا لمسند الشافعى .
[وأسْمَعه ، وصنف شرحاً للوجيز ، ثم صنف آخر أوْجَزَ منه .
وكان زاهدا ، ورِعاً ، متواضعاً] [١] .
ومات بقَزْوِين - رحمه الله تعالى ! - سنة ثلاث وعشرين وستمائة ،

(٢٥٤)

عبد الكريم بن هبة الله (ابن المعلم)

عبد الكريم [٢] هو ابن هبة الله بن السَّديد ، المصرى ، القاضى ، الجليل ، النبيل ، المدبر ، كريم الدين الكبير ، ابن [٣] المعلم ، وكيل السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون وناظر خواصه ومدبر دولته .

بلغ فوق ما يبلغه الوزراء ، ونال فوق ما يناله الكتاب من الوجاهة والحرمة والتقدّم .

أسلم كهلا أيام الجاشنكير ، وكان كاتبه ، وكان لا يُصْرَف على السلطان شىء [٤] إلا بقلمه ، ويقال : إن السلطان طلب مرّة إوَزّة ، ولم يكن كريم الدين حاضرا ، فلم يصرف ، ولما هرب الجاشنكير وأخذ الخزائن معه ورد أمر السلطان من الكرك بطلب كريم الدين أشدَّ طلب .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : حكى لى فتح الدين بن سيد الناس قال : جاء كريم الدين إلى الأمير علم الدين الجاولى ، وقال له : قد جئت إليك ، فقال :

---

(١) مابين المعقوفين زيادة ليست فى ب
(٢) له ترجمة فى الدرر الكامنة ، وفى المنهل الصافى ، وفى شذرات الذهب ٦٣/٦ وفى تاريخ ابن كثير ١١٦/١٤ وانظر المواضع الواردة فى فهرس الجزء التاسع من النجوم الزاهرة
(٣) فى ب وكثير من الأصول « ابن العلم » تحريف ، وكلمة « المعلم » لاتزال تطلق على الأقباط فى مصر ، وقد كان عبد الكريم قبطيا ثم أسلم كهلا فى أيام الجاشنكير
(٤) فى ب « شيئا » والعربية تقتضى قراءة « يصرف » بالبناء للمجهول ، ورفع « شىء »

ما فى يدى لك فرج ، ولـكن للسلطان مملوك يقال له طغاى الـكبير ، وهو لا يخالفه ، فأريد أن أجتمع به وأعرفك ما يكون ، ثم اجتمع به ، فقال : أحضره ، وقام حتى دخل على السلطان وهو يضحك ، وقال له : إن حضر كريم الدين إيش تعطينى ؟ ففرح وقال : عندك هو ؟ أحضره ، فخرج وقال للأمير علم الدين : أحضره ، فأحضره ، فقال : مهما قال لك السلطان قل نعم ، ودَعْنى أنا أدبر أمرك ، ودخل به عليه ، فلما رآه استشاط غيظاً ، وقال له : احمل الساعة ألف ألف دينار ، فقال : نعم ، وخرج ، فقال : لا ، كثير ، احمل خمسمائة ألف دينار ، فقال : السمع والطاعة ، فقال : لا ، كثير ، احمل ثلثمائة ألف دينار ، فقال : السمع والطاعة ، فقال : لا ، كثير ، احمل الساعة مائة ألف دينار ، فقال : السمع والطاعة ، فخرج فقال له سيف الدين طغاى : لا تسقع ذقنك وتحضر الجميع ، ولـكن هات الآن منها عشرة آلاف دينار ، فأتى بها ، ودخل بها على السلطان ، فسكَن غضبُه ، وبقى كل يومين وثلاثة يحمل ثلاثة آلاف دينار ، ومرّة ألفين ، ولم يزل طغاى والقاضى فخر الدين ناظر الجيش يُصْلحان أمرَه حتى رضى عنه السلطان وولاه ناظر الخاص ، وهو أوّل من باشر هذه الوظيفة ، ولم تكن تعرف[1] أوّلا ، ثم تقدّم عنده ، وأحبه محبة لم يحبها لأحد مثله ، وكان يخلع عليه أطلس أبيض ، والفوقانى مطرز ، والتحتانى مطرز ، والقبع زركش[2] على ما استفاض ، وكانت الخزائن جميعها عنده فى بيته ، وإذا أراد السلطان شيئاً أنزل إليه مملوكا إلى بيته واستدعى منــه ما يريده ، فيجهزه ، وكان يخلع على أمراء الطبلخانات الـكبار من عنده .

---

(١) فى ب « ولم يكن يعرفه أولا » وليس بذاك

(٢) فى ب « والقمع زركش »

وقيل : إن السلطان نزل يوماً من الصيد فقال له : يا قاضى كريم الدين ، اعرض أنت صيود الأمراء ، فإن لى ضرورة ، ودخل الدهليز ، ووقف القاضى كريم الدين على الباب ، وكان الأمراء يحضرون صيودهم على طبقاتهم بين يديه ، وهو يخلع عليهم .

وحج هو والخوندة طغاى زوجة السلطان ، واحتفل بأمرها ، وكان كل سماط فى الغدَاء والعَشاء يحضرلها البقولات طرية والجبن المقلى سخنا[١] ، وأخذ معه البقر الحلاَّبات ، وحمل الخضر فى مزراعها بترابها على ظهور الجمال ، وكان يخدم كل أحد من الأمراء الكبار والمشايخ والخاصكية الكبار وأرباب الوظائف والجمدارية الصغار حتى الأشافية فى الإصطبل .

وكان أوّل الأمر ما يخرج القاضى فخر الدين إلى صلاة الصبح إلا ويجد[٢] كريم الدين راكباً ، وهو ينتظره ، ويطلع فى خدمته ليطلع معه إلى القلعة .

وكان فى كل يوم ثلاثاء يحضر إلى دار فخر الدين ويتغدَّى عنده ، ويحضر من داره محفتين لا يعود إليه شىء من ماعونهما الصينى[٣] أبدا .

وكان يركب فى عدة مماليك أتراك تقارب السبعين مملوكا أو أكثر بكنابيش الزركشى المطرز[٤] بالذهب ، والأمراء فى خدمته .

وبالجملة ما رأى أحد من المتنعمين ما رآه كريمُ الدين .

وقيل : إن السلطان طلَبه يوماً إلى الدور ، فدخل وبقيت الخزندارة تروح مرات فياتطلبه الخوندة طغاى، فقال له السلطان : ياقاضى إيش حاجة لهذا التطويل؟ بنتك ما تخبى منك ، ادخل إليها انظر ما تريده افعله ، فقام ودخل عليها وسير

---

(١) فى ب « والجبن المقلى سخن » وما أثبتناه موافقا لما فى ث أتم

(٢) فى ب « إلا ومحمد كريم الدين » وأثبتنا ما فى ث

(٣) فى ب « ماعونهما الصفيق »

(٤) فى ب ، ث « بكنابيش الزركشى والمطرز »

السلطان يقول لها : أبوكِ هذا ابصرى له ما يأكل ، فأخرجت طعاماً له ، وقام السلطان بروحه إلى كرمة فى الدار وقطع منهـا قطف عنب وأحضره وهو ينفخه من الغبار وقال : يا قاضى كل عنب دورنا .

وكان السلطان إذا أراد أن يعمل شراً ورآه قد أقبل يقول : جاء القاضى وما يَدَعُنا نعمل ما نريد ، فيحدثه فى إبطال ما كان هَمَّ به من الشر ، ومدة حياته لم يقع من السلطان إلا خير[1] .

وأمّا مكارمه فإليها المنتهى، قيل : إنه حضرت إليه امرأة رفعت قصة تطلب منه إزارا ، فوقع لها فيها بثمانمائة درهم ، فلما رأى الصيرفى القصة أنكر ذلك ، وحضر إليه ، وقال : ياسيدى هذه سألت إزارا ، والإزار ماثمنه هذا المبلغ ، فقال : صدقت ، وأخذ القصة وقال : هذه متاع الله ، وزادها ثمانين درهما ، وقال : ما أردت إلا ثمانين ، ولـكن الله أراد الثمانمائة ، فوزن الصيرفى للمرأة ثمانمائة وثمانين .

وقيل : كان له صيرفى يستدعى منه ما يصرفه لمن سأله شيئاً ، وإن الصيرفى أحضر له مرة وصولات عديدة ليست بخطه ، فأنـكرها ، فقال الصيرفى : صاحب هذه فى كل وقتٍ يحضر مثل هذه الوصولات ، فقال : إذا حضر فأمسكه وأحضره ، فلما جاء أمسكه وأحضره إلى بابه ، فقيل له : إن الصيرفى وقع بالمزوِّر ، فقال : سيبوه مالى وجه أراه ، ثم قال : علىّ به ، فلما حضر بين يديه قال له : ما حملك على هذا ؟ قال : الحاجة ، قال : كلما احتجت إلى شىء اكتب به خطك على عادتك لهذا الصيرفى ، وارفق فإن علينا كلفاً كثيرة ، وقال للصيرفى : كلما جاء إليك خطه بشىء فاصرفه له .

وقيل : إنه قبل إمساكه ضيع بعضُ مماليك بكتمر حياصةَ ذهبٍ ، فقال صاحبها للأمير ، فقال الأمير : إن لم يحضر الحياصة وإلا روحوا به إلى الوالى

---

(١) فى ب « إلا خيرا » والعربية تأباه ، وأثبتنا ما فى ث

ليقطع يده ، فنزلوا بذلك البابا . فوجدوا القاضى كريم الدين آخر النهار طالعاً إلى القلعة ، فوقف إليه ، وشكا إليه حاله ، فقال : أخروا أمره إلى غد ، ولما نزل إلى داره قال لعبدٍ : خذ معك حياصة ذهب لتعطيها لذلك البابا المسكين ، فلما أصبح وطلع إلى القلعة أمسك واشتغل الناسُ بأمره ، وطلب البابا ، وجهز إلى الوالى ، فقال له رفقاؤه : ما كان القاضى كريم الدين وعدك ؟ روح إليه ، فقال : يا قوم إنسان قد أمسك وصودر أروح إليه ؟ فقالوا له : روح إليه ، فراح إليه ، وكان قد أمرله بالمقام فى القرافة ، فلما دخل عليه شكا إليه حاله ، فقال له : يا ابنى جئت إلى وأنا فى هذا الحال ، ثم رفع جنب المقعد وقال : هذه الدارهم خذها لتستعين بها ، وكانت قريب الألفين ، فلما أخذها وخرج قال لذلك العبد : ما كنت قد أعطيتك حياصة لهذا البابا ؟ قال : نعم ، وهاهى ، فقال : هاتها ، فأخذها ودفعها إلى البابا ، وقال : هذه الحياصة أعطهم إياها ، والدراهم أنفقها عليك ، فطلع بالحياصة وأعطاها للمملوك ، فدخل بها للأمير سيف الدين بكتمر ، فأحضره وقال : قل لى أمر هـذه الحياصة ، فحكى له ما جرى له مع كريم الدين ، فقيل : إن بكتمر الساقى لطم على وجهه ، وقال : يا مسلمين ، مثل هـذا يمسك ؟ وكان قد أمسك بغير رضاه .

وقيل : إن علاء الدين بن عبد الظاهر ونجم الدين بن الأثير قعدا يوماً على باب القلعة ، وأجْرَيَا ذكر كريم الدين ومكارمه ، فقال علاء الدين : ما مكارمه إلا لمن يخافه ، فهو يصانع عن نفسه ، فما كان بعد يومين أو ثلاثة حتى احتاج نجمُ الدين إلى رصاص يجعله قدور حمام ، فكتب ورقة إلى كريم الدين يسأله بيع جملة من الرصاص بديوان الخاص[1] ، فحمل إليه جملة كثيرة فضلت عما طلب بثلاثين قنطارا ، ولم يأخذ له ثمناً ، وأما علاء الدين بن عبد الظاهر فإنه تركه يوماً

---

(١) فى ب « بديعات الخاص » وأثبتنا مافى ث

وهو فى بستانه ، وانحدر إليه فى البحر ، فلم يشعر به إلا وقد أرْسَتْ حَرّاقته على زريبة علاء الدين ، فنزل إليــه وتلقاه واندهش لقدومه ، فحلف أنه لا يأكل ما يحضره إليه من خارج البستان ، وإلا مَهْماَ كان طعام ذلك اليوم يحضره ، فأحضر له ما اتفق حضوره له ، وقال : يا مولانا أنا ما أعلمتك بمجيئى ، ولـكن[1] أنا مثل اليوم ضيفك ، ولـكن لا ألتقى هذه العمارة على هذه الصورة وشرع يرتبها ما أراد ، وراح من عنـده ، فلم يشعر علاء الدين إلا بالمهندسين والصُنَّاع والفعلاء والمراكب قد أرست على زريبته بأنواع الأخشاب وآلات العمارة والطوب وأفلاق النخل والجبس وكل ما يحتاجون[2] إليه ، وأخذوا فى هَدْم ذلك المـكان ، وشرعوا فى بنائه على ما قاله ، فلم يأت خمسة أيام إلا وقد تكمل ورخم وزخرف وفرغ منــه ، فلما كان قبل الميعاد بيوم جاء إليه مركب مَوْسوق بأنواع الغنم والإوز والدجاج الفائق والسكر والأرز وغيره وجميع ما يطبخ حتى الخابى والماعون الصينى والجبن ومَنْ يَقْليه ، فعمل الطعام الفائق المختلف ، ومد السماط العظيم ، ونزل كريم الدين ومعه من يختاره ، فلما حضر مُدَّ السماط فأكل هو ومَنْ معه ، وأحضر أنواع الفواكه والحلوى والمشروب ، ولما فرغ من ذلك أحضر كريم الدين بُقْجَة كبيرة ، وأخرج منها ما يصلح للنساء من القماش الإسكندرانى وغيره ، وما يصلح لملبوس علاء الدين ، وقال : هذه خمسة آلاف درهم يكسو بها مولانا عبيده وجواريه على ما يراه ، وهذا توقيع قد تصدق به مولانا السلطان على مولانا فيه زيادة معلوم دراهم وغلة وكسرة ولحم وجراية ، ونزل ليركب ، فنزل معه علاء الدين ، فلما ركب وفارقه قال له : والله يا مولانا علاء الدين هذه الأشياء أفعلها طبعاً ، وأنا لا أرجوك ولا أخافك ، وكأنه قد صدق أخبار البرامكة .

---

(١) كلمة « ولـكن » ساقطة من ب

(٢) فى ب « وكل ما يحتاجوا إليه » والعربية تقتضى ماأثبتناه موافقا لما فى ث

ومِنْ رياسته أنه كان إذا قال نعم فهى نعم ، و إذا قال لا فهى لا ، هذا[١] تمام الرياسة ، قدم من الثغر نوبةَ حريق القاهرة ، ونسب إلى النصارى ، فثارت به الغوغاء ورجموه ، فغضب السلطان ، وقطع أيدى أربعة ، ثم إنه مرض فى ذلك العام الماضى قبل الواقعة ، ولما عوفى زينت القاهرة ، وتزاحم الخلق ، واختنق رجل .

وكان قد ولى نظر البيمارستان المنصورى ، فكان إذا دخل إليه تصدق بعشرة آلاف درهم .

وقيل : شرب مرة دواء ، فجمع كل ورد فى القاهرة وحمل إلى داره ، و بسط إلى كراسى بيت الماء ، وداس الناس ما داسوه ، وأخذ ما فضل فباعه[٢] الغلمان بثلاثة آلاف درهم .

وكانَ وقُوراً ، عاقلا ، داهيبةً[٣] ، جيد الرأى[٤] ، بعيد الغَوْر ، عمر بالزريبة جامعاً وميضأة ، وعمر فى طرق الرمل البيارات ، وأصلح الطرق ، وعمر جامع القبيبات والقابون ، ووقف عليهما .

ثم انحرف عليه السلطان ونكبه ، وأقام فى بيت الأمير سيف الدين أرغون النائب ثلاثة أيام ، وكان الأمير سيف الدين قجليس يروح إليه ويجىء فى الرسائل عن السلطان ، ثم رسم بنزوله إلى القرافة ، ثم أخرج إلى الشوبك ، ثم إلى القدس ، ثم طلب إلى مصر ، وجهز إلى أسوان ، و بعد قليل أصبح مشنوقاً [بعمامته][٥] .

وكان يحترم العلماء ، وسمع البخارى ، وقيل : إنه لما أحس بقتله صلى ركعتين وقال : هاتوا ، عِشْنا سعداء ، ومُتْنا شهداء .

---

(١) كلمة « هذا » ليست فى ب ، وأثبتناها عن ث

(٢) فى ب « فأباعه » (٣) فى ث « داهية » (٤) فى ث « جزل الرأى »

(٥) زيادة فى ث ، ويؤيدها ما ورد فى تاريخ ابن كثير « خنق نفسه كما قيل بعمامته فى أسوان »

وكان الناس يقولون : ما عمل أحد ما عمل السلطان مع كريم الدين ، أعطاه الدنيا والأخرة ، رحمه الله تعالى ! .

وكانت واقعته سنة أربع وعشرين وسبعمائة .

(٢٥٥)

أبو القاسم عبد اللطيف بن محمد الخجندى

عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف بن ثابت بن الحسن الخجندى ، أبو القاسم صدر الدين .

كان يتولى الرياسة بأصبهان على قاعدة أجداده ، وكانت له المكانة عند السلاطين والملوك والعوام ، وكان فقيها فاضلا أديباً شاعراً صدراً مَهيباً جليلا نبيلاً حسن الأخلاق متواضعاً ، سمع من أبى القاسم غانم بن خالد بن عبد الواحد [التاجر[١]] وأبى الوقت عبد الأول السِّجْزى وغيرهم .

قدم بغداد حاجًا فى عدد كثير من أتباعه وأشياعه ، وعقد مجلس الوعظ ، وأحسن وأجاد ، وخلع عليه من الديوان ، ولما عاد من الحج وصل إلى هَمَذَان ودخل الحمام فأصابه فالج فى الحمام ، فأتى عليه فى الحال ، وحمل إلى أصبهانَ ، ودُفن بها ، سنة ثمانين وخمسمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

يا سَقَى الله الحمى من مربع	بالحمى دار سقاها مدمعى
ليت شعرى والأمانى ضَلَّةٌ	هل إلى وادى الحمى من مرجع
أذِنَتْ علوة للواشى بنا	ما على علوة لو لم تسمع[١]
أو تحَرَّتْ رَشَداً فيا وشى	أو عَفَتْ عَنِّى فما القلب معى[٢]

---

(١) زيادة فى ث (٢) أذنت : ألقت سمعها ، وسمعت ، ومنه قول قعنب :

صم إذا سمعوا مدحا ذكرت به وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

(٣) فى ب صدر هذا البيت « لو نهرت واشيا فياوشى » وليس بمستقيم ، وما أثبتناه موافق لما فى ث

وقال :

رمانا يوم رامَةَ طرف غادهْ تعوّد قَتْلَنَا والخير عاده[(١)]

وذكَّرنا الصبا والعُودُ رَطْب وثغر العيش يبسم عن رغاده[(٢)]

يشوش طيب عيش كنت فيه رعى الله المشوش لو أعاده

رَوَتْ عيني وقد كحلت بشَوْكٍ أحاديثَ الصبابة عن قَتَادَه

بطرفك والسقام، و بى سقام ولكن لاعلاج ولا عياده

(٢٥٦)

موفق الدين عبد اللطيف ابن يوسف ، النحوى (ابن اللباد)

عبد اللطيف بن يوسف[(٣)] بن محمد بن على بن سعد ، العلامة ، موفق الدين البغدادى ، الشافعى ، النحوى ، اللغوى ، المتكلم ، الطبيب ، الفيلسوف ، المعروف بابن اللباد .

لقبه تاج الدين الكندى بالجدى المُلْتَحِى[(٤)] لرقة وجهه وتجعده ويُبْسه[(٥)] .

ولد ببغداد فى أحد الربيعين سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وتوفى ببغداد سنة تسع وعشرين وستمائة .

سمع هو وأبوه من ابن أبى البطى وأبى زُرْعَة المقدسى وشهدة وجماعة ، وروى عنه جماعة : المنذرى ، والضياء ، وابن النجار ، والقوصى ، وحدث بمصر والقدس ودمشق وحران و بغداد ، وكان أحَدَ الأذكياء المُتَضَلِّعِين من الآداب والطب وعلم الأوائل ، إلا أن دعاويه كانت أكثر من علومه ، وكان دميم الخلقة ، بخيلا ، قليل لحم الوجه ، وكان يتنقل فى البلاد .

---

(١) فى ب « رمانا يوم رؤية » (٢) فى ب ، ث «رعادة» بمهملة

(٣) ذكره الذهبى فى وفيات ٦٢٩ وقال : توفى فى المحرم منها عن اثنتين وسبعين سنة ، وترجمه فى شذرات الذهب ١٣٨/٥ وله ذكر فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة فانظر الفهرست (٤) فى ب « بالجدى الملحن »

(٥) فى ب « لرقة وجهه بتجعده وبنسبه » تحريف قبيح

ومن كلامه : اللهمّ أعذنا من جُمُوح الطبيعية ، وشموس النفس ، وسَلِّس لنا مَقَادَ[١] التوفيق ، وخذ بنا فى سواء الطريق ، يا هادى العُمى ، و يا مرشد الضلاَّل يا محيي القلوب الميتة بالإيمان ، خُذْ بأيدينا من مَهْوَاةِ[٢] الهلكة ، وَنجنا من رَدْغَةِ الطبيعة ، وطهرنا من دَرَن الدنيا الدنيئة بالإخلاص لك والتقوى ، إنك مالكُ الدنيا والآخرة ، سبحان من عَمَّ بحكمته الوجود ، واستحق بكل وجه أن يكون هو المعبود ، تلألأت بنور وجهك الآفاق ، وأشرقت شمس معرفتك على النفوس إشراقا وأىّ إشراق .

ومن تصانيفه : غريب الحديث[٣] ، والمجرد منه ، والواضحة فى إعراب الفاتحة ، كتاب الألف واللام ، شرح بانت سعاد ، ذيل الفصيح ، خمس مسائل نحوية ، شرح مقدمة ابن بابشاذ ، شرح الخطب النُّبَاتية ، شرح سبعين حديثاً ، شرح أربعين حديثاً طبية ، الرد على فخر الدين الرازى ، تفسير سورة الإخلاص ، شرح نقد الشعر لقدامة ، قوانين البلاغة ، الإنصاف بين ابن برى وابن الخشاب فى كلامهما على المقامات ، مسألة «أنت طالق فى شهر قبل ما بعد[هُ] رمضان» كتاب قَبْسَة العجلان ، فى النحو ، اختصار العمدة لابن رشيق ، مقدمة حساب ، اختصار كتاب النبات ، اختصـار كتاب الحيوان ، واختصر كتباً كثيرة فى الطب ، كتاب أخبار مصر الكبير ، الإفادة فى أخبار مصر ، تاريخ يتضمن سيرته ، مقالة فى الرد على اليهود والنصارى ، مقالة فى النفس ، مقالة فى العطش ، مقالة فى السقنقور ، مقـالة فى العلم الإلهى ، كتاب الجامع الكبير فى المنطق والطبيعى والإلهى زهـاء[٤] عشر مجلدات ، شرح « الراحمون يرحمهم الرحمن » ، اختصار الصناعتين للعسكرى ، اختصار مادّة البقاء للتميمى ، كتاب بُلْغَة الحكيم ، مقالة

---

(١) فى ب « قفار التوفيق » (٢) فى ب « هفوات الهلكة »
(٣) فى ب « حديث الغريب » . (٤) فى ب « وهما عشر مجلدات » تحريف

فى الماء ، مقالة فى الحركات المعتاصة ، مقالة فى العادات ، الكلمة فى الربوبية ، مقالة فى حقية الدواء والغذاء ، مقالة فى التأدّب[١] بصناعة الطب ، مقالة فى الراوند ، مقالة فى الحنطة ، مقالة فى البُحْرَان ، مقالة ردَّ فيها على ابن رضوان فى أخلاق جالينوس وإرسطو ، كتاب تعقب حواشى ابن جميع على القانون ، مقالة فى الحواس ، مقالة فى الكلمة والكلام ، كتاب الشيعة ، كتاب تحفة الآمل ، كتاب الحكمة الكلامية ، كتاب الدرياق ، حواشى على كتاب البرهان للفارابى ، حلّ[٢] شىء من شكوك الرازى على كتب جالينوس . مقالة فى تدبير[٣] الأدوية والأدواء من جهة الكيفيات ، مقالة فى تعقب أوزان الأدوية ، مقالة أخرى فى المعنى ، مقالة فى النفس والصوت والكلام ، مقالة فى تدبير الحرب[٤] ، جواب مسألة سُئِل عنها فى ذبح الحيوان وقتله ، وهل ذلك سائغ فى الطبع وفى العقل كما هو سائغ فى الشرع ؟ مقالة فى المدينة الفاضلة ، مقالة فى العلوم الضارة ، رسالة فى الممكن ، مقالة فى الجنس والنوع ، الفصول الأربعة المنطقية ، تهذيب كلام أفلاطون ، مقالة فى كيفية استعمال المنطق ، مقالة فى القياس ، كتاب فى القياس ، كبير يدخل فى أربع مجلدات ، السماع الطبيعى ، مجلدان ، شرح الأشكال البرهانية ، مقالة فى تزييف الشكل الرابع ، مقالة فى تزييف ما يعتقده ابن سينا ، مقالة فى القياسات المختلطات ، مقالة فى تزييف المقاييس الشرطية ، مقالة فى إبطال الكيمياء ، عهد الحكماء ، كتاب القولنج ، مقالة فى البِرْسَام[٥] ، مقالة

---

(١) فى ب « التأدى » (٢) فى ب « كل شىء » تحريف

(٣) فى ب « ميزان الأدوية — إلخ » . (٤) فى ب ، ث « فى بير الحرب »

(٥) قال فى لسان العرب : « البرسام : الموم ، ويقال لهذه العلة البرسام ، وكأنه معرب ، وبر : هو الصدر ، وسام : من أسماء الموت ، والمبلسم والمبرسم واحد » وقال فى مادة (م و م) : « والموم : الحمى ، والموم : الجدرى الكثير المتراكب ، وقال الليث : الموم أشد الجدرى » اهـ .

فى الرد على ابن الهيثم ، مقالة فى اللغات وكيفية تولدها ، مقالة فى القدر .

أقام موفق الدين عبد اللطيف مدّة بمصر ، فلما توفى الملك العزيز توَجَّه إلى القدس سنة أربع وستمائة ، وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه فى أصناف من العلوم ، ثم سافر إلى حلب ، وقصد بلاد الروم ، وأقام بها سنين كثيرة فى خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام ، وكان له منه الجامكية الوافرة ، والصِّلات المتواترة ، وصنف باسمه عدة مصنفات ، ثم توجه إلى مَلَطْية ، وعاد إلى حلب .

وتوفى ببغداد فى التاريخ المذكور أول ترجمته ، رحمه الله تعالى !

(٢٥٧)

أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهرى

عبد المجيد بن عَبْدُون ، أبو محمد ، الفِهْرى[١] .

روى عن أبى عاصم بن أيوب وأبى مروان بن سراج والأعلم الشَّنْتَمَرِى .

وتوفى سنة عشرين وخمسمائة[٢] .

وكان أديباً ، شاعراً ، كاتباً ، مترسِّلاً ، عالمًا بالخبر والأثر ومعانى الحديث ، أخذ الناسُ عنه ، وله مصنف فى الانتصار لأبى عُبيد على ابن قُتَيْبة .

ومن شعره قصيدتُه الرائيةُ التى رثى بها ملوك بنى الأفطس وذكر فيها مَنْ أباده الحِدْثان ، من ملوك كل زمان ، وهى :

الدهر يَفْجَع بعد العين بالأثر ... فما البكاء على الأشباح والصُّوَرِ

أنهاك أنهاك لا آلوك معذرة ... عن نَوْمَةٍ بين ناب الليث والظفر

فلا يغرنك من دنياك نومتها ... فما صناعة عينيها سوى السهر

تَسُرّ بالشىء لكن كى تغرّ به ... كالأيم ثار إلى الجانى من الزهر[٣]

والدهر حَرْبٌ وإن أبدى مسالمة ... والسود والبيض مثل البيض والسمر

(١) له ترجمة فى دائرة معارف البستانى ١/٥٩٢ وفى دائرة المعارف الإسلامية ١/٢٢٥ وفى قلائد العقيان ١٤٥ .

(٢) فى دائرة المعارف الإسلامية أن وفاته فى يابرة فى سنة ٥٢٩ .

(٣) الأيم ـ بالفتح أو بوزن طيب ـ الحية مطلقا ، أو الأبيض خاصة

ما لليالى أقال الله عـــثرتنَا ... من الليالى وغالتهـا يد الغير[١]
هوت بدارا وفَلّتْ غَرْبَ قاتله ... وكان عَضْباً على الأملاك ذا أُثُرِ[٢]
واسترجعت من بنى ساسان ماوهبت ... ولم تدع لبنى يونان من أَثَرِ[٣]
وأتبعت أختهـا طَسْماً وعاد على ... عادٍ وجرهم منهـا نافض المدر[٤]
وما أقالت ذوى الهيآت من يَمَنٍ ... ولا أجارت ذوى الغايات من مضر
ومزقت سبأ فى كل قاصية ... فما التقى رائح منهـا بمبتكر
وأنفذت فى كُلَيْبٍ كُلْمها ورمت ... مُهَلْهِلاً بين سمع الأرض والبصر
ودوّخت آل ذبيان وجيرتهم ... لَخْماً وعَضّتْ بنى بدر على النهر[٥]
وما أعادت على الضِّلِّيل صحته ... ولا ثنت أسَداً عن ربها حُجُرِ[٦]
وألحقت بعَدِيّ بالعـراق على ... يد ابنـه أحمر العينين والشعر
و بلغت يَزْدَجِرْدَ الصينَ ، واختزلت ... عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر[٧]
ولم يَكُفَّ مواضى رستم وقنا ... ذى حاجب عنه سعدا فى اتتها العمر

(١) تحرف هذا البيت فى ب تحريفاشنيعاً . فقد وقع فيها :

فما الليالى أقال الله عثرتها ... من الليالى وغالتها يد العبر

(٢) فى ب « هوت بدار وملت غرب قاتلة » تحريف ، ودارا : أحد ملوك الفرس ، وقاتله : هو الإسكندر الأكبر ، وفلت : أى ثلمت ، والغرب ـ بالفتح ـ حد السيف .

(٣) فى ب « ولم تدع لبنى نوقان » تحريف .

(٤) فى ب « وأتبعت أختها طمسا » .

(٥) فى ب « وجيرتهم فهما » .

(٦) الضليل : لقب امرىء القيس بن حجر ، وبنو أسد : هم قوم حجر الذين قتلوه ، وفى ب « ولا بنت أسدا » تحريف .

(٧) فى ب « جمع الترك والخور »

ومزقت جعفرا بالبيضِ واختلست ... من غيـلِهِ حمزة الظلاّمِ للجُزُرِ (١)
وأشرفت بخُبيب فوق قارعـة ... وألصقت طلحةَ الفياض بالعَفَرِ
وخضبت شيبَ عثمان دماً وخَطَتْ ... إلى الزُّبير ولم تستحى من عمر
ولا رعت لأبى اليقظان صحبته ... وَلَمْ تُزَوِّدْهُ إلاَّ الضَّيحَ فِي الغُمُرِ (٢)
وأجزَرَت سيفَ أشقاها أبا حسن ... وأمكنت من حسين راحتى شَمِرِ
وليتها إذ فدَت عمـرا بخارجة ... فَدَتْ عليا بمن شاءت من البشر
وفى ابن هند وفى ابن المصطفى حسنٍ ... أتت بمُعْضِلة الألباب والفكر
فبعضُنا قائل ما اغتاله أحـد ... و بعضنا ساكت لم يأت من حَصَرِ
وأردَتِ ابنَ زياد بالحسين ولم ... يَبُوءْ بِشِسْعٍ له قَدْ طاف أو ظُفُرِ
وعممت بالظُّبا فَوْدَىْ أبى أنس ... ولم يردّ الردى عنـه فتى زفر
وأنزلت مصعبا من رأس شاهقة ... كانت به مهجة المختار فى وزر
ولم تراقبْ مكان ابن الزبير ، ولا ... رعت عِياذته بالبيت والحَجـرِ
ولم تدع لأبى الذبان قائمـة ... ليس اللطيم لهـا عمرو بمنتصر (٣)
وأظفرت بالوليـد بن اليزيد ، ولم ... تبق الخلافة بين الكأس والوتر
ولم تعـد قُضُبُ السفاح نابيةً ... عن رأس مروان أو أشياعه الفُجُرِ
وأسبلت دمعة الروح الأمين على ... دم بفخ لآلى المصطفى هَـدَرِ
وأخفرت فى الأمين العهد وانتدبت ... لجعفر فى ابنه والأعْبُدِ الغُـدُرُ
وأشرقت جعفراً والفضلُ يبصره ... والشيخ يَحْيى بريقِ الصارم الذكر
ولا وَفَتْ بعهـود المستعين ، ولا ... بمـا تأكد للمعتز من مرَرِ

---

(١) الجزر — بضمتين — جمع جزور ، والظلام للجزر : كناية عن كرمه وأنه يذبح الإبل للأضياف .

(٢) فى ب ، ث « ولم تزود غيره بالغير فى العمر » تحريف .

(٣) أبو الذبان : عبد الملك بن مروان وانظر ص ٣٢ الآتية .

وأوثقت فى عُرَاهـا كل معتمد — وأشرقت بقَذَاها كل مقتـــدر
وَرَوَّعَتْ كل مأمون ومؤتمن — وأسلمت كل منصـــور ومنتصر
بنى المظفَّـــر والأيام ما برحت — مراحلاً والورى منهـــا على سفر
سحقـاً ليومـكم يوما ولا حَمَلَتْ — بمثله ليلةٌ فى ســـالف العمر
مَنْ للأسِرَّة أو من للأعِنَّة أو — من للسماحـــة أو للنفع والضرر[1]
أو دفع كارثة أو قمع رادفة — أو ردع حادثة تُعْيِى على القدر[2]
ويح السماح وويح البأس لو سلما — وحسرة الدين والدنيـــا على عمر
سَقَتْ ثرى الفضل والعباس هامية — تُعْزَى إليهم سماحا لا إلى المطر[3]
وَمرَّ من كل شىء فيـــه أطيبُهُ — حتى التمتع بالآصـــال والبكر
أين الجـلال الذى عمت مهابتُهُ — قلوبَنَا وعيونَ الأنجم الزهر
أين الإباء الذى أرْسَوْا قواعـده — على دعائم من عز ومن ظَفَـرِ
أين الرَّواء الذى أصفوا شرائعه — فلم يَرِدْ أحد منها على كَدَرِ[4]
على الفضائل إلا الصبر بعدهم — ســـلامُ مرتقبٍ للأجر منتظر
يرجو عسى، وله فى أختهـا طمع — والدهر ذو عُقَبٍ شتّى وذو غِيَرِ

وقد سلك مسلك هذه القصيدة أبو جعفر الأعْيَمى ، فقال قصيدة أولها :

---

(١) هذا البيت ملفق من بيتين ، وصواب الإنشاد :
من للأسرة ؟ من للأعنة ؟ أو — من للأسنة يهديها إلى الثغر
من للبراعة ؟ أو من لليراعة؟ أو — من للسماحة؟ أوللنفع والضرر

(٢) فى ث « تغى على القدر » وفى ب « يعى على القدر » .

(٣) فى ب « تقرى إليهم سماحا » تحريف ، وتعزى ـ بالبناء للمجهول ـ تنسب

(٤) الرواء ـ بفتح الراء ـ أى الكثير الذى لاينضب ، ووقع فى ب ، ث «أين الرواة » تحريف ، ووقع فى ب « الذى أسفوا شرائعه » تحريف يدل عليه عجز البيت .

قِفَا حَدِّثانى عن فُلٍ وفلان لعلى أرى باق على الحَدَثَانِ[١]

وهى مذكورة فى ترجمته .

ومن شعر ابن عبدون :

وافاكَ من فلق الصباح تبسم وأُنساب من غسق الظلام تجهمُ

والليل ينعى بالأذان وقد شدا بالأيك طير البَانَةِ المترنم[٢]،

ودموع طَلّ الليل يخلق أعينا يرنو بها من ماء دجلة أرقمُ

وقال أيضاً :

وما أنْسَ بين النهر والقصر وقفة نَشَدْتُ بها ماضل من شارد الحب

رميتُ بلحظِى دُميةً سَنَحَت به فلم أنتبه إلا ومحرابها قلبى

(٢٥٨)

أمين الدين عبد المحسن ابن حمود

عبد المحسن بن حَمُّود بن عبد المحسن بن على ، أمين الدين ، التنوخى ، الحلبى ، الكاتب المنشىء البليغ[٣] .

ولد سنة سبعين وخمسمائة ، وتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

رحَلَ وسمع بدمشق من حنبل وابن طبرزذ والكندى وغيرهم ، وعُنى بالأدب، جمع كتاباً فى الأخبار والنوادر فى عشرين مجلداً روى فيه بالسند ، وله ديوان شعر ، وديوان ترسل ، وكتاب « مفتاح الأفراح ، فى امتداح الراح » وكتب لصاحب صرخد عز الدين أيبك ووزَر له ، وكان دَيِّناً[٤] خيراً كامل الأدوات .

---

(١) فى ب ، ث « حدثانى عن خليل وخلان » تحريف .

(٢) فى ب « طير لبانه » تحريف

(٣) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥ / ٤٢٠ وذكر أنه توفى فى رجب وله ثلاث وسبعون سنة ، وفى النجوم الزاهرة ٣٥٣/٦ وذكر أنه دفن بباب توما بدمشق

(٤) فى ب «وكان وليا خيرا» وأثبتنا ما فى ث

ومن شعره :

اشتغل بالحديث إن كنت ذافهم ففيه المراد والإيثار
وَهْوَ للعلم معلم وبه بين ذوِى الدين تحسن الآثار
إنما الرأى والقياس ظلام والأحاديث للورى أنوار
كن بما قد علمته عاملا فالعلم دَوح منهن تُجْنى الثمار[1]
وإذا كنت عالما وعليما بالأحاديث لم تمسَّكَ نار

وقال يعاتب صديقاً له :

سألتك حاجة ووثقت فيها بقول نعم وما فى ذاك عابُ
ولم أعلم بأنك من أناس ظَمُوا قلبى وعندهم الشراب[2]

وقال فى المعنى :

ظننت به الجميل فجئت أرْضى إليه بهمتى طولا وعرضاً
فلما جئته ألفيت شخصاً حمى عَرَضاً له وأباح عِرْضاً

وقال أيضاً :

كأنما نارنا وقد خَمَدَتْ وجمرها بالرماد مستور
دَمٌ جَرَى من فَوَاخِتٍ ذبحت من فوقه ريشهن منثور

وقال أيضاً :

أتانا بكانون يُشَبُّ ضِرامه كقلب محب أو كصدر حسود
كأن احمرار النار من تحت فحمه خدودُ عَذَارَى فى مَعَاجِرَ سود

وقال فى غلام جميل الصورة لابس أصفر :

قد قلت لما أن بَصُرْتُ به فى حلة صفراء كالورس

---

(١) فى ب «فالعلم روح تجنى منها الثمار» ولا يستقيم مع ذلك وزن البيت ولا معناه
(٢) فى ب «خلوا قلبى» وأثبتنا ما فى ث

أو ما كفاه أنه قمر   حتى تدرَّعَ حلة الشمس

وقال أيضاً :

أقول لنفسى حين نازل لِمَّتِي   مَشِيبِي ولما يبق غير رحيلى
أيا نفسُ قد مر الكثير فأقصرى   ولا تحرصى لم يبق غير قليل
ولا تأملى طول البقاء فإننى   وجدت بقاء الدهر غير طويل

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

بالله هل يا مَلُولُ   إلى الوصال وصول ؟
أم هل إلى سلسبيل   من ريق فيك سبيل
صِلْنِي فماذا التجافى   من ذا الجمال جميل[1]
ساءت لبعدك حالى   ولست عنك أحُولُ
قَضَى اعتدالك فينا   أن ليس عنك عدول
ما مال قَدُّكَ إلا   ظلما علىَّ يميل
فهل شمائل ريح   مرت به أم شَمُولُ
إن كنت تنكر أنى   بمقلتيك قتيل
فها دمى كاد من خد   ك الأسيل يسيل
وذا الدلال على ما   بى من هواك دليل
لكن يهون على الغمر في الهوى ما يهول

(٢٥٩)

تقى الدين عبد الملك بن الأعز الأسنائى

عبد الملك بن الأعز بن عمران ، الثقفى ، الأسنائى ، تقى الدين[2]
كان أديباً شاعراً ، قرأ النحو والأدب على الشمس الرومى ، وله ديوان شعر .

---

(١) ويجوز أن يكون عجزه * من ذى الجمال جميل *
(٢) له ترجمة فى الطالع السعيد ص ١٨١

قال كمال الدين جعفر الأدفوى : اجتمعتُ به كثيراً ، وكان متهماً بالتشيع ، وتوفى بأسنا سنة تسع وسبعمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

جفـــونى ما تنام　　إلا لعَلِّى أن أراك
فزرنى قد بَرَانى الا　　شوق يا غُصْنَ الأراك
وطرفى ما رأى مثلك　　وقلبى قد حَـــوَاك
فهو لك لم يزل مسكن　　فسبحان الذى أسكن
وحسنك كم به أفتن　　وما قصدى ســـواك
حبيبى آه ما أحلى　　هوانى فى هـــواك
فخلِّ الصد والهجران　　ولا تسمع ملام
وصلنى يا قضيب البان　　ففى قلـــبى ضرام
وجـــد للهائم الولهان　　يا بدر التمـــــام
وزر يا طلعة البدر　　ودع يا قاتلى هجرى
وارفق قد فنى صـــبرى　　وعِـــدْ أيام وَفَاكْ(١)
واسمـــح أن أقبل　　يا مليح بالله فاك
إذا ما زاد بى وجدى　　ولا ألقى معـــــين
وصار دمعى على خدى　　كما المـــــاء المعين
أفكر ألتقيك عندى　　يطيب قلبى الحزين
لأنك نزهة الناظر　　وشخصك فى الضمير حاضر(٢)
وحبى فيك بلا آخر　　وقولى قـــد كفاك

---

(١) فى الطالع «وارفق قد فنى عمرى»
(٢) وفيه « وشخصك فى الفؤاد حاضر »

فجـــد واعـــدل وصل وواصل[١] رضاى من رضاك

جبينك يشبه الإصباح بنوره قد هـــدى[٢]

وريقك من رحيق الراح به يروى الصـــدى

وخـدك يبهر التفاح مكلل بالنـــدى[٣]

سبانى لونه القـــانى فخلانى كئيب عانى

تجـافى النوم أجفـانى فهـــل عينى تراك

فذاك اليوم فيه خدى أعفـــر فى ثراك

عذولى لا تطل واقصر ودع صبـــا كئيب

تأمل من هويت وابصر إلى وجـــه الحبيب

وكن يا صاح مستبصر ترى شيئاً عجيب

ترى من حسنه مبدع كبدر التم إذ يطلع

تحير ولم تدر ما تصنع ولا تعرف هـــداك[٤]

وتبقى مفتكر حيران إلا إن هـــداك

(٢٦٠)

أبو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح ، الأمير العباسى

عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، أبو عبد الرحمن ، الأمير[٥] .

ولى المدينة والصوائف للرشيد ، ثم ولى الشام والجزيرة للأمين .

وتوفى سنة ست وسبعين ومائة .

وحَدَّثَ عن أبيه ومالك بن أنس ، وكان أفصح الناس وأخْطَبَهم ، ولم يكن فى عصره مثلُه فى فصاحته وصيانته وجلالته .

---

(١) فى الطالع «وصل وأوصل» (٢) وفيه «جبينك يشبه المصباح»

(٣) وفيه «وخدك يشبه التفاح» (٤) وفيه «تحار ولم تدر ماتصنع»

(٥) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ٢/٩٠

قيل ليحيى بن خالد البرمكى وقد ولّى الرشيدُ عبدَ الملك المدينة : كيف ولاه المدينة من بين عماله ؟ قال : أحَبَّ أن يُبَاهى به قريشاً ، ويعلمهم أن فى بنى العباس مثله .

ودخل على الرشيد يوما وقد توفى له ولد وجاءه ولد ، فقال : يا أمير المؤمنين، سَرّكَ الله فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرك ، وجعل هذه بهذه ، جزاء للشاكر ، وثوابا للصابر .

وقيل له : إن أخاك عبد الله يزعم أنك حَقُود ، فقال :

إذا ما امرؤٌ لم يحْقد الوتر لم تجد لديه لدى النعماء حمدا ولا شكرا

ووجه إلى الرشيد فاكهة فى أطباق الخيزران ، وكتب إليه : أسعد الله أمير المؤمنين وأسعد به ، إنى دخلت إلى بستان لى أفادنيه كرمُك ، وعمرتهُ لى نعمُك ، قد أينعت أشجاره ، وآتت ثماره ، فوجّهت إلى أمير المؤمنين منه شيئاً على الثقة والإمكان ، فى أطباق القُضْبَان ، ليصلَ إلىَّ من بركة دعائه ، مثلُ ما وصَل إلىَّ من كثرة عطائه . فقال رجلٌ : يا أمير المؤمنين ، لم أسمع بأطباق القُضْبَانِ ، فقال الرشيد : يا أبله ، إنه كَنَى عن الخيزران؛ إذ كان اسماً لأمّنا .

ولما وَدَّعه الرشيدُ وقد وجهه إلى الشام ، فقال له الرشيد : ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينى و بينك بيت يزيد[1] بن الدثنة حيث يقول :

فكونى على الواشين لدّاء شغْبَةً كما أنا للواشى ألدُّ شَغُوبُ[2]

ثم إن الرشيد جعل ابنه القاسمَ فى حِجْرِ عبد الملك بن صالح ، فقال عبد الملك يحض الرشيد على أن يوليه العهد بعد أخويه الأمين والمأمون :

---

(١) كذا فى ب ، ث ، والذى فى النجوم الزاهرة « بيت ابن الدمينة » والبيت فى ديوان ابن الدمينة ١٢ ولم أجد فى الشعراء من اسمه « يزيد بن الدثنة » فهذا كله أمارة أن مافى الأصلين محرف عما ذكرنا نقلا عن النجوم .

(٢) فى ب ، ث « فكونى على الواشين لدى شعوبة » و « ألد شعوب» تحريف

يأيهـــا الملك الذى لو كان نجما كان سعدا
للقاسم اعْقِـــدْ بيعةً وأوقد له فى الملك زَنْدَا
الله فردٌ واحـــد فاجْعَلْ ولاة العهد فردا

فجعله الرشيد ثالثهما ، ثم وُشِىَ به بعد ذلك ، وتتابعت الأخبار عنه بفساد نيته للرّشيد ، فدخل عليه فى بعض الأيام وقد امتلأ قلبُ الرشيد غيظاً ، فقال له : أكُفْراً بالنعمة وغدراً بالإمام ؟ فقال عبد الملك : قد بُؤْتُ إذاً بأعباء الندم ، واستحلال النقم ، وما ذاك يا أمير المؤمنين إلا بغى حاسدٍ نافسٍ فيك وفى تقديم الولاية ومودّة القرابة ؟ يا أمير المؤمنين إنك خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته ، وأمينه على عِتْرَته ، لك عليها فرضُ الطاعة وأداء النصيحة ، ولها عليك العدل فى حكمها والتثبّتُ فى حادثها ، فقال الرشيد : هذا ثُمامة كاتبُك يخبر بفَساد نيتك وسيرتك ، ثم أمر بإحضاره ، وقال له الرشيد : تكلم غير خائف ولاهائب ، فقال : أقول : إنه عازم على الغَدْر بك يا أمير المؤمنين والخلافِ عليك ، فقال عبد الملك : وكيف لا يكذب علىّ مِنْ خَلْفى من يَبْهَتنى فى وجهى ؟ فقال الرشيد : هذا ولَدُكَ عبد الرحمن يقول بقول كاتبك ويخبر عن سوء ضميرك وفساد نيتك ، وأنت لو أردت أن تحتج بحجة لم تجد أعْدَلَ من هذين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عبدُ الرحمن بين مأمور أوعاق ، فإن كان مأموراً فمعذور ، وإن كان عاقّاً فهو عدوّ أخبر الله بعداوته وحَذَّر منها فقال جلّ ثناؤه فى محكم كتابه : (إنَّ من أزواجكم وأولادكم عدوّا لكم فاحذروهم) فنهض الرشيد فقال : أمّا أمرك فقد وضح ، ولكن لاأعجل حتى أعلم ما الذى يُرْضِى الله فيك فإنه الحكَم بينى وبينك، فقال عبد الملك : رضيت بالله حَكَما ، وبأمير المؤمنين حاكما ، فإنى أعلم أنه يؤْثِرُ كتابَ الله على هَوَاه ، وأمر الله على رضاه .

ثم إنه دخل عليه فى مجلس آخر وسلم ، فلم يَرُدَّ عليه الرشيد ، فلم يزل يعتذر ويحتج لنفسه بالبراءة حتى أقبل عليه بوجهه ، وقال : ما هذا الأمر إلا كما قلت

يا أبا عبد الرحمن ، و إنك محسود ، وأميرُ المؤمنين يعلم أنك على سريرة صالحة غير مدخولة ولا خسيسة ، ثم دعا عبد الملك بشربة ماء ، فقال له الرشيد : ما شرابك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : سحيق الطبرزذ بماء الرمان ، فقال : بخ بخ عضوان لطيفان يذهبان الظمأ و يلذان المذاق ، فقال عبد الملك : صغيك[1] لهما يا أمير المؤمنين ألذ من فعلهما .

ثم إن الرشيد تنكّر له بعد ذلك ، فحبسه عند الفضل بن الربيع ، ولم يزل محبوساً حتى توفى الرشيد ، فأطلقه الأمين ، وعَقَد له بالشام ، وجعل للأمين عهد الله وميثاقه لئن قُتِل وهو حىّ لا يعطى للمأمون طاعة ، فمات قبل قتل الأمين ، ودفن فى دار الإمارة بالرّقة ، فلما خرج المأمون يريد الروم أرسل إلى ابن عبد الملك : حَوّلْ أباك من دارى ، فنبشت عظامه وحُوِّلت .

وكتب إلى الرشيد وقد تغير عليه :

أخلاّىَ لى شَجْوٌ وليس لكم شجو ... وكل امرئٍ من شَجْوِ صاحبه خِلْو[2]
مِنَ اىّ نواحى الأرض أبغى رضا كُمُ ... وأنتم أناس ما لمرضاتكم نحو
فـلا حَسَن نأتى به تقبلونَهُ ... وَلاَ إنْ أسأنا كان عندكم عفو[3]

فلما وقف عليها قال : والله إن كان قالها فقد أحسن ، وإن كان رواها فقد أحسن .

وكتب إليه من السجن رحمه الله :

قل لأمير المؤمنين الذى ... يشكره الصادر والوارد
يا واحد الأملاك فى فضله ... مالك مثلى فى الورى واحد

---

(١) لعله « صفتك لهما »
(٢) فى النجوم «أخلاى بى شجو وليس بكم شجو»
(٣) فى ب «فلا حسن نأتى به نعت لونه» تحريف لامعنى له ، وفيها « ولئن أسأنا» تحريف لايستقيم معه الوزن ولا المعنى

إن كان لى ذنب ولا ذنب لى   حقا كما قد زعم الحاسد
فلا يَضِقْ عَفْوُكَ عنى فقد   فاز به المسلم والجاحد

ومن شعره وهو فى السجن :

لئن ساءنى سَجْنِى لفقد أحبتى   وأنىَ فيهم لا أمِرٌ ولا أخْلِى
لقد سَرَّنى عزى بتركِ لقائهم   وما أتشكَّى من حجابى ومن ذلى

ولما أخرجه الأمين من السجن دفع إليه كاتبه وابنه ، فقتل ابنه ، وهَشَم وجه كاتبه بعمود .

(٢٦١)

أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان

عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَنَاف ، الأموى ، أمير المؤمنين[١] .

بويع بعهد من أبيه فى خلافة ابن الزبير ، و بقى على مصر والشام وابنُ الزبير على باقى البلاد مدّة سبع سنين ، ثم غلب عبدُ الملك على العراق و بقية البلاد ، وقَتَل ابن الزبير ، واستوثق[٢] الأمر له .

كان عابدا ناسكا بالمدينة ، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين .

قال ابن سعد[٣] : واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ستَّ عشرةَ سنة ، وسمع عثمان وأبا هريرة وأبا سعيد وأم سلمة وابن عمر ومعاوية .

وأوّل من سمى عبد الملك فى الإسلام عبد الملك بن مروان .

قال أبو الزناد : فقهاء المدينة : سعيدُ بن المسيب ، وعبد الملك بن مروان ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب .

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء ٨٣ وفى النجوم الزاهرة ١/٢١٢ وفى البداية والنهاية لابن كثير ٩/٦١

(٢) فى ب «واستوسق له الأمر» وأثبتنا ما فى ث

(٣) فى ب «أبو سعد»

وعن ابن عمر قال : وَلَدَ الناسُ أبناء ، وولد مروان آباء .

وقال يحيى بن سعيد : أوّل من صلى فى المسجد ما بين الظهر والعصر عبد الملك ابن مروان .

وقال ابن عائشة : أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحفُ فى حجرِهِ ، فأطبقه ، وقال : هذا فراق بينى و بينك .

وكان له سبعة عشر ولدا ، ومات فى شوّال سنة إحدى وستين من الهجرة .

وكان يلقب بِرَشْحِ الحجر ؛ لبخله ، وكان رَبْعَةً ، أبيض ، ليس بالبادن ولا النحيف ، مقرون الحاجبين ، كبير العينين ، مُشْرِف الأنف ، كثير الشعر ، مفتوح الفم ، مشبك الأسنان بالذهب ، أبخر ، وكان يلقب « أبا الذباب »[1] يزعمون أن الذبابة إذا مرّت بفيه ماتت لشدّة بَخَرِه .

ولد يوم جلس عثمان بن عفان للخلافة ، وكانت مدّة ملكه إحدى وعشرين سنة ، ولما مات صلى عليه ابنُه الوليدُ .

وفى أيامه حُوِّلت الدواوين إلى العربية ، ونُقِشت الدنانير والدراهم بالعربية سنة ست وسبعين ، وكان على الدنانير قبل ذلك كتابة بالرومية ، وعلى الدراهم كتابة بالفارسية .

كتب إلى الحجاج مرة : بلغَنِي عنك إسراف فى القتل ، وتبذير فى المال ، وهاتان خَلَّتَان لا أحتمل عليهما أحداً ، وقد حكمت عليك فى العمد بالقوَد ، وفى الخطأ بالدية ، وفى الأموال أن تردها إلى مواضعها ، وكتب فى آخرها :

وإن تَرَ مِنِّى غفلَةً قرشية ... فيا ربما قد غصَّ بالماء شاربه
وإن تَرَ منى غَضْبة أموية ... فهذا وهذا كلٌّ ذا أنا صاحبه
سأُمْلِى لذى الذنب العظيم كأننى ... أخو غَفْلة عنه وقد جُبَّ غاربه
فإن كفَّ لم أُعْجِلْ عليه ، وإن أبىٰ ... وثَبْتُ عليه وَثْبة لا أراقبه

ولما قتل عمرو بن سعيد بن العاص خطب الناسَ فقال بعد حمد الله والثناء

(١) وفى بعض الأصول «أبا الذبان»

عليه : أما بعد ، فلست بالخليفة المستضعَفِ ، ولا الخليفة المُدَاهن ، ولا الخليفة المأفون ، ألا و إنّ مَنْ كان قَبْلى من الخلفاء كانوا يأكلون و يطعمون من هذه الأموال ، ألا و إنى لا أداهن هـذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لى قنَاتكم ، تكلفوننا أعمال المهاجرين الأولين ولا تعملون من أعمالهم ، فلم تزدادوا إلا اجتراحا ولن تزدادوا إلا عقوبة ، وهذا حكم السيف بيننا و بينكم ، هذا عمرو بن سعيد قرابتُه قرابتُه وموضعُه موضعُه قال برأسه هكذا فقلنا بالسيف هكذا ، ألا و إنا نحتمل من كل شيء إلا وُثُوباً على منبر أو نَصْبَ راية ، ألا و إن الجامعة[1] التى جعلتها فى عنق عمرو بن سعيد عندى ، والله لا يَفْعَل أحد فِعْلَه إلا جعلتها فى عنقه ، ثم لا تخرج نفسه إلا صُعُدا ، وزادوا فيها : والله لا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضربت عنقه ، ثم نزل فركب ناقة وأخذ بزمامها وقال :

فصَحَّت ولا شَلّتْ وضرت عدوها   يَمِينٌ أراقت مُهْجَة ابن سـعيد[2]

قيل : إن صحت هذه الزيادة التى فى هذا الخبر فعبدُ الملك بن مروان أول من نهى عن المعروف فى الإسلام ، وهو أول من غدر فى الإسلام ، لأن والدَه عهد لعمرو بن سعيد بن العاص فقتله عبدُ الملك ، وأول من نهى عن الـكلام بحضرة الخلفاء ، وأن يعترضوا عليهم فيما يفعلون ، وهو أول خليفة بخل ، والله أعلم

(٢٦٢)

أبو الفضل عبد المنعم بن عبدالعزيز (ابن النطـرونى) الإسكندرى

عبد المنعم بن عبد العزيز بن أبي بكر بن عبد المؤمن ، أبو الفضل ، القرشى ، العَبْدَرى ، المعروف بابن النطرونى ، الإسكندرى .

قدم بغداد ، وأقام بهـا ، ومدح الناصر الإمام بعدة قصائد ، وكان فقيهاً أديبا ، حسن السَّمْت ، حسن السيرة ، ورتب شيخاً برباط العميد بالجانب الغربى ثم أنفِذَ رسولا من الديوان إلى يحيى بن غافية الميورقى ، فأقام هناك مدة طويلة ،

(١) الجامعة : الغل ، الـكبل ، القيد   (٢) فى ب « وضرب عدوها » تحريف

وولده عبد العزيز ينوب[١] عنه ، ثم عاد وقد حصل له مال طائل ، ورتب ناظر البيمارستان العضدى .

وتوفى رحمه الله تعالى سنة ثلاث وستمائة .

ومن شعره :

باتت تصد عن النوى   وتقول : كم تتغرب ؟
إن الحياة مع القنا   عة والمقام لأطيب[٢]
فأجبتها : ياهذه   غيرى بقولك يُخْلَب[٣]
إن الكريم مفارق   أوطانه إذ يجذب
والبدر حين يَشِينه   نقصانه يتغيب
لا يرتقى دَرَجَ العلى   مَنْ لا يجدُّ ويتعب

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا ساحر الطرف ليلى ماله سَحَرُ   وقد أضرَّ بجفنى بعدك السهرُ
يكفيك منى إشارات بعين ضَنًى   لم يبق منى به عين ولا أثر
أعاذك الله من شرِّ الهوى فلقد   أذكى على كبدى ناراً لها شرر
غَرَّرْتُ فيه بروحى بعد ما علمت   أن السلامة من أسبابه غَرَرُ
وكان عَذْباً عذابى فى بدايته   فصار فى الصبر طعما دونه الصَّبِرُ
ولست أدرى وقد مثلت شخصك فى   قلبى المَشُوقِ أشمس أنت أم قمر
ما صوَّر الله هذا الحسن فى بشر   وكان يمكن أن لا تعبد الصور
من لى برد غُدَيَّاتٍ بذى سَلَمَ   حيث النسيم عليل والثرى عَطِرُ
والنور يضحك فى وجه السحاب إذا   أبدى عبوساً وأبكى جَفْنَه المطر

---

(١) فى ب « ينويه » تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى ث
(٢) فى ب ، ث « مع المقام الأطيب » ولا يستقيم (٣) فى ب ، ث « خلب »

والوُرْقُ تدّرع الأوراق إذ نظرت — سهام قَطْر بذاك القطر تنحدر
وللغصــون منــاحات إذا سمعت — من النسيم أحاديثا لهـــا خطر
ما كنت أحسبُ أن العيش يَخْلُفُ ما — قــد كان من صفوه فيما مضى كَدَرُ
ولا تَخَيَّلْتُ أن الساكنين رُبىٰ — نجــدٍ تُغيرهم من بعدنا الغِيَرُ
ما حرموا غير وصلى فى محرمهم — وحان فى صــفر ما بيننا ســفر
واحرّ قلبــاه إن لم يدن لى وطن — عما قليل وإن لم يُقضَ لى وَطَرُ
لو كنت يابين تدرى ما صنعْتَ بنا — لــكنت فى عاجل الأحوال تعتذر

(٢٦٣)

أبو الفضل عبد المنعم بن عمر (حكيم الزمان) الغسانى

عبد المنعم[١] بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان ، أبو الفضل ، حكيم الزمان ، الجيانى[٢] ، الغسانى ، الأندلسى .

كان أديبا فاضلا طبيباً حاذقا ، له معرفة بعلوم الباطن ، وكلام على طريق القوم ، وكان مليح السَّمْت ، حسن الأخلاق .

رَحَلَ من الأندلس ، ودخل بغداد ، وروى عنه محب الدين بن النجار ، ومدح السلطان صلاح الدين الــكبير .

مولده سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، وتوفى سنة اثنتين وستمائة بدمشق .

قال ابن أبى أصيبعة : كان علامة زمانه فى صناعة الطب والــكحل ، بارعاً فى الأدب وصناعة الشعر ، وعُمِّر طويلا ، وكان له حانوت فى اللبادين لصناعة الطب ، وكان السلطان صلاح الدين يرى حقه له ويحترمه ، وله فيه مدائح كثيرة ، وصنف كتباً كثيرة ، وكان يعانى صناعة الــكيمياء ، وله عشرة دواوين : الأول

---

(١) له ترجمة فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ٢/١٥٧ ، وذكر نسبه «عبد المنعم ابن عمر بن عبد الله بن حسان ، الغسانى ، الأندلسى » وفيها ما نقله المؤلف هنا عنه ، وذكر له ممادح فى السلطان صلاح الدين الأيوبى

(٢) كذا فى ب ، ث ، وفى طبقات الأطباء « الجليانى »

ديوان الحكم ومنثور[١] الحكم ، الثانى ديوان المشوقات إلى الملأ الأعلى ، الثالث ديوان السلوك[٢] ، الرابع ديوان نوادر الوحى[٣] ، الخامس تحرير النظر ، السادس سر البلاغة وصنائع البديع ، السابع ديوان المبشرات ، الثامن ديوان الغزل والتشبيب والموشحات والدّو بيت ، السابع ديوان تشبيهات وألغاز ورموز وأحاجى وأوصاف وخمريات ، العاشر ديوان ترسل ومخاطبات ، وله أيضاً كتاب « منادح[٤] الممادح وروضة المآثر والمفاخر ، فى خصائص الملك الناصر » .

ومن شعره رحمه الله :

ذَرِينِى لمتن الخيل يا أم مالك ... فما الأمن إلا فى متون الصواهل

فبحر الوغى لولا السوابح صادرت ... بنا لجة لم يَحْظ منها بساحل

فلا تخطبي يا هند لى غادة سبت ... بنُطْق وِشاح أو بصَمْتِ خلاخل

فليست ذيول فوق حِجْل تَرُوقنى ... ولكن خيول تحت سحبِ قساطل

فلا هلك إلا فى نحور نواهد ... ولا ملك إلا فى صدور عوامل

ولا ملك يأتى كيوسف آخرا ... كما لم يجىء مثل له فى الأوائل

فتى ركب الأهوال خيلا سروجُها ... عزائمُ شدّت للثبات بكاهل

ومنه أيضاً :

فأبخس شىء حكمة عند جاهل ... وأهون شىء فاضل عند ظالم

فلو زُفّت الحسناء للذئب لم يكن ... يرى قربها إلا لأكل المعاصم

ومنه أيضاً :

أؤمل لقياكم وإن شَطّتِ النوى ... وأزجر قربا فى مرور السوانح

---

(١) فى الطبقات «ديوان الحكم ، وميدان الكلم»

(٢) وفيه «ديوان آداب السلوك»

(٣) فى ث « نوادر الحى » وفى ب « نوادر إلهى »وأثبتنا ما ورد فى الطبقات

(٤) فى ب « شارح الممادح ـ إلخ » وما أثبتناه موافق لما فى ث والطبقات

وُيذْكِى اشتياقى زندتذكارعهدكم وما الشوق إلا بعض نار الجوانح

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

قالوا : نرى نفراً عند الملوك سَمَوْا ومالهم همة تسمو ولا ورع

وأنت ذو همة فى الفضل عالية فلم ظَمِئْتَ وهم فى الجاه قد كَرَعُوا ؟

فقلت : باعوا نفوساً واشتروا ثمناً وصُنْتُ نفسى فلم أخضع كما خضعوا

قد يكرم القرد إعجابا بخسته وقد يُهَان لفرط النخوة السبعُ

وقال أيضاً :

بذلت وقتا للطب كى لا ألقى بنى الملك بالسؤال

وكان وَجْهُ الصواب فى أن أصون نفسى بلا اعتزال(١)

لا بد للجسم من قوام فخذه من جانب اعتدال

واقرب من العز فى اتِّضَاع واهرب من الذل فى المعالى

(٢٦٤)

شرف الدين عبد المؤمن بن خلف (الحافظ الدمياطى)

عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف(٢) .

الشيخ ، الإمام ، البارع ، الحافظ ، النسابة ، المجوِّد ، الحجة ، علم المحدثين ، عمدة النقاد ، شرف الدين الدمياطى ، الشافعى ، صاحب التصانيف .

مولده بتونة قريةٍ من عمل تِنِّيسَ ، ولد عام ثلاثة عشر وستمائة ، ووفاته فى خامس عشر ذى القعدة سنة خمس وسبعمائة ، ودفن بمقبرة باب النصر خارج القاهرة .

---

(١) فى طبقات الأطباء « وكان وجه الصواب لى أن »

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ١٢/٦ ولكنه قال « ولد بدمياط فى أواخر سنة ٦١٣ » ودمياط وتنيس قريبتان . وله ترجمة فى الدرر الكامنة ، وفى النجوم الزاهرة ٢١٨/٨ ، وذكر مولده فى تونة كما ذكر المؤلف ، كما ذكر أنه استوفى ترجمته فى المنهل الصافى ، وفى تاريخ ابن كثير ٤٠/١٤

وكان منشؤه بدمياط ، وتميز فى المذهب ، وقرأ القراآت ، وطلب الحديث وقد صار له ثلاث وعشرون سنة ، فسمع بالإسكندرية فى سنة ست وثلاثين من أصحاب السِّلَفى ، ثم قدم القاهرة ، وعُنى بهذا الشأن روايةً ودرايةً ، ولازم الحافظ زكى الدين حتى صار مُعِيدَهُ ، وحج سنة ثلاث وأربعين ، وسمع بالحرمين ، وارتحل إلى الشام سنة خمس وأربعين ، وارتحل إلى الجزيرة والعراق مرّتين ، وكتب العالى والنازل ، وصنف وحدث ، وأملى فى حياة كبار مشايخه ، وكان مليح الهيئة ، حسَنَ الأخلاق ، بسَّاما ، فصيحاً ، نحوياً لغوياً ، مقرئاً سريع القراءة ، جيد العبارة ، كثير التفنن ، جيد الكتب ، مكثرا ، مفيدا ، حسن المذاكرة ، حسن العقيدة ، كافا عن الدُّخول فى الكلام ، سمع من ابن[1] المقير ويوسف بن عبد المعطى المحلى والعلم بن الصابونى وابن العليق وابن قميرة وموهوب بن الجواليقى وهبة الله ابن محمد بن مفرج الواعظ وشعيب بن الزعفرانى وابن رواح وابن رواحة وابن الجميزى والرشيد بن سلمة ومكى بن علان ، وسمع من أصحاب السلفى وشهدة وابن عساكر وخلق من أصحاب ابن شاتيل والقزاز وابن برى النحوى وابن كليب وأصحاب ابن طبرزذ وحنبل والبوصيرى والخشوعى ، وكتب عنه طائفة منهم الصاحبُ كمالُ الدين القونوى والشيخ أثير الدين أبو حيان وفتح الدين بن سيد الناس والمزى وقاضى القضاء تقى الدين السبكى ومحيى الدين النووى وخلق كثير من الراحلين ، وطال عمره ، وتفرد بأشياء ، وحمل على الظعائن عشرين مجلداً من تصانيفه فى الحديث واللغة ، وسكن دمشق مدّة ، وأفاد أهلها ، وتحوّل إلى مصر ، ونشر بها علمه ، وكان مُوَسّعاً عليه فى الرزق ، وله حرمة وجَلَالة ، وولى مشيخة الظاهرية بين القصرين .

---

(١) ابن المقير ـ بالقاف مفتوحة فياء مشددة مفتوحة ـ هو أبو الحسن على بن الحسين بن على بن منصور ، البغدادى ، الأزجى ، الحنبلى ، النجار ، مسند الديار المصرية فى عصره ، توفى فى عام ٦٤٣ هـ

ومن تصانيفه : كتاب الصلاة الوسطى مجلد لطيف ، كتاب الخيل مجلد ، قبائل الخزرج مجلد ، العقد المثمن فيمن اسمه عبد المؤمن مجلد ، الأربعون المتباينة الإسناد فى حديث أهل بغداد مجلد ، مشيخة تشهد له بالحفظ والعمل ، مختصر السيرة النبوية ، وما زال يسمع الحديث إلى أن مات فجأة فى ذى القعدة ، وصلى عليه بدمشق غائباً ، رحمه الله تعالى وعفا عنه ! آمين .

(٢٦٥)

صفى الدين عبد المؤمن بن فاخر

عبد المؤمن بن فاخر ، صفى الدين .

قال العز الإربلى الطبيب : كان كثير الفضائل ، ويعرف علماً كثيراً منه العربية ونظم الشعر ، وعلم الإنشاء كان فيه أمّة ، وعلم التاريخ وعلم الخلاف وعلم الموسيقى ، ولم يكن فى زمانه من يكتب المنسوب مثله ، وفاقَ فيه الأوائل والأواخر ، وبه تقدم عند الخليفة ، وكانت آدابه كثيرة ، وحرمته وافرة ، وأخلاقه حسنة ، واجتمعتُ به فى مدينة تبريز فى سنة تسع وثمانين وستمائة ، وأخبرنى قال : وردت بغداد صبياً ، وأتيت فقيها بالمستنصرية شافعياً فى أيام المستنصر ، واشتغلت بالمحاضرات والآداب والعربية وتجويد الخط ، فبلغت فيه الغاية ، ثم اشتغلت بضرب العود فكانت قابليتى فيه أعظم من الخط ، لكن اشتهرت بالخط ، ولم أعرف بغيره فى ذلك الوقت ، ثم إن الخلافة وصلت إلى المستعصم فعمر خزانة كتب وأمر أن يختار لها كاتبان يكتبان ما يختاره ، ولم يكن فى ذلك الوقت أفضل من الشيخ زكى الدين ، وكنت دونه فى الشهرة ، فرتبنا فى ذلك ، ولم يعلم الخليفة أننى أُحْسِنُ ضرب العود ، وكان ببغداد مغنية تعرف بلحاظ فائقة الجمال تغنى جيداً ، فأحبها الخليفة وأجزل لها العطاء ، فكثر خُدَّامُها وجواريها وأملاكها ، فاتَّفَقَ أن غَنَّت يوما بين يديه بلحن طيب غريب ، فسألها عنه ، فقالت : هذا لمعلمى صفى الدين ، فقال : علىّ به ، فأحضِرْتُ بين يديه ، وضربت بالعود ، فأعجبه وأمرنى بملازمة مجلسه ، وأمر لى برزق وافر وخير جزيل ، غير ما كان ينعم به

عليّ ، وصرت أسْفِر بين يديه ، وأقضى للنـاس الحوائج ، وكان لى مرتب فى الديوان كل سنة خمسة آلاف دينار يكون عنها دراهم مبلغ ستين ألف درهم ، وأحَصِّلُ فى قضاء أشغال الناس مثلَها وأ كثر ، وحضرت عند هولاكو وغنيته ، فأضعف ما كان لى فى أيام المستعصم ، واتصلت بخدمة علاء الدين عطاء الملك الجوينى وأخيه شمس الدين ، ووليتُ فى أيامهما كتابة الإنشاء ببغداد ، ورفعانى إلى رتبة المنادمة ، وضاعفَا عليّ الإنعام والإحسان ، وبعـد موت علاء الدين وقتْل شمس الدين زالت سعـادتى ، وتقهقهرتُ إلى وراء فى رزق وعمرى وعيشى ، وغلبتنى الديون ، وصار لى أولاد وأولاد أولاد ، وكبرت سنى ، وعجزت عن السعى .

قال الشريف صفى الدين بن الطقطق : مات صفى الدين عبد المؤمن محبوساً على دين لمجد الدين غلام ابن الصباغ مبلغه ثلثمائة دينار ، وكانت وفاته ثامن عشر صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وكان ينفق ماله على الملاذّ ، ويبالغ فى عمل الحضرات البليقية البديعة ، وكان يكون ثمن الفاكهة والخضرة أربعمائة درهم ، وكان يتنعم كثيراً ، رحمه الله تعالى !

(٢٦٦)

أبو منصـور عبد الواحـد بن ابراهـيم (ابن الفقيه)

عبد الواحد بن إبراهيم بن الحسن بن نصر الله بن عبد الواحد ، أبو منصور ، المعروف بابن الفقيه .

ولد بالموصل سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وتوفى سنة ست وثلاثين وستمائة سمع من أبى الفضل بن الطوسى حضوراً ، وكتب الخط المليح ، وقال الشعر ، وروى عنه محب الدين بن النجار ، وأورد له شعراً [منه] :

نفسى الفداء لمن سميرى ذكره   وحشاشتى فى أسره ووثاقه
رشأ لوَ انَّ البدر قابل وجهه   فى تِمِّـهِ لكساه ثوب محَاقِهِ
يزدادُ لينا قـــدّه ، فكأنه   غصن الأراك يميس فى أوراقه
فمعاطف الأغصان فى أثوابه   ومطالع الأقمـار فى أزياقه

في ريقه طعم الشُّلاف ، ولونها | في خده ، واللطف في أخلاقه
غفل الرقيب فزارني فوشي به | في ليـل طُرَّته سنا إشراقه
يشكو إليَّ غرامه وأبثـه | وجدى وما لاقيت من أشواقه
حتى إذا ما الليـل مَدَّ رِواقه | وقضى بجمع الشمل بعد فراقه
هجم الصباح على الدجى بحسامه | فظننت أن الصبح من عشاقه

وأورد له أيضاً رحمه الله :

ما هَبَّ من أرض العراق نسيم | إلا دعاني للغـرام غريم
فإلاَم ويك تلوم جَهْلاً بالهوى | قَصِّرْ فإفراط المـلامة لوم
أنَّى يحل العذل من سمعي وفي | قلبي لتكرار الكلام كُلُوم ؟
إن العذول على هواك أعده | من حاسِدِيَّ ولا أقول رحيم
فإلام أحمل ثقل هجرك في الورى | والهجر حامل ثقـله مرحوم
وإلى متى أرعى النجوم تعللا | حتى كأني للنجوم نديم
ومن العجائب أن قلبي يشتكى | شوقا إليك وأنت فيـه مقيم

(٢٦٧)

أبو القاسم عبدالواحد بن على بن عمر (ابن برهان) النحوى

عبد الواحد(١) بن على بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن بَرْهَانَ ، أبو القاسم ، الأسدى ، العكبرى ، النحوى ، صاحب العربيةِ واللغة والتواريخ وأيام العرب .

قرأ على عبد السلام البصرى ، وكان أول أمره منجما فصار نحويا ، وكان حنبليا فصار حنفيا ، وكانت فيـه شَرَاسة على مَنْ يقرأ عليه ، ولم يكن يلبس سراويل ، ولا على رأسه غطاء .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٢٩٧/٣ وبغية الوعاة ٣١٧ ولـكنهما ذكرا أن وفاته فى جمادى الآخرة ، لا جمادى الأولى كما ذكره المؤلف ، وله ترجمة فى النجوم الزاهرة ٧٥/٥ ذكر فيها وفاته فى جمادى الأولى

وتوفى فى جمادى الأولى سنة ست وخمسين وأربعمائة ، ببغداد .

وكان قد سمع من ابن بطة كثيراً ، وصحبه ، وكان إذا ذكر المتنبى يعظمه ، وكان يخرج من داره وقد اجتمع على بابه من أولاد الرؤساء جماعة ، فيمشى وهم معه ، ويلقى على ذا مسألة وعلى ذا مسألة ، وكان يتكبر على أولاد الأغنياء ، وإذا رأى الطالب غريباً أقبل عليه ، وكان يعجبه الباذنجان ويقول فى تفضيله : إنّ الناس يأكلونه ثمانية أشهر فى العام ، وهم أصحاء ، ولو أكلوا الرمان أربعة أشهر فُلِجُوا ، ولما ورد الوزير عميد الملك الكندرى إلى بغداد استحضر ابن بَرْهَانَ ، وأعجبه كلامه ، وأمر له بمالٍ ، فأبى أن يقبله ، فأعطاه مصحفاً بخط ابن البواب وعكازا مليحة حُمِلت إليه من بلاد الروم ، فأخذهما وعبر إلى منزله ، فدخل عليه أبوعلى بن الوليد المتكلم ، فأخبره بالحال ، فقال له : أنت تحفظ القرآن وبيدك عصا تتوكأ عليها ، فلم تأخذ شيئاً فيه شبهة ؟ فنهض ابن بَرْهَانَ ودخل على قاضى القضاة أبى عبد الله بن الدامغانى وقال له : قد كدت أهلك لولا نبهنى أبو علىّ ابن الوليد ، وهو أصغر منى سناً ، وأريد أن تعيد هذه العكازة وهذا المصحف على عميد الملك ، فما يصحبانى ، فأخذهما وأعادهما إليه .

وكان مع ذلك يحب المليح مُشاهدة ، وإذا حضر أولاد الأمراء والأتراك وأرباب النعم يُقبلهم بمحضر من آبائهم ، ولا ينكرون عليه ذلك لعلمهم بدينه وورعه .

وكان يقول : لو كان علم الكيمياء حقاً لما احتجنا إلى الخراج ، ولو كان علم الطلاسم حقاً لما احتجنا إلى الجند ، ولو كان علم النجوم حقاً لما احتجنا إلى الرسل والبريد .

وكان يحضر حلقته فتى مليح الوجه ، فانقطع عنه ، فسأل عنه ، فقيل له : إن عميد الملك اعتقل والده ، فانحدر إلى باب المراتب ، فصادف الكندرى جالساً ، فحين رآه أقبل عليه مسلماً والناسُ من حوله ، فقال له ابن برهان :

* فيك الخصام وأنت الخصم والحكم *[1]

فوجم الكندرى ، وسأل عمن فى حَبْسه ، فأخبر بالرجل ، وأن ولده يغشى مجلس الشيخ للاقتباس، فأطلقه ، ووهبه ما كان عليه ، وكان ثمانية عشر ألف دينا.

ومن شعر ابن برهان :

أحبتنا بأبى أنتمو ... وسَقْياً لكم أينما كنتمو
أطلتم عذابى بإبعادكم ... وقلتم تزوروا وما زرتمو
فإن لم تجودوا على عبدكم ... فإن المعزَّى به أنتمو

(٢٦٨)

مجد الدين عبد الوهاب بن أحمد بن سحنون خطيب النيرب

عبد الوهاب[1] بن أحمد بن سحنون ، الحكيم البارع ، الخطيب ، مجد الدين، خطيب النيرب[2] .

روى عن خطيب مردا ، وله شعر وأدب وفضائل ، وكان من فضلاء الحنفية ، درس بالدماغية ، وعاش خمسا وسبعين سنة ، وتوفى سنة أربع وتسعين وستمائة .

وكان طبيب مارستان الجبل ، ومن شعره رحمه الله تعالى :

لا تجزعَنَّ فما طول الحياة سوى ... روح تردد فى سجن من البدن
ولا يهولنك أمر الموت تكرهه ... فإنما موتنا عود إلى الوطن

وسمع قول مجير الدين بن تميم فى تفضيل الورد :

من فَضَّلَ النرجس وهو الذى ... يرضى بحكم الورد إذ يغرس

فأجاب من غير روية :

ليس جلوس الورد فى مجلس ... قام به نرجسه يوكس
وإنما الورد غدا باسطا ... خدًّا تمشى فوقه النرجس

---

(١) هذا عجز بيت للمتنبي ، وصدره * يا أعدل الناس إلا فى معاملتى *

(٢) له ترجمة مختصرة فى شذرات الذهب ٤٢٦/٥

(٣) فى ب « خطيب الترب » تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى ث والشذرات

وقال فى مشاعلى رحمه الله :

بأبى غزالاً جاء يحمل مشعلا   يكسو الدجى بملاء ثوب أصفر
فكأنه غصن عليه باقة   من نرجس أو زهرة من نوفر

وقال وقد أهدى نرجسا :

لما تحجَّبْتَ عن عينى وأرّقنى   بُعْدِى ولم تحظ عينى منك بالنظر
أرسلْتُ مشبهها من نرجس عطر   كيما أراك بأحداق من الزهر

وقال :

لله حسن الياسمين يلوح فو   ق الورد للندماء والندمان
مثل الثنايا والخدود نواضرا   أو كالفَرَاش هَوَى على النيران

وقال :

وورد أبيض قد زاد حسنا   فعند الصد للخجل احمرار
يمثله النديم إذا رآه   مَدَاهِنُ فضة فيها نُضَار

وقال أيضاً فى النيلوفر :

يا حسنه نيلوفرا فى مائه   طافٍ وفى أحشاهُ نار تسعر
يحكى أنامل غادة مضمومة   جمعت وزينها خضاب أخضر

(٢٦٩)

أبو محمد عبد الوهاب بن على بن نصر المالكى القاضى

عبد الوهاب[1] بن على بن نصر بن أحمد ، القاضى ، أبو محمد ، البغدادى ، المالكى .

سمع وروى ، وكان شيخ المالكية فى عصره وعالمهم .

وقال الخطيب فى تاريخه : كتبت عنه ، وكان ثقة ، لم ألق أفقه منه ، ولى

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣/٢٢٣ وفى النجوم الزاهرة ٤/٢٧٦

القضاء ببرد رايا[١] ، وخرج آخر عمره إلى مصر ، فمات بها فى شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

وقيل : هو من أولاد مالك بن طَوْق صاحب الرحبة ، وصنف « التلقين » وهو مع صغره من خيار الكتب ، وله المعرفة فى شرح الرسالة ، وله عيون المسائل والنصرة لمذهب مالك ، وكتاب الأدلة فى مسائل الخلاف ، وشرح المدوّنة ، وخرج إلى مصر فى آخر عمره لإملاق به ، وفى ذلك يقول :

بغداد دار لأهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران أمشى فى أزقّتها ... كأننى مصحف فى دار زنديق

واجتاز فى طريقه بمعرة النعمان ، وأضافه أبو العلاء المعرى ، وفى ذلك يقول[٢] :

والمالكى ابن نصر زار فى سفر ... بلادَنَا فحمدنا النأى والسفرا
إذا تفقه أحْيا مالكا جدلا ... ويَنْشرُ الملكَ الضليل إن شعرا

ومن شعر القاضى عبد الوهاب :

سلام على بغداد فى كل موطن ... وحق لها منى سلام مضاعف
فوالله ما فارقتها عن قِلًى لها ... وإنى بشطى جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت علىّ بأسرها ... ولم تكن الأرزاق فيها تساعف
فكانت كخل كنت أرجو دنُوّه ... وأخلاقه تنأى به وتخالف

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

متى تصل العِطَاش إلى ارتواء ... إذا استقت البحار من الرّكَايَا
ومن يثنى الأصاغر عن مراد ... وقد جلس الأكابر فى الزوايا

(١) كذا فى ب ، ث ، وبردرايا : موضع قال ياقوت « أظنه بالنهروان من أعمال بغداد » اه ووقع فى لشذرات « بادرايا » بألف بعد الباء ، وقال ياقوت « طسوج بالنهروان ، وهى بليدة بقرب باكسايا بين البندنيجين ونواحى واسط »

(٢) هما بيتان فى ثانى كلمة من «ضوء السقط» الذى جعله أبو العلاء ملحقا بديوان شعره « سقط الزند » انظره ص ١١٥

وإنَّ ترفُّعَ الوُضَعَاء يوماً ... على الرفعاء من إحدى الرزايا
إذا استوت الأسافل والأدانى ... فقد طابت منادمة المنايا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ونائمة قبلتها فتنبهت ... وقالت: تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت لها : إنى فديتك غاصب ... وما حكموا فى غاصب بسوى الرد
خذيها وكُفِّى عن ظلامة جاهل ... وإن أنت لم تَرْضَىْ فألفا على العد
فقالت : قصاص يشهد العقل أنه ... على كبد الجانى ألذ من الشهد
فباتت يمينى وهى هِميَانُ خصرها ... وباتت يسارى وهى واسطة العقد
فقالت : ألم أخبر بأنك زاهد ... فقلت لها : مازلت أزهد فى الزهد

(٢٧٠)

شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى

عبدالوهاب بن فضل الله[1] ، القاضى ، شرف الدين ، يمين الملوك والسلاطين ، القرشى ، العمرى ، وقد ذكرنا تمام نسبه فى ترجمة ابن أخيه شهاب الدين .

مولده فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وكان كاتباً أديباً مترسلا كتب المنسوب الفائق ، ومُتِّعَ بحواسِّه ، لم يفقد منها شيئاً ، ولم تتغير كتابته ، ومات وهو جالس ينفذ بريداً إلى بعض النواحى ، وكان مَخَادِيمُه يحترمونه ويعظمونه ، مثل حسام الدين لاچين والملك الأشرف والملك الناصر والأمير سيف الدين تنكز ، كان كل وقت يذكره ، وكان كاملا فى فنه ، ما كتب عن الملوك الأتراك أحد مثله ، رآه الملك الأشرف مرة وقد قام ومشى يلقى أميراً فلما حضر عنده قال : رأيتك قمت من مكانك وخطوت خطوات ، فقال : يا خوند

---

(١) له ترجمة مختصرة فى شذرات الذهب ٦ / ٤٦ وذكر أن وفاته بدمشق فى رمضان من سنة ٧١٧ عن أربع وتسعين سنة . وفى تاريخ ابن كثير ١٤/٨٥ لكنه ذكر أن ولادته فى سنة ٦٢٩ ، قال : ورثاه شهاب الدين محمود كاتب السر بعده بدمشق وعلاء الدين بن غانم وجمال الدين بن نباتة

كان الأمير سيف الدين بيدر النائب قد جاء وسلم على ، فقال : لا تَعُد تقم لأحد أبدا ، أنت تكون قاعدا عندى وذاك واقف .

وحكى أنه كان يوما بالكرك يقرأ على تنكز كتابَ بريد جاء من السلطان والماليك قد رموا جلة على عصفور ، فاشتغل تنكز بالنظر إليها ، فبطل شرف الدين القراءة وأمسك ، وقال : ياخوند إذا قرأت عليك كتاب السلطان اجعل بالك كله منى ، ويكون ذهنك عندى ، لا تشتغل بغيرى أبدا ، وأفهمه لفظة لفظة ، وما رأى أحد ما رآه من التعظيم فى النفوس .

وكان مبدأ أمره يلبس القماش الفاخر ، ويأكل الأطعمة الشهية ، ويعمل السماعات ، ويعاشر الفضلاء مثل بدر الدين بن مالك وابن الظهير وغيرهم ، ثم انسلخ من ذلك كله لما داخل الدولة ، وقَتَّر على نفسه ، واختصر فى ملبسه ، وامتنع عن الناس امتناعا كليا ، ولما مات خلف نعمة طائلة .

وكان الملك الناصر قد نقله من مصر إلى الشام عِوَضاً عن أخيه محيى الدين ؛ لأن السلطان كان قد وعَد القاضى علاء الدين بن الأثير لما كان معه بالكرك بالمنصب ، فأقام بدمشق إلى سنة سبع عشرة وسبعمائة ، وتوفى فى رمضان المعظم رحمه الله تعالى !

ورثاه شهاب الدين محمود وهو بمصر وكتب بها إلى القاضى محيى الدين أخيه :

لتبك المعالى والنُّهى الشَّرَفَ الأعْلى ... وتبكى الورى الإحسان والحلم والفضلا
وتنتحب الدنيا لمن لم تَجِدْ له ... وإن جَهِدَتْ فى حسن أوصافه مِثْلاَ
ومَنْ أتعب النَاسَ اتِّبَاعُ طريقه ... فكفوا وأعيتهم طريقة المُثْلَى
لقد أثكل الأيام حتى تجهّمت ... وإن كانت الأيام لا تعرف الثكلا[1]

(١) أثكل الأيام : أراد أفقدها أفضل أبنائها ؛ وتجهمت : عبست ، ووقع فى ب « حتى تحببت » تحريف

وفارق منه الدستُ صدرا معظما رحيبا يردُّ الحَزْنَ تدبيرُه سَهلا[١]
فكم حاط بالرأى الممالك فاكتفت له أن تعد الخيل للصون والرحلا
وكم جَرَّدَتْ أيدى العدى نَصْلَ كيدهم فرَدَّ إلى أعناقهم ذلك النصلا
وكم جَلَّ خطب لا يُحَلُّ انعقاده فأعمل فيه صائب الرأى فانحلا
وكم جاء أمر لا يُطاق هجومه فلما تولى أمر تدبيره وَلَّى
وكم كف محذوراً وكم فك عانيا وكم رد مكروها وكم قد جلا جُلَّى
وقد كان لِلاَّجِينَ ظلا فقلصت يد الموت عَدْوا عنهم ذلك الظلا
سأندُبُه دهرى وأرثيه جاهدا وأكثر فيه من بكاى وإن قلا[٢]
ولم لا وقَدْ صاحبتُه جُلَّ مدتى أراه أبا برا ويعتدُّنى نجلا
ولم يرنا فى طول مدتنا امرؤ فيحْسَبُنا إلا الأقارب والأهلا
وكم أرشدتنِي فى الكتابة كتبه ولو زل عن إرشادها خاطرى ضلا
وكم مشكلاتٍ لم تَبِنْ لمحدِّق إليها جلاها فانجلت عند ما أملى
فمَنْ هذه حالى وحالته معى أيحسن أن أبكى على فقده أم لا
وعهدى به لا أبعد الله عهده وأقلامه إن حَرَّرَتْ نشرت عدلا
لقد كان لى أنس به وهو نازح كأن التنائى لم يُفرق لنا شملا
وقد زال ذاك الأنس واعتضت بعده دموعا إذا أنشأتها أنْشَتِ الوبلا[٣]
فلا مدمعى الهامى يجف ولا الأسى يخف جواه إن أقل لهما مهلا
ولا حُرَقى تخبو وإن يُطفَ وَقْدُها بماء دموعى صار فيه غَضًى جزلا
إلى الله أشكو فَقْدَ صحب رزئتهم وفقدُ ابن فضل الله قد عَدَل الكلا

---

(١) الحزن : الأمر العسير الحل ، وأصله العالى من الأرض يصعب صعوده
(٢) فى ب « سأفديه دهرياً » تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى ث
(٣) الوبل : المطر الكثير ، وأصل « أنشت » أنشأت ، فسهل الهمزة بقلبها لفاً ، ثم حذفها للتخلص من التقاء الساكنين ، ووقع فى ب « أنت الوبلا » تحريف

ولم يترك الموتُ الذى عَمَّ منهم | جميا ، ولاَ خَلّى الردى منهم أهلا
وعمهمُ داعى الحمـــام فأسرعوا | جميعا ، وألغى قولنا فيهم إلا
وكم يُزْجىء السارى النوى عن رفاقه | إذا رَكْبهم يوما بدارهم حَلاَّ
أيطمع من قد جاز معترك الردى | بإبطائه عَمَّنْ تقـدمه ؟ كلا
ولا سيما مَنْ عاود الداء جسمه | يعاوده بَدْءا إذا ظنـــه وَلّى
عزاءكَ محيي الدين فى الذاهب الذى | قضى إذ قضى فرض المناقب والنفلا
فمثلك مَنْ يلقى الخطوب بكاهل | يُقِلُّ الذى تَعْيَا الجبال له حملا
وفى الصبر أجر أنت تعرف فضله | وآثاره الحسنى فلا تَدَع الفضلا
وسلم لأمر الله وارْضَ بحكمه | تحز منه فضلا ما برحت له أهلا
ولا زال صوب المزن والعفو دائما | بقربانه حتى إذا وَصَلاَ انهلاَّ

ومن شعر شرف الدين يمدح الملك المنصور قلاوون الألفى :

تهب الألوف ولا تهاب لهم | ألفا إذا لاقيت فى الصف
ألف وألف فى نَدًى ووغى | فلأجل ذا سموك بالألفى

ومنه لما ختن الملك الناصر :

لم يروِّعْ له الختان جنانا | قد أصاب الحديد منه حديدا
مثل ما تنقص المصابيح بالْقَـــطِّ فتزداد فى الضياء وقودا[1]

وقال :

كتبت والشوق يدنينى إلى أمل | من اللقاء ويثنينى عن الدار[2]
والحب يضرم فيما بين ذاك وذا | بين الجوانح أجزاء من النار

---

(١) فى ب « تنقص المصابيح بالقطف تزداد » وهو خطأ كتابى

(٢) يدنينى : يقربنى ، ويثنينى : يرجعنى

(٢٧١)

عبد الوهاب بن محمد ، الأزدي

عبد الوهاب بن محمد ، الأزدى ، المعروف بالمثقال [١] :

قال ابن رشيق فى الأنموذج : شاعر مطبوع ، قليل التكلف ، سهل اللقاء ، خبيث اللسان ، ما جن ، لا يمدح أحدا .

كان يألف غلاما نصرانيا خمارا ، واشتهر بحبه ، وأقام ببابه فى الحانة ثلاث سنين ، ويدخل معه الكنيسة فى الآحاد والأعياد طول هذه المدة ، حتى حفظ كثيرا من الإنجيل وشرائع أهله ، وهجره مرة [٢] ، فاستعان عليه ، وتحيَّل ، فلم يجد له إليه سبيلا ، وزعم أنّ عليه قَسما شديدا أن لا يكلمه إلى شهر ، فدعا بالفاصد وفصد إحدى رجليه ، ثم دعا بفاصد آخر وفصد الأخرى ، ودخل داره ، وأغلق بابه ، وحل الفصادين ، فما شعر أهله إلا بالدم يدفع من سدة الباب [٣] ، و بلغ الغلام أنه يدعى أنه قتله ، فصالحه خوفا على نفسه .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

خيالك زائرى من غير وعد ... وأكثر منك بى برًّا وحبا
فلما أن رآك أطلتَ بُعْدِى ... ولم تمنح محبك منك قربا
سَرَى وَهْناً فقبلنى وآلى ... يمين الله لا عذبت صبا
فأحيا مهجةً تلفت غراما ... وقلبا لم يفق دَنَفًا وكربا
وكان الطيف أرأف منك نفسا ... وألين منك أعطافا وقلبا

وقال :

هم بالوجوه من البدو ... ر و بالقدود من الغصون

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من كتب الرجال

(٢) فى ب « وهجره مدة »

(٣) فى ب « فما شعر أهله إلا بالباب يدفع من شدة الدم »

ودروعهم صبغ الحيـــا   وسيوفهم لحظ العيون

وله :

لمـــا تناهى وكمل   وتم لى فيه الأمل
أعرض واستبدل بى   كذلك الدنيا دُوَلْ

وله :

قد زارنى طيف من أهوى يعللنى   عند الصباح وخيط الفجر قد طلعا
فطِرْتُ شوقا لعلى أن أقبـــله   فالنوم يحدث لى فى وصله طمعا(١)

قال ابن رشيق أنشدته من قصيدة لى :

والثريا قبالة البـدر تحـكى   باسطا كفه ليأخذ جاما

وأنشدته أيضاً لى :

رأيت بهرام والثريا   والمشترى فى القِرَان كره
كراحة خيرت فحارت   ما بين ياقوتَةٍ ودره

فاستظرفه وأنشدنى :

يا ساقىَ الراح اسق صحبى   وواســـنى إننى أواسى
وانظر إلى حيرة الثريا   والليل قد شد باندماس
ما بين بَهْرَامها الملاحى   وبين برجيسها المراسى(٢)
كأنهـــا راحة أشارت   لأخـذ تفاحة وكاس

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أهدى إلىّ مدامة   صفراء صافية حميا

---

(١) فى ب « خلوت شوقا » و « يحدث لى فى وسطه »
(٢) فى ث « وبين برجيسها المواسى »

فكأنها وحبابها بدر تكلل بالثريا
فشربتها من كفه وسكبت فاضلها عليا

وقال أيضاً :

طاف بالراح حبيبى قائلا بين صِحَابِى
هاك خذها يافتى الفتيان واسمع من خطابى
فهى من خدى ولحظى ونسيمى ورُضَابى

وقال ، وقد مات محبوبه النصرانى بالإسكندرية :

أخى بوداد لا أخى بديانة ورب أخ فى الود مثل نسيب
وقالوا: أتبكى اليوم من لست صاحبا غدا ؟ إن هذا فعل غير لبيب
فقلت لهم هذا أوان تلهفى وشدة إعوالى وفرط كروبى
ومالىَ لا أبكى حبيبا فقدته إذا خاب منه فى المعاد نصيبى؟
فيا ناصحى مهلا فلستَ بمرشد ويا لائمى أقصر فغير مصيب
وسلمان أودى حيث لا أنا حاضر أعلله يوما بوصف طبيب
وأجعل جنبى تحت جنب مكرم علىّ وخصر بالنحول خصيب

وكانت وفاة المتقال بعد الخمسمائة ، رحمه الله تعالى و إيانا ! آمين .

(٢٧٢)

أبو الفضل عبيدالله بن أحمد الميكالى

عبيد الله[1] بن أحمد بن على بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال ابن عبد الواحد بن جبريل بن القاسم بن بكر بن سور بن سور بن سور بن سور أربعة من الملوك ابن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور ، أبو الفضل ، الميكالى .

---

(١) وقع اسمه فى أصول هذا الكتاب « عبد الرحمن » وهو تحريف ، صوابه ما وقع فى يتيمة الدهر (٣٥٤/٤ بتحقيقنا) « عبيدالله بن أحمد الميكالى » وله هناك ترجمة واسعة أورد فيها الكثير من نثره ونظمه ، وبعض ما أتى به المؤلف هنا من شعره مروى فى اليتيمة ، ويقع اسمه فى تتمة اليتيمة مكرراً «عبيد الله بن أحمد» أيضاً

مات يوم عيد الأضحى سنة ست وثلاثين وأربعمائة .

كان أوحد خراسان فى ذلك العصر أدباً وفضلا ونسباً ، حسن الخلق ، مليح الوجه والشمائل ، كثير القراءة ، دائم العبادة ، سخى النفس ، سمع بخراسان من الحاكم أبى أحمد الحافظ وأبى عمرو بن حمدان ، وعقد له مجلس للإملاء ، وأبوه مشهور جليل القدر ، وقد سمع قول الصاحب :

لئن هو لم يكفف عَقَارِبَ صُدْغِهِ　　　فقولوا له يسمح بدرياق ريقه

فقال رحمه الله تعالى :

لدَغَتْ عيناك قلبى　　　إنما عيناك عقرب

لكن المصة من ريقك درياق مجرب

وله من التصانيف كتاب « المنتحل » كتاب « مخزون البلاغة » ديوان رسائله ، ديوان شعره ، كتاب « ملح الخواطر ، ومنح الجواهر » .

ومن شعره :

إذا ما جاد بالأموال ثَنَّى　　　ولم تدركه فى الجود الندامَهْ[1]

وإن هَجَسَتْ خواطره بجمع　　　لريب حوادث قال الندى مَهْ[2]

وقال أيضاً :

مبدع فى شمائل المجد خِيماً　　　ما اهتدينا لأخذه واقتباسه

فهو فَيْضٌ بالمال وَقْتَ نداه　　　وجواد بالعفو فى وقت باسه

وقال :

ألا ربَّ أعداء لئام قريتهم　　　متون سيوف أو صُدُورَ عَوَالِ[3]

---

(١) الندامة : مصدر ندم

(٢) الندى : الجود والكرم ، ومه : اسم فعل معناه ا كفف

(٣) العوالى : جمع عالية ، وأراد بها الرماح

إذا كلبهم يوما عَوَى لى رميتهم بكلب إذا عاوى الرجال عوى لى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

عجبت لوغدٍ قد جذبت بضَبْعه فأصبح يلقانى بتيه و يبسما[١]

يريد مُسَاماتى ومن دونها السما وكيف يبارينى سُمُوًّا و بى سما[٢]

وقال :

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده ووكَّلَ أجفانى برَعْى كواكبه

فيا جَزَعى مهلا عساه يعود لى و يا كبدى صبرا على ما كواكِ به

وله :

صِلْ مُحِبا أعياه وصف هواه فضناه ينوب عن ترجمانه

كلما راقه ســـواك تَصَدَّتْ مقلتاه بدمعه ترجُمَانِهْ[٣]

وله :

يا ذا الذى أرسل من طرفه علىَّ سيفا قدَّنى أوفَرَى[٤]

شفاء نفسى مِنك تخميشة تغرس فى خدك نيلوفرا

وقال :

أما حان أن تشفىَ المستهامَ بزورة وَصْلٍ وتأوى له

يجمجم عن سؤله هيبة ويعـــلم علمك تأويله

---

(١) ويبسما : فعل مضارع متصل بنون التوكيد الخفيفة ، وقد انقلبت هذه النون ألفا للوقف ، ومعنـاه يضحك ، ووقع فى ث « ويبسم » وكأن ناشرها ظن أن « يبسما » منصوب بغير ناصب فرفعه

(٢) « بى سما » أى بسببى سما وارتفع قدره

(٣) ترجمانه : مضارع مسند لألف الاثنين من الرجم

(٤) فرى الأوداج يفريها — من باب ضرب — قطعها

وله :

سَقْياً لدهرٍ جرى والوصل يجمعنا ونحن نحكى عناقا شكل تنوينِ
فصرت إذ علقت نفسى حبائلكم بسهم هجرك ترمى ثم تنوينى

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

إن كنت تأنس بالحبيب وقربه فاصبر على حكم الرقيب وَدَارِهِ
إنَّ الرقيبَ إذا صَبَرْتَ لحكمه بُوِّئْتَ فى مَثْوَى الحبيب وداره

وقال :

شكوت إليه ما ألاقى فقال لى : رويداً ففى حكم الهوى أنت موتلى
فلو كان حقا ما ادّعيت من الهوى لَقَلَّ بما تلقى إذًا أن تموت لى

قال :

ومعشوق يتيه بوجه عاج شبيه الصدغ منه بلا مزاج[1]
إذا استسقيته راحا سقانى رضابا كالرحيق بلا مزاج

وقال :

ظبى يحار البرق فى بريقه غنيتُ عن إبريقه بريقه
فلم أزل أرشف من رحيقه حتى شفيت القلب من حريقه

وقال :

إن لى فى الهوى لسانا كتوما وجنانا يخفى حريق جواه
غير أنى أخاف دمعى عليه ستراه يُفْشِى الذى ستراه[2]

وقال :

تفرق قلبى فى هواه فعنده فريق وعندى شعبة وفريق[3]

---

(١) فى ب « يتيه بقلب عاج » ووجه عاج : من إضافة المشبه إلى المشبه به ، أى بوجه كالعاج فى بياضه

(٢) ستراه الأولى : من الرؤية ، وستراه الثانية : من الستر

(٣) الفريق هنا بمعنى الشعبة

إذا ظمئت نفسي أقول له: اسقني وإن لم يكن راحا لديك فَرِيقُ

وقال:

أهدت جفونك للفؤا د من الغرام بلابلا

فالشوق منه بلا مَدًى والوجد فيه بلا بلا

وقال أبو القاسم الكرخي: كنتُ ليلةً عند الصاحب ابن عباد ومعنا أبو العباس الضبي وقد وقف على رؤسنا غلام كأنه فلقة قمر، فقال الصاحب:

* أين ذاك الظبي أَيْنَهْ؟ *

فقال أبو العباس:

* شادن فى وصف قينه *

فقال الصاحب:

بلسان الدمع يشكو أبدا عينى وعينه

فقال أبو العباس:

لىَ دَيْنٌ فى هواه ليته أنجز دَيْنَهُ

فقال الميكالى:

لاقضى الله ببين أبدا بينى وبينه

وأنشد بعض الحاضرين:

أحسن من روضة حسن ناضره قد فتح النرجس فيها ناظره

فقال الميكالى:

طلعة معشوق لدينا حاضره ناضرة تجلو العيون الناظره

---

(١) فريق: من كلمتين، فاء جواب الشرط، وريق: أى ماء الفم، وتقدير الكلام: إن لم يكن لديك راح فلديك ريق، والراح: من أسماء الخمر

ومن شعره رحمه الله تعالى :

روض يروض هموم قلبي حسنه ... فيـه لـكاس اللهو أىّ مَسَاغ

إن تنثنى قضبان ريحـان به ... حيثْ بمثل سلاسل الأصداغ

ومنه :

تصوغ لنا كفُّ الربيع بدائعا ... كعقد عقيق بين سمط لآلى

وفيهن أنوار الشقائق قد حكت ... خـدود عذارى نُقِّطَتْ بغوالى

وقال فى اقتران الزهرة والهلال :

أما ترى الزهرة قد لاحت لنا ... تحت هلال لونه يحكى اللهب

كـكرة من فضة مجلوّة ... أوفى عليها صولجان من ذهب

وقال فى طلوع الفجر :

أهلا بفجر قد نضا ثوب الدجى ... كالسيف جرد من سواد قراب[1]

أو غادة شـقت إزارا أزرقا ... ما بين ثغرتهـا إلى الأقراب

وقال :

يا مهديا لى بنفسجا أرِجاً ... يرتاح قلبى له وينشرح

بشرنى عاجلا مصحفه ... بأن ضيق الأمور ينفسح

وقال فى ذمه :

يا مهديا لى بنفسجا سمجا ... وددت لوأن أرضه سبخ

بشرنى عاجـلا مُصَحفه ... بأن عَقْدَ الحبيب ينفسخ

وقال :

ومدامة زفت إلى سلسال ... تختال بين ملابس كالآل[2]

---

(١) فى ب « سوار قراب » تحريف ، والقراب : جفن السيف ، شبه بسواده ظلمة الليل

(٢) المدامة : من اسماء الخمر ، وأراد بالسلسال الماء ، وزفت إليه : أراد مزجت به

قد نالها حتى إذا ما افتضها ‏ بالمزج أمهرها عقود لآلى

وقال أيضا :

لنا صديق إن رأى ‏ مهفهفـا لاطفه
فإن يكن فى دهرنا ‏ ذو أبنة لاط فهو

وقال :

لنا صديق يجيد لَقْماً ‏ راحتُنا فى أذى قفاه
ماذاق من كسبه ولكن ‏ أذى قفاه أذاق فاه

(٢٧٣)

أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد

عبيد الله بن سليمان بن وهب[١] ، أبو القاسم ، الكاتب ، الوزير وزير المعتضد مولده سنة ست وعشرين ومائتين ، ووفاته سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وكانت مدّة وزارته للمعتضد عشر سنين ، وهو الذى قال فيه ابن المعتز :

قد استوى الناس ومات الكمال ‏ وقال صرف الدهر: أين الرجال؟
هـذا أبو القاسم فى نعشه ‏ قوموا انظروا كيف تسير الجبال[٢]

ولما دخل المعتز على ابنه القاسم بن عبد الله قال :

إنى معزيك لا أنى على ثقة ‏ من الخلود ، ولكن سنة الدين
فما المعزَّى بباق بعد صاحبه ‏ ولا المعزى ولو عاشا إلى حين

ولما حمل عل أعناق الرجال قال ابن المعتز :

وما كان ريح المسك ريح حَنُوطه ‏ ولكنه هـذا الثناء المخلف
وليس صرير النعش ما تسمعونه ‏ ولكنه أصلاب قوم تقصف

---

(١) وقع فى ب ، ث « عبد الله » وهو تصحيف ، وقد وزر عبيد الله بن سليمان ابن وهب للمعتمد أولا ، فلما مات وزر للمعتضد إلى أن مات ، وانظر الفخرى ٣٠١ أوربة وتاريخ ابن كثير ٨٥/١١ ، وابنه القاسم بن عبيد الله وزر بعد وفاة أبيه للمعتضد وهو الذى قتل ابن الرومى بالسم

(٢) فى ب « هذا أبو العباس فى نعشه »

ولما تقدم القاسم [1] للصلاة عليه قال ابن المعتز :

قَضَوْا ما قَضَوْا من أمره ثم قدَّموا … إماما لهم والنعشُ بين يديه
فصلوا عليــه خاشعين كأنهم … وقوف خضوع للســلام عليه

ولما استتر عندابن أبي عَوْن التاجر دخل عليه يوما فقام له ، فقال له ابن أبي عون : يا سيدى اخبأ لى هذا القيام إلى وقت أنتفع به ، فما كان إلا قليل حتى ولى الوزارة ، فاستدعاه ، فصار إليه وهو فى مجلسه بخلعته والناسُ عنده ، فقام إليه وعانَقَه وقال : هذا وقت يُنْتَفَع بقيامى ، وأجلسه معه على طرف الدَّسْت ، فما مضت ساعة حتى استدعاه المعتضد ، فدخل عليه وغاب ، ثم حضر وأخـذ بيده إلى مكان خَلْوة وقال له : الخليفة طلبنى بسببك ، لأنه كوتب بخبرنا وأنـكر علىّ وقال : تبذل مجلس الوزارة لتاجر ، ولوكان ملك أو ولىّ عهد كان كثيراً ، فقلت : ياأمير المؤمنين لم يذهب على حق المجلس ولـكن لى عذر ، وأخبرته خبرى معك ، فقال : أما الآن فقد عذرتك ، ثم قال لى : إنى قد شهرتك شهرة إن لم يكن معك مائة ألف دينار مُعَدّة للنكبة هلـكت ، فيجب أن نخلصها لك هذه الحالة فقط ، ثم نحصل لك نعمة بعدها ، ثم قال : هاتوا فلانا الـكاتب ، فجاء ، فقال : أحضر الساعة التجار وسَعِّرْ مائة ألف كرٍّ من غلات السلطان بالسواد عليهم ، فخرج وعاد ، وقال : قد قررت معهم ذلك ، فقال : بع على عبدالله بن أبي عون هذه الغلة بنقصان دينار مما قررت به السعر على التجار ، و بعه له عليهم بالسعر الذى قررته معهم ، وطالبهم

---

(١) القاسم هذا هو ابن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وكان من دهاة العالم ومن أفاضل الوزراء ، وكان شهما لبيبا محصلا كريما مهيبا جباراً ، وكان يطعن فى فى دينه ، أراد المعتضد أن يقتله ويستصفى أمواله وأموال ذويه بعد أن مات أبوه عبيد الله وهو على الوزارة، فاحتال القاسم حتى تولى الوزارة بعد أبيـه ، وكان ابن الرومى منقطعا لآل وهب : يمدحهم ، ويعطونه ، ثم هجاهم ، فسمه القاسم فى خشكنانة ولابن المعتز مدائح فى القاسم وفى أبيه وآله

الساعَةَ بفضل ما بين السعرين ، وأخِّرهم بالثمن إلى أن يتسلموا الغلال ، واكتب إلى النواحى بتقبيضهم ذلك ، فقام ابن أبى عون من المجلس وقد حصل له مائة ألف دينار ، فقال له الوزير : اجعل هذه أصلا لنعمتك ، ولا يسألنك أحد من الخلق شيئاً إلا أخذتَ رقعته ووافيته على أجرة ذلك ، وخاطِبْنِي فيه ، وكان يعرض عليه فى كل يوم ما يصل إليه بما فيه ألوف دنانير ، ويدخل فى المكاسب الجليلة وكان ربما قال له فى بعض الرقاع : كم قرروا لك على هذه ؟ فيقول : كذا ، فيقول الوزير : هذه تساوى أكثر من ذلك ، ارجع إليهم ولا تبايعهم إلا بكذا .

وكان ممن خدمه فى أيام نكبته رجل يعرف بيعقوب الصائغ ، وكان عاميا ساقطا ، فقلده لما ولى الوزارة حِسْبَة الحضرة ، فعزم الوزير فى بعض الأوقات على السفَر ، فجلس للنظر فيما يحمل معه من خزائنه ومَنْ يسافر معه من أصحابه وخدَمِه ، ويعقوب حاضر ، فأمر الوزير بما يحمل معه ، فلما انتهى إلى فصل قال يعقوب بغباوته وعاميته : يحمل أيضا معه كفن وحنوط ، فتطير الوزير من ذلك ، وأعرض عنه ، وأخذ يأمر وينهى ، ولما انتهى إلى فصل من كلامه كرر يعقوب ذلك القول ، فأعرض عنه ضجراً ، وفعل ذلك ثالثاً ، فقال الوزير : يا هذا أتخاف على إن أنامت أن أصْلَب أو أطرح على قارعة الطريق بغير كفن ؟ إن تعذر الكفن كفنونى فى ثيابى .

---

(٢٧٤)

أبو بكر عتيق بن محمد الوراق التيمى

عتيق بن محمد ، أبو بكر ، الوراق ، التيمى .

قال ابن رشيق : دخلت الجامع فوجدته فى حلقة يقرأ الرقائق والمواعظ ، ويذكر أخبار السلف الصالحين ومَنْ بعدهم من التابعين ، وقد بدا خُشُوعُه ، وترقرقت دموعه ، فما كان إلا أن جئته عشية ذلك اليوم إلى بيته فوجدته وفى يده طنبور وعن يمينه

غلام مليح ، فقلت له : ما أبعد ما بين حاليك فى مجلسيك ! فقال : ذلك بيت الله ، وهذا بيتى ، أصنع فى كل واحد منهما ما يليق به و بصاحبه ، قال : فأمسكت عنه .

ومن شعره يصف شاذروانا :

كأنه فلك غصت كواكبه وجـه المعز المعـلى بينها قمر
إذا بدا فيه قرن الشمس قارنه كأنها منه أو منه بهـا أثر
مذ زاحم الجو فاحتل السحاب به فليس يفقد فى أرجائه مطر[1]
فرحمـة الله عنـه غير نازحة ونعمة الله ما فيها به قصر
ترى العمائم بيضا تحته بُـكَرا مثل الكواكب فوق الأرض تنتثر[2]

وقال :

كلما أذنب أبدى وجهـه حجة فهو مَـلِىٌ بالحجج
كيف لا يفرط فى إجرامه مَنْ متى شاء من الذنب خرج؟

وله :

بدر له إشراق شمس على غصن سبا قلبى بنوعين
يكاد من لين ومن دقـة فى خصره ينقـدُّ نصفين
إدباره ينسيك إقبـاله كأنمـا يمشى بوجهين

وقال أيضا :

أورد قلبى الردى لام عذار بدا
أسْوَدُ كالغىِّ فى أبيضَ مثل الهدى

وقال :

تَعَبِى راحتى ، وأنسى انفرادى وشفائى الضنى ، و نومى سهادى

---

(١) فى ب « مذ زاحم القوم » و « فليس يقعد فى أرجائه » تحريف

(٢) فى ب « ترى الغمائم » بالغين المعجمة ، تحريف

لستُ أشكو بعاد مَنْ صدَّ عنى   أىَّ بعدٍ وقد ثوى فى فؤادى ؟
هو يختال بين عينى وقلبى   وهو ذاك الذى يرى فى سوادى

وقال فى الهجاء وبالغ :

لو أن أكفانهم من حرّ أوجههم   قاموا إلى الحشر منها مثل مارقدوا
خُزْرُ العيون إذا ماعاتبوا ، وإذا   ماعوتبوا أبعدوا باللحظ ماقصدوا

(٢٧٥)

أبو القاسم عثمان بن خمارتاش

عثمان بن خمارتاش بن عبد الله ، أبو القاسم .

من أهل هيت .

كان أديبا فاضلا مليح الشعر ، لطيف الطبع ، كيسا ، طيب العشرة ، ظريفا.

قال محب الدين بن النجار : وكان متهاونا بالأمور الدينية ، عفا الله عنا وعنه وتوفى سنة تسع عشرة وستمائة .

ومن شعره :

المال أفضل ما ادخرت فلاتكن   فى مرية ماعشت من تفضيله
ماصنف الناس العلوم بأسرها   الا لحيلتهم على تحصيله

وقال أيضا لما تزوج :

كان رأيى أن لا يكون الذى كان فياليتنى تركت برأيى
لا يزال الإنسان يخدمه السعد إلى أن يقول بيت احمائى (١)

وقال :

شيئان لم يبلغهما واصف   فيما مَضَى بالنظم والنثر
مدح ابنة العنقود فى كأسها   وذم أفعال بنى الدهر

(١) فى ب « إلى أن يقول ميت احمائى »

وقال :

قالوا هداك الشيب ياليتنى دام ضلالى وعدمت الهدى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لا تخضعنّ ولو بدت زُرْقُ الأسنة منك حمرا
لا بدّ من وِرْدِ الحما م فمت كريم النفس حرا

وقال :

إنى لأعجب من ضراعة سائل فى جود مقتدر على الإحسان
كيف استمالها خداع رذيلة وكلاهما عما قليل فانى

(٢٧٦)

عثمان بن دراج ، الطفيلى[١] .

عثمان بن دراج الطفيلى

كان فى زمن المأمون ، قال أبو الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى : كان فيه أدب ، وله شعر صالح ، قيل له يوما : إن فلانا اشترى رؤسا ودخل بستانا مع جماعة فخرج إليهم فوجدهم قد لوحوا العظام[٢] ، فوقف ينظر إليها ، ثم استَعْبَرَ باكيا ، وتمثل بقول الرقاشى :

آثار ربع قدما أعيا جوابى صمما
كان لسعدى علما فصار وحشا رمما

وقيل له : ما هذه الصفرة التى فى لونك ؟ قال : من الفترة بين القصعتين ، ومن خوفى من نفاد الطعام قبل أن أشبع .

ومن شعره :

لَذَّةَ التطفيل دومى وأقيمى لا تَرِيمِى

---

(١) له ترجمة فى الأغانى ١٥/٣٧ بولاق

(٢) فى الأغانى « قد لوحا الطعام » وفى عبارة القصة اختلاف كثير

أنت تشفين غليلي   وتُسَلِّينَ همــومى

وقيل له يوماً : كيف تصنع بالعرس إذا لم يُدْخِلكَ أصحابه ؟ فقال: أنوح على بابهم ، فيتطيرون من ذلك ، فيدخلونى .

وقيل له : أتعرف البستان الفلانى ؟ فقال : إى والله وإنه لَلْجَنَّة الحاضرة فى الدنيا ، قيل له : فلم لا تدخل إليه وتأكل من ثماره وتجلس تحت أشجاره وتسبح فى أنهاره ؟ فقال : لأن فيه كلباً لا يتمضمض إلا بدم عراقيب الرجال .

وقال يوماً: مررت بجنازة ومعى ابنى ، ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول : يذهبون بك إلى بيت لافراش فيه ولاوطاء ولاضيافة ولاخبز ولاماء ، فقال ابنى : يا أبت إلى بيتنا والله يذهبون ، رحمه الله تعالى !

(٢٧٧)

معين الدين عثمان بن سعيد الفهرى ، المصرى

عثمان بن سعيد بن عبدالرحمن بن أحمد بن تُولُوَا ، الأديب ، معين الدين ، الفهرى، المصرى[(١)] .

ولد بتنيس سنة خمس وستمائة ، وتوفى سنة خمس وثمانين وستمائة .

قال الشيخ شمس الدين : أنشدنا عنه ابنُ الحسين اليونينى وغيره ، وتوفى بالقاهرة ، وعليه تخرج الحكيم شمس الدين بن دانيال ، وبه تأدب ، وله معه حكايات ، كان يسخر به ، ويضحك منه الناس .

ومن شعره رحمه الله :

جَمْعُكَ بين الكثيب والغُصُنِ   فَرَّقَ بين الجفون والوَسَنِ
يا فتنةً ما وقيتُ صرعتهـا   مَعْ حـ رَى دائماً من الفتن
اللفظ واللحظ كم ترى أبدا   تسخر بى دائماً وتسحرنى

---

(١) له ترجمة قصيرة فى شذرات الذهب ٥ / ٣٩٢ وذكر فيها أنه مات فى ربيع الأول من سنة ٦٨٥ عن ثمانين سنة ، وفى النجوم الزاهره ٣٦٩/٧

وقال :

أما النوال فقد أقوَتْ معـــالمه فما على الأرض من تُرْجَى مكارمه[1]

فلا يَغُرَّنْكَ مَنْ يلقاك مبتسما فطالمـــا غر برق أنت شائمه[2]

لا تتعب النفس فى استخلاص راحتها مِنْ باخل لؤمه فى الجودِ لائمه

آخَى المـــذلة عَزَّاز لدرهمه ويصحب الذل من عزت دراهمه

ماذا أقول لدهر عاش جاهله غِنًى ، ومات بسيف الفقر عالمـه

قد سـالم النقص حتى ما يحاربه وحارب الفضل حتى ما يسالمـــه

وله :

يا أهل مصر وجدت أيديكم عن بسطها بالنوال منقبضه

حـــتى أنى قـــد أَكَلْتُ كتبى كأنى أرضه[3]

(٢٧٨)

عثمان بن علىّ بن المعمر بن أبى عمامة ، أبو المعالى ، البقال ، أخو أبى سعد المعمر بن على ، الواعظ .

عثمان بن على بن المعمر، الواعظ

قرأ الأدب على عبد الواحد بن بَرْهَان ، وأبى محمد الحسن بن الدهان ، وغيره

وكان غير مرضى السيرة ، يخل بالصلوات ، ويرتكب المحظورات ، كما روى عنه أبو معمر الأنصارى وأبو طاهر السِّلَفى .

توفى سنة سبع عشرة وخمسمائة .

ومن شعره :

أرى شعرة بيضاء فى الخدّ نابِتَهْ لها لوعة فى صفحة الصدر ثابِتَهْ

---

(١) أقوت : أقفرت وخلت ، وأصله قولهم «أقوت الديار» «وأقوى الربع» إذا خلا من السكان

(٢) شام البرق : نظر أين يقع مطره ، ووقع فى ب «سائمه» بالسين المهملة ـ وهو تحريف

(٣) صدر هذا البيت ناقص

ومن شؤمها أنى إذا رمت نتفها   تنفت سواها وهى تضحك شامتهْ

(٢٧٩)

أبو الفتح عثمان بن عيسى بن هيجون ، البلطى

عثمان[١] بن عيسى بن هيجون[٢] ، أبو الفتح ، البَلَطِىُّ ، الأديب ، النحوى . له شعر ومجاميع فى الأدب ، وكان طويلا ضخما ، كبير اللحية ، ويلبس عمامة كبيرة وثياباً كثيرة فى الحر ، تصدَّر بالجامع العتيق بمصر ، وروى .

وتوفى سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

وبَلَط : بُلَيدة قريبة من الموصل ، وكان قد أقام بدمشق مدّة يتردّد إلى الزبَدانى[٣] للتعليم ، ولما ملك الملك الناصر[٤] مصر انتقل إليها ، وحَظِى بها ، ورتب له صلاح الدين على جامع مصر جاريا يقرىء به[٥] النحو والقرآن ، ولما كان فى آخر سنة الغلاء توفى ، وبقى فى بيته ثلاثة أيام ميتاً ؛ لأنه كان يحب الخلوة والانفراد ، ولا يتطيلس ، ولا يدير الطيلسان على عنقه ، بل يرسله ، وكان إذا دخل الشتاء اختفى ولم يكد يظهر ، وكانوا يقولون له : أنت فى الشتاء من حَشَرات الأرض ، وإذا دخل الحمام يدخل وعلى رأسه مزدوجة مُبَطَّنة بقطن ، فإذا صار عند الحوض كشف رأسه بيده الواحدة ، وصبَّ عليه الماء الحار الناضج بيده الأخرى، ثم يغطيه ، يفعل ذلك مراراً ويقول : أخاف من الهواء .

وكان إماماً نحوياً مؤرخاً شاعراً ، وله « العروض الكبير » نحو ثلثمائة ورقة ،

---

(١) له ترجمة وجيزة فى معجم البلدان لياقوت ٢/ ٢٧٠ وذكر أن البلطى بفتح الباء واللام جميعا ، وفى بغية الوعاة ٣٢٣ وقال « عثمان بن عيسى بن منصور البليطى بالموحدة مصغراً » وفى معجم الأدباء ١٢/ ١٤١

(٢) فى البغية ومعجم الأدباء « عثمان بن عيسى بن منصور »

(٣) فى ب ، ث « الربذانى » تحريف صوابه ما أثبتناه موافقا لما فى ياقوت

(٤) الملك الناصر : هو أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين بن شادى بن مروان ، وهو أول ملوك الأيوبيين فى مصر ملكها سنة ٥٦٧ وكانت وفاة أبى الفتح البلطى فى عهد الملك العادل أبى بكر نجم الدين أيوب بن شادى

(٥) فى ب « ورتب له صلاح الدين على جامع مصر قارئا يقرئه » تحريف

وكتاب « العروض الصغير » وكتاب « العظات الموقظات » وكتاب « المنير ، فى العربية » وكتاب « أخبار المتنبى » وكتاب « المستزاد ، على المستجاد ، فى فَعلاَتِ الأجواد » وكتاب « علم أشكال الخط » وكتاب « التصحيف والتحريف » وكتاب « تعليل العبدات » .

وحضر يوماً عند البلطى بعضُ المطربين، فغنى صوتاً أطْرَبه ، فبكى البلطى، وبكى المغنِّى، فقال له : أما أنا فإنى طربت ، فأنت عَلاَمَ بكيت ؟ قال : تذكرت والدى فإنه كان إذا سمع هذا الصوت بكى ، فقال له البلطى : فأنت إذاً والله ابنُ أخى، وخرج فأشهد على نفسه جماعةً من العدول بمصر بأنه ابنُ أخيه ، ولا وارث له سواه ، ولم يزل ذلك المطرب يعرف بابن أخى البلطى .

وكان البلطى ماجنا خليعاً خِمِّيرًا متهتكا منهمكا على الشراب واللذات .

ومن شعره :

دعوه على ضعفى يجور ويشتطُّ   فما بِيَدِى حل لذاك ولا ربط

ولا تعتبوه فالعتـــاب يزيده   ملالا ، وإنى ذو اصطبار إذا يسطو

تنازعتِ الآرامُ والدر والمها   له شَبَهاً والغصن والبدر والسقط[1]

فللريم منه اللحظ واللون والطلا   وللدر منه اللفظ واللحظ والخط

وللغصن منه القد ، والبدر وجهه   وعين المها عين بهـــا أبدا يسطو

وللسقط منه ردفه ؛ فإذا مشى   بدا خلفه كالموج يعلو وينحط

ومدح القاضى الفاضل بموشحة ، وهى :

ويلاه من روّاغ   بجـــوره يقضى

ظبى نبـــا يزداد   منه الجفـــا حظى

قد زاد وسواسى   مذ زاد فى التيه

---

(١) السقط ـ بتثليث السين وبالقاف ساكنة ـ الكثيب من الرمل ، والعرب تشبه به أعجاز النساء وروادفهن ، وقد ذكر ذلك الشاعر فى البيت السادس ، ووقع فى ب « السفط » بالفاء ـ وهو تحريف

لم يلق فى الناس ما أنا ألاقيـــه
مَن ْ قيم قاسى بالهجر يغـــريه
أروم إينــاسى به ويثنيـــه
إذا وصال ســاغ لقـــربه يرضى
أبعده الأســتاد لاحِيـــطَ بالحفظ
وكل ذا الوجـــد بطـــول إبراقه
مضرج الخـــد من دم عشاقه
مصارع الأســـد فى لحظ أحـــداقه
لو كان ذا ودّ رق لعشاقـــــه
شيطانه النزاغ بعلمـــه يقضى
واستحوذ استحواد بقلبه الفـــظ
دع ذكره واذكر خلاصة المجـــد
الفاضل الأشهـــر بالعـــلم والزهد
والظاهر المـــؤزَّر والصادق الوعـــد[1]
وكيف لا أشكر مولى له عندى
نعمى له أسباغ صـــائنة عرضى
من كف كاس عاد والدهر ذو وعظ
منـــة مستبق ضاق بها ذرعى
قد أفحمت نطقى فاستنفدت دمعى
وملكت رقى لمكمل الصنع
دافع عن رزق فى موطن الدفع

(١) فى ب « والظاهر المبرر » وما أثبتناه عن ث

لما سعى أسباغ دهرى فى خفضى
أنفذ فى إنفاد من همه حفظى
ذو المنطق الصائب فى حومة الفضل
ذكاؤه الثاقب يجلّ عن مثل
فهو الفتى الغالب كل ذوى النبل
مَنْ عمرو والصاحب ومن أبو الفضل؟
لا يستوى الإفراغ بواحد الأرض
آمن من الإيآد نقابه المنظ
يأيها الصدر فقت الورى وصفا
قد مسنى الضرّ والحال ما يخفى
وعبدك الدهر يسومنى خَسْفَا
وليس لى عذر ما دمت لى كهفا
من صرف دهر طاغ إنى له أغضى
مَنْ بك أمسى عاد لم يخش من بهظ

وقال من أبيات حصر قوافيها، ومنع أن يزاد فيها :

بأبى مَنْ تهتكى فيه صَوْنُ رب واف لغادر فيه خَوْنُ
بين ذل المحب فى طاعة الحِبِّ وعز الحبيب يا قوم بَوْنُ[1]
أين مُضْنًى يحكى البهارة لونًا من عزيز له من الورد لون
لى حبيب ساحى اللواحظ أحْوَى مُتْرف زانه جمال وصَوْنُ

---

(١) الحب ـ بكسر الحاء ـ الحبيب بمعنى المحبوب، وموازنه الخدن والخدين والمثل والمثيل، وتقول «بينهما بون» بفتح الباء وسكون الواو ـ أى فرق عظيم

يلبس الوشى والقباطىّ جُونا فوق جون ولونُ حالى جَوْنُ
إن رمانى دهرى فإنّ جمال الدين ركن وجُودُهُ لىَ عَوْنُ
عنده للمسىء صفح وللأسرار مستودع وللمال هَوْنُ
زانه نائل وحلم وعدل ووفاء جَمٌّ ورفق وأوْنُ
أنا فى رَبْعِهِ الخصيب مقيم لىَ من جوده لباس ومون
لا أزال الإلٰهُ عنه نعيما وسروراً ما دام للخلق كون

(٢٨٠)

عروة بن حزام العذرى

عروة بن حزام، العذرى[1].

أحد مُتَيَّمِى العرب ومَنْ قتله الغرام ، ومات عشقا فى حدود الثلاثين للهجرة فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، وهو صاحب عَفْراء التى كان يهواها ، وكانت تِرْباً له يَلْعَبَان معاً ، فألِفَ كل واحد منهما صاحبه ، وكان عمه عقال يقول لعروة : أبشر فإن عفراء امرأتك إن شاء الله تعالى ، فلم يزالا إلى أن التحق عُرْوَة بالرجال وعَفْرَاء بالنساء ، وكان عروة قد رَحَل إلى عم له باليمن ليطلب منه مايمهر به عفراء لأن أمها استَامَتْه كثيراً فى مهرها ، فنزل بالحى رجل ذو يَسَار ومالٍ من بنى أمية ، فرأى عفراء ، فأعجبته ، فبذل لها كثيراً من المال ، فلم تزل أمها بأبيها إلى أن زوّجها منه ، فلما أهديت إليه قالت :

يا عُرْوَ إن الحى قد نقضوا عهد الإله وحالفوا الغدرا

وارتحل الأموىّ بعفراء إلى الشام ، وعمد أبو عفراء إلى قبر فجدّده وسوّاه ، وسأل الحى كتمان أمرها ، ثم وَفَدَ عُرْوة بعد أيام ، فنعاها أبوها إليه ، وذهب به

---

(١) له ترجمة فى الأغانى ٢٠/١٥٢ بولاق ، وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٩٤ أوربة ، وفى خزانة الأدب للبغدادى ١/٥٣٤ بولاق ، وانظر نونيته فى مطلع نوادر القالى ١٦٠ بولاق ، ثم انظر ذيل اللآلى ٧٣ ، وتزيين الأسواق ١/٨٤ بولاق .

إلى ذلك القبر ، و بقى مدة يختلف إليه ، فأتته جارية من الحى فأخبرته بالقصة ؛ فرحل إلى الشام ، وقصَد الرجل ، وانتسب له فى عدنان ، فأ كرمه ، و بقى عنده أياما ، فقال لجارية عفراء : هل لك فى يد توليننيها ؟ فقالت : وما هى ؟ قال : هذا الخاتم تدفعينه إلى مولاتك ، فأبت عليه ، فعرّفها وقال : اطرحى هـذا الخاتم فى صَبُوحها[1] ، فإن أنـكرته قولى : إن ضيفك اصطبح قبلك ، ووقع من يده ، فلما فعلت الجارية ذلك عرفت عفراء الخبر ، فقالت لزوجها : إن ضيفك ابنُ عمى ، فجَمَع بينهما ، وخرج وتركهما ، وأوقف مَنْ يسمع ما يقولانه ، فتشا كيَا وتباكيا طويلا ، ثم أتته بشَرَاب وسألته شربه ، فقال : ما دخل جوفى حرام قط ، ولا ارتـكبته ، وأنت حظى من الدنيا ، وقد ذهبتِ منى وذهبتُ منك ، ولا أعيش بعدكِ ، وقد أجمل هذا الرجل الـكريم ، وأنا مستحى منه ، ولا أقيم بمكانه بعد علمه بى ، و إنى لأعلم أنى أرحل إلى منيتى ، ثم بكى وبَكَتْ ، وسأل زوجها فأخبره الخادم بما جرى بينهما ، فقال : يا عفراء امنعى ابن عمك من الرحيل ، قالت : لا يمتنع ، فدعاه ، وقال : يا أخى اتَّقِ الله فى نفسك ، فقد عرفتُ خبرك ، و إن رحلت تلفت ، ووالله ما أمنعك من الاجتماع بها أبدا ، و إن شئت فارقتها ، فجزاه خيراً ، وقال : كان الطمع فيها شاقنى ، والآن قد صبرت نفسى ، و يئست منها ، و يئست منى ، واليأس سبيلى ، ولى أمور ، ولابدّ من الرجوع إليها ، فإن وجدت بى قوة لذلك ، و إلا عدت إليكم وزرتـكم حتى يقضى الله فى أمرى ما يشـاء ، فزوّدوه وأ كرموه ، وأعطته عفراء خمارالها ، فلماسارعنها نُـكِس[2] بعد صلاحه ، وأصابه غشى وخفقان ، وكان كلما أغمى عليه ألقى عليه غلامه ذلك الخمار فيفيق ، فلقيه فى الطريق ابن مكحول عرّاف اليمامة ، فجلس عنده وسأله عما به ، وهل

---

(١) الصبوح ـ بفتح الصاد ـ شرب الصباح ، والغبوق : شرب المساء

(٢) نـكس ـ بالبناء للمجهول ـ رجع إليه المرض بعد ما كان قد برأ منه

هو خبل أم جنون ؟ فقال له عروة : ألك علم بالأوجاع ؟ قال : نعم ، فأنشأ عروة يقول :

أقول لعراف اليمامة دَاوِنى ... فإنك إن داويتنى لَطَبِيب(١)

فوا كَبِدِى أمسَتْ رُفَاتا كأنما ... يلذعهـــا بالموقدات لهيبُ

عَشِيَّةَ لا عفراء منكَ قريبةٌ ... فَتَسْلُو،ولا السلوان منك قريب(٢)

فوالله ما أنساكِ ما هَبّتِ الصَّبا ... وما أعْقَبَتْهَا فى الرياح جَنُوبُ

عشيةَ لا خلقٌ مَكرّ ، ولا الهوى ... أمامى،ولا يهوى هواى غريب(٣)

وإنى لتغشانى لذكراكِ فترة ... كأن لها بين الضلوع دَبيب(٤)

وقال الأخباريون : إنه مات فى سفرته تلك قبل أن يصل [إلى] حيه بثلاث ليال ، و بلغ عفراء خبره ، فجزعت جزعا شديداً ، وقالت ترثيه :

ألا أيها الركب المجِدُّون ويحكم ... أحقًّا نعيتم عروةَ بن حزامِ

فلا يهنأ الفتيان بعدك لذة ... ولا رجعوا من غيبة بسلام

ولم تزل تنشد الأشعار وتندبه وتبكيه إلى أن ماتت بعده بأيام قلائل .

وعن أبى صالح قال : كنت مع ابن عباس بعرَفة ، فأتاه فتيان يحملون فتى لم يبق إلا خياله ، فقالوا : يا بن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ادْعُ الله تعالى له ، قال : وما به ؟ فقام الفتى ينشد شعرا :

بنا من جَوَى الأحزان فى الصّدر لوعة ... تكاد لها نفسُ الشفيق تذوبُ

ولكنما ألقى حُشَاشَـــة مُعْوِلٍ ... على ما به عود هنـــاك صليب

قال : ثم خَفَتَ فى أيديهم فإذا هو قد مات ، فما رأيت ابن عباس سأل الله تعالى فى عشيته إلا العافية مما أُبتلى به ذلك الفتى .

---

(١) فى الخزانة « وقلت لعراف اليمامة » وفيها « إن أبرأتنى »

(٢) فى الخزانة « لاعفراء دان مزارها ، فترجى »

(٣) فى الخزانة « عشية لاخلق مفر ، ولا الهوى قريب »

(٤) عجز هذا البيت غير مستقيم الإعراب ، وهو فى الشعراء :

* لها بين جلدى والعظام دبيب *

قال : وسألت عنه ، فقيل لى : هو عروة بن حزام .

ومن شعر عروة بن حزام قولُه :

خليليَّ من عُلْيَا هلال بن عامر ... بعفراء عوجا اليوم وانتظرانى[١]

ولا تزهدَا فى الأجر عندى وأجملاَ ... فإنكما بى اليومَ مبتَلَيانِ

ألمّا على عفراء إنكما غدا ... بوَشْكِ النوى والبينِ مُعْتَرِفان

فيا واشيَىْ عفراء ويحكما بمن ... ومن وإلى مَنْ جئتما تشيان[٢]

بمن لو أراه عانيا لفديته ... ومن لو رآنى عانيا لَفَدَانِى

متى تكشفا عنى القميص تبينا ... بى السقم من عفراء يا فتيان

فقد تركتنى لا أعى لمحدث ... حديثاً وإن ناجيته ودعانى

وحُمِّلْتُ زفرات الضحى فأطقتها ... ومالى بزفرات العشىِّ يدان

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف نجد إن هما شفيانى

فما تركا من حيلة يعملانها ... ولا شربة إلا وقد سقيانى

ورَشّاً على وجهى من الماء ساعة ... وقاما مع العواد يبتدران

وقالا : شفاك الله ! والله مالنا ... بما ضُمِّنت منك الضلوع يدَانِ

فويل على عفراء ويل كأنه ... على الصدر والأحشاء حَدُّ سِنان

أحب ابنة العذرىِّ حبا وإن نأت ... ودانيت منها حيثما تريان

إذا رام قلبى هجرها حال دونه ... شفيعان من قلبى لها جَدِلان

إذا قلت لا قالا بلى ثم أصبحا ... جميعاً على الرأى الذى يَرَيَانِ

تحملت من عفراء ما ليس لى به ... ولا للجبال الراسيات يدَانِ

---

(١) فى ب ، ث « بعلياء عوجا » وفى النوادر « بصنعاء عوجا »

(٢) فى ث « وإلى من حيثما تشيان » تحريف ، وروى فى الأمالى :

فيا واشي عفرا دعانى ونظرة ... تقر بها عيناى ثم كلانى

فيارب أنت المستعان على الذى تحملت من عفراء منذ زمان
كأن قطاة علقت بجناحها على كبدى من شدة الخفقان

(٢٨١)

عروة بن أذينة ، الليثى ، الشاعر المشهور ، الحجازى [١] .

عروة بن أذينة ، الليثى ، الحجازى

سمع ابن عمر ، وروى عنه مالك فى الموطأ ، وكان من فحول الشعراء .
وتوفى فى حدود الثلاثين ومائة .

ومن شعره :

لقد علمت وما الإشراف من خلقى أن الذى هو رزقى سوف يأتينى [٢]
أسعى إليه فيعيينى تطلبه وإن قعدت أتانى لا يعنينى
فإن حظ امرىء غيرى سيبلغه لا بد لابد أن يحتازه دونى
لا خير فى طمع يدنى لمنقصة وغفة من كفاف العيش تكفينى [٣]
كم من فقير غنى النفس تعرفه ومن غنى فقير النفس مسكين
ومن عدو رمانى لو قصدت به لم آخذ النصف منه حين يرمينى
ومن أخ لى طوى كشحا فقلت له إن انطواءك عنى سوف يطوينى
إنى لأنظر فيما كان من أربى وأكثر الصمت فيما ليس يعنينى
لا أبتغى وصل من يبغى مقاطعتى ولا ألين لمن لا يبتغى لينى

واتفق أن عروة وفد هو جماعة من الشعراء إلى هشام بن عبد الملك ، فتبينهم ،
فلما عرف عروة قال له : ألست القائل :

لقد علمت وما الإشراف من خلقى أن الذى هو رزقى سوف يأتينى [٢]

---

(١) له ترجمة فى الأغانى ١٠٥/٢١ ساسى ، وفى المؤتلف ٥٤ وفى الشعر والشعراء ٣٦٧ أوربة ، وقد ذكره ابن خلكان فى ترجمة سكينة بنت الحسين (الترجمة رقم ٢٥٤ بتحقيقنا) وأنشد له شعراً ، وقد ترجمه البخارى فى التاريخ الكبير ٣٣/١/٤ وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٣٩٦/١/٣ ، وانظر اللآلى ٣٣٦

(٢) فى ب ، ث والشعراء والأغانى « وما الإسراف » بالسين المهملة

(٣) الغفة — بالمعجمة — الكفاف

قال عروة : نعم ، قال : فهلا قعدت فى بيتك حتى يأتيك ، وغفل عنه هشام ، فخرج عروة من وقته ، وركب راحلته ، ومضى منصرفا ، فافتقده هشام ، فلم يره ، وسأل عنه ، فقيل له : راح إلى الحجاز ، فأتبعه بجائزة ، وقال للرسول : قل له أردت أن تكذبنا وتصدّق نفسك ، فلحقه وأبلغه الرسالة ، ودفع إليه الجائزة ، فقال للرسول : أبلغ أمير المؤمنين منى السلام ، وقل له : صدّقنى الله وكذبك .

(٢٨٢)

علاء الدين عطا ملك بن محمد بن الأجل الجوينى ،

عطا ملك بن محمد بن محمد الأجل ، علاء الدين ، الجُوَيْنى ، صاحب الديوان الخراسانى ، أخو الصاحب الكبير شمس الدين[١] .

كان لهما الحل والعقد فى دولة أبغا ، ونالا من الجاه والحشمة ما يجاوز الوصف . وفى سنة ثمانين قدم بغداد مجدُ الملك العجمى ، فأخذ صاحب الديوان ، وغلّهُ وعاقبه ، وأخذ أمواله وأملاكه ، وعاقب سائر خواصه .

ولما عاد منكوتمر من الشام إلى همذان مكسورا حمل علاء الدين معه إلى همذان وهناك مات أبغا ومنكوتمر[٢] ، فلما ملك أرغون بن أبغا طلب الأخوين فاختفيا ، وتوفى علاء الدين بعد الاختفاء بشهر سنة إحدى وثمانين وستمائة ، ثم أخذ ملك الملوك أمانا لشمس الدين من أرغون ، وأحضره إليه ، فغدَر به ، وقتله ، ثم فوض أمر العراق إلى سعد الملك العجمى(؟) ومجد الدين بن الأثير والأمير على بن جكيان ، ثم قَتَلَ آق وزير أرغون الثلاثة بعد عام .

وكان علاء الدين وأخوه فيهما كرم وسؤدد وخبرة بالأمور وعدل ورفق بالرعية وعمارة للبلاد ، وبالغَ بعضُ الناس فقال : كانت ببغداد أيام الصاحب علاء

---

(١) له ترجمة قصيرة فى شذرات الذهب ٥/٣٨٢

(٢) منكوتمر : هو ابن هولاكو بن جنكزخان التترى ، وأبغا : أخوه ، وكان منكوتمر قد استنجد بأخيه أبغا على غزو الشام ، فقدر الله سبحانه موت أبغا ، ثم مات منكوتمر بعده بقليل ، وذلك فى سنة ٦٨١

الدين أجود مما كانت أيام الخليفة ، وكان الفاضل إذا عمل كتابا ونسبه إليهما تكون جائزته ألف دينار ، وكان لهما إحسان إلى العلماء والفضلاء ، ولهما نظر فى العلوم الأدبية والعقلية .

ومن شعر علاء الدين :

أبادية الأعراب عنى فإننى بحاضرة الأتراك نِيطت علائقى
وأهلك يا نُجْلَ العيون فإننى بليت بهذا الناظر المتضايق

(٢٨٣)

عطاف بن محمد بن على، البالسى الشاعر

عطاف بن محمد بن على ، أبو سعيد ، البالسى ، الشاعر ، المعروف بالمؤيد[١] .

ولد ببالس[٢] قريةٍ بقرب الحديثة[٣] سنة أربع وتسعين وأربعمائة ، وتوفى سنة سبع وخمسين وخمسمائة .

وكان قد نشأ بدجيل ، ودخل بغداد ، وصار جاويشا فى أيام المسترشد ، ونظم الشعر وعرف به ، ومدح وهجا ، ولجأ إلى خدمة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه ، وقبح فى ذكر الإمام المقتفى وأصحابه بما لا ينبغى ، فقبض عليه وسجن بعد ما كان أثرى واقتنى عقارا وأملاكا ، وأقام فى السجن عشر سنين إلى أن غشى بصره من ظلمة السجن ، وأخرج فى زمان المستنجد ، وكان زيه زى الأجناد ثم سافر إلى الموصل ، وتوفى بعد خروجه بثلاث سنين ، وكان قبل خروجه من السجن عُرِضَ على المقتفى قصة فوقع عليها « يفرج عن هذا » وكان ضاحى نهار ، فأفرج عنه ، ومضى إلى بيته واجتمع بزوجته ، وبرز بعد العصر توقيع الخليفة ينكر الإفراج عنه والقبض على صاحب الخبر ، فإنه الذى عرض القصة ، وأعيد بعد العصر

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدى من كتب الرجال

(٢) بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة

(٣) فى ب « بقرب الحديثية » تحريف ، والحديثة : اسم لعدة أماكن

إلى المطمورة ، وجاءهُ ولد يدعى محمدا كان قـد علقت به أُمرأته فى ذلك اليوم عند حضوره إليها من الحبس .

ومن شعره :

لعتبة من قلبي طريف وتالد ... وعتبة لى حتى الممات حبيب

وعتبة أقصى مُنْيتى وأعـز من ... على ، وأشهى مَنْ إليـه أتوب

غلامية الأعطاف تهـتز للصبا ... كما اهتز من ريح الشمال قضيب

تعلقتها طفلا صغـيرا و يافعا ... كبيرا ، وهارأسى بهـا سيشيب

وصيرتها دينى ودنياى ، لا أرى ... سـوى حبها ، إنى إذا لمصيب

وقد أخلقت أيدى الحوادث جدتى ... وثوبُ الهوى ضافى الدروع قشيبُ

سقى عهدَها صوبُ العِهاد بجَوْده ... مُلِثٌ كتَيَّار الفرات سـكوب[1]

وليلتنا والغرب مُلْقٍ جرانه ... وعُودُ الهوى دانى القطوف رطيب

ونحن كأمثـال الثريا يضمنا ... رِدَاء على ضِيقِ المكان رحيب[2]

إلى أن تقضَّى الليـل وامتد فجره ... وعاود قلبى للفراق وَجِيبُ

فياليت دهرى كان ليـلا جميعه ... و إن لم يكن لى فيه منك نصيب

أحبُّـكِ حتى يبعث الله خلقه ... ولى منك فى يوم الحساب حسيب

وألهج بالتذكار باسمك دائمـا ... وإنى إذا سُمِّيتِ لى لَطَرُوبُ

فلو كان ذنبى أن أديم لودكم ... حيـاتى بذكراكم فلست أتوب

إذا حَضَرَتْ هاجت وساوس مهجتى ... وتزداد بى الأشواقُ حين تَغِيبُ

فوا أسفا لا فى الدنو ولا النوى ... أرى عيشتى يا عُتْبَ منك تطيب

---

(١) فى ب « ملأت كتيبا والفرات سكوب » تحريف

(٢) فى ب « ودار على طبق المكان رحيب » تحريف

لقلبِيَ من حبيك نار وجنة ولى منك داء قاتل وطبيب
فأنت التى لولاك مابتُّ ساهرا ولا عاودَتْنِي زَفْرَة ونَحيب

وله :

لنا صديق يغر الأصدقاء ولا نراهُ مذ كان فى ود له صَدَقَا
كأنه البحر طولَ الدهر تركبه وليس تأمن منه الخوف والغرقا

(٢٨٤)

عكاشة بن عبد الصمد ، القمى

عكاشة بن عبد الصمد ، القمى .

كان من فحول الشعراء ، وكان يهوى جارية لبعض الهاشميين بأرض نعيان، وكان لايراها إلا فى الأحيان ، وربما اجتمع بها مع صديقه حميد بن سعيد فيشربون وتغنيهم وتنصرف ، إلى أن قدم قادم من بغداد فاشتراها من مولاها ، ورحَل بها من البصرة إلى بغداد ، فعظم أسفُ عكاشة وجزَعُه عليها ، واستهام بها طول عمره ، واستحالت صورته وطبعه ، وكان ينوح عليها بالأشعار و يبكى .

ومن شعره :

ألاليت شعرى هل يَعُودَنّ مامضى وهل راجعٌ مافات من وصلة الحبل
وهل أجْلِسَنْ فى مثل مجلسنا الذى نعمنا به يوم السعادة بالوصل
عشية صَبَّتْ لذةُ الوصل طيبَهَا علينا فأجنى فى الحياة جَنَى النحلِ
وقد زار ساقينا بكأس روية ترحّلُ أحزانَ الكئيب مع العقل
وشُجّتْ شَمول بالمزاج فطيرت كألسنة الحيات خافت من القتل [١]

---

(١) شجت : أراد أنها مزجت ، والشعراء يعبرون عن مزج الخمر بالماء بالقتل وبالشج ، والشمول ــ بفتح الشين ــ من أسماء الخمر

فبتنا وعين الكاس سَحٌّ دموعُها بكل قنا يهتز للجدِّ كالنَّصْلِ
وقينتنا كالظبي تجنح للهوى وبثت تباريح الغرام على رِسْلِ
إذا ما حكت بالعود رَجْعَ لسانها رأيت لسان العود من كفها يملى
فلم أر كاللذات أمطرت الهوى ولا مثل يومى ذاك صادفه مثلى

ومن شعره رحمه الله تعالى :

وجاؤا إليه بالتعاويذ والرقى وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة ولو صَدَقوا قالوا به أعين الأنس

(٢٨٥)

علوان الأسدى بن مطارد الضرير

علوان الأسدى بن على بن مطارد ، الضرير [(١)]

سمع منه سلمان ، هو الشحَّام ، وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

ومن شعره رحمه الله تعالى :

أوجْهُكَ أم شمس النهار أم البَدْرُ وثغرك أم دُرٌّ ورِيقُكَ أم خمر
وقدك أم غصن ترنحه الصَّبا وغنج أراه حشو جفنيك أم سحر
تبدى لنا والليل مُلْقٍ جِرَانَهُ فعاد نهارا قبل أن يطلع الفجر
أعاذلتى ، ما أقتل الحب للفتى ! إذا كان من يهواه شيمته الغدر
ويامعشر العشاق ، ما أعجب الهوى ! يرى مرّة عذبا ، وأعذبه مرّ
ولم أنسَ حالى يوم زُمَّتْ ركابهم أقام بجسمى الضر وارْتحل الصبر
فما للنوى لا ألَّفَ الله شملها وما لغراب البين لاضَمَّه وَكْرُ
وليل كيوم الحشر معتكر الدُّجى طويل المدى لايستبين له فجر

---

(١) له ترجمة قصيرة فى نكت الهميان لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ٢٠٣

أراعى نجوما ليس يلفى زوالها ولا مؤنس إلا التسهُّدُ والفكر
أرى أسهم الأيام تقصد مهجتى كأنّ صروف الدهر عندى لها وِتْرُ
ألا أيها الدهر المكدر عيشتى رُوَيْدَكَ مثلى لا يروّعه ذعر
أتحسب أن ألقىٰ لغدرك ضارعاً فأنّى وفخر الدين لى فى الورى ذُخر

وقال فى غلام أسود[1] :

سواد عينىَّ فدى أسود فى داخل القلب له نُقْطَه
البدر ما استكمل فى حسنه حتى اكتسى من لونه خَطَّه
مخطط بالحسن لكنما قلبى من الخطَّةِ فى خُطَّه[2]

(٢٨٦)

علوى بن عبد الله الحلبى (الباز الأشهب)

علوى بن عبد الله بن عبيد ، الشاعر ، الحلبى ، المعروف بالباز الأشهب .
كان أديبا ، متفننا ، مليح الإيراد للشعر
وتوفى سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ببغداد ، رحمه الله !

ومن شعره :

سَلِ البانَةَ الغنَّاء هل مُطِر الحمى وهل آن للورْقاء أن تترنَّما
وهل عَذَبَات الرند نبهها الصَّبا لذكر الصبا قدما فتذكر نُوَّما
وإن تكن الأيام قصَّتْ جناحها فقد طالما مدّت بنانا ومعصما
بكتها الغوادى رحمةً فتنفست وأعطت رياض الحسن سرا مكتما
وشَقّتْ ثيابا كُنَّ سترا لأمرها فلما رآها الأقحوان تبسما
خليلى هل من سامع ما أقوله فقد منع الجهالُ أن أتكلما

---

(١) فى نكت الهميان « فى غلام أسود مخطوط »

(٢) فى ب « قلبى من اللحظة فى خطه » تحريف عن الذى أثبتناه موافقا لما فى ث ونكت الهميان

عرفت المعالى قبل تعرف نَفْسَهَا ولاسَفَرَت وجها ولا ثغرت فما[1]
وأوردتُهَا ماء البلاغة منطقاً فصارت لجيد الدهر عقدا منظَّمَا
وكانت تناجينى بألسن حالها فأدركُ سرَّ الوحى منها توهما
فما لليالى لا تقر بأننى خلعت لها منها بدورا وأنجما
ورب جهول قال لوكان صادقا لأ مكنتِ الأيام أن يتقدما
ولم يدر أنى لو أشاء حويتها ولكن صَرَفْتُ النفس عنها تكرما
أبى الله أن ألقى بخيلا بمدحه وقد جعل الشكوى إلى المدح سلما
إذا المرء لم يحكم على النفس قادراً يَمُتْ غير مأجور ويحيا مذمما
سلام على الماء الذى طاب مورداً وإن صَيَّرَتْهُ وقفة الذل علقما
فقد كنت لا أبغى سوى العز مطمعا ولا أرتضى ماء ولو بلغ الظما
وكنت متى مَثَّلْتُ للنفس حاجة أرى وجه إعراض ولو كنت أينما
وأحسب أن الشيب غَيَّرَ حالتى وصير كل الغانيات محرما

(٢٨٧)

أبو الحسن على بن إبراهيم الأنصارى البلنسى

علىّ بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير ، أبو الحسن ، الأنصارى ، البلنْسِى[2] .

كان ـ مع تقدمه فى العربية وتفننه فى الآداب ـ منسوباً إلى غفلة تغلب عليه ، وله رسائل بديعة وتآليف : منها كتاب «الحلل، فى شرح الجمل» للزجاجى ، وكتاب «جذوة البيان ، وفريدة العقيان» وكتاب «الفرط على الكامل»

وتوفى سنة إحدى وسبعين وستمائة .

---

(١) حق العربية أن يقال «قبل أن تعرف نفسها» لكنهم قد يحذفون «أن» الناصبة وهم ينوونها ، ونظير ما ورد فى هذا البيت قولهم «خذ اللص قبل يأخذك»

(٢) فى ب «البلينى» وما أثبتناه موافق لما فى ث .

ومن شعره :

بأبى من بنى الملوك عزيز قد تردَّيْتُ فيه بُرْدَ التصابى[١]
ضاعفت حسنه ضفيرة شعر هى منه طراز برد الشباب
تتلوى على الرداء مواجا كحباب ينساب فوق حباب

وقال فى سحابة :

وسارية سحبت ذيلها وهزت على الأفق أعطافها
تسل البروق بأرجائهـــا كما سلت الزَّنْجُ أسيافها[٢]

وقال أيضاً :

بدا البدر فى أفقه لا بسا ثياباً من الشَّفَقِ الأحمر
فشبهته والدجى حائل عروساً تزف إلى أسمر

وقال فى رمانة مفتحة :

وساكنة من ظلال الغصون بخـدر تروقُكَ أفنانُهُ
تضاحك أترابهـا عندما غدا الجو تدمع أجفانُهُ
كما فتَحَ الليثُ فاه وقد تضرج بالدم أســـنانه

وقال فى إبرة فى لباد أحمر :

ومِخْيَطٍ ضاق عنه وصفى يعجز عن فعله اليمانى[٣]
يكمن فى لبدةٍ ويبدو كالعرق فى باطن اللسان

وقال فى حقلة كتان اصطفت بها غربان :

ومُخْضَرة الأرجاء قد طلَّها الندى وقابَلَهَا أنف الصَّبَا يتنفَّسُ
تبدَّى بها سطراً دقيقاً كما بدت ضفيرة شعر فوقه برد سندس

---

(١) تردیت : اتخذت رداء ، و « برد التصابى » من إضافة المشبه به إلى المشبه
(٢) فى ب « كما سلت الريح » تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى ث .
(٣) فى ب « صار عنه وصفى » تحريف .

وقال :

لله دولاب يفيض بسلسل   في روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحَتْهُ بها الحمام بشجوها   فيجيبها ويرجِّعُ الألحانا
فكأنه دنف يدور بمعهد   يبكى ويسأل فيه عمن بانا[1]
ضاقت مجارى جفنه عن دمعه   فتفتحت أضلاعه أجفانا

وقال في مليح أرمد ، وقد لبس ثياباً حمراً :

ومهفهف يجرى بصفحة خده   ولَمَاهُ من ماء الحياة عُبَابُهُ
مازال يهتك باللحاظ قلوبنا   حتى تضرج طرفه وثيابه
فبدا بحمرة ذا وحمرة هـذه   كالسيف يدمي حدّه وقرابُهُ

(٢٨٨)

على بن إبراهيم الواسطى ، البغدادى ، الواعظ

على بن إبراهيم[2] بن على بن معتوق بن عبدالمجيد بن وفاء ، المعروف بابن الثردة ، الواعظ ، الواسطى ، البغدادى المنشأ .

سألته عن مولده فقال : بكرة الإثنين ثانى عشرى شعبان سنة سبع وتسعين وستمائة .

قدم إلى دمشق مراتٍ ، ووعظ بها بالجامع الأموى ، ثم حصل له خلط سوداوىّ فتغير حاله ، وكان يدّعى في هذه الحالة أنه كان له ببغداد كتب تقديرَ ألفى مجلدة ، وأن جماعة من التجار الذين قدموا دمشق اغتصبوها وقدموا بها دمشق وباعوها ، وكان ذلك كله من مخيلة السوداء ، فساءت حالته ، وأضَرَّت به ، والتحق بعقلاء المجانين ، وكان يتخذ كارة يحملها تحت إبطه لا يفارقها ليلا ولا نهارا ،

---

(١) دنف : عاشق ، يدور بمعهد : يريد يطوف حول ربوع أحبائه ومألف أودائه ، وبانا : فارق وارتحل .

(٢) لم أعثر له فيما بين يدى من كتب الرجال على ترجمة .

بحيث إنه كان إذا دخل الحمام والطهارة يكون جالساً وهى تحت إبطه ، وكلما وجد خيطاً أو حبلا شدها به ، فلا تزال فى نمو وزيادة وهو حاملها ، وكان يقول : لو دُفع لى ملك مصر فيها ما بعتها ، ويقول : هى أشهى إلىّ من خاتمة الخير ، والله لو خُيِّرت بين دخول الجنة بلا كارتى أو دخول النار وكارتى معى لاخترت دخول النار على دخول الجنة ، وكان ينظم الشعر الجيد فى هذه الحالة ، وكان إذا دفع إليه أحد شيئاً من دراهم أو غيرها لا يقبل منه ، ويقول : مَنْ أنْت ؟ أظنُّ عندك شيئاً من كتبى ، فأنت تُبَرْطلنى على ذلك ، ولا يقبل لأحد شيئاً إلا بعد الجهد .

وكانت وفاته بمارستان ابن سويد فى أوائل سنة خمسين وسبعمائة .

ولما توفى فتحت كارته فما وجد فيها سوى جزأين بخطه وكراريس وَغطيات وشعر تغزل وغيره ، رحمه الله تعالى وعفا عنه ! .

أنشدنى لنفسه :

أضحى جمالك للورى أعجوبة   كل الورى قد قيدوا بقياده
فوحَقِّ من سَوّاك يابدرالدجى   ما أنت إلا فتنة لعباده

وقال أيضاً :

لى حبيب خياله نُصْبُ عينى   أينما كنت وجهه مرآتى
يتجلى لطور سيناء قلبى   فترانى أخرُّ من صعقاتى[1]
ليتنى ما عدمته من حبيب   أتراآه من جميع الجهات
وإذا لاح أو تجلَّى لعينى   كدتُ أقضى من شدّة الحسرات

---

(١) أخذ هذا البيت من قوله تعالى : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرموسى صعقا) وليس من الأدب فى شىء .

هو نارى وجنتى ومماتى — وحياتى فى السر والخلوات
لستُ مهما حييت أنساه أصلا — لا ولا ساعة من الساعات(١)

وأنشدنى لنفسه رحمه الله تعالى :

سبحان من أبدى جمالك للورى — عجباً يحار العقل فى تصويره
وصفوك غاية وصفهم، لكنهم — لم يدركوا مقدار عشر عشيره
لو كان يوسف فى زمانك قُقْتَهُ — حسناً وكنت تكون فوق سريره
أُعطف على عبد ملكت قياده — فالعبد لم يرحمه غير أميره

وأنشدنى لنفسه أيضاً :

يا دار عَلْوَةَ لاعَدَاكِ غمامُ — منى عليك تحية وسلام(٢)
فلقد تَقَضَّتْ لى بربعك عيشة — زمن الصبى إذ لست فيك ألام
مع فتية حلوا ببطحاء الحمى — ولهم بقلبى مَرْبَع ومقام
يحمون بالبيض النزيلَ حمية — ومن استجار بهم فليس يُضَام
انظر إليهم كيف تضرمُ نارهم — للطارقين إذا ألم ظلام
تَرَهُمْ إذا ما الليل جَنَّ عليهمُ — وهُمُ سجود فى الدجى وقيام
لولاهم ما كان يعرف ما الهوى — كلا ! ولا بيع النفوس يُسَام

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

بالجامع الأموى ظبى أهيف — ما فى الملاح كحسنه وجماله
هو بدر تِمٍّ والقلوبُ بروجُهُ — تخفى البدور بنور عز جلاله
وإذا تثنَّى مائسا فى مشيه — فضح الغصون بلينه ودلاله

---

(١) فى ب « لست مما حييت أنساه » تحريف .
(٢) لاعداك : لاجاوزك ولا بعد عنك ، يدعو للدار بالسقيا على عادة العرب .

وقال :

ولما تجلى مَنْ أحِبُّ لناظرى — خررت من الأشواق صعقا إلى الأرض
وإنى لأتلو ذكره وحديثه — وسمعى به يلتذ فى النفل والفرض

وقال مواليا :

لك وجه يحكى فتات السكر المصرى — وقد يشبه قضيب البان لى يبرى
وردف ما ريت مثله قط فى عصرى — يا سوء حظ على ابن الثردة المقرى

وأنشدنى لنفسه من موشح :

يأيها النائم كم هذا الرقاد — انتبه كم نوم
انتبه من ذا الكرى ياذا الجماد — تلتحق بالقوم
وتأهب لغدٍ يوم المعاد — يا له من يوم
وافعل الخير لتحظى بالنجاح — لاتكن كسلان
واجتهد فالمجتهد يلقى الفلاح — ويرى الإحسان
قد تَقَضَّى العمر دع لهو الصبا — أيها الغافل
لا تكن ممن إلى الجهل صَبَا — تعس الجاهل
كل شيء تهب الدنيا هبَا — ليس بالطائل
كم حريص خلَّفَ الدنيا وراح — لابس الأكفان
وأخُو الفقر توفى واستراح — قلبُه التعبان

(٢٨٩)

أمير المؤمنين المكتفى بالله على بن أحمد

على بن أحمد بن طلحة بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب [1]

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٥١ ، وله ترجمة فى النجوم الزاهرة ١٦٢/٣ وذكر أن وفاته كانت فى ذى القعدة من سنة ٢٩٥ .

هو أمير المؤمنين المكتفى بالله ، ابن المعتضد ، ابن الموفق ، ابن المتوكل ، ابن المعتصم ، ابن الرشيد ، ابن المهدى ، ابن المنصور ، الهاشمى ، العباسى .

ولد سنة أربع وستين ومائتين ، وتوفى سنة خمس وتسعين ومائتين .

كان معتدل القامة ، درىَّ اللون ، أسود الشعر ، حسن الوجه .

بويع له بالخلافة عند موت[1] والده فى جمادى الأولى سنة تسع وثمانين ، وكانت أيامه ست سنين ونصفا ، ومات شابا فى ذى القعدة ، وخلف مائة ألف ألف دينار عينا ، وعقاراً وأوانى بمثلها ، وثلاثة وستين ألف ثوب ، وكان يلقب « المترف » لنعمة جسمه وحسنه ، وكان نقش خاتمه « اعتمادى على الذى خلقنى »

ومن شعره :

من لى بأن تعلم ما ألقى   فتعرف الصبوة والعشقا
ما زال لى عبدا ، وحبّى له   صيرنى عبدا له حقا
أعتق من رق ، ولكننى   من حبه لا آمن العتقا

وله أيضا :

تلطف فى رسولك يا أميرى   فإنى من رسولك فى غرور
أحمله رسالاتى فَيَنْسَى   ويبلغك القليلَ من الكثير
وأرسلُ مَنْ إذا لحظته عينى   حكى لى طرفُه مافى ضميرى
إذا كان الرسول كذا بليدا   تقطعت الجوانح فى الصدور

وفى المكتفى هذا يقول ابن المعتز :

قايست بين جمالها وفعالها   فإذا الملاحةُ بالخيانة لا تفى
والله لا كلَّمتها لو أنها   كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفى

---

(١) قال السيوطى : عهد إليه أبوه ، فبويع فى مرضه يوم الجمعة بعد العصر لإحدى عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين .

وما أحسن قول ابن سناء الملك :

وَمَلِيَّةٍ بالحسن يسخر وجهها بالبدر ، يهزأ ريقها بالقرقف
لا أرتضى بالشمس فى تشبيهها والبدر، بل لا أكتفى بالمكتفى

(٢٩٠)

أبو الحسن على بن الحسين الحريرى

على بن الحسين بن المنصور ، الشيخ أبو الحسن ، الحريرى [١]

قال الشيخ شمس الدين : شيخ الفقراء الحريرية أولى الطيبة والسماعات والمشاهد ، كان له شأن عجيب ، ونبأ غريب ، وهو حورانى من عشيرة يقال لهم « بنوالزمان » بقرية بُسْر [٢] ، وقدم دمشق صبياً ، ونشأ بها ، وذكر هو أنه من قوم يعرفون ببنى قرقر ، وكانت أمه دمشقية من ذرية الأمير قرواش بن [المقلد بن] المسيب العقيلى [٣] ، وكان خاله صاحب دكان فى الصاغة ، توفى والده وهو صغير ، ونشأ فى حجر عمه ، وتعلم صناعة العتابى ، وبرع فيها ، حتى فاق الأقران ، ثم صحب الشيخ أبا على المغربل خادم الشيخ رسلان .

قال الحافظ سيف الدين بن المجد : على الحريرى ، ولى أرض الجبل ، ولم يمكنه المقام به ، والحمد لله ، كان من أفتن شىء وأضره على الإسلام ، يظهر منه الزندقة والاستهزاء بأوامر الشرع ونواهيه ، بلغنى من الثقات عنه أشياء يستعظم

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٢٣١/٥ واسمه هناك « أبو محمد على بن أبى الحسن بن منصور » وذكر من أحواله ما لا يخرج عما ذكره المؤلف هنا ، وذكره الذهبى فى وفيات سنة ٦٤٥ قال « والشيخ على الحريرى ، فى رمضان ، عن سن عالية » اهـ وله ترجمة فى النجوم الزاهرة ٣٦٠/٦ وفى ذيل الروضتين فى حوادث سنة ٦٤٥ ، وفى تاريخ ابن كثير ١٧٣/١٣

(٢) فى ب ، ث « بشر » بالشين المعجمة ، وأثبتنا ما فى النجوم والشذرات ، وبسر – بضم الباء وسكون السين المهملة – قرية من أعمال حوران من أراضى دمشق

(٣) توفى قرواش هذا فى سنة ٣٩١ وكان صاحب الموصل

ذكرها من الزندقة والجراءة على الله تعالى ، وكان مستخفا بأمر الصلاة وانتهاك الحرمات .

ثم قال : حدثنى رجل أن شخصاً دخل الحمام ، فرأى الحريرى فى الحمام ومعه صبيان حسان بلا مآزر ، فجاء إليه وقال : ما هـذا ؟ فقال : كان ليس سوى هذا ، وأشار إلى أحدهم : تَمَدَّد على وجهك ، فتمدد ، فتركه الرجل وخرج هاربا مما رأى .

قال الشيخ شمس الدين : رأيت جزءا من كلامه من جملته : إذا دخل مريدى بَلَدَ الروم فتنصر وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر كان فى شغلى ، وسأله رجل : أى الطرقات أقرب إلى الله تعالى حتى أسير فيه ؟ فقال له : اترك السير وقد وصلت ، وهذا مثل قول العفيف التلمسانى رحمه الله :

فَلَسَوْفَ تعلم أن سيرك لم يكن إلا إليـك إذا بلغت المنزلا

وقال لأصحابه : بايِعُونى على أن نموت يهود ونحشر إلى النار حتى لايصاحبنى أحد لعلة ، وقال : ما يحسن بالفقير أن ينهزم من شىء ، وإذا خاف من شىء قصده ، وقال : لو قدم علىّ مَنْ قتَلَ ولدى وهو بذاك طيب كنت أطيب منه .

ومن شعره فى ذلك الجزء[1] :

أمرد يقدم مداسى أخـــير من رضوانـكم
وربع قحبة عندى أحسن من الولدان
قالوا أنت تدعى صالح دع عنك ذى الزندقه
قلت السماع يصلح لى بالشمع والمردان
ما أعرف لآدم طاعة إلا سجود ملائـكه
وما أعرف آدم عصى ربه بعظم الرحمان

---

(١) ليس هذا بشعر ، ولـكنه قىء طفحت به السوداء على لسانه .

إن كنت أفخج تقدم وإن كنت رماح انتبه
وإن كنت حشو المخدّه اخرج ورد البالى
وأنا أشتهى قبل موتى أعشق ولو صورة حجر
أنا متكل محير والعشق بى مشغول

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

كم تتعبنى بصحة الأجساد كم تسهرنى بلذة الميعاد
جُدْ لى بمدامة تقوّى رمقى والجنة جد بها على الزهاد

وكان يلبس الطويل والقصير والمدور والمفرج والأبيض والأسود، والقلنسوة وحدها، وثوب المرأة، والمطرز والملون .

وذكر بهاء الدين يوسف بن أحمد العجمى أنّ القاضى مجد الدين بن العديم حَدَّثه عن أبيه قال : كنت أكره الحريرى وطريقه، فاتفق أنى حججت وحج الحريرى ومعه جماعة ومُرْدان ، فأحرموا وبَقُوا تبـدو منهم فى الإحرام أمور منكرة ، فحضرت يوما عند أمير الحاج ، فجاء الحريرى ، واتفق حضور إنسان بعلبكى ومعه ملاعق ، ففرق علينا كل واحد منا ملعقتين ، وأعطى الشيخ على الحريرى واحدة ، فأعطاه الجماعة ملاعقهم تكرمة له ، وأما أنا فلم أعطه ملعقتى ، فقال لى : يا كمال الدين ، لم لا توافق الجماعة ؟ فقلت : ما أعطيك شيئا ، فقال : الساعة نكسرهما ، قال : والملعقتان على ركبتى ، قال : فنظر إليهما وإذا بهما قد انكسرتا كل واحدة شقتين ، فقلت : ومع هـذا فلا أرجع عن أمرى فيك ، وهذا من الشيطان ، أو قال : هذا حال شيطانى

وذكر النسابة فى تعاليقه قال : وفى سنة ثمان وعشرين وستمائة أمر الصالح بطلب الحريرى واعتقالِهِ ، فهرب إلى بروسة لأن ابن الصلاح وابن عبد السلام وابن الحاجب أفْتَوْا بقتله لما اشتهر عنه من الإباحة وقَذْف الأنبياء والفسق وترك الصلاة ، وقال الملك الصالح : أنا أعرف منه أكبر من هـذا ، وسَجَن الوالى

جماعةٌ من أصحابه ، وتبرأ منه أصحابه ، وشتموه ، ثم طلب وحبس بغرفا[1] ، فجعل أناس يتردّدون إليه ، فأنكر الفقهاء ذلك ، وسألوا الوزير ابن مرزوق أن يعمل الواجب فيه ، وإلا قتلناه نحن ، وكان ابنُ الصلاح يدعو عليه فى أثناء كل صلاة بالجامع جهرا ، وكتب جماعة من أصحابه بالبراءة منه .

ولما مات سنة خمس وأربعين وستمائة سنّ أصحابه المحيا فى شهر رمضان كل ليلة سبعة وعشرين ، وهى من ليالى القدر ، فيُحْيُون تلك الليلة الشريفة بالدفوف والشبابات[2] والملاح وبالرقص إلى السحر ، وفى ذلك يقول علاء الدين الوداعى :

حاز الحريرىّ فضلا لميت ما تهيا
فى كل ليلة قدر يرى له الناس محيا

وفيه يقول سيف الدين المشد :

سمعت بأنّ حبركُمُ عليا حباه الله منه بالحبور
إذا حضر السماع يتيه عجبا بما أوتيه من عزم الأمور
فلا تولوه تعنيفا ولوما فما تدرون أسرار الصدور
ومن ذا فى السماع له مقام إذا سمعت مقامات الحريرى

ورثاه النجم ابن إسرائيل بقصيدته التى أوّلها :

خَطْبٌ كما شاء الإلهُ جليلُ ذُهِلَتْ لديه بصائر وعُقُولُ
ومصيبة كسفت لها شمس الضحى وهفا ببدر المكرمات أفول

---

(١) فى ابن كثير ١٢٨/١٣ فى حوادث سنة ٦٢٨ «وفيها حبس الملك الأشرف الشيخ على الحريرى بقلعة عزتا » وكرره فى ترجمته ١٧٣/١٣

(٢) الشبابة ـ بتشديد الباء ـ قصبة الزمر (تسمى فى مصر بالزمارة) وفيها يقول المشد :

ومطرب قد رأينا فى أنامله شبابة لسرور النفس أهلها
كأنه عاشق وافت حبيبته فضمها بيديه ثم قبلها

وكبَاَ زنادُ المجد وانفصمت عرى الـــعلياء واغتال الفضائلَ غُولُ[١]

وتنكرت سبل المعارف ، واغتدت غفلا ، وأقفر ربعها المأهول

ومضت بشاشة كل شىء ، وانقضت فالوقت قبض ، والزمان عليل

وعلا ملاحاتِ الوجود سماجةٌ وخفيف تلك الكائنات ثقيل

والروض غـــبر والمياه أواجن ومعاطف الأغصان ليس تميل

والشمع والألحان لا نور ولا طرب ، وليس على الشمول قبول

خطب ألمَّ بكل قطـــر نعيُهُ كادت له شم الجبال تزول

فعلى المعالى والعلوم كآبة وعلى الحقائق ذلة وخمــول

والسالكون سَطَتْ عليهم حيرة وغوى لهم نهج ، وضل سبيل

والعارفون تنكرت أحوالهم فحجاب عين قلوبهم مسدول

ودنان خمر الحب قد ختمت وباب الحان مهجور الْفنَا مملول

ما كنت أعلم والحوادث جمة والناس فيهم عالم وجهول

أن الدجى لبس الحداد توقعا لمصابه قدما ، وذاك قليــــل

أو أن صَوْبَ المزن حين هَمَا على عفر الثرى دمع عليه يسيل

أو أن صوت الرعد حَنة فاقد فَقَدَ العلى فله عليــه عويل[٢]

أو أن قلب البرق يخفق روعةً لسماع ما ناعِى عُلاَهُ يقول

أما منايا أوحـــد العصر الذى ما إن له فيمن نراه عديل

يا سيدا ملك القلوب فــكلها عن حق طاعة أمره مسئول

من يبرد المهجَ الحِرَارَ ومن لها ببلوغ آمال الوصال كفيل

---

(١) كبا الزند : قدح فلم يخرج ناراً ، وانفصمت ـ بالفاء ـ انقطعت ، والعرى : جمع عروة ، ووقع فى ب ، ث « وانقصمت » ـ بالقاف ـ والعبارة المستعملة فى كلام الشعراء والأدباء كما أثبتنا بالفاء .   (٢) فى ب ، ث « جنة فاقد »

أَمَّنْ يدل السالكين إلى حمى ليلىٰ وقد ضل السبيلَ دليلُ
أَمَّنْ يقول الحق لا متخوفا حيث النفوس على السيوف تسيل[١]
أَمَّنْ يحل المشكلات بلفظه يرضى بها المنقول والمعقول
أَمَّنْ يفى بضمان جار مدامة حبل النجاة بدونها موصول
أَمَّنْ يبيح المفلسين سُلَافها ويجول بين دنانها ويصول[٢]
أَمَّنْ يهيم به الجمـــال صبابة فكأنما رب الجمال حميل[٣]
يصبو إليه قلب مَنْ هو عند أر باب القلوب معشق مقبول
مِنْ كل فتاك اللواحظ مارَنَا إلا تشحَّطَ فى الدماء قتيـل
نشوان عسال المعاطف فاتر الأ جفان خمرُ رُضابِهِ معسول
أهواه لا يصغى لقول مفند أبدا ، ولا يثنيه عنـه عذول
وغريرة الألحاظ ناعمة الصبا ريا الإزار ، وخصرها مهزول
حوراء مائسة المعاطف طرفُهَا سيف على عشاقها مسلول
كل يهيم بحبه ، وكذاك مَنْ ملك الإرادة أمره المفعول
مولاى ، دعوة من دعته مصيبة غطت عليـــه فعقله معقول
حاشا عُلاكَ من الممات ، وإنما هى نُقْلَةَ فيها المنى والسول
ناداك مَنْ أحببته فأجبتـــه وأتاك منه بالقبول رسول
وحننت نحو حماك حَنَّةَ صادق لم يقتطعه عن حماك بديل
فخلعت هيكلك السعيد مطهرا تبدو عليـــه نَضْرة وقبول
جسد خلا وحلا وخَفَّ كأنما قد ضم منه الحامل المحمول

---

(١) النفوس هنا : الدماء ، هى التى تسيل على حد الظباة .
(٢) السلاف ـ بضم السين المهملة ، بزنة الغراب ـ اسم من أسماء الخمر .
(٣) الحميل : الضامن .

حتى حلت محلك الأعلى الذى ما بعده بُعْـــد ولا تحويل
فهناك عرس للوصال مجدد وسعادة تبقى ، وليس تزول
جادت ثَرَاكَ من السحائب ثَرَّةٌ وكفت دموع قد وكفن همول
وتعاهداك تحية وكرامة منه يروح بها صَباً وقَبُولُ
وعدت علينا من حماك تحية وبحسبنا من تربك التقبيل

واتفق أن ليلة وفاته كانت شاتية مثلجة ، فقال ابن إسرائيل رحمه الله :

بكت السماء عليـه ساعة دفنه بمدامع كاللؤلؤ المنثـــور
وأظنها فرحت بمصعد روحه لمـــا سمت وتعلقت بالنور
أو ليس دَمْعُ الغيث يهمى باردا وكذا تـكون مدامع المسرور

(٢٩١)

أبو الحسين على بن الحسين المسعودى المؤرخ

على بن الحسين بن على[1] ، أبو الحسين ، المسعودى ، المؤرّخ ، من ذرّية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

قال الشيخ شمس الدين : عداده فى البغداديين ، وأقام بمصر مدّة ، وكان إخباريا عَلاَّمة صاحب غرائب وملح ونوادر .

مات سنة ست وأربعين وثلثمائة .

وله من التصانيف كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجوهر » فى تحف الأشراف والملوك ، وكتاب « ذخائر العلوم ، وما كان فى سالف الدهور » وكتاب « الرسائل والاستذكار ، بما مرّ فى سالف الأعصار » وكتاب « التاريخ فى أخبار

---

(١) له ترجمة وجيزة فى شذرات الذهب ٢/٣٧١ ، واسمه هناك « أبو الحسن على بن أبى الحسن » وذكر وفاته فى سنة ٣٤٥ وذكره الذهبى فى وفيات سنة ٣٤٥ فى جمادى الآخرة ، وله ترجمة فى النجوم الزاهرة ٣/٣١٥ واسمه « على بن الحسين ابن على ، أبو الحسن » كما هنا إلا فى الكنية ، والمشهور فى كنيته «أبو الحسن» وله ترجمة فى الفهرست ٢١٩ مصر ، وفى كشف الظنون ١/٤٩ بولاق ، ووصف كتابه « أخبار الزمان» وقد ترجمناه فى صدر كتابه « مروج الذهب» بتحقيقنا .

الأمم من العرب والعجم » وكتاب «التنبيه والإشراف » وكتاب «خزائن الملوك ، وسر العالمين» وكتاب «المقالات ، فى أصول الديانات » وكتاب « أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان» وكتاب «البيان فى أسماء الأئمة» وكتاب «الخوارج» والله أعلم .

(٢٩٢)

أبو الفرج على بن الحسين بن هندو، الشاعر

على بن الحسين بن هندو ، أبو الفرج ، الكاتب ، الأديب ، الشاعر[١] .

له رسائل مدونة ، وكان أحد كتاب الإنشاء فى ديوان عضد الدولة ، وكان متفلسفاً ، قرأ كتب الأوائل على على بن الحسن العامرى بنيسابور ، ثم على أبى الخير بن الخمار[٢] ، وكان يلبس الدراعة على رسم الكتاب .

وكانت وفاته بجرجان فى سنة عشرين وأربعمائة .

وكان به ضرب من السوداء ، وكان قليل القدرة على شرب النبيذ ، فاتفق أنه كان يوما عند أبى الفتح بن أحمد كاتب قابوس ، فتناشدوا الأشعار ، وحضر الغداء فأكلوا وانتقلوا إلى مجلس الشراب ، فلم يطق ابن هندو المساعدة على ذلك ، فكتب فى ورقة ودفعها إليه :

قد كفانى من المدام شميم   صالحتنى النهى ، وتاب الغريم

هى جهد العقول سُمِّىَ راحا   مثل ما قيل للديغ سليم

إن تكن جنة النعيم ففيها   من أذى السكر والخمار جحيم

فلما قرأها ضحك ، وأعفاه من الشراب .

ومن شعره :

أرى الخمر ناراً والنفوس جواهرا   فإن شربت أبدت طباع الجواهر

---

(١) له ترجمة فى يتيمة الدهر (٣/٣٩٤ بتحقيقنا) ووقع هناك « أبو الفرج ابن هندو ، وهو الحسين بن محمد بن هندو » وهو خطأ صوابه ما هنا ، وله ترجمة واسعة فى طبقات الأطباء (١/٣٢٣) سماه فيها عليا ، ونقل أكثر ما ذكره الثعالبى من شعره .

(٢) ابن الخمار : هو الحسن بن سوار بن بابا

فلا تفضحنّ النفس يوما بشربها إذا لم تثق منها بحسن السرائر

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

عابوه لمـــا الْتَحَى فقلنا عبتم وغبتم عن الجمال
هـــذا غزال ولا عجيب تولّدُ المسك فى الغزال[1]

وقال :

حلت وَقَارِىَ فى شادن عيون الأنام به تعقـــد[2]
غدا وجهه كعبةً للجمال ولى قلبه الحجر الأسود

وله :

ضعت بأرض الرىِّ فى أهلها ضياع حرف الراء فى اللثغه
صرت بها بعـــد بلوغ المنى أجهد أن تبلغ بى البُلْغَهْ

وقال :

لا يُؤْيِسَنّكَ عن مجد تباعُدُهُ فإن للمجد تدريجا وترتيبا[3]
إن القناة التى شاهدت رفعتها تنمى وتنبت أنبوبا فأنبوبا

وله :

وســاق تَقَلّدَ لما أتى حمائلَ زقٍّ ملاه شمولا
فلله درك من فارس تقلد سيفا يَقُدُّ العقولا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

كل مالى فهو رَهْنٌ مَالَهُ من فكاك فى مساء وابتكار
ففؤادى أبدا رَهْنُ هوى وردائى أبدا رهن عقـــار

---

(١) أصل هذا المعنى من قول أبى الطيب المتنبى :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

(٢) فى ب « حلت رقادى »

(٣) فى ب « لاينسئنك » أى لايؤخرك ، وهى جيدة ، وفى يتيمة الدهر « لايوحشنك من مجد » .

فدع التفنيد يا صاح لنا ... إنمــا الربح لأصحاب الخيار[1]
لو ترى ثوبىَ مصبوغاً بهـا ... قلت ذِمِّيًا تبدَّى فى غيار[2]
ولقد أمرح فى شرخ الصبا ... مَرَحَ المهرة فى ثنى العذار

وله :

كفى فؤادى عذابُهُ حَرَقَهْ ... وكف عين بدمعها غرقه
ما خط حرف من العذار به ... إلا محا من جمـاله ورقه

وله :

يا من محياه كاسمه حَسَنُ ... إن غاب عنى فليس لى وَسَنُ
قد كنت قبل العذار فى محن ... حتى تبدّى فزادت المحنُ
يا شَــعَرَات جميعها فتن ... يتيه فى وصف كُنهها الفطن
ما غيروا من عــذاره سَفَهاً ... قد كان غصناً فأورق الغصن

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

أوحى لعارضــه العذار فما ... أبقى على وَرَعى ولا نسكى
وكأن نمــلا قد دبين به ... غمست أكارعهنّ فى مسك

وقال :

قولوا لهذا القمر البادى ... مالك إصلاحى و إفسادى
زَوِّدْ فؤاداً راحلاً قُبْلَةً ... لا بدّ للرّاحل من زاد

وله :

قالوا : اشتغل عنهمُ يوماً بغيرهِم ... وخادع النفس إن النفس تنخدع

---

(١) التفنيد : التكذيب .

(٢) الغيار ـ بكسر الغين ـ علامة لأهل الذمة يشدونها على أوساطهم ليعرفوا بها

قد صيغ قلبي على مقدار حبهم فما لحب ســواه فيه مُتَّسَعُ

قال الثعالبي : قد اتفق لى معنى بديع لم أقدر أنى سبقت إليه ، وهو :

وقد كست جسمى الضنى ملابس الصب الغزل

إنسانة فتــانة بدر السما منهــا خجل

إذا زَنَتْ عينى بهــا فبالدموع تغتســل

حتى أنشدوا لابن هندو :

يقولون لى ما بال عينك إذ رأت محاسن هـذا الظبى أدمعها هطل [(1)]

فقلت : زَنَتْ عينى برؤية وجهه فكان لها من صَوْبِ أدمعها غُسْلُ

[وهذا البيت مخالف للذى قبله فى الروى ، وهـذا وجد بالأصل]

وما أحسن ما استعمل السراج الوراق هذا المعنى فقال :

ودموعى فى إثرهن دماء كانسكاب الولىِّ بعد الوسم

يترا كضن بين شهب وحمر والغوانى يبكين حولى بدهم

وزناء العيون تطهيره من شهب الدمع فى الظلام برجم

وقال العقيل الشريف رحمه الله تعالى :

افتض حمرة خدّه باللحظ طرفى إذ رنا

فجلدته بدموعه والحـد يلزم مَنْ زنا

وقال سيف الدين المشدّ رحمه الله تعالى :

تنبأ دمعى فى ضلالة شعره ألم تره فى فترة الجفن يرسل

إذا ما زنى إنسانُ عينى بنظرة إلى حسنه يوماً فبالدمع يغسل

---

(١) وقع فى اليتيمة «مابال عينيك مذ رأت»

(٢) أثبتنا عجز هذا البيت عن اليتيمة ، وقد وقع فى أصول هذا الكتاب عجزه هكذا « جهارا ورجم الدمع حد المحصن » وهو فاسد المعنى والوزن والروى ، ولهذا يقول المؤلف «وهذا البيت مخالف للذى قبله فى الروى ، وهذاوجد بالأصل» ولعل هذه العبارة من هوامش أثبتها بعض قراء الأصل بهامش النسخة ثم أدخلت فى الأصل

وقال السراج الورّاق رحمه الله تعالى :

يا نازحَ الطيف مُرْنومى يعاودنى   فقد بكيت لفقد النازحين دَمَا
أوجبت غسلا على عينى بأدمعها   فكيف وَهْىَ التى لم تبلغ الحُلُمَا

وقال العفيف التلمسانى رحمه الله تعالى :

قالوا : أتبكى مَنْ بقلبك دارُهُ   جهل العواذل داره بجميعى
لم أبكه لكن لرؤية حسنه   طَهَّرْتُ أجفانى بفيض دموعى

والأصل فى هذا قول مجنون ليلى :

يقول رجال الحى : تطمع أن ترى   بعينك ليلى مت بداء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها   سواها وما طهرتها بالمدامع ؟

ولابن هندو من المصنفات كتاب « مفتاح الطب » « المقالة المشوقة فى المدخل إلى علم الفلك » كتاب « الهمم الروحانية ، من الحكم اليونانية » و « الوساطة بين الزناة واللاطة » هزلية ، وديوان شعره .

(٢٩٣)

على بن الحسين العقيلى

على بن الحسين بن حيدرة بن محمد بن عبد الله بن محمد العقيلى ، ينتهى إلى عقيل ابن أبى طالب[١] .

ذكره ابن سعيد فى كتاب « المغرب » وساق له قطعة كبيرة من شعره ، وله أرجوزة طويلة ناقض فيها ابن المعتز فى أرجوزته التى ذم فيها الصَّبُوح ومدح الغَبُوق[٢] ، ومن شعره :

استجل بكرا عليها   من الزجاج رداء

---

(١) لم أعثر له على ترجمة أخرى فيما بين يدى من كتب الرجال

(٢) الصبوح ـ بفتح الصاد ـ الشرب فى الصباح ، والغبوق ـ بفتح الغين ـ الشرب فى المساء

فوجه يومك فيه من الملاحة ماء[١]

وله :

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء ولا تضحى ضحى إلا بصهباء[٢]

أدرك حجيج الندامى قبل نفرهم إلى منى قصفهم مع كل هيفاء

وعُجْ على مكة الروحاء مبتكراً وطف بها حول ركن العود والناء

وله :

وقائل : ما الملك؟ قلت : الغنى فقال : لا ، بل راحة القلب

وصَوْنُ ماء الوجه عن بذله فى نيل ما ينفد عن قرب

وله :

قم هاتها وردية ذهبية تبدو فتحسبها عقيقاً ذاباً

أو ماترى حسن الألد كأنه لما تبدّى حاجباً قد شابا

وله :

وبركة قد أفادنا عجباً ما عاج من مائها وما أنسكبا

من حول فوارة مركبة قد انحنى ظهر مائها تعبا

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

ولما أقلعت سفن المطايا بريح الوجد فى لجج السراب

جرى نظرى وراءهمُ إلى أن تكسر بين أمواج الهضاب

وهات زواهر الكاسات ملأى إلى الحافات بالذهب المذاب

فكير الجو يوقد نار برق إذا خمدت تدخّنُ بالضباب

وقال :

يا من يدلّسُ بالخضاب مشيبه إنّ المدلس لا يزال مريباً

(١) فى ب «فوجه لومك فيه»

(٢) الصهباء : من أسماء الخمر

هب ياسمين الشيب عاد بنفسجا أيعود عرجون القوام قضيباً

وله :

أذهبت فضة خدهِ بعتابى ونثرت در دموعه بخضابى[١]
ظبى جعلت كِنَاسَه قلبى فلم أعقل لصيد سواه قبل طلابى[٢]
فزَهَى علىّ ومر يسحب ذيله بين التكبر منه والإعجاب
فحلفت أنى إن ظفرت بخده لأرصعن مدامه بحباب

وقال أيضاً عفا الله عنه :

أشرف على ذهبية صفراء كالذهب المذاب
فالجلّنار حـلوقه قدغاب فى مسك الضباب

وقال :

أعتق من الهم رقّ قلبى بعاتق ثوبها الزجاج
بين رياض مزخْرَفات للماء فى خلجها اختلاج
فليس يدنو إليك غصن بمفرق ليس فيه تاج

وله :

يا ذا الذى يبسم عن مثل ما لاُحه يلمع فى عقــده
ومن له خدّ غدا حائزا شقائق النعمان من وَرْدِهِ
أثن عنان الهجر عن عاشق قد طال ركض الدمع فى خده

وقال :

سوالف سوسن وخدود ورد وأعين نرجس وجِباه غَدْرِ

---

(١) يريد كان خده أبيض كالفضة فصيره بالعتاب أحمر
(٢) الكناس — بكسر الكاف ـ مسكن الظباء

محاسن ليس ترضى عن نديم إذا لم يقض واجبها بشكر

وقال :

قد أوقد الزهر مصابيحه وصير القُضْبَ فوانيسا

فَأَغْنِ بالراح ندامى غَدَوْا من المسرات مفاليسا

ما دام قد صار نعام الربى من نعم السحب طواويسا

وقال :

أهيف يستعطف لحظ الفتى إن كان غضبان بأعطافه

إذا التثنى عَصَفَتْ ريحه تلاطمت أمواج أردافه

وقال :

والأقحوان غصونه بيض النواصى والمفارق

ومراود الأمطار قد كحلت بها حَدَقُ الحدائق

وقال :

مُنَعَّمٌ حلية اللحاظ إذا أقبل تجرى إليه فى طَلَقِ(١)

كأنما وجهه لكثرة ما فيه من الحسن موسم الحَدَقِ

وقال :

أَنِرْ بصبح الوصل عيشى فقد صيره ليل القِلَى مظلما(٢)

وارث لمن أفلاكُ أجفانِهِ تُطْلِعُ من أدمعه أنجما

وقال :

ألذ مودّاتِ الرجال مذاقةً مودة من إن ضَيّقَ الدهرُ وسّعَا

(١) فى ب ، ث « نعم حلية اللحاظ » ولا يتم به وزن البيت

(٢) أنر : أمر من الإنارة ، ووقع فى ب «أثر» تحريف

فلا تلبس الود الذى هو ساذج إذا لم يكن بالمكرمات مرصعا

وقال :

ناحت فواخت سحب وكرها الفلك بكاؤها لطواويس الربى ضحك

وأنجم النبت تُجْلَىٰ فى ملابسها جيد السماء التى أقمارها البرك

والورد ما بين أنهــار مدرّجة كأنه شفق من حوله حبك

فَسَقِّنَا من عصير الـكرم صافية كأنهــا الذهب الإبريز منسبك[1]

يبدى المزاج على حافاتها حَبَبًـا كأنه من حرير أبيض شبك[2]

وقال :

رشأ ينعم العيون بما فى خدّه من شقائق النعمان

ما التقى حسنه بنا قَطُّ إلا ردنا عن محجة السلوان

وقال :

جعلت مهجتى الفداء لغصن إن تثنى تُثْنَى القلوب إليه

كلما لاح وجهه فى مكان كثرت زحمة العيون عليه

وقال :

قَطَّع قلبى بمدية التيه وذَرَّ عن ملح صده فيه

ولفه فى رقاق جفوتهِ وقطع البقل من تجنيه

وقال لى كل فقلت آ كل ما أمرض قلبى به وأوذيه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

نحن المحاسن فى الدنيا إذا سفرت حتى إذا ابتسمت كنا ثناياها

---

(١) فى ب ، ث «فسقيتا من عصير الـكرم» تحريف

(٢) الحبب : فقاعات الماء التى تطفو على وجه الخمر إذامزجت بالماء

حلى به ما رأى جيد الزمان له   قلائد هى أبْهى من سجاياها
لم يخلق الله شيئاً قط أكثر من   حاجات قصادها إلا عطاياها

(٢٩٤)

على بن داوود بن يحيى بن جنادة

على بن داوود [١] بن يحيى بن كامل بن يحيى بن جنادة [٢] بن عبد الملك ، ينتهى نسبه إلى الزبير بن العوام ، الشيخ ، الإمام ، العلامة ، الفريد ، الكامل ، نجم الدين أبو الحسن بن القاضى عماد الدين القرشى القحفازى

شيخ أهل دمشق فى عصره خصوصاً فى العربية ، قرأ عليه الطلبة ، وانتفع به الجماعة ، وله النظم والنثر والكتابة المليحة الفائقة ، وله التنكيت الحلو والنوادر الظريفة والحكايات المطبوعة

سمعته يوما يقول لمنصور الكتبى رحمه الله تعالى : يا شيخ منصور ، هذا أوان الحجاج ، اشترى لك منهم مائتى جراب وارميها خلف ظهرك إلى وقت موسمها تكسب فيها جملة ، فقال : والله الذى يشتغل عليك فى العلم يحفظ جرابا قدره عشر مرات

وأنشد يوما للجماعة الذين يشتغلون عليه لغزا وهو :

يا أيها الحبر الذى   علم العروض به امتزج
أبن لنا دائرةً   فيها بَسِيطٌ وهزج

ففكر الجماعة زماناً ، فقال واحد منهم : هذه الساقية ، فقال : دُرْتَ فيها زمانا حتى ظهرت لك ، يريد أنه ثور يدور فى الساقية .

وقيل : إنه لما عمر الأمير سيف الدين تنكز — رحمه الله تعالى ! — الجامع الذى بدمشق المحروسة عَيَّنُوا له شخصا من الحنفية يلقب بالكشك يكون خطيبا ، فلما كان يوم وهو يمشى فى الجامع أجْرَوْا له ذكر الشيخ نجم الدين القحفازى ،

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٦ / ١٤٣ وذكر وفاته فى رابع عشرى رجب من سنة ٧٤٥ هـ وفى بغية الوعاة ٣٣٧

(٢) فى شذرات الذهب «بن جبارة» وكذلك فى بغية الوعاة

وذ كروا فضائله ، وأنه فى الحنفية مثل الشيخ كمال الدين بن الزملكانى فى الشافعية ، فأحضره ، وتحدثا ، ثم قال له وهم فى الجامع وهم يمشون : ما تقول فى هذا الجامع ، فقال : مليح ، وصحن مليح ، ولكن ما يليق أن يكون فيه كشك ! فأعجب ذلك الأمير سيف الدين تنكز ، ورسم له بخطابة الجامع المذكور ، ثم بعد مدة رسم له بتدريس الركنية ، فباشرها مدّة ، ثم نزل عنها ، وقال : لها شرط لا أقوم به ، ومعلومها فى الشهر جملة ، تركه تورعا .

وكان يعرف الاصطرلاب ، ويَحُلُّ التقاويم ، وكان فريد عصره ، وكان يشتغل فى مذهب الحنفى ، وفى مختصر ابن الحاجب ، وفى الحاجبية ، والمقرب ، ويعرفهما جدًا إلى الغاية ، وفى « ضوء المصباح » وغيره من كتب المعانى والبيان .

مولده ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثمان وستين وستمائة ، ووفاته فى شهور سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

ومن شعره فى جارية اسمها قلوب :

عاتبنى فى حبكم عاذل ... يزعم نصحى وهوفيه كذوب
وقال ما فى قلبك اذكره لى ... فقلت فى قلبى المعنًّى قلوب

وقال رحمه الله تعالى فى نحوى :

أضمرت فى القلب هَوَى شادنٍ ... مُشْتَغِـل بالنحو لا يُنْصِفُ
وَصَفْتُ ما أضمرت يوما له ... فقـال لى : المضمر لا يوصف

ولما ظفر قازان سنة تسع وتسعين وستمائة جاء فى سنة اثنتين وسبعمائة فكسر، وقازان اسم القِدْرِ ، قال الشيخ نجم الدين :

لما غدا قازان فخارا بمـا ... قد نال بالأمس وأغراه البطر
جاء يُرَجِّى مثلهـا ثانية ... فانقلب الدست عليه فانكسر

وقال عند قدوم الحاج ، وأنشدته بدار الحديث الأشرفية :

يانياق الحجيج لاذُقْتِ سهدا　　بعدها لا ولا تجشمت جهدا
لافدَيْنَا سواك بالروح منا　　أنت أولى من بات بالروح يفدى
يا بنات الذميل كيف تركتُنَّ شعاب الغضا وسَلْعاً ونجدا
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا　　بوجوه رأت معالم سُعْدَى

ولما ذهب بدر الدين بن نصحاف مع الجفال إلى مصر أقام هناك فكتب إليه :

يا غائبا قد كنت أحسب قلبه　　بسوى دمشق وأهلها لا يَعْلَقُ
إن كان صدك نيل مصر عنهم　　لا غرو فهو لنا العدو الأزرق

وكان فى فقهاء الشافعية شخص يسمى شهاب الدين النفحيرى وينظم شعراً فى زعمه ، فعمل أبياتاً فى شخص كان يحبه وكتبها إليه أولُها :

أيها المعرض لا عن سبب　　أصلحك الله وصالى الأرب

وفى هذا ما يغنى عن باقيها ، فكتب إليه :

يا شهابا أهدى إلى قريضا　　خاليا من تعسف الألغاز
جاءنى مؤذنا برقة طبع　　حين رشَّحْته بباب المجاز
إن تكن رمت عنه منى جزاء　　فَأَقِلْنِى فلست ممن أجازى

ومن شعر شهاب الدين المذكور رحمه الله تعالى :

يا سن باشع ؟ إنى بينكم وسط　　مذبذب لا إلى هنا ولا ثمَّتْ
وفى القيامة عَلَاْعراف منقعد　　وأنتظر منكمُ من يدخلُ الجنّتْ
فإن دخلتم فإنى داخل معكم　　وإن مُنِعتُمْ فإنى قاعدٌ مُسْكَتْ

(٢٩٥)

على بن ظافر بن حسين الفقيه

على بن ظافر بن حسين الفقيه ، الوزير جمال الدين أبو الحسن الأزدى ، المصرى ابن العلامة أبى منصور [١] .

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت ١٢ / ٢٦٤ وذكر وفاته فى منتصف شعبان من سنة ٦١٣ وأنه وزر للملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب.

ولد سنة سبع وستين وخمسمائة ، وتفقه على والده

توفى سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

قرأ الأدب وبرع فيه ، وقرأ على والده الأصول ، وبرع فى علم التاريخ وأخبار الملوك ، وحفظ فى ذلك جملة وافرة ، ودرس بمدرسة المالكية بمصر بعد أبيه ، وترسل إلى الديوان العزيز ، وولى وزارة الملك الأشرف ، ثم انصرف ودخل مصر ، وولى وكالة بيت المال مدة ، وكان متوقد الخاطر ، طَلْق العبارة ، ومع تعلقه بالدنيا كان له ميل كبير إلى أهل الآخرة ، محباً لأهل الدين والصلاح .

أقبل فى آخر عمره على مطالعة الأحاديث النبوية ، وأدْمَنَ النظر فيها ، روى عنه القوصى وغيره ، وله تآليف : منها « الدول المنقطعة » وهو كتاب مفيد جداً فى بابه ، و« بدائع البدائه » والذيل عايه ، و« أخبار الشجعان » و« أخبار الملوك السلجوقية » و « أساس السياسة » و « نفائس الذخيرة » ولم يكمل ، ولو كمل ما كان فى الأدب مثله ، وكتاب تشبيهات ، وكتاب من أصيب [1] ، وابتدأ بعلى رضى الله عنه ، وله غير ذلك .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

إنى لأعجب من حبي فأ كتمه	جهدى وجفنى يفيض الدمع يعلنه
وكون من أنا أهواه وأعشقه	يخرب القلب عمدا وهو يسكنه
وأعجب الكل أمرا أنّ مبسمه	من أصغر الدر جرما وهو أثمنه

---

(١) فى المعجم « كتاب من أصيب بمن اسمه على » وأحسبه تحريف « ممن اسمه على »

وقال أيضاً :

كم من دم يوم النوى مطلول بين رسوم الحى والطلول
بانوا فلا جسم ولا ربع لهم إلا رماه البين بالنحول
يا راحلين والفؤاد معهم مسابق فى أول الرعـــيل
ردوا فؤادى عندكم ما باعكم إياه إلا طرفى الفُضُــولِى
ورُبَّ ظبى منكم تخاف من سطوة عينيه أسود الغيل
أنار منه الوجْهُ حتى كدت أن أقول ، لولا الدين ، بالحلول
ينقص بالعلة كل كامل فى الحسن غير لحظه العليل

وقال فى « بدائع البدائه »(١) : اجتمعنا ليلة من ليالى رمضان بالجامع ، فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث ، وقد أوقد فانوس السحور، فاقترح بعض الحاضرين على الأديب أبى الحجاج يوسف بن على بن(٢) المنبوز بالنعجة أن يصنع فيه ، و إنما طلب بذلك إظهار عجزه ، فصنع وأنشد :

ونجم من الفانوس يشرق ضوؤه ولـكنه دون الـكواكب لا يسرى
ولم أر نجما قَطُّ قبل طلوعه إذا غاب يَنْهَى الصائمين عن الفطر

فانتدبْتُ له من بين الجماعة ، وقلت له : هذا التعجب لا يصح ؛ لأنا قد رأينا نجوماً لا تدخل تحت الحصر ولا تحصى بالعد إذا غابت تنهى الصائمين عن الفطر وهى نجوم الصباح ، فأسرف الجماعة فى تقريعه ، وأخذوا فى تمزيق عرضه وتقطيعه ، فصنع أيضاً رحمه الله تعالى وأنشد :

هذا لواء سحور يستضاء به وعسكر الشهب فى الظلماء جرار

---

(١) انظر بدائع البدائه ١٤٧ بولاق ، وفى بعض ألفاظ العبارة تغيير لا يخل بالمعنى
(٢) كذا فى الأصول والبدائع ، وربما كانت كلمة « بن » زائدة

والصائمون جميعاً يهتدون به   كأنه علـم فى وسطه نار[١]

فلما أصبحنا سمع مَنْ كان غائباً من أصحابنا فى ليلتنا ما جرى بيننا ، فصنع الرشيد أبو عبد الله محمد بن متاو رحمه الله تعالى وأنشدنيه :

أحبب بفانوس غدا صاعدا   وضـوؤه دان من العين
يقضى بصوم و بفطر معا   فقد حوى وصف الهلالين

وصنع الفقيه أبو محمد القلعىّ رحمه الله تعالى :

وكوكب من ضرام الزند مطلعه   تسرى النجوم ولا يسرى إذا رقبا
يراقب الصبح خوفا أن يفاجئه   فإن بدا طالعـا فى أفقـه غربا
كأنه عاشق وافى على شرف   يرعى الحبيب فإن لاح الرقيب خبا

ثم إنى صنعت بعد حين فقلت :

ألست ترى شخص المنار وعوده   عليه لفانوس السحور لهيب
كحامل منظوم الأنابيب أسمر   عليه سنان بالدماء خضيب
ترى بين زُهْرِ الزَّهْرِ منه شقيقةً   لها العود غصن والمنار كثيب
وتبدو كخد أحمر والدجى لَمًى   بدا فيه ثغر للنجوم شَنِيبُ[٢]
كأن لزنجى الدجى من لهيبه   ومن خَفْقه قلبٌ عَراه وَجيبُ
تراه يراعى الشهب ليلا ، فإن دنا   طلوع صباح حان منه غروب
فهل كان يرعاها لعشق ففر إذ   درى أن روميَّ الصباح رقيب

وقلت فى اختصار المعنى الأول من هذه القطعة :

أنظر إلى المنار والـــفانوس فيه يرفع
كحامل رمحا سِناَ   نُهُ خضيب يلمع

---

(١) فى البدائع « كأنه علم فى رأسه نار » وهو المحفوظ فى شعر الخنساء

(٢) اللمى : سمرة فى الشفة ، وثغر شنيب : طيب الريح

وقلت أيضا :

ألست ترى حسن المنار وضوءه يرفع من جنح الدجُنَّةِ أستارا
تراه إذا جنَّ الظلام مراقبا له مُضْرِمًا فى قلب فانوسه نارا
كصب بخودٍ من بنى الزنج سامها وصالا وقد أبدى لترغب دينارا

وقلت فيه :

وليـــلة صوم قد سهرت بجُنحِهاَ على أنها من طيبها تَفْضُلُ الدهرا[١]
حكى الليل فيها سقف ساج مسمرا من الشهب قدأضحت مساميره تبرا
كما قام رومى بكأس مدامة وحَيًّا بهـا زنجية وُشِّحَتْ درا[٢]

وحين صنعت هذه القطع صنع شهاب الدين يعقوب :

رأيت المنار وجنح الظلام من الجـو يسدل أستاره
وحَلَّق فى الجو فانوسه فذهَّبَ بالنَّوْرِ أقطاره
فقلت المحلق قد شبَّ فى ظلام الدجى للقِرَى ناره
وخلت الثريا بدت والنجو م ورقا غدا البدر قسطاره[٣]
وخلت المنـــار وفانوسه فتى قام يصرف ديناره

وأنشدنى كمال الدين بن النبيه لنفسه :

حبذا فى الصيام مئذنة الجا مع والليـــل مسبل أذياله
خلتهـا والفانوس إذ رفعته صـائدا واقفـا لصيد الغزاله

وأنشدنى أبو القاسم بن نفطويه لنفسه :

يا حبذا رؤيه الفانوس فى شَرَفٍ لمن يريد سحورا وهو يتقد

---

(١) فى ب ، ث «قد سهرت بجبها» وماأثبتناه عن البدائع ، وفيه «تعدل الدهرا»
(٢) بين هذا البيت والذى قبله فى البدائع بيت آخر ، وهو :
وقام المنار المشرق اللون حاملا لفانوسه والليل قد أظهر الزهرا
(٣) فى البدائع «وخلت الثريا يدا»

كأنما الليل والفانوس مرتفع   فى الجو أعور زنجى به رَمَدُ[١]

وله أيضا :

نَصَبُوا لواء للسحور وأوقدوا   من فوقه نارا لمن يترصَّدُ[٢]

فكأنه سبَّابة قد قُمِّعَتْ   ذهبا فأومت فى الدجى تتشهد[٣]

وأنشدنى أبو يحيى السيولى[٤] لنفسه :

وليلة مُلِئت أسدافها لَعَسًا   واستوضحت غرر من زهرها شَنَبا[٥]

ولاح كوكب فانوس السحور على   إنسان مقلتها النجلاء واشتهبا

حتى كأن دُجاها وهو ملتهب   زنجية حملت فى كفها ذهبا

وصنع أبو العز مظفر الأعمى رحمه الله تعالى :

أرى علما للناس فى الصوم ينصب   على جامع ابن العاص أعلاه كوكب

وما هو فى الظلماء إلا كأنه   على رمح زنجى سنان مذهب

ومن عجب أن الثريا سماؤها   مع الليل تلهى كل من يترقب

فطوراً تحييه بباقة نرجس   وطورا يحييها بكأس تَلَهَّبُ

وما الليل إلا قانص لغزالة   بفانوس نار نحوها يتطلب

ولم أر صيادا على البعد قبله   إذا قربت منه الغزالة يهرب

ومن شعر ابن ظافر رحمه الله :

وقد بدت النجوم على سماء   تكامل صحوها فى كل عين

كسقف أزرق من لازورد   بدت فيه مسامر من لجين

ومنه أيضا :

والليل فرع بالكواكب شائب   فيه مَجَرَّتُهُ كمثل المفرق

---

(١) فى البدائع «كأنما الليل والفانوس متقد»

(٢) وفيه «فى رأسه نارا لمن يترصد» .

(٣) فى ب ، ث «شبابة» تحريف ، وفى البدائع « وقامت فى الدجى تتشهد»

(٤) فى البدائع « السولى »   (٥) فى ب ، ث «مثلت أشداقها»

ولربما يأتى الهـلال ببحره   متصيدا حُوتَ النجوم بزورق
حتى إذا هبت على الماء الصَّبَا   وألاح نور تمامـه بالمشرق
أبدى لنـا علما بهيجاً مُذْهَباً   قـد لاح فى تجعيد كُمِّ أزرق
وحكى بُرَادَةَ عسجد قد رام صا   نعها يؤلف بينهـا بالزئبق

(٢٩٦)

على بن عبد العزيز بن
جابر ، الشاعر

على بن عبد العزيز بن على بن جابر

الفقيه ، الأديب ، البارع ، تقى الدين بن المغربى، البغدادى، الشاعر ، المالكى .
كان من أظرف خلق تعالى ، وأخفهم روحاً ، وله القصيدة الدبدبية المشهورة التى أولها * أى دبدبه تدبدبى *

وكانت وفاته ببغداد سنة أربع وثمانين وستمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى يصف مجلسا تقضى له بالمحول :

يا مغانى اللهو والطرب   بأبى أفدى ثراك وبى[1]
لا تَعَدَّاه الغمـام ولا   حاد عنه صَيِّبُ السحب
حبذا دار عهدت بهـا   كل معسول اللمى شنب
حيث كانت قبل فرقتنا   فلكا تجرى على شُهُبِ
ونصيبى من وصـالهم   واصلا نحوى بلا نَصَبِ
فى بسـاتين المحول لا   فى قفار الجزع واللبب[2]
بين أشجار تفوق على   شجرات الضال والـكثب
ضـيعونى لاعدمتهمُ   وأضـاعوا حرمة الأدب

---

(١) المغانى : جمع مغنى ، وهو اسم مكان من قولهم «غنى فلان بالمكان يغنى» بوزن رضى يرضى — أى أقام

(٢) المحول — بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الواو مفتوحة — بليدة حسنة طيبة نزهة كثيرة البساتين والفواكه والأسواق والمياه ، بينها وبين بغداد فرسخ .

فعلوا بالرأس ما فعلوا وأحالونى على الذَّنَبِ[١]
كان فى رأسى وأسفلهم شبه من حكة الجرب

وقال يصف المستنصرية والفقهاء ، وكان قد قيل لهم : من يرضى بالخبز وحده وإلا فما عندنا غيره :

حاشا لست المدارس ومن بها يضرب المثل
تهون من بعد ذاك التعظيم والتشريف
مستنصرية سبيكة قد كنت فى عصر الصبا
واليوم قد صرت بهرج مزيفه تزييف
ما زال نخلك يرجم حتى فنى الرطب الجنى
وما بقى فى قراحك غير الكرب والليف
ذكرت بيتا ظريفا من كان وكان البغاددة[٢]
وكل معنى يبدو من الظريف ظريف
أى ست ما أكثر زبونك ما أحلى فراشك من العشى
ذى زحمة الباقلانى وكلهم برغيف

وقال فى شخص اسمه علوان ، وينعت بالصفى :

علوان لا شك اسمك وأنت تنعت بالصفى
فإنى سألت عن اسمك قالوا الصفى علوان

وقال زجل فى الخلاعة والمجون :

الوقت يا نديمى قد طاب واعتدل

---

(١) فى ب «وقد أحالونى على الذنب» ولا يستقيم عليه وزن البيت ، وما أثبتناه موافق لما فى ث

(٢) فى ب « من كان وكان الغنازبده» تحريف قبيح ، وما أثبتناه موافق لما فى ث

والشمس مـذ ليالى قد حلت الحَمَـلْ
فانهض إلى الحميا واستنهض الصحاب(١)
فالبـدر والثريا الكأس والحباب(٢)
والوقت قد تهيـا ومجلس الشراب(٣)
فيـه كلُّ ما تريده فانهض على عجل
انهب زمان وصلك وأنه الذى نهـاك
واسعد بقرب خلك وابلغ منه منـاك
فبعد يوم لعلك لا تستطيع ذاك
والتذ فالليـالى ما بيننـا دول
لقمة تكون حنظل وأخرى تكن عسل
مالك كدا محير لا تهتدى للطريق
هل أدخل الصغير أو قال ما أطيق
ارفع ولا تفكر تا يزعق الحريق
دع يشتكى لقمه دع يفعل إيش فعل
مالط قط لوطى مصلوب على دقل(٤)
من أين للعروس تشبيه ذا العذار
لمنية النفـوس ودرة البحـار
زهى على الشموس مذ تم واسـتدار
فاترك كلام سفله بحرفتـه اشتغل(٥)
وادى العروس عنده أشرف من الجبل

---

(١) الحميا : من أسماء الخمر ، واستنهض الصحاب : اطلب نهوضهم

(٢) الحباب — ومثله الحبب — فقاحات تعلو وجه الخمر إذا مزجت

(٣) تهيا : أصله تهيأ — بالهمز — فسهلت همزته ، ومعناه أعد

(٤) فى ب «مالط قد لوطى»

(٥) فى ب «بحرصه اشتغل»

لا تهوى من أضاعك   لا كان ولا استكان

واعتز باقتناعك   إن الهوى هوان

كن عبد مَنْ أطاعك   لا تنتظر فلان

فالوقت سيف مجرد   قاطع بيد بطل

والعاقل المجرب   يبطش بمن حصل

لا تغفلوا يا ولدى   عن طيب العناق

وأوصوا بذاك بعدى   لسائر الرفاق

المغربى جدى   وأنا من العراق

وقد علمت أنى   فى صنعة الزجل

مثل الذى بجهله   يبخر زحل

ما لفت العمائم   إلا على العقول

تعشق وأنت نائم   وتدعى الفضول

قم واسمع الحمائم   فإنها تقول

يا من دنا حبيبه   انهض بلا كسل

واشف الغليل منه   بالضم والقبل

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لا بدّ تظهر بين الناس   قلندرى محلوق الراس

تلبس عوض دا الكتان   حلتك من صوف الخرفان   أودلق أو تصبح عريان (١)

تغدو تدور مع أجناس   محلقين الروس أكياس (٢)

ما يعرفوا إلا الخضره   والبنك لا شرب الخمره   مثقالها بألف جره

---

(١) فى ب « أودلق أو فصيح عريان » تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى ث

(٢) فى ب « محلقين الروس أكناس »

وعندهم منهـا أكياس   دانق يقاوم سبعين كاس

من قبل ماتغدومسطول تهتم فى أمر المأكول وتطلع السوق بالـكشكول

تطلب على الله من روّاس   وباقلانى مع هراس

لمن لقيناقلنا أى حال خويدان درويشتان همه عن بيان سر كدان

يدعون لك وقت الأغلاس   فهم صحيحين الأنفاس

وتنقد العالم جيد يقول لذى المال أى سيد نريد كرامة للمسجد(١)

رطيل شيرق فى الجلاس   لنشغله بين الجـلاس(٢)

كأنكم بى يا خـلان وأنا مجرد كالشيطان فقدقوى عندى ذا الشان

وقد فسا فى أذنى الخناس   حتى ملا صدرى وسواس

فلا تقولوا يا فقوس نرى جميع أمرك معكوس المغربى خلف منجوس(٣)

ما خلف إلا أغلب دعاس   والشبل من نسل الهرماس(٤)

لـكننى أسمى سمقون كشيح كالدر الملبون قد صرت فى عشقه مجنون(٥)

وهل على مثلى من باس   إن هام بالقد الميّاس

مثل القمر أبيض أزهر بعارض كالآس الأخضر من تاه فى عشقه يعذر

لو باس قارون ذاك الآس   هون على قلبه الإفلاس

دعنا نلذ العيش دعنا مع رفقة حازوا المعنى فأعقل الناس مَنْ غَنَّى

كس النهار وأضحى بالطاس   ولا تقف مع قول الناس

---

(١) فى ب «تزيد كرامته المسيد»

(٢) فى ب «يطيل شرف فى الجلاس * لشغله – إلخ»

(٣) فى ب «منحوس»

(٤) فى ب «نسل العرباس»

(٥) فى ب «لـكننى أصحى»

وأما قصيدته الدبدبية فإنها غاية وهى طويلة جدا ذكر فيها فنوناً ، وأوّلها :

أى دبدبْه تدبدبى　　أنا على بن المَغْرَبِى

تأدبى ويحك فى　　حق أمير الأدب

وأنت يابو قانة　　تألفى تركبى

وأنت يا سناجقى　　يوم الوغى توثبى

وأنت يا عساكرى　　يوم اللقا تأهبى

ها قد ركبت للمسير فى البلاد فاركبى

ها قد برزت فاركبى　　فى ألف ألف مِقْنَبِ (١)

أنا الذى أسْد الشرى　　فى الحرب لا تحفل بى

إذا تمطيت وفرقعت عليهم ذنبى

أنا الذى كل الملوك ليس تخشى غضبى

فمن رأى للهذيا　　ن موكبا كموكبى (٢)

أنا امرؤ أنكر ما　　تعرف أهل الأدب

مولى كلام نحوه　　لا مثل نحو العرب

لكنه منفرد　　بلفظه المهذب

يصافع الفراء فى النحو بجلد ثعلب

ويقصد التثليث فى　　نتف سبال قطرب

وإن سألت مذهبى　　فمذهبى المجرَّب

آكُلُ ما يحصل لى　　ورغبتى فى الطيب

وأشرب الماء ولا　　أردّ ماء العنب

وألبس القطن ولا　　أكره لبس القصب

وإن ركبت دابة　　أولا فنعلى مركبى

---

(١) المقنب ـ بزنة منبر ـ الجماعة من الجند

(٢) فى ب « موكبا كوكبى » تحريف

وكل قصدى خلوة　　تجمعنى مع الصبى

فى البيت أو فى روضة　　أزهارها كالشهب

ونجتلى بنت الكرو　　م أو بنىء العنب

ونبتدى نأخذ فى الـ　　ـشكوى وفى التعتب

حتى إذا ما جاد لى　　برشف ذاك الشَّنَبِ

حكمته فى الرأس إذ　　حكمنى فى الذنب

(٢٩٧)

أمين الدين على بن عثمان السليمانى الإربلى

على بن عثمان بن على بن سليمان ، أمين الدين ، السليمانى ، الإربلى ، الصوفى ، الشاعر [(١)] .

كان من أعيان شعراء الناصر بن العزيز ، وكان جنديا فتصوف وصار فقيرا ، توفى بالفيوم وهو فى معترك المنايا سنة سبعين وستمائة .

ومن شعره قصيدة فى كل بيت نوع من البديع ، وهى :

بَعْضَ هذا الدلال والإدلال　　حالَ بالهجر والتجنب حالى [(٢)] (الجناس اللفظى)

حِزْتَ إذ حُزْتَ ربع قلبى وإذلا　　لى صبراً كثرت من إذلالى [(٣)] (الجناس الخطى)

رق يا قاسى الفؤاد لأجفا　　ن قصار أسرى ليال طوال (الطباق)

شارحات بدمعها مجمع الـ　　ـبحرين فى حب مجمع الأمثال (الاستعارة)

نفت النوم فى هواك قصاصا　　حيث أدنى منها خداع الخيال (المقابلة)

أنا بين الرجاء والخوف فى إحـ　　ـياء ما بين صحة واعتلال (التفسير)

لست أنفك فى هواك ملوما　　فى مُعادٍ يسومنى ومُوَالِ (التقسيم)

---

(٢) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ٢٣٦/٧ وذكر وفاته فى جمادى الأولى من سنة ٦٧٠ وذكره فى السلوك ٦٠٤/١ فى وفيات ٦٧٠

(٢) فى ب ، ث « حالى بالتجنب » تحريف ، وحال : تغير

(٣) إذلالى ـ الأولى ـ مؤلفة من « إذ » التعليلية ، و « لا » النافية ، و « لى » جار ومجرور يقع خبرا مقدما ، و « صبر » مبتدأ مؤخر

عمرى ينقضى وأيامىَ الأيا م بالهجر والليالى الليالى (الإشارة)

ليس ذنبى سوى مخالفة اللا حين فيه ، وَاخَيْبَةَ العذال[١] (الإرداف)

سالبا بزتى وما هى إلا العمـ ـر رفقا بهذه الأسمال (المماثلة)

طلبٌ دونه مَنَال الثريا وهوى دونه زوال الجبال (الغلو)

وغرام أقله يذهل الآ سادفى خِيسِهاَ عن الأشبال[٢] (المبالغة)

أنا أخفى هواك صَوْنًا وإن بـ ـت طعين القنا جريح النبال[٣]

(الكناية والتعريض)

فشمالى لم تستعن بيمينى ويمينى لم تستعن بشمالى (العكس)

لذ طول المطال منك ولولا الـ ـحب ما لذ منك طول المطال (التذييل)

خنت عهدى فدام وجدى فهل نكـ ـبت صدى يوماً بطيب الوصال (الترصيع)

لك ألحاظ مقلتين شبَاهَا كالحسام الهندى غِبَّ الصقال[٤] (الإيغال)

كملت وصفها بمدح على فى على رب الحجا والكمال (التوشيح)

ماجد بعض فضله بذله الما ل ، وقَلَّ الذى يجود بمال

(ردالعجز على الصدر)

يفعل المكرمات طبعا فإن جو د أفنى رغائب الأموال

(التعميم والتكميل)

طال شكرى نداه حتى لقد أفـ ـحم فضل ، لازال ذا إفضال (الالتفات)

هو ما لم يزل وذلك أبقى عصمة المرملين ذى الأطفال (الاعتراض)

ذو وداد للأصفياء بعيد عن زوال وهل به من زوال[٥] (الرجوع)

---

(١) فى ب «وأخبية العذال» تحريف

(٢) الخيس ـ بكسر الخاء ـ مسكن الأسود ، والأشبال : أولاد الآساد

(٣) فى ب « أنا أخفى هواك صرفا » تحريف

(٤) فى ب « لا الحسام الهندى غب الصقال » تحريف

(٥) فى ب « ذو وداد إن صفا بعيد » وهو غير تام الوزن ولا مستقيم المعنى .

أفترب الأنواء تخصب منه الأرض أم سيب جوده الهَطَّالِ[١]

(تجاهل العارف)

جاد حتى للمكتفين فأثروا فنداه كالماء فى سيال (الاستطراد)

جامع العلم والفصاحة والحلـــم وحسن الأخلاق والأفعال

(جمع المؤتلف والمختلف)

لا يعد الفعل الجميل لدنيا ه ولـكن يعده للمآل

(السلب والإيجاب)

ليس فيه عيب يعدده الحســـاد إلا العطاء قبل السؤال (الاستثناء)

عالم أن مَنْ يعيش كمن زا ل وإن دام والورى فى زوال

(المذهب الـكلامى)

يُجْتَلَى وجهه الـكريم من الحـــب ويُغْضَى عنه من الإجلال (التشطير)

أيها الصاحب الذى نلت منه ما أرجى فاليوم حالىَ حالِ (المحاورة)

عاين الناظمون شعرى ولا يذ هب فضل الفتى بلبس النضال

(الاستشهاد والاحتجاج)

هى آل للمدح فى مجدك الســـامى المعانى وغيرها لمعُ آلِ[٢] (التعطف)

آبَ يومُ الهناء بالخير فى ربعـــك يحكى نوالك المتوالى (المضاعف)

فلك المدح دائمـا ولشانيـــك القطوعان منصلى ونصالى[٣] (التطريز)

أعجز الواصفون فضلك فاجعل شين شكرى فيه كشين بلال (التلطف)

وقال وهو حسن بديع :

أضيفَ الدجى معنًى إلى لون شعره فطال ، ولولا ذاك ماخص بالجر

---

(١) ترب الأنواء : أى لدة الغيث ، يريد وصفه بالـكرم كقولهم : أخو الجود .
(٢) الآل : السراب ، وهو ما تراه من بعيد كالماء وليس بماء
(٣) المنصل : السيف

وحاجبه نون الوقاية ما وَقَتْ   على شرطها فعلَ الجفون من الكسر

وقال أيضا :

ويعجبنى حاجب نونها   دلالا مع الجمع لا تنفتح

وقال أيضا :

تَمَوَّجَ تحت الخصر أسودُ شعرِهِ   فإياك والحيات فى كُثُبِ الرمل

ولو لم يقم بالحسن مرسل صُدْغِهِ   لما نزلت فى خدهِ سورةُ النملِ

وقال أيضا :

وما غرنى فى حبكم لمع خافق   لآل ، ولكن برد ماء لآلى

شموسُ وُعُودِى بالوصال لديكم   تَعَلَّقْتُ من مكذوبها بحبال

وقال أيضا :

بَدْرُ تم له على الخد خال   فى احمرار يَنْشَقُّ منه الشقيق

كتب الحسن بالمحقق معنـــاه ، ولكن عذاره تعليق

وقال أيضا :

يعذلنى عاذلى عليك ولا   يحصل منى إلا على التعب

فعاذلى فى هواكَ ضَلَّ كمن   يقرأ (تبت يدا أبى لهب)

(٢٩٨)

أبو الحسن عفيف الدين على بن عدلان الربعى ، الموصلى

على بن عدلان بن حماد بن على ، الإمام ، العلامة ، عفيف الدين ، أبو الحسن الرَّبَعى ، الموصلى ، المترجم [١] .

ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وتوفى سنة ست وستين وستمائة .

---

(١) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ٢٢٦/٧ وفى بغية الوعاة للسيوطى ص ٣٤٣ ونقل تاريخه عن الذهبى فى تاريخ الإسلام ، وذكره المقريزى فى السلوك ٥٧٢/١ فى وفيات سنة ٦٦٦ .

وكان علامة ، تصدر بجامع الصالح ، وكان من أذكياء بنى آدم ، انفرد بحل المترجم والألغاز ، وله فى ذلك تصانيف : منها كتاب « عقـلة المجتاز ، فى حل الألغاز » ، ومصنف فى حل المترجم للملك الأشرف .

وكتب إلى علم الدين السخاوى ، وهو بدمشق باللبادين ، قولَ الحسين بن عبد السلام فى المعمَّى :

ربمـا عالج القـوافى رجالٌ   فى القوافى فتلتوى وتلين
طاوعَتْهُمْ عين وعين وعين   وعَصَتْهُمْ نون ونون ونون

فحلَّها ابن الحاجب ، فقال : قوله « عين وعين وعين » يعنى نحو غدٍ ويدٍ ودَدٍ ، لأنها عينات[1] مطاوعات فى القوافى ، مرفوعة كانت أومنصوبة أومجرورة ؛ لأن وزن غدٍ فع ، ووزن يدٍ فع ، ووزن دَدٍ فع ، وقوله « وعصتهم نون ونون ونون » الحوت يسمى نوناً ، والدواة ، لأنها تسمى نوناً ، والنون الذى هو الحرف ، وكلها نونات غير مطاوعة فى القوافى ؛ إذ لا يتم واحد منها إلا مع الآخر .

ونظم ابن الحاجب :

أىْ غد مع يَدٍ ودَدٍ حروف   طاوعت فى الروىِّ وهى عيون
ودواة والحوت والنون نونا   تٌ عَصَتْهُمْ وأمرها مستبين[2]

وقال عفيف الدين : أنشدنى إسماعيل المسمول[3] الذى ينسب إلى صلاح الدين الإربلى ، رحمه الله تعالى :

وما بيت له فى كل عضو   عيون ليس تنـكرها العقول
إذا بسطوه تلقاه قصيرا   وإن قبضوه تبصره طويل

---

(١) يريد أن أواخرها عين الـكلمة ؛ لأن لاماتها محذوفة
(٢) أمرها مستبين : بين ظاهر ليس به خفاء .
(٣) فى ب « السيمول » .

فقلت : هذه شبكة صياد طيور ، فأخذ يباهت ، فقلت : قد تركته ، ولا يلزمنى أكثر من هذا ، فأخذ فى المباهتة ، فقلت : هذا فى جركاه ، فاعترف أنه هو .

وكتب إليه ناصر الدين بن النقيب ملغزا فى سيف :

يا عفيف الدين يا من   رَقّ فى الفهم وجَلاً
والذى سموه فى النا   س علياً وهو أعلى
يا أخا الفضل الذى فيـــه لنا القِدْحُ المَعَلّى
أى شىء طعمه مر   وإن كان محلى
وهو شيخ لا يصلى   ولكم بالضرب صَلّى
ماله عقل وكم منـــه استفاد الناس عقلا
جفنه من غير سهد   ما يذوق النوم أصلا
وهو لا يحسن قولا   وهو قد يحسن فعلا
وهو إن تعكسه قَيْسٌ   فصحفه وإلاّ
وهو مطبوع نحيف   عند ما يلقاك بسلا
ولكم بدد جمعا   ولكم شتت شملا
ولكم قد سبق العذ   ل وكم قَطَّع وصلا
فأبن عنه بأجْلَى   منه فى اللفظ وأحلى[1]
وابق فى إيوان عز   وبناء ليس يبلى

فكتب عفيف الدين الجواب :

ناصر الدين الذى فا   ق جميع الناس فضلا

---

(١) فى ب «فأبن عنه بأجل منه ـ إلخ» ولا يتم معه الوزن ، وما أثبتناه موافق لما فى ث

والذى وافق فى الاسـم الذى وافق فعلا
والذى أشعاره أشـهى من الحَلْيِ وأحْلَى
هو حلو فى فم النا س وفى العينين يَحْلَى[(١)]
إن تسلنى عن رفيق لك نجلا حين يجلى
هو أنثى فى زمان ويرى فى ذاك فحلا
يشرب الماء ولا يأ كل إلا اللحم أكلا
والندى يؤذيه والنـار له إلف فَيَصْلَى
وهو يعمى العين لاشـك متى ما كان كحلا
محرم فى كل وقت ما رآه الناس حِلاًّ
أعجمى وفصيح جمع الوصفين كلا
وهو كالمرآة يبدى مثل رأى الشكل شكلا
ولموع بَرْقُهُ الـخُلَّبُ لا يمطر وبلا[(٢)]
وعليه أبد الـدهر ذباب ما تولى
وهو مثل الناس فى النشـأة مذ قد كان طفلا
ويرى شرخا وشيخا بعد ما قد كان كهلا
سبق التصحيف ذا الـشىء وشنف الأذن حلا[(٣)]
قلت لما جاءنى: أهـلا بذا اللغز وسهلا
لغز كالشمس قددقـت معانيه وجلاًّ

---

(١) فى ب « وفى العينين كحلا » ويفسد به المعنى والإعراب .
(٢) فى ب « ولموع لايرفد الحلب » تحريف .
(٣) فى ب « وشنف الأذهان حلا » ، وفى ث «شنف الآذان حالا »
(٤) فى ب « البلقينى » .

(٢٩٩)

(ابن الزقاق)
على بن عطية بن مطرف ، اللخمى ، البلنسى ، الشاعر

على بن عطية بن مطرف ، أبو الحسن ، اللخمى ، البلنسى [٤] ، الشاعر ، المشهور ، المعروف بابن الزقاق .

أخذ عن ابن السِّيدِ ، واشتهر ، ومدح الأكابر ، وجود النظم ، وتوفى وله دون الأربعين فى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

كلما مال بها سكر الصبا　　مال بى سكر هواها والتصابى
أشعرت فى عبراتى خجلا　　إذ تجلت فتغطت بالنقاب
كذُكَاء الدَّجْنِ مهما هطلت　　عبرة المزن توارت بالحجاب [١]

وقال أيضا :

وأُغَيْدٍ طاف بالكؤوس ضُحاً　　يحثها والصباح قد وضحا
والروض تبدو لنا شقائقه　　وآسُهُ العنبرىُّ قد نفحا
قلنا : وأين الأقاح ؟ قال لنا :　　أودعته ثغر مَنْ سَقَى القدحا
فظل ساقى المدام يجحد ما　　قال ، فلما تبسم افتضحا

وقال أيضا رحمه الله تعالى فى المعنى :

ألمت فبات الليل فى قِصَرٍ بها　　يطير ، وما غير السرور جناح
وبت وقد زارت بأنعم ليلة　　تعانقنى حتى الصباح صباح
على عاتقى من ساعديها حمائل　　وفى خصرها من ساعدىّ وِشَاحُ

وقال أيضا :

وحبب يوم السبت عندىَ أننى　　ينادمنى فيه الذى كنت أحببت
ومن أعجب الأشياء أنى مسلم　　حنيف، ولكن خيرُ أيامىَ السبتُ

وقال أيضا :

بذلت لها من مدمع العين جوهرا　　حكى ماحكاه فى الصيانة والستر

---

(١) ذكاء — بضم الدال — هى الشمس ، والدجن : إسبال الغيم ، يريد كالشمس فى يوم الغيم كلما أمطرت السماء توارت بالحجاب

فقالت وأبدت مثله إذ تبسمت : غنيت بهذا الدر عن ذلك الدر

وقال أيضاً :

سقتنى بيمناها وفيهـا فلم أزل يجاذبنى من ذاك أو هذه سكر

تَرَشَّفْتُ فاها إذ ترشفت كأسها فلا والهوى لم أدر أيهما الخمر

وقال أيضاً :

وشهر أدرنا لارتقاب هلاله عيوناً إلى جو السماء مَوَائِلاَ

إلى أن بدا أحْوَى المدامع أحْوَر يجر لأبراد الشباب ذلاذلا

فقلت له : أهلا وسهلا ومرحبا ببدر حوى طيب الشمول شمائلا

أتطلبك الأبصار فى الجو ناقصاً وأنت كذا تمشى على الأرض كاملا

وقال رحمه الله تعالى :

وساق يحثُّ الـكأس حتى كأنما تلألأ منها مثل ضوء جبينه

سقانى بها صرْفَ الحميَّا عشية وَثَنَّى بأخرى من رحيق جفونه

هضيم الحشا ذو وجنة عندمية تريك جنىّ الورد فى غير حينه[1]

فأشرب من يمناه ما فوق خده وألثم من خديه ما فى يمينه

وقال أيضاً :

أدِيرَاهَا على الزهر المندَّى فحكم الصبح فى الظلماء ماض

وكأس الراح ينظر عن حباب ينوب لنا عن الحدَقِ المِرَاضِ

وما غربت نجوم الأفق لـكن نقلن من السماء إلى الرياض

وقال أيضاً :

وعشية لبست رداء شقيق تزهى بلون للخدود أنيق

---

(١) عندمية : منسوبة إلى العندم، وهو نبت أحمر يقال له : دم الأخوين ، ويقال : هو البقم

لو أستطيع شربتها كَلَفاً بها وعدلت فيه عن كؤوس رحيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما أبقى الحياء بوجنة المعشوق

وقال أيضاً :

يفضح البدر كمالا إن بدا والظِّبا العُفْرَ جمالا إن رَمَقْ
أطلعت خجلته فى خده شفقاً فى فلق تحت غسق

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

فعلت شمائله العذاب بمهجتى فعل النُّعَامَى بالقضيب اليابس[1]
كالغُصْنِ هز على كثيب آهل كالصبح أطلع تحت ليل دامس

وقال أيضاً :

ومقلة شادن أوْدَتْ بنفسى كأن السقم لى ولها لباس
يَسُلُّ اللحظُ منها مَشْرَفيا لقتلى ثم يغمده النعاس

وقال أيضاً :

كم زورة لى بالزوراء خضت بها عُبَاب بَحْرِ من الليل الدجوجى[2]
وكم طرقْتُ قباب الحى مرتدياً بصارم مثل عزمى هندوانىّ
والليل يسترنى غِربيبُ سدفته كأننى خَفَر فى خدّ زنجىّ

وقال أيضاً :

زارت على شحط المزار متيما بالرقمتين ، ودارها تيماء
فى ليلة كشفت ذوائبها بها فتضاعفت بعقاصها الظلماء
والطيف يخفى فى الظلام كما اختفى فى وجنة الزنجىّ منه حياء

---

(١) النعامى — بضم النون — ريح الجنوب ، لأنها أرطب الرياح وألينها
(٢) فى ب « عباب مجر » تحريف

وقال فى حمام :

رُبَّ حَمَّام تلظَّى كتلظى كل وامق
ثم أذرى عبراتٍ دمعها بالوجد ناطق
فغدا منى ومنه غاسق فى جوف غاسق

وقال ، وأوصى أن يكتب على قبره ، وهو آخر شعر قاله ، رحمه الله تعالى :

أإخواننا والموت قد حال دوننا وللموت حكم نافذ فى الخلائق
سبقتكمُ للموت والعمر طيه وأعلم أن الكل لا بد لاحق
بعيشكم أو باضطجاعىَ فى الثرى ألم نك فى صفو من العيش رائق
فمن مرّ بى فليمض بى مترحِّماً ولا يك منسياً وفاء الأصادق

(٣٠٠)

سيف الدين على بن عمر المشد

على بن عمر بن قزل بن جلدك ، التركمانى ، الياروقى ، الأمير سيف الدين المُشِد ، صاحب الديوان المشهور (١) .

ولد بمصر سنة اثنتين وستمائة ، وتوفى بدمشق سنة ست وخمسين وستمائة ، ودفن بسفح قاسيون .

اشتغل فى صباه ، وقرأ الشعر الرائق ، وتولّى مشد الدواوين (٢) بدمشق للناصر يوسف بن العزيز مدة ، وكان ظريفاً ، طيب العشرة ، تام المروءة ، وهو ابن أخى فخر الدين عثمان أستاذ دار الملك الكامل ، ونسيب الأمير جمال الدين بن يغمور ، روى عنه الدمياطى والفخر بن عساكر ، وكانت وفاته يوم تاسوعاء فقال الكمال العباسى :

---

(١) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ٧/٦٤

(٢) فى النجوم « وتولى شد الدواوين بمصر » وفى صبح الأعشى ٤/٢٢ أن شد الدواوين أن يكون متوليها رفيقا للوزير متحدثا فى استخلاص الأموال وما فى معنى ذلك .

أيا يوم عاشورا جُعِلْتَ مصيبة　　لفقد كريم أو عظيم مُبَجَّلِ
وقد كان فى قتل الحسين كفاية　　فقد جل بالرزء المعظَّمِ فى عَلِي

وقال تاج الدين بن حوارى يرثيه :

أأخىَّ أىَّ دُجُنَّةٍ أو أزمة　　كانت بغير السيف عنا تنجلى
نبكى عليه وليس ينفعنا البكى　　نبكى على فقد الجواد الْمُفْضِلِ
من للقوافى والمعانى بعده　　من للمواضى والرماح الذُّبَّلِ[1]
من ذا لباب العلم غِيَرَ عليه والـــعالى المحلّ ومَنْ لحل المشكل
عاشور يوم قد تعاظم ذنبُهُ　　إذ حل فيه كل خطب مُعْضِلِ
لم يكفه قتل الحسين وما جرى　　حتى تعدَّى بالمصاب عَلَى عَلِي

ومن شعر سيف الدين المُشِدّ رحمه الله تعالى :

باكر كؤوس المدام واشرب　　واستجل وجه الحبيب واطرب
ولا تخف للهموم داء　　فهى دواء له مجرب
من يد ساق له رُضَاب　　كالمسك ، لا ، بل جَنَاه أطيب[2]
يعجبنى خالُ وجنتيه　　والمسك فى الجُلَّنار أعجب

وقال رحمه الله فى مليح مُعَذَّر :

وأغْيَدَ لما لاح خَطُّ عذاره　　على خده فازددت منه تعجباً
رأيت له التفاح أنبت سَوْسَناً　　فأصبح مسكياً وكان مخضباً

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

غرامى بكم أجلى من الأمن فى القلب　　وودّى لكم أحلى من المنهل العذب

---

(١) المواضى : السيوف ، واحدها ماض : أى نافذ فى ضريبته .
(٢) الرضاب : الريق .

وشوق إليكم كل يوم وليلة   يزيد على حال التباعد والقرب
وإنى وأن شَطَّتْ بىَ الدار عنكم   تقلبنى الأشواق جنباً إلى جنب[١]
أأحبابنا إن قَرَّبَ الله داركم   نذرت بأنى لاأعود إلى العتب
ذكرت زماناً كان يجمع بيننا   ففاضت دموعى واستطار له قلبى[٢]
فواهاً له لو عاد للوصل مرة   وأعطيه ما أبقى التفرق من لبى
وكم ليلة هَبَّتْ من الغَوْر نفحة   بريّاكمُ طيبا فقلت لها هبى
عليكم سلام الله منى تحية   شذا عرفها كالمسك واللؤلؤ الرطب

وقال أيضاً :

لئن تفرقنا ولم نجتمع   وزادت الفرقة عن وقتها
فهذه العينان مع قربها   لا تنظر العين إلى أختها

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أقصى مرادى فى الهوى   بأن تحلُّوا ساحتى
وراحتى فى قدح   أنظره فى راحتى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لعبت بالشطرنج مع أهيف   رشاقة الأغصان من قده
أحُلُّ عقد البند من خصره   وألثم الشامات من خدّه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى فى أرمد :

وشادن هِمْتُ فيه وجدا   لما غدت مقلتاه رمدا
لم ينتقص حسنه ولكن   نرجسُ عينيه صار وردا

---

(١) شطت : بعدت .

(٢) فى ب « واستفاض له قلبى » وما أثبتناه موافق لما فى ث .

وقال أيضاً :

يا جيرة الحيّ من جرعاء كاظمة طرفى لبعــدكم ما التذّ بالنظر
لا تسألوا عن حديث الدمع كيف جرى فقد كفى ما جرى منه على بصرى

وقال رحمه الله تعالى فى مليح نصرانى :

وبى غرير يحاكى الظبى ملتفتا أغر أغيد عقلى فيه قد حارا
يصبو الحباب إلى تقبيل مبسمه ويكتسى الراح من خدّيه أنوارا
من آل عيسى يرى بعدى يقربه ولم يخف من دم العشاق أوزارا
لأجله أصبح الراووق منعكفا على الصليب وشدّ الكأس زنارا

وقال رحمه الله تعالى أيضا لُغَزاً فى رمح :

أى شىء يكون مالا وذخرا راق حسنا عنـد اللقاء ومخبر
أسمر القدّ أزرق السن وَصْفاً إنما قلبــه بلا شَكٍّ أحمر

وقال أيضاً رحمه الله تعالى لغزا فى هاروت :

ما اسمٌ إذا صحفته فهو نبى مرســل
وهو إذا عكسته كتابه المنزل[1]

وقال أيضاً :

أساودُ شعرهِ لَسَبَتْ فؤادى وأمست بين أحشائى تجول
كأنّ الشعر يطلبنى بدين فكم يجفو علىّ ويستطيل

وقال أيضاً :

الحمد لله فى حِلٍّ ومُرْتحلى على الذى نلت من علم ومن عمل

---

(١) إذا عكست « هاروت » صارت « توراه » وهو اسم الكتاب الذى أنزله الله تعالى على موسى ، و « هارون » أخو موسى عليه الصلاة والسلام نبى مرسل أيضاً ، وهو تصحيف « هاروت » .

بالأمس كنت عن الديوان منتفيا   واليوم أصبحت والديوان يُنْسَبُ لى

وقال أيضاً :

فصل كأنّ البدر فيه مطرب   يبـــدو وهالته لديه طاره

والشمس فى أفق السماء حريرة   والجو ساق والأصيل عقاره

وكأنّ قوس الغيم جَنْك مُذْهب   وكأنما صوت الحيا أوتاره

وقال أيضاً رحمه الله تعالى فى مليحة عَمْيَاء ، وهو بديع :

علقتها نجلاء مثل المها   فخان فيها الزمن الغادر

أذهب عينيها فإنسانها   فى ظلمة لا يهتدى حائر

تجرح قلبى وَهْىَ مكفوفة   وهكذا قد يفعل الباتر

والنرجس الغض غدا ذابلا   واحسرتا لو أنه ناظر

ولبعضهم رحمه الله تعالى فى عمياء ، وقد أحسن :

قالوا تعشقتها عمياء قلت لهم   ما شانَهَا ذاك فى عينى ولا قَدَحا

بل زاد وجدىَ فيها أنها أبدا   لا تنظر الشيب فى فَوْدِى إذا وضحا

إن يجرح السيف مسلولا فلا عجب   وإنما أَعْجَبْ لسيف مُغْمَدٍ جرحا

كأنما هى بستان خلوت به   ونام ناطوره سكران قد طفحا

تَفَتّحَ الورد فيــه من كمائمه   والنرجس الغض فيه بعدُما انفتحا

ومن شعر المُشِدّ رحمه الله تعالى :

سِرِّى بألسنة الدموع عَلاَنيه   وشحوبُ جسمى فى الغرام علانيه[1]

أخْفِى الهوى ويُذِيعه يومَ النوى   حُرَقٌ عن الواشين ليست خافيه

---

(١) علانية الأولى مصدر « علن » وعلانية الثانية مؤلفة من « علا » فعل ماض بمعنى قهر وغلب ، ونون الوقاية ، وياء المتكلم ، وهاء السكت .

يا نازحين عن الهوى كلفتم   جسدا بكم مُضْنًى ونفسا باليه
وسكنتم غَوْرَ الحشا فمدامعى   تجرى شرائعها وعينى داميه
وأنا الفِدَا للحاضرين بمهجتى   أبدا وأشواقى إليهم باديه
لى مقلة إنسانها فى حبهم   رَفَضَ الكرى ودموعها متواليه
وبمهجتى مَنْ وجنتاه جنة   وقطوف صدغيه عليها دانيه
ما بعت روحى فى هواه رخيصة   إلا لكون عذاره من غاليه

وقال أيضاً :

لو كان قلبك مثل عطفك لينا   ما كنت أقلع من وصالك بالمُنَى [1]
لكن خصرك مثل جسمى ناحل   فكلاهما متحالفان على الضنا
يا هاجرى ظلما بغير جناية   ما هكذا شرط المودة بيننا
قيدت طرفى مذ تسلسل دمعه   وحبست نومى فالأسير إذًا أنا
لا تحم قَدّكَ عن حنايا أضلعى   كم لذة بين الحمى والمنحنى
علمتنى كيف الغرام ولم أكن   أدرى الهوى فرأيت صَعْباً هينا

وقال أيضاً رحمه الله من أبيات :

بدر يُرِينى ثغره دائما   برقا له فى كل قلب وميض
تلاعُبُ الشَّعْرِ على ردفه   أوقع قلبى فى الطويل العريض

وقال أيضا :

فى كل يوم لأرباب الهوى شانُ   وجد قديم وتبريح وأشجانُ
دموعهم كالغوادى وهى هاملة   وفى حشاياهم للحب نيران [2]

---

(١) فى ب « ما كنت أطمع من وصالك بالبنا » تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى ث .

(٢) الغوادى : جمع غادية ، أراد السحابة ، وهاملة : منسكبة بالمطر .

يبكون فى الوصل خوف الهجر من شغف
فكل أوقاتهم هم وأحـــزان
لا يعرفون سُلُوًا يهتدون به هيهات إن مع العشاق سلوان[١]

وقال أيضا رحمه الله تعالى دو بيت :

كم قلت لقاتلى الذى تيمنى إذ قال أنا نبى هـذا الزمن
هل معجزة فقال من ساعته من ينظرنى لوقته يعشقنى

(٣٠١)

نجم الدين على بن عمر الكاتى ، (دبيران) القزوينى

على بن عمر بن على ، العلامة ، نجم الدين الكاشى[٢] ، دبيران — بفتح الدال المهملة ، وكسر الباء الموحدة ، وسكون الياء ، و بعدها راء وألف ونون — القزوينى ، المنطق ، الحكيم ، صاحب التصانيف .

توفى فى شهر رمضان سنة خمس وسبعين وستمائة .

ومن تصانيفه « العين » فى المنطق ، و « الشمسية » ، و « جامع الدقائق » و « حكمة العين » وله كتاب جمع فيه الطبيعى والرياضى وأضافه إلى العين ليكون حكمة كاملة ، وله غير ذلك ، والله أعلم .

(٣٠٢)

أبو الفتح بهاء الدين على بن عيسى الإربلى

على بن عيسى بن أبى الفتح ، الصاحب بهاء الدين ، بن الأمير فخر الدين ، الإربلى ، المنشىء ، الكاتب البارع .

له شعر وترسّل ، وكان رئيسا ، كتب لمتولى إرْبِلَ من صلايا[٣] ، ثم خدم ببغداد فى ديوان الإنشاء أيام علاء الدين صاحب الديوان ، ثم إنه فَتَرَ سوقُه فى

---

(١) هكذا وقع فى ب ، ث جميعاً ، وهو غير صحيح عربية ، ولو قال «هيهات ليس مع العشاق سلوان » لاستقام المعنى وصح من جهة العربية .

(٢) فى ب « الكاتى » . (٣) كذا فى ب ، ث ، ولعله « موصلايا »

دولة اليهود ، ثم تراجع بعدهم وسلم ولم ينكب ، إلى أن مات سنة اثنتين وتسعين وستمائة .

وكان صاحب تجمل وحشمة ومكارم أخلاق ، وفيه تشيع ، وكان أبوه والياً بإربل ، ولبهاء الدين مصنفات أدبية مثل « المقامات الأربع » و « رسالة الطيف » المشهورة ، وغير ذلك ، وخَلَّف لما مات تركة عظيمة نحو ألفى ألف درهم تسلّمها ابنه أبو الفتح ومحقها ، ومات صعلوكا .

ومن شعر بهاء الدين رحمه الله :

أيا هجرى من غير جرم جنيته ... ومَنْ دأْبُه ظلمى وهجرى ، فديته!

أجرنى رعاك الله من نار جَفْوَةٍ ... وحر غرام فى البعاد اصطليته

وكن مُسْعِفِى فيما ألاقى من الأسى ... فهجرك يا كل المُنَى ما نويته[1]

أأظْما غراما فى هواك ولوعةً ... ولى دمع عين كالسحاب بكيته

وحقك يا من تُهْتُ فيه صبابةً ... ووجدا ومن دون الأنام اصطفيته

وحقك لا أنسى العهود التى مضت ... قديما ، ولا أسلو زمانا قضيته

ومنه أيضاً :

كيف خلاصى من هوى شادن ... حَكَّمَه الحسنُ على مهجتى[2]

بعـــاده نارى التى تُتَّقَى ... وقـــربه لو زارنى جنتى

ما اتسعت طُرْقُ الهوى فيه لى ... إلا وضاقت فى الجفا حيلتى

ليت ليـالى وصـله عُدْنَ لى ... يا حسرتا أين الليالى التى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وجهه والقوام والشَّعَر الأســـود فى بهجة الجبين النضير

---

(١) وقع فى ب «فهجرك يا كل المنايا نويته» تحريف مفسد ، وما أثبتناه موافق لما فى ث .

(٢) الشاون : أصله ولد الظبية إذا قوى وترعرع واستغنى عن أمه .

بدر تم على قضيب عليه ليلُ دَجْنٍ من فوق صبح منير[1]

وقال :

جنه سابق الغرام فجُنَّا وجفا منزلا وخَلَّفَ مَغْنَى

ودعاه الهوى فلبى سريعا وكذا شيمة المحب المعنَّى

رام صبرا فلم يُطعه غرام غادَرَ القلب بالصبابة رَهْنَا

وجفا لذة الكرى فى رضا الحب فأرضى قلبا وأسخط جفنا

أسهرَتْ مقلتاه فى طاعة الوجـد عيونا على المخضب وَسْنَىٰ

كل ظامى الوشاح رَيّان من ما ء التصابى أضنى المحب وعَنَّى

ما على الدهر لو أعاد زمانا سلبته أيدى الحوادث منا

وعلى مَنْ أحب لو شفع الحسـن الذى قيد العيون بحسنَىٰ

وبروحى أفدى رشيق قوام لاح بدراً وماس إذ ماس غصنا

يتجنَّى ظلما فيحدُثُ لى وجـد إذا صدّ عاتبا أو تجنى

ما ثنانا عنه العذول وهل يثـنى غرامى وقده يتثنَّى

كيف أسلو بدراً يشابهه البد ر سناء يصبى الحليم وأسنى

لىَ معنى فيه وفى صاحب الديـوان إذ رمت مدحه ألف معنى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

طاف بها والليل وَحْفُ الجناح بدر الدجى يحمل شمس الصباح[2]

وفاز بالراحـة عُشاَّقهُ لما بدا فى كفه كأس راح

ظبى من الترك له قامة يُزْرِى تثنيها بسمر الرماح

---

(١) فى هذا البيت أربع استعارات : بدر التم للحبيب ، والقضيب لقده وقوامه ، وليل الدجن — أى الظلمة الشديدة — لشعره الأسود ، والصبح المنير لوجهه .

(٢) وحف : أسود .

عارضه آسٌ ، وفى خدّه ورد نضير ، والثنايا أقاح
عاطيته صهباء مشمولة تجلى سنا الصبح إذا الصبح لاح [١]
فسكّنتْ سَوْرته وانثنى فظل طوعى بعد طول الجماح
فبت لاأعرف طيب الكرى وبات لا ينكر طيب المزاح
فهل على مَنْ بات صبابه وإن نضا ثوب وقار جناح

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

غَزالَ النقا لولا ثناياك واللَّمَى لما بتُّ صبا مستهاما متيما
ولولا معانٍ فيك أوْجَبْنَ صبوتى لما كنت من بعد الثمانين مغرما
أيا جنة الحسن الذى غادر الحشا بفرط التجافى والصدود جهنما
جريْتَ على رسم من الجور واضح أما آن يوما أن ترق وترحما
أمالِكَ رقى كيف حَلَّلْتَ جفوتى وعدت لقتلى بالبعاد متمما
وحرمت من حلو الوصال محللا وحللت من مرّ الجفاء محرّما
بحسن التثنى رقَّ لى من صبابة أسَلْتَ بها دمعى على وجنتى دما
ورفقا بمن غادرته غرض الردى إذا زار عن شحط بلادك سلما [٢]
كلفتُ بساجى الطرف أحوى مهفهف يميس فينسيك القضيب المنعما [٣]
يفوق الظِّبا والغصن حسنا وقامة وبدر الدجى والبرق وجها ومبسما
فناظره فى قصتى ليس ناظرا وحاجبه فى قتلتى قد تحكما
ومشرف صدغ ظَلَّ فى الحكم جائرا وعامل قدّ بان أعدى وأظلما
وعارضه لم يرث لى من شكاية فنمَّتْ دموعى حين لاح منمنما

---

(١) وقع فى ب ، ث « عاطيته شهباء » وهو تحريف ما أثبتناه ، والصهباء : اسم من أسماء الخمر.

(٢) فى ب ، ث « إذا زار عن سخط » تحريف ، والشحط : البعد .

(٣) فى ب وحدها « كانت بساجى الطرف » تحريف .

(٣٠٣)

أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي

علي بن المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم ، أبو القاسم ، التنوخي[١]

ولد يوم الثلاثاء نصف شعبان سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وتوفي في شهور سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

وكان شيعيا معتزليا ، وكان ساكنا وقورا ، وكان مدخله[٢] من نيابة القضاء ودار الضرب وغيرها كل شهر مائتي دينار فيمضي الشهر وليس معه شيء ، وكان ينفق على أصحاب الحديث ، وكان الخطيب والصولي وغيرهما يبيتون عنده ، وكان ثقة في الحديث ، متحفظا في الشهادة ، محتاطا ، صدوقا ، وتقلد قضاء عدة نواح منها المدائن وأعمالها وأذربيجان والبردان وقرميسين ، وكان ظريفا نبيلا جيد النادرة

اجتاز يوما في بعض الدروب ، فسمع امرأة تقول لأخرى : كم عمر بنتك يا أختي ؟ فقالت : رزقتها يوم صفع القاضي وضرب بالسياط ، فرفع رأسه إليها ، وقال : يا بظراء صار صفعي تاريخك ، ما وجدتِ تاريخا غيره .

وكان أعمش العينين ، لا تهدأ جفونه من الانخفاض والارتفاع والتغميض والانفتاح ، وفيه يقول ابن بابك :

إذا التنوخيُّ انتشى وغاص ثم انتعشا[٣]
أخفى عليه إن مشيت وهو يخفى إن مشى
فلا أراه قِـلَّةً ولا يرانى عَمَشَا

ودفع إليه رجل رقعة وهو راكب ، فلما فَضَّهَا وجد فيها :

إنَّ التنوخي به أبنة كأنه يسجد للفَيْش

---

(١) له ترجمة في تاريخ بغداد ١١٥/١٢ ، وفي معجم الأدباء ١١٠/١٤ ، وفي بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٤٧ وتاريخ بغداد ٧٧/١٢ ترجمة جده « علي بن محمد ابن أبي الفهم » .

(٢) يريد « وكان دخله »

(٣) في المعجم « وغاض » بالضاد المعجمة .

له غلامان ينيكانه بعلة التزويج فى الجيش[1]

فقال : ردّوا زوج القحبة ، فردّوه ، فقال له : يا كشخان يا قرنان[2] يازوج ألف قحبة ، هات زوجتك وأختك وأمّك إلى دارى وانظر ما يكون منى ، و بعد ذلك احكم بما يكون منى ، اصفعوا قفاه ، فصفعوه .

وكان يوما نائما ، فاجتاز واحد وأزعجه ممايصيح : شرّاك النعال ، فقال لغلامه : اجمع كل نعل فى البيت وأعطها لهذا يصلحها ، و يشتغل بها ، ثم نام ، وأصلحها الإسكافى واشتغل بها إلى آخر النهار ، ومضى لشأنه ، فلما كان فى اليوم الثانى فعل كذلك ولم يَدَعْه ينام ، فقال للغلام : أدخله ، فأدخله ، فقال له : يا ماصّ بظرأمه ، أمْسِ أصلحتَ كلّ نعل عندنا ، واليوم تصيح على بابنا ، هل بلغك أننا نتصافع بالنعال ، ونقطعها ؟ قفاه قفاه ، فقال : ياسيدى أتوب ، ولا أعود أدخل هذا الدرب أبدا .

وهذا أبو القاسم من أهل بيت كلهم فضلا ، ذكر ابن خلكان أباه المحسن وجَدّه القاضى التنوخى الكبير ، رحمهم الله تعالى!

(٣٠٤)

على بن محمد بن أحمد بن حبيب ، القليوبى ، الكاتب .

على بن محمد بن أحمد بن حبيب ، القليوبى ، الكاتب

قال ابن سعيد المغربى : وصفه ابن الزبير فى كتاب «الجنان» بالإجادة فى التشبيهات ، وغلا فى ذلك ، إلى أن قال : إن أنصف لم يفضل عليه ابن المعتز ، وذكر أنه أدرك العزيز العُبَيْدى ، ومدح قوّاده وكتابه ، وتوفى فى أوائل دولة الظاهر العبيدى ، رحمه الله تعالى !.

---

(١) فى المعجم « فى الحيش » .

(٢) الكشخان ــ ومثله القرنان ــ الديوث .

ومن شعره :

وصافية بات الغلام يديرها على الشَّرْب فى جنح من الليل أدعج (١)
كأنّ حباب الماء فى وجناتها فرائد در فى عقيق مدرج
ولا ضوء إلا من هلال كأنما تفرق منه الغيم عن نصف دُمْلُجِ
وقد حال دون المشترى من شعاعه وميض كمثل الزئبق المترجرج
كأن الثريا فى أواخر ليلها تحيـــة ورد فوق زهر بنفسج

ومنه أيضاً :

فى ليلة أنُفٍ كأنّ هلالها صَدْعٌ تبين فى إناء زجاج (٢)
كَفَلَ الزمان لأختها بزيادة فى نوره فبدا كوَقْفِ العاج (٣)
وكأنما كيوان ثغــرٌ فضة وكأنما المريخ ضوء سراج
تتطاوَلُ الجوزاء تحت جناحه وكأنها من نوره فى داج
ليل كمثل الروض فَتّح جنحه زهر الكواكب فى ذرى الأبراج
أحييته حتى رأيت صباحه من نوره يختال فى دراج
والشمس من تحت الغمام كأنها نور تَضَرّمَ خلف جام زجاج

ومنه أيضاً :

وكأنّ السماء مصحف قار وكأنّ النجوم رسم عشور (٤)
أو كأنّ النجوم زهر رياض قد أحاطت من بدرها بغدير

ومنه :

نجمت نجوم الزهر إلا أنها فى روضــة فلكية الأنوار

---

(١) الشرب : اسم جمع واحده شارب ، ومن النحاة من يعد الشرب جمعا.

(٢) ليلة أنف : لم يسبق لها مثيل ، وأصله قوله « روضة أنف » إذا لم يكن رعاها أحد من قبل .

(٣) الوقف : السوار

(٤) صدر هذا البيت من قول ابن المعتز .

وكأن البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا

وكأنما الجوزاء منها شارب   وكأنما المريخ كأس عقار

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ألا فاسقنيها قد قضى الليلُ نَحْبَهُ   وقام لشوّال هلال مبشر
بدامثل عرق الشام واسترجعت له   صروفُ الليالى فرصة وهو مقمر
إلى أن رأيناه ابن سبع كأنما   على الأفق منه طيلسان مقور

وقال أيضاً :

وصفراء من ماء الكروم كأنما   دُجى الليل منها فى إزار معصفر
كأنّ حباب الماء فى وَجَنَاتها   من الدرّ إكليل لتاج مزعفر
قطعت بها ليلا كأنّ نجومه   إذا اعترضتها العين نيران عسكر
تراها بآفاق السماء كأنما   مطالعها منها معادنُ جوهرِ
ومنطقة الجوزاء تبدو كأنها   وسائط درّ فى قلائد عنبر
وبانت بعينىّ الثريا كأنما   على الأفق منها غصن ورد منوّر
فبت أراعى الفجر حتى تشمرت   ذيول الدجى عن مائه المتفجر

(٣٠٥)

على بن محمد بن سلمة بن حريق ، أبو الحسن ، المخزومى ، البَلَنْسى ، الشاعر[١]

على بن محمد بن سلمة، المخزومى البلنسى الشاعر

كان متبحرا فى اللغة والأدب ، حافظا لأشعار العرب وأيامها ، اعترف له بالسبق عُلَماء وقته .

وقال ابن الأبّار : وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى فى مليح أعور :

---

(١) له ترجمة فى بغية الوعاة ص ٣٤٦ وقال «على بن محمد بن أحمد بن سلمة بن حريق » وذكر بيتيه فى الأعور وبيتيه فى الكاتب البغيض .

لم يَشِنْكَ الذى بعينك عندى أنت أعلى من أن تعاب وأسنى[١]

لطف الله ردّ سهمين سهما رأفةً بالعبــاد فازددت حسنا

ولشمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى الآتى ذكره إن شاء الله تعالى فى مثله :

كان بعينين فلما طغى سحرهما ردّ إلى عين

وذاك من لطف بعشاقه ما يضرب الله بسيفين

ومن شعر ابن حريق رحمه الله تعالى :

وكاتب ألفاظه وكتبه بغيضة إن خط أو تكلما

ترى أناسا يتمنون العمى وآخرين يحمدون الصما

وقال وقد زاره محبوبه فجاء مطر وسيل منعه من العوْد[٢] :

يا ليــلة جادت الأمانى فيها على رغم أنف دهرى

للقطر فيها علىّ نُعْمى يقصر عنها طويل شكرى

إذ بات فى منزلى حبيبى وقام فى أهــله بعذرى

ياليـلة السيل فى الليالى لأنت خير من ألف شهر

ومن شعره :

ياصاحبىّ، وما البخيل بصاحبى، هذى الخيام فأين تلك الأدمع

أتمرّ بالعرَصاتِ لا تبكى بها وهى المعاهد منهم والأربُعُ

يا سعد ما هذا القيام وقد نأوا أتقيم من بعد القلوب الأضلع؟[٣]

هيهات لاريح اللواعج بعدهم زهر ، ولا طير الصبابة وُقّعُ

---

(١) فى ب « لم يشنك الذى بعينيك» وهو فاسد ، وما أثبتناه موافق لما فى ث.

(٢) انظر هذه الأبيات فى نفح الطيب ١٤/٥ بتحقيقنا

(٣) فى ب « يا سعد ما هذا النيام » وما أثبتناه موافق لما فى ث .

وأبى الهوى إلا الحلول بلعلع ويح المطايا ! أين منها لعلع ؟
لم أدر أين ثَوَوْا فلم أسأل بهم ريحا تهبُّ ولا بريقا يلمع
وكأنهم فى كل مدرج ناسم فعليه منى رقة وتضرع
فإذا منحتهمُ السلام تبادرت تبليغه عنى الرياح الأربع

(٣٠٦)

على بن محمد بن الحسن كمال الدين ابن النبيه ،المصرى الأديب ، الشاعر

على بن محمد بن الحسن بن يوسف بن يحيى ، الأديب ، الشاعر ، البارع ، كمال الدين ابن النبيه المصرى ، صاحب الديوان المشهور [١] .

مدح بنى أيوب ، واتصل بالملك الأشرف موسى ، وكتب له الإنشاء ، وسكن بنصيبين ، وتوفى بها فى حادى عشرين من جمادى الأولى سنة تسعة عشر وستمائة

وهذا ديوانه المشهور هو انتقاه من شعره ، لأنه كان منقى منقحاً ، الدرة وأختها ، و إلافما هذا شعر مَنْ لا نظم [له] إلا هذا الديوان الصغير

ومن شعره ماذكره القوصى فى مليح يشتغل بعلم الهندسة :

وبى هندسى الشكل يسبيك لحظه وخال وخدّ بالعذار مطرز
ومذ خط بيكار الجمال عذاره كقوس علمنا أنما الخال مركز

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

تعلمت علم الكيمياء بحبه غزال بجسمى ما بجفنيه من سُقْمِ
فصعدت أنفاسى وقطرت أدمعى فصح بذا التدبير تصفيرة الجسم

وقال فى مليح يهودى بدمشق أحبه :

من آل إسرائيل عُلِّقته أسقمنى بالصد والتيه

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٨٥ وقد أجرى ذكره صاحب النجوم الزاهرة فى ٦/٢٤٣ وقد جمع ديوانه ورتبه عبد الله (باشا) فكرى وطبعه طبع حجر بعد أن كتبه بخطه فى سنة ١٢٨٠ وصدره بترجمته .

قد أنزل السلوى على قلبه وأنزل المنَّ على فيه[(١)]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

بدر تم له من الشعر هَالَهْ مَنْ رآه من المحبين هاله

قصر الليل حين زار ولا غر و غزال غارت عليه الغزاله

يا نسيم الصبا عساك تحملـت لنا من أهيل نجد رساله

كل معسولة المراشف بيضا ء محتها سُمْر القنا العسّاله

عانقتني كصارمى وأدارت معصميها فى عاتقى كالحماله

إنّ بالرقتين ملعب لهو بسطت دوحُهُ علينا ظلاله

معلم معـلم وَشْىُ بسطه الزهـر وحاكته ديمة هَطَّاله[(٢)]

وكأن الحمام فيه قيان عربت لحنها على غير آله[(٣)]

وكأن القضيب شمر للرقص سحيرا عن ساقه أذياله

إن خوض الظلماء أطيبُ عندى من مطايا أمست تشكى كلاله

فهى مثل القسِىِّ شكلا ولكن هى فى السبق أسهم لا محاله

تركتها الحُداة بالخفض والرفع حروفا فى جرها عَمَّالَهْ

ولشهاب الدين التَّلَّعْفَرى قصيدة فى هذا الوزن :

أىُّ دمع من الجفون أسَالَهْ إذ أتته مع النسيم رساله

يا خليلى ، وللخليل حقوق واجبات الأداء فى كل حاله[(٤)]

سَلْ عقيق الحمى وقل إذ تراه خاليا من ظبائه المختاله

أين تلك المراشف العَسَلِيَّا ت وتلك المعاطف العساله

---

(١) أصل المن والسلوى ضربان من الطعام أنزلها الله تعالى لبنى إسرائيل معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام، والمراد من السلوى هنا السلو ونسيان العهود ، والمراد من المن تعداد النعم والامتنان بها .

(٢) فى ب « وما لته ديمة » تحريف ، والبيت غير ثابت فى الديوان

(٣) فى ب « عربت نحتها » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ث ، وفى الديوان « أعربت لحنها »

(٤) فى ب ، ث « واجبات الأحوال » وأثبتنا ما فى الديوان

وليـــال قضيتها كلآل   بغزال تغار منـــه الغزاله[١]

بابلىّ الألحاظ والريق والألفـــاظ ، كلٌّ مدامة سلســاله[٢]

وطويل الصدود والشعر والمطـــل ، ومَنْ لى بأن يديم مِطاله

وسقيم الجفون والعهد والخصـــر فكل تراه يشكو اعتلاله

ونقىّ الجبين والخد والثغـــر فطوبى لمن حسا جِرْيَالَهْ

من بنى الترك كلما جذب القو   س رأينا فى كفِّه بدر هاله

يقع الوهم حين يرمى فلا ند   رى يداه أم عينه القتاله

قلت لما لوى ديون وصالى   وهو مُثْرٍ وقادر لا محـــاله

بيننا الشرع قال سر بى فعندى   من صفاتى لـكل دعوى دَلَالَهْ

وشهودى من خال خدى ومن قـــدى شهود معروفة بالعداله

أنا وكلت مقلتى فى دمِ الخلـــق فقالت قبلت هذِى الوكاله

ومن شعر ابن النبيه رحمه الله تعالى :

رنا وانثنى كالسيف والصَّعْدَة السَّمْرَا   فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرى

خذوا حذرا من خارجى عذاره   فقد جاء زَحْفاً فى كتيبته الخضرا

غلام أراد الله إطفـــاء فتنة   بعارضه فاستأنفت فتنةً أخرى

فزَرْفَنَ بالأصداغ جنـة خـده   وأرخى عليها من ذوائبه سترا[٣]

أخوض عباب الموت من دون ثغره   كذاك يخوض البحر من طلب الدرا

غزال رخيم الدلّ فى يوم سلمه   ولـكن له فى حربه البطشة الـكبرى

درىّ بحمل الـكأس فى يوم لذة   ولـكن بحمل السيف يوم الوغى أدرى

---

(١) الغزال : الظبى ، استعاره لحبيبه ، والغزالة : الشمس

(٢) ينسب السحر إلى بابل ، ومراده أنه يسحر بلحظه وبلفظه وبريقه

(٣) وقع فى ب « فردد فى الأصداغ » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ث والديوان ، وزرفن صدغه : أى جعله كالحلقة فلواه ، معرب

أهيم به فى عقده ونجـاده قلائد منـه فى السرائر والضَّرَّا

وظامية الخلخال أنَّ وشاحُهَا فهذا قد استَغْنَى وذاك اشتكى فقرا[1]

لهـا معصم لولا السوار يصده إذا حَسَرَتْ أكمامَهَا لجرى نهرا

دعتنى إلى السلوان عنـه بحبها فما كنت أرضى بعد إيمانىَ الـكفرا

بأىّ اعتذار ألتقى حسن وجهه إذا شغلتنى عنه غانية عَـذْرَا[2]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

باكر صَبُوحَكَ أهنى العيش باكره فقد ترنم فوق الأيك طائره

والليل تجرى الدرارى فى مَجَرته كالروض تطفو على نهر أزاهره

وكوكب الصبح نجّاب على يده مُخَلَّق تملأ الدنيـا بشائره[3]

فانهض إلى ذوب ياقوت لها حبب ينوب عن ثغر من تهوى جواهره

حمراء فى وجنة الساق لها شبه فهل جنَاها مع العنقود عاصرُهُ ؟

ساق تكوّن من صبح ومن غسق فابيض خداه واسودت غدائره

مُفَلج الثغر معسول اللمى غنج مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره

مهفهف القد يبدى جسمه ترفا مُخَصَّر الخصر عَبْل الردف وافره

بيض سوالفه لُعسٌ مراشفه نعس نواظره خرس أساوره

تعلمَتْ بانة الوادى شمـائله وزورت حسن عينيه جآذره

كأنه بسوَاد الصدغ مكتحل وركبت فوق خديه محاجره

نبيّ حُسْنٍ أظلته ذوائبـه وقام من فترة الأجفان ناظره

فلو رأت مقلتا هاروت آيته الـكبرى لآمن بعد الـكفر ساحره

---

(١) فى ب « فهذا قد استسقى » تحريف ما أثبتناه موافقا لمـا فى ث والديوان

(٢) أراد « عذراء » فقصر الممدود حين اضطر

(٣) أراد بالمخلق الـكتاب المضمخ بالخلوق وهو الطيب

قامت أدلة صدغيه لعاشقه   على عذول أتى فيه يُناظره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما   وأنت ناهٍ لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله   لكنه ربما مرّت أواخره

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

طاب الصبوح لنا فهاك وهات   واشرب هنيئا يا أخا اللذات[١]
كم ذا التوانى والشبابُ مطاوع   والدهر سَمْحٌ والحبيب مُوَاتى
قم فاصطبح من شمس كأسك واغتبق   بكواكب طلعت من الكاسات
صفراء صافية توقد بردها   فعجبت للنيران فى الجنات
ويسيل من قار الظروف حبَابُها   فالدر مجتلب من الظلمات
عذراء واقعَهَا المزاج أما ترى   منديل عذرتها بكف سُقَاةِ
يسعى بها عَبْلُ الروادف أهيف   خنث الشمايل شاطر الحركات[٢]
يهوى فتسبقه أساود شعره   ملتفة كأساود الحيات
يدرى منازل نيرات كؤوسه   ما بين منصرف وآخر آتى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يزيد جمال وجهك كل يوم   ولى جسد يذوب ويضمحلُّ
وما عرف السقام طريق جسمى   ولكن دَلُّ من أهوى يدل
يميل بطرفه التركىّ عنى   صدقتم إن ضيق العين بخل
إذا نُشِرَتْ ذوائبه عليه   ترى ماء يرف عليه ظل[٣]

---

(١) الصبوح : الشرب فى الصباح ، وهاك : اسم فعل بمعنى خذ
(٢) عبل الروادف : ضخمها ، وأهيف : ضامر البطن
(٣) الذوائب : أرادبها الشعر ، والواحدة ذؤابة

وله أيضا رحمه الله :

حديث دمعي عن غرامي شجون تنقله عنى رواة الجفون[1]
عجبت من صحة أخبارها وقد تجرحن بدمع هَتُونْ
بمهجتى أحور قد جمعت جفونه المرضى فنون الفتون
مغناطس الخال على خده يجذب بالحسن حديد العيون
سألته فى فمه قبلة فقال : هذا أبدا لا يكون
أدر دنانير فقد نثرت دراهم النور بنان الغصون
عوذ حنانى من جنون الهوى مِنْ لاَمِ صدغيه بقاف ونون

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

صن ناظرا مترقبا لك أن يرى فلقد كفى من دمعه ما قد جرى
يا من حكى فى الحسن صورة يوسف آها لَوَ اُنك مثل يوسف تُشْتَرَى
تعشو العيون لخده فيردها ويقول : ليست هذه نار القرى
يا قاتل الله الجمال فإنه ما زال يصحب باخلا متجبرا
يا غُصْنَ بانٍ فى نَقَا رمل لقد أبدعْتَ إذ أثمرتَ بَدْرًا نَيِّرًا[2]
ما ضر طيفك أن أكون مكانه فقد اشتبهنا فى السَّقام فما ترى
أترى لأيامى بوصلك عودةً ولو اُنها فى بعض أحلام الكرى
زمنا شربت زُلاَلَ وصلك صافيا وجنيت روض رضاك أخضر مثمرا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لماك والخد النضر ماء الحياة والخضر

---

(١) أخذ ألفاظ هذا البيت والذى بعده من مصطلح علماء الحديث ، وصدر البيت الأول من قول العرب فى مثل « الحديث ذو شجون »

(٢) فى ب ، ث « أبدعته إذ أثمرت بذرا يرى » تحريف

أخذتني يا تاركي ... أخذ عزيز مقتدر
أحَلْتَ سلواني على ... ضامن قلب منكسر
ونمت عن ذي أرق ... إذا غفا النجم سهر
وماء عينيّ التقى ... فيك لأمر قد قدر
ما نصبت أشراك ألحاظك إلا للحذر
قلبي على الترك بهذا البدوي يفتخر
وليّ عهد البدر إن ... غاب فإني منتظر
خلعت إذ بايعته ... عِذار مَنْ لا يعتذر
في خلقه وخلقه ... طبع الغزال والنمر
ترعاه أحْداق الورى ... فحيثما سار تَسِرْ[1]
إن طريق ناظري ... إلى محياه خطر

وقال أيضاً رحمه الله تعالى[2]:

قم يا غلام ودع مقالة مَنْ نَصَحْ ... فالديك قدصَدَعَ الدجى لماصدح
لاحت تباشير الصباح فسقّني ... ماضاء في الظلماء من قدح القدح
صهباء ما لمعت بكف مديرها ... لمقطّبٍ إلا تهلل وانشرح
والله ما مزج المدام بمائها ... لكنه مزج المسرّة بالفرح
هي صفوة الكرم الكريم فماسرت ... سراؤها في باخل إلا سَمَحْ
من كف فتان القوام بوجهه ... عذر لمن خلع العذار أو اطرح
يهتز كالغصن الرطيب على النقا ... ذا خَفَّ في طي الوشاح وذا رجح

(١) تحرف هذا البيت في ث ، ب تحريفا شنيعاً ، فقد وقع في ب « تزهت أخلاق الورى » وفي ث « يزهد أخلاق الورى » والبيت غير موجود في الديوان المطبوع في مصر ، وأثبتنا صوابه عن الشذرات

(٢) أقمنا اعوجاج هذه الأبيات عن الديوان ، وكان كثيرا

النرجس الغض استحى من طرفه   وبخده زهر الأقاح قد انفتح
فكأنه متبسم بعقوده   أو بالثنايا قد تقلد واتشح

وديوان شعره كله من هذا الأسلوب ، وهو موجود فى أيدى الناس، رحمه الله !

(٣٠٧)

علاء الدين على بن محمد الباجى

على بن محمد بن خطاب الشيخ علاء الدين، الباجى، المغربى، الأصولى، المصرى[١] ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وتوفى سنة أربع عشرة وسبعمائة .

اختصر كتاب « المحرر » و « علوم الحديث » و « المحصول » فى أصول الفقه ، و « الأربعين » وكان عمدة فى الفتوى ، وتخرج به الأصحاب ، وممن أخذ عنه العلامتان قاضى القضاة تقى الدين السبكى وأثير الدين أبو حيان ، وكان ديناً صَيِّناً وَقُورا .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

رثى لى عُذَّلِى إذ عاينونى   وسحب مدامعى مثل العيون
وراموا كحل عينى قلت كفوا   فأصل بليتى كحل العيون

وقال دو بيت رحمه الله تعالى :

بالبلبل والهزار والشحرور   يسبى طرباً قلب الشجى المغرور
فانهض عجلا وانهب من اللذة ما   جادت كرما به يد المقدور

(٣٠٨)

أبو سعد على بن محمد ، النيرمانى

على بن محمد بن خلف[٢] ، أبو سعد، الكاتب، النيرمانى ، ونيرمان : قرية من قرى الجبل بالقرب من همذان .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٤/٦ وذكر اسمه « على بن محمد بن عبد الرحمن ابن خطاب ، الباجى » والباجى : نسبه إلى باجة مدينة بالأندلس

(٢) جاء فى معجم البلدان ٣٥٦/٨ « نيرمان ـ بكسر النون ـ من قرى همذان وإليها ينسب أبو سعيد محمد بن على بن خلف وابنه ذو المفاخر ، وكانا من أعيان الأدباء، ولهما شعر رائق » اهـ

كان من جلة الكتاب الفضلاء ، والرؤساء النبلاء ، وكان يخدم فى ديوان بنى بُوَيْه ببغداد ، وصنف لبهاء الدولة « المنثور البهائى » فى مجلدة ، وهو نثر كتاب « الحماسة » .

وتوفى سنة أربع عشرة وأربعمائة .

ومن شعره رحمه الله القصيدة المشهورة وهى :

خليلى فى بغداد هل أنتما ليا	على العهد مثلى أم غدا العهدُ باليا
وهل ذَرَفَتْ يوم النوى مقلتا كما	على كما أمْسِى وأصبح باكيا
وهل أنا مذكور بخير لديكما	إذا ما جرى ذكر لمن كان نائيا
وهل فيكما من آن ينزل منزلا	أنيقاً وبستاناً من النور حاليا[1]
أجدَّ له طيب المكان وحسنه	مُنًى يتمناها فكنت الأمانيا
كتابىَ عن شوق شديد إليكما	كأن على الأحشاء منه مكاويا
وعن أدمع مُنْهَلة فتأملا	كتابى تبن آثارها فى كتابيا
ولا تيأسا أن يجمع الله بيننا	كأحسن ما كنا عليه تصافيا
فقد يجمع الله الشتيتين بعد ما	يظنان كل الظن أن لا تلاقيا[2]
ولما تفرقنا تَطَيرت أن أرى	مكانك منى ـ لا خلا منك! ـ خاليا
فضمنته ورداً كريَّاك ريحه	يذكرنى منك الذى كنت ناسيا
ولا تطلبا صوبى إذا ما بعثتما	بسر وفور حاديات الأغانيا[3]
وخبَّرتمانى أن تيماء منزل	لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا[2]
فهذى شهور الصيف عنا قد انقضت	فما للنوى ترمى بليلى المراميا[2]

(١) فى ب ، ث جميعا « وبستانا من النور خاليا » تحريف ، والنور ـ بفتح النون وسكون الواو ـ النوار ، وحاليا ـ بالحاء المهملة ـ من « حلى هذا الشىء يحلى » بوزن رضى يرضى (٢) يقع هذا البيت فى قصيدة لمجنون ليلى قيس بن الملوح (٣) كذا وقع هذا البيت

فِدًى لك يا بغداد كل مدينة　　من الأرض حتى خطتى وديارِيا
فقد سِرْتُ فى شرق البلاد وغربها　　وطوّفت خيلى بينها وركابِيا
فلم أر فيها مثل بغداد منزلا　　ولم أر فيها مثل دجلة وادِيا
ولا مثل أهليها أرقَّ شمائلا　　وأعذب ألفاظًا وأحلى معانِيا
وكم قائل لو كان ودك صادقًا　　لبغداد لم ترحل وكان جوابِيا
تقيم الرجال الموسرون بأرضهم　　وترمى النوى بالمقترين المرامِيا

وأورد له ابن النجار فى تاريخه :

يا ظالمى قسما عليك بحرمة الإيمـــان　　وهى نهاية الأيمان
لا تسفكنَّ دمى فإنى خائف　　حذر عليك عقوبة العدوان
وإذا مررت على زرود فلا تعر　　بالمشى فيه تمايل الأغصان
بالله واستر ورد خدك فيه لا　　ينشقُّ قلب شقائِقِ النعمان

وأورد له أيضاً رحمه الله تعالى :

عجبًا لضرسك كيف يشكو علة　　وبجَنْبِهِ من ريقك الدرياق
هذا نظير سَقَام ناظرك الذى　　عافاك وابتليت به العشاق
أو عقربى صدغيك إذ لدغ الورى　　وحَمَاكَ من حُمَتَيْهِمَا الخلاق

(٣٠٩)

بهاء الدين على بن محمد (ابن حنا) الوزير

على بن محمد بن سليم ، الصاحب الوزير الكبير بهاء الدين بن حنا المصرى[١] . أحد رجال الدهر حزماً وعزماً ورأياً ودهاء وخبرة وتصرفاً ، استوزره الظاهر، وفوض إليه الأمور ، ولم يكن على يده يد ، وقام بأعباء المملكة ، وكان واسعَ

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٥٨/٥ وذكر وفاته فى ذى القعدة من سنة ٦٧٧ عن أربع وسبعين سنة

الصدر ، عفيفاً نزيهاً ، لا يقبل لأحد شيئاً إلا أن يكون من الصلحاء والفقراء ، وكان قابلا لهم : يُحْسن إليهم ، ويحترمهم ، ويدر عليهم بالصِّلات ، وقصده غير واحد بالأذى فلم يجدوا مايتعللون به عليه ، ووزر بعد الظاهر لابنه السعيد ، وزادت رتبته ، وعاش أربعا وسبعين سنة ، وتوفى سنة سبع وسبعين وستمائة .

وحكى أن من جملة سعادته أيام وزارته أنه نزل إلى دار الوزير الفائزى ليتبع ودائعه وذخائره ، فوجد ورقةً فيها أسماء من أودع عنده أمواله ، فعرف الحاضرون كلَّ من سمى فى الورقة ، وطلب ، وأخذ المال منه ، وكان فى جملة الأسماء مكتوب الشيخ ركن الدين أربعون ألف دينار ، فلم يعرف الحاضرون من هو الشيخ ركن الدين ، ففكر الصاحب زماناً ، وقال : احفروا هذا الركن ، وأشار إلى ركن فى الدار ، فحفروه ، فوجدوا الذهب .

وكان ينتبه قبل الأذان للصبح ، ويشرب قدحاً فيه ثمان أواق شراب بالمصرى ، ويأكل طيور دجاج مصلوقة ، فإذا أذن صَلّى الصبح ، وركب إلى القلعة ، وأقام طول نهاره لا يأكل شيئاً فى المباشرة ويظن أنه صائم ، وهو فى الحقيقه صائم لا يحتاج إلى غذاء مع ذلك الشراب والدجاج ، وكان الملك الظاهر يعظمه ، ويدعوه يا أبى .

وحكى أن الأمراء الكبار اشْتَوَرُوا[1] فيما بينهم أنهم يخاطبون الملك الظاهر فى عزل الصاحب بهاء الدين ، وكانوا قد قرروا أن ابن بركة خان هو الذى يفتح الباب فى ذلك ، والأمراء يراسلونه ، فبلغ السلطان ذلك ، وكانوا قد عزموا على مخاطبته فى بكرة ذلك النهار وهو فى الخدمة ، فلما جاؤا ثانى يوم ادعى السلطان

---

(١) اشتوروا : أى شاور بعضهم بعضا وأجالوا الفكر فيما بينهم

أنه أصبح به مغص منعه عن الجلوس للخدمة ، فجلس الأمراء إلى أن تعالى النهار ثم خرج إليهم بيدرا[١] وقال لهم : باسم الله ادخلوا ، فدخلوا يعودون السلطان ، فوجدوه متقلقا ، فجلسوا عنده ساعة ، فجاءه خادم وقال : يا خوند كان مولانا السلطان قد دفع إلىّ فى وقتٍ قعبة صينى فيها حلاوة يقطين وقال لى : دَعْها عندك فإن هذه أهداها إلىّ رجل صالح ، وهى تنفع من الأمراض ، فقال السلطان : نعم، أحضرها ، فأحضرها ، فأكل منها شيئاً قليلا ، وادعى أنه سَكَنَ مايجده من الألم ، ففرح الأمراء وسُرُّوا بذلك ، فقال : ياأمراء أتعرفون الذى أهدى لى هذه الحلاوة ؟ فقالوا : لا ، فقال : هو الصاحب بهاء الدين ، فسكتوا ، فلما خرجوا قال بعضهم لبعض : إذا كان يعتقد أن طعامه يشفى من الأمراض أى شىء تقولون فيه .

(٣١٠)

علاء الدين على ابن محمد (ابن غانم)

على بن محمد[٢] بن سلمان بن حمائل، الشيخ الفاضل البليغ الكاتب الشاعر ، صدر الشام ، بقية الأعيان ، الشيخ علاء الدين بن غانم ، وتقدم تمام نسبه فى ترجمة أخيه الشيخ شهاب الدين .

توفى بتبوك سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، وولد سنة ثمانين[٣] .

كان حسنة من حسنات الزمان ، وبقية مما ترك الأعيان ، ذا مروأة فاتت الواصف ، وجود أخجل الغمام الواكف ، تأذى من الدولة مرات ، وما رَجَعَ عماله فى الخير والعصبية من كرامات .

قال الشيخ صدر الدين بن الوكيل : ما أعرف أحداً فى الشام إلاوعلاء الدين بن غانم فى عنقه منه قلادة قلدها بصنيعه أو جاهه أو ماله ، وكان الشيخ كمال الدين بن

---

(١) فى ب « بيدار »

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٦/ ١١٤ وذكر أن وفاته قبل وفاة أخيه شهاب الدين أحمد بن غانم بأشهر فى سنة ٧٣٧ وسن صدر الدين على بن غانم ست وثمانون سنة

(٣) هكذا وقع فى ب ، ث ، وهو لايوافق ماذكره صاحب الشذرات ، وكيف وهو قد باشر الإنشاء ستين سنة ؟ وأحسب أصل هذه العبارة «وله ست وثمانون سنة» فتصحفت على الناسخين

الزملكانى يكرهه ويقول : ما أدرى ما أعمل بهذا علاء الدين بن غانم ؟ من أردت أن أذكره عنده بسوء يقول: ما فى الدنيا مثل علاء الدين بن غانم ، وكانت كراهته له بسبب ، وهو أنه شغر[1] منصب القضاء بدمشق ، فكتب جمال الدين الأفرم نائب السلطنة مطالعة يذكر فيها مَنْ يصلح للقضاء ، فعين الشيخ صدر الدين بن الوكيل وابن الزملكانى وابن الشريشى وغيرهم ، وكتب فى الجملة نجم الدين بن صصرى ، وكان بين ابن صصرى وابن غانم تودد عظيم وإدلال وعشرة عظيمة ، وكان عند الأفرم حِجْرَة[2] عربية ليس لها نظير ، وكان يحبها ، وكان سلار والجاشنكير[3] كل منهما قد طلبها وهو يدافع عنها ، ولا تسمح نفسه بفراقها ، فأخذ ابن غانم علامة الأفرم وكتب عليها كتابا بخطه يقول لسلار : أحب أن تجعل ولاية قضاء القضاة لابن صصرى وشكرانه تلك الحجرة التى طلبتها ، وسير المطالعة ، فلم يشعر إلا وتقليد ابن صصرى قد كتب ، ولم يكن فى ظن أحد ذلك ، فتغيظ ابن الزملكانى وابن الوكيل لذلك ، وعز عليهما ، وباشر ابن صصرى القضاء ، ثم بعد ذلك طلبت الفرس وقيل له : قد أجبنا سؤالك إلى ما أردتَ ، وسير لنا ما ذكرت من الفرس ، فقال : أنا لم أعلم بذلك ، ولا لى غرض ، فسيروا إليه المطالعة ، فوجدت بخط ابن غانم ، فرسم إليه فى الغد برايه ليقطع فى بكرة النهار يده ، وشاع ذلك ، فلما أن كان سحر ذلك اليوم طلبه الأفرم وقال له من أوّل الليل إلى آخره كلما أردت النوم يأتينى شخص فى يده رمح — قال أو حربة — ويقول : لا تعرض لابن غانم بسوء ، وإلا أقتلك بهذه الحربة ، وقال له : ما حملك على ذلك ؟ قال : حبى لابن صصرى ، ولا عدت إلى مثلها ، فعفا عنه ، وخلع عليه ، وكمد عداه لذلك ، واستقل ابن صصرى بالقضاء ، وعظمت منزلة ابن غانم عند ابن صصرى

---

(١) شغر منصب القضاء : خلا ممن كان يشغله

(٢) الحجرة : أنثى الخيل ، والصواب أن تقال بغير تاء

(٣) فى ب « والجاشنكار » وما أثبتناه موافق لما فى ث

مع عظمها قبل ذلك : وكان زائد الإدلال عليه ، وتضاعف إدلاله ، وكان ابن صصرى إذا عزل لا يولى ، وإذا ذاكر فى أمر لا يرجع عنه ، واتفق أنّ قاضى نوى كان له أعداء تكلَّموا فيه بسوء ، جرحوه بالباطل ، وتحاملوا عليه عند قاضى القضاة نجم الدين ، فاستحضره وعزله وانتهره فى المجلس ، وخرج من بين يديه منكسر الخاطر ، وكان علاء الدين بن غانم يقرأ بين المغرب والعشاء فى السبع بالحائط الشمالى[(١)] ، عند باب النظامين ، فقيل لذلك الرجل : مالَكَ إلا علاء الدين بن غانم ، فله إدلال عظيم على القاضى ، وأعلموه أنه بين العشاءين يقرأ فى السبع المذكور ، فاتفق أنّ ذلك الرجل جاء إلى علاء الدين ولم يكن يعرفه ، فسأله عن علاء الدين وقال : لى إليه حاجة فدُلّنى عليه ، فقال علاء الدين : قل لى حاجتك ، فإن كان يمكن قضاؤها تحدثت لك مع ابن غانم فهو ما يخالفنى إن شاء الله تعالى ، فقال له : يامولانا أنا والله فقير الحال ، ولى عائلة ، ورجل كبير ، والله مامعى درهم ، ولا ما أتعشى به ، وبكى وقال : أنا قاضٍ من قضاة البرّ ، وكأنّ بعض من يحسُدُنى وَشَى عنده ، ونقل إليه بأننى أرتشى ، وحمله على ، فاستحضرنى وعزلنى ، والله مالى درهم واحد ولا دابة أحضر عليها أهلى ، وقصدت أن أجلس بين الشهود فما مكننى ، فقيل لى : إنّ علاء الدين بن غانم واسطة خير ، وله عليه إدلال عظيم ، ودلونى إلى هذا المكان ، وبكى ، فقال له : اقعد هنا لأكشف لك خبر ابن غانم ، وأرجو من الله إصلاح أمرك ، فأجلسه ، وانطلق من وقته فدخل على ابن صصرى وكلمه بإدلاله بحيث قال له : أنت قاسى القلب ، وأنت ، وأنت ، فقال له : ما الخبر ؟ فقال : هذا القاضى الفلانى ، أى شىء ذنبه حتى عزلته؟ فقال : من صفته كذا وكذا ، [وقيل عنه كذا[(٢)] وكذا] فقال : والله كذب عليه ، وأنا والله ما أعرفه ، ودل علىّ ، وحلف أنه ما ارتشى قط

---

(١) فى ب « بالحيط الشمالى »

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من ب

ولاله مايتعشّى به ، ورقّ قلبي له ، ووالله العظيم لاخرجت من عندك حتى توليه وظيفته ، وتكتب تقليده [وتكبت عدوه][1] فقال : هذا ما يمكن ، ومالى عادة إذا عزلت أُحدًا أعود إليه ، فقال : والله ماأخرج حتى توليه ، و إن لم تسمع منى لاعدت أكلمك أبدا ، فلم يزل حتى ولاّه من ساعته ، وكتب تقليده وأشهد عليه بذلك ، فقال : وتعطيه عمامتك وفرجيتك خلعة عليه ، فلم يمكنه مخالفته ، ثم قال : وتكتب له على الصدقات خمسمائة درهم ، ففعل ذلك جميعه ، وأتى إلى منزله فأخذ ثوبا ودلْقاً له ، ووضع الجميع فى بُقْجَة ، وأتى إليه وهو ينتظره ، فحين رآه قال له : ايش قال لك ابن غانم ؟ فأخرج التوقيع ، وكان فى ذهنه أن يسعى له فى الجلوس بين الشهود ، فلما قرأ التوقيع كاد يموت فرحا ، ثم أعطاه العمامة والفرجية والخمسمائة وقال : هذا من قاضى القضاة ، وهذا الدلق والغلالة منى ، فأكبَّ على يديه يقبلهما ، فلم يمكنه وقال : أنا والله ماعملت معك هذا إلا لله تعالى ، فابتهل بالدعاء له

وله من هذا وأشباهه مالا يكاد ينضبط ، ولو بسطت مناقبه لطال الفصل ، وكان وقورا ، مليح الهيئة ، منور الشيبة ، ملازم الجماعة ، مطرح الكلف

حدث عن ابن عبد الدائم والزين خالد وابن السبتى وجماعة

وكان بيته رحمه الله تعالى مأوى كل غريب ، و بابه مقصد كل ملهوف

وله النظم والنثر ، ومدحه شعراء عصره ، وكان آخر من بقى من رؤساء دمشق

كتب إلى العلامة شهاب الدين محمود رحمه الله :

لقد غبت عنا والذى غاب محسود وأنت على ما اخترت من ذاك محمود

حللنا محلا بعد بعدك مُمْحِلا به كل شىء ما خلا السير مفقود[2]

---

(١) وتكبت عدوه : أراد تغيظه وتحزنه ، وسقطت هذه الجملة من ب

(٢) مكان ممحل : جدب قفر

به الباب مفتوح إلى كل شقوة ولكن به باب السعادة مسدود

فكتب إليه شهاب الدين محمود الجواب :

أأحبابنا بنتم وشَطَّ مزاركم برغمى، وحالت دون وصلكم البيد[١]

وروّعتمُ روض الحمى بفراقكم فشابت نواصى بانِهِ وَهْو مولود

ومن لم تهجه الوُرْقُ وجدا عليكمُ توهم أن النوح فى الدوح تغريد

وكتب إليه الشيخ نجم الدين الصفدى :

شنف الأسماع بالنظم الذى قد حكى الأنجم فى ظلمائها

وبدا كالشمس إلا أنه زاد فى النور على لألائها

فأجاب :

ليس للمملوك إلا مدحه فى معاليك وفى آلائها

وبحار الفضل تجرى منك لى فمقالى قطرة من مائها

وقال رحمه الله تعالى : عتبنى شهاب الدين محمود وهو صاحب الديوان ، وقال بلغنى أن جماعة كتاب الإنشاء يذمّونى وأنت حاضر ما تردّ غيبتى ، فكتب إليه :

ومن قال إن القوم ذموك كاذب وما منك إلا الفضل يوجد والجود

وما أحد إلا لفضلك حامد وهل عيب بين الناس أو ذم محمود

فأجاب بأبياتٍ منها :

علمت بأنى لم أذم بمجلس وفيه كريم القوم مثلك موجود

ولست أزكى النفس إذ ليس نافعى إذا ذم منى الفعل والإسم محمود

وما يكره الإنسان يؤكل لحمه وقد آن أن يبلى ويأكله الدود

---

(١) بنتم : بعدتم وفارقتم ، وشط : بعد ، ووقع فى ب « وشط مزارنا » وما أثبتناه موافق لما فى ث ، والبيد . جمع بيداء ، وهى الصحراء

قال : ولم يكن بعد ذلك إلا أيام قلائل حتى توفى رحمه الله تعالى وأكله الدود

ومن شعر علاء الدين بن غانم لما أمسك كراى المنصورى نائب الشام :

أنا راض بحالتى لا مزيدْ   وبأن لا أزال عبد الحميدْ

لى فى أمر كافل الملك بالشام عظات والحازم المستفيدْ

جاءه بالتقليد أرغون بالأمس وولّى وعاد بالتقييدْ

وقال أيضاً :

وكم سرحة لى بالربىٰ زَمَنَ الصبا   أشاهد معنى حسنها متمليا[١]

ويسكرنى عرف الشذا من نسيمها   فأقضى هوى من طيبه حتف أنفيا

وأسأل فيها مبسم الروض قبلة   فيبرز من أكمامه لىَ أيدِياَ

فلِلّهِ روض زرته متنزها   فأبدى لعينى حسن مرأى بلارِياَ

غدا الغصن فيه راقصا ونسيمه   يكر على من زاره متعدّيا

تمايَلتِ الأشجار والماء خَرَّ إذ   نسيم الصبا أضحى به متمشيا[٢]

تغنى لديه الورق والغصن راقص   فيعرق وجه الأرض من كثرة الحيا

ومن نثره فى صفة قلعة ذات أودية ومحاجر : لا ترى العيون لبعد مَرْماها إلا شزرا ، ولا ينظر سكانها العدد الكثير إلا نَزْرا ، ولا يظنّ ناظرها إلا أنها طالعة بين النجوم بمالها من الأبراج ، ولها من الفرات خندق يحفها كالبحر إلا أن هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، ولها وادٍ لايقى لَفْحَة الرمضاء ولا حَرَّ الهوَاجر ، وقد توعَّرت مسالكه فلا يُدَاس فيه إلا على المَحَاجر ، وتفاوت ما بين مرآه العلى وبين قراره العَمِيق ، ويقتحم راكبه الهول فى هُبُوطه فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق .

---

(١) فى ب « بالركا زمن الضبا » تحريف

(٢) فى ب « ترحلت الأشجار والماء خرد » تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى ث

(٣١١)

علی بن محمد بن خروف الأندلسی[1] .

علی بن محمد (ابن خروف) الأندلسی

حضر من إشبيلية ، وكان إماماً فى العربية ، محققا ، مدققا ، ماهرا ، عارفا ، مشاركا فى علم الأصول ، صنف شرحا لكتاب سيبويه جليل الفائدة ، وحمله إلى صاحب المغرب ، فأعطاه ألف دينار ، وشرحا للجُمَل ، وكتابا فى الفرائض ، وله رد على أبى زيد السهيلى وعلى جماعة فى العربية .

أقرأ النحو فى بلاد عديدة ، وأقام فى حلب مدة ، واختلَّ عقله بآخرة حتى مشى فى الأسواق عُرْيَانا بادىَ العورة مكشوف الرأس .

وتوفى سنة تسع وستمائة .

ومن شعره فى كاس :

أنا جسم للحُمَيَّا والحميا لىَ روح
بين أهل الظرف أغدو كل يوم وأروح

وقال فى صبى مليح حبسه القاضى :

أقاضى المسلمين حكمت حكما أتى وجه الزمان به عبوسا
حَبَسْتَ على الدراهم ذا جمال ولم تحبسه إذ سلب النفوسا

وكتب إلى قاضى القضاة محيى الدين بن الزكى يستقيله من مُشَارفة مارستان نور الدين ، وكان بوَّابه يسمى السِّيد ، وهو فى اللغة الذئب :

مولاى مولاى أجرنى فقد أصبحت فى دار الأسى والحتوف
وليس لى صبر على منزل بوابه السيد وجدّى خروف

---

(١) له ترجمة فى بغية الوعاة للسيوطى ٣٥٤ وقال « على بن محمد بن على بن محمد ابن خروف » وفى معجم الأدباء ١٥/٧٥ وقال «على بن محمد بن يوسف بن خروف » وذكر وفاته فى سنة ٦٠٦ وذكر فى البغية اختلافا فى سنة وفاته ؛ فيقال : سنة ٦٠٥ ويقال : سنة ٦٠٦ ، ويقال : سنة ٦٠٩ ، ويقال : سنة ٦١٠ عن خمس وثمانين سنة

ودعاهُ نجم الدين بن اللهيب إلى طعامه ، فلم يجبه ، وكتب إليه :

ابن اللهيب دعانى دعاء غـــير نبيه
إن سِرْتُ يوما إليه نوى الذى فى أبيه

وقال أيضاً :

يا ابن اللهيب جعلت مذهب مالك يدعو الأنام إلى أبيك ومالك
يبكى الهُدَى ملء الجفون ، وإنما ضحك الفساد من الصلاح الهالك

وقد قال فيه أيضاً :

لابن اللهيب مذهب فى كل غى قد ذهب
يتلو الذى يبصره (تبت يدا أبى لهب)

وكتب إلى القاضى بهاء الدين بن شداد يطلب منه فروة خروف[1] :

بهاء الدين والدنيا وبحر الحمد والحسب
طلبت مخافة الأنوا ء من نعماك جلد أبى
وفضلك عالم أنى خروف بارعُ الأدب
حلبت الدهر أشْطُرَه وفى حَلَبٍ صفا حلبى

وقد قال فى نيل مصر :

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله فى ضفتيه من الأشجار أدواح[2]
من جنة الخلد فَيَّاض على تَرَع تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زَعَمُوا وإنما هى أرزاق وأرواح

(١) اقرأ هذه الأبيات وأبياتا أخرى فى معناها لابن خروف فى نفح الطيب ١٤/٥ بتحقيقنا (٢) فى ب « أرواح » وما أثبتناه موافق لما فى ث ، والأدواح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة .

وقال فيه أيضاً :

واشربوا كل صباح لبنا　　واشربوا كل أصيل عَسَلاَ

واعملوا ذاك إلى أعدائكم　　من قسيّ النَّبْلِ أو رُقْش الفلا

وقال :

لا ترجُونّ لمثلى　　من هذه الراح تَوْبَهْ

فإنما هى ليلى　　وإنما أنا توبه[١]

قال القوصى : وقع ابن خروف فى جب ليلا فمات ، وذلك فى سنة تسع وستمائة ، رحمه الله !.

(٣١٢)

أبو فراس مجد العرب على بن محمد بن غالب

على بن محمد بن غالب ، أبو فراس ، العامرى ، المعروف بمجد العرب شاعر جالَ ما بين العراق والشام ، ومدح الملوك والأكابر ، ولبس أخيرا لبس الأتراك .

وتوفى بالموصل سنه ثلاث وخمسين وسبعمائة .

ومن شعره :

أمتعِبُ مَارَقَّ من جسمه　　بحمل السيوف وثقل الرماح

علام تكلَّفْتَ حملانها　　وبين جفونك أمضى السلاح

وقال أيضاً :

فارق تَجِدْ عِوَضاً عمن تفارقه

فى الأرض وانْصَبْ تلاقِ الرشد فى النصب[٢]

---

(١) يشير إلى ليلى : معشوقة توبة بن الحمير ، ويريد أنه لا يسلوها

(٢) انصب : اتعب ، وأراد الحث على الجد والدأب

فالأسد لولا فراق الغاب ما افترست والسهم لولا فراق القوس لم يصب

(٣١٣)

كمال الدين ابن الأعمى على بن محمد الأديب الشاعر

علی بن محمد [بن] المبارك[١]، الأديب، كمال الدين ابن الأعمى، الشاعر، **صاحب** المقامة[٢] التي في الفقراء المجردين، وكان شيخا كبيرا من بقايا شعراء الدولة الناصرية، انقطع في آخر عمره بالقليجية، وكان مقرئا بالتربة الأشرفية، ووالدُه الشيخ **ظهير** الدين الأعمى كان خطيب القدس.

وكانت وفاة كمال الدين سنة اثنتين وتسعين وستمائة.

ومن شعره:

أنا في حالة النوى والتداني لست أثني عن الغرام عناني

لا يروم السلو قلبي ولا يفتر عن ذكر من أحب لساني

وسواء إذا المودّة واست نظري بالعيان أو بالجنان

فاقتراب الديار لفظ وقرب الود معنى، فاسلك سبيل المعاني

لست ممن يرضى بطيف خيال قانعاً في هواهُمُ بالهوان

إنّ طيف الخيال دلّ على أنّ الكرى قد يُلم بالأجفان

غير أني تشتاق عيني إلى من حل من مهجتي أعز مكان

وبروحي ظبياً تغار غصون البان منه وتخجل النيّرانِ

ذو قوام يغنيه عن حَمْلِهِ الرمحَ وجفن وسنانه كالسنان[٣]

كتب الحسن فوق خدّيه بين الماء والنار فيهما جنتان

حرس الورد منهما نرجس اللحظ فلِمْ سيّجوه بالريحان[٤]

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٤٢١/٥

(٢) سماها في الشذرات «المقامة البحرية»

(٣) في ب «عن حكمه الرمح» و «كالبصان» تحريف ردىء

(٤) في ب «فلم يسحره بالريحان»

عارض عوّذته بياسين لما ... أن تبدّى كالنمل أو كالدخان
يلبس الحسن كل وقت جديد ... فلهذا أخلقت ثوب التوانى
يا خليليّ خليانى ووجدى ... وامزجالى بذكره واسقيانى
وإذا ما قضيت سكرا من الوجد فلا تحزنا ولا تدفنانى
فأيادى ذا الناصر المَلْكِ تحييـني كإحيائها الندى وهوفانى(١)

وقال يذم دار سكناه :

دار سكنت بها أقلُّ صفاتها ... أن تكثر الحشرات فى جنباتها
الخير عنها نازح متباعد ... والشر دانٍ من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوضُ عدمته ... كم أعدم الأجفان طيبَ سِناتها
وتبيت تُسْعدها براغيث متى ... غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنغيص ، ولكن قافه ... قد قدّمت فيه على أخواتها(٢)
وبها ذباب كالضباب يسدّ عين الشمس ما طربى سوى غناتها
أين الصوارم والقنَا من فتكها ... فينا ؟ وأين الأسد من وثباتها ؟
وبها من الخطاف ما هو معجز ... أبصارنا عن حصر كيفياتها
تغشى العيون بمرها ومجيئها ... وتصمّ سمع الخلد من أصواتها
وبها خفافيش تطير نهارها ... مع ليلها ليست على عاداتها
شبهتها بقنافذ مطبوخة ... تدع الطهاة تضج من شوكاتها
شوكاتها فاقت على سُمْر القنا ... فأعجب لشدة فتكها وثباتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت ... عنه العتاق الجرد فى حملاتها

---

(١) فى ب « تحي كاحيائها » ولا يتم معه وزن البيت ، وما أثبتناه موافق لما فى ث
(٢) قد قدمت : أى فصارت الكلمة « قرص »

فترى أبا مروان منها هاربا — وأبا الحُصَين يروغ عن طرقاتها[1]

وبها خنافس كالطنافس أفرشت — فى أرضها وعَلَتْ على جنباتها

لوشم أهل الحرب منتن فَسْوها — أردى الكُماة الصِّيدَ عن صهواتها

وبنات وردان وأشكال لها — مما يفوت العين كنه ذواتها

متزاحم متراكم متحارب — متراكب فى الأرض مثل نباتها

وبها قراد لا اندمال لجرحها — لايفعل المِشْرَاطُ مثل أداتها

أبدا تمص دماءنا فكأنها — حجامة لبدت على كاساتها

وبها من النمل السليمانى ما — قد قل ذر الشمس عن ذراتها

لا يدخلون مساكنا، بل يحطمو — ن جلودنا؛ فالعقر من سطواتها

ما راعنى شىء سوى وزغاتها — فنعوذ بالرحمن من نزغاتها

سجعت على أوكارها فظننتها — وُرْقَ الحمام سجعن فى شجراتها

ولها زنابير تُظَنُّ عقاربا — لابرء للمسموم من لدغاتها

وبها عقارب كالأقارب رُتَّع — فينا حمانا الله لدغ حُماتها

فكأنما حيطانها كغرائب — أطلعن أرؤسهن من طاقاتها

كيف السبيل إلى النجاة ولا نجا — ة ولا حياة لمن رأى حيَّاتها

السم فى نَفَثَاتها، والمكر فى — فلتاتها، والموت فى لفتاتها

منسوجة بالعنكبوت سماؤها — والضيف لا ينفك من صعقاتها

فضجيجها كالرعد فى جنباتها — وترابها كالرمل من خشناتها

والبوم عاكفة على أرجائها — والدودُ يبحث فى ثرى عرصاتها

---

(١) ينبغى أن تكون « أبو مروان » كنية لنوع من الحيوان كأبى الحصين فإنها إحدى كنى الثعلب، ومن كناه: أبو النجم، وأبو نوفل، ولكنى لم أعثر على نص يؤيد ما أشرت إليه، ومن كنى الثعبان « أبو حيان » و « أبو عثمان » و « أبو يحيى » و « أبو البحترى » فلعل الأصل إحدى الأولين

والنار جزء من تَلَهُّبِ حرّها ... وجهنم تُعْزَى إلى نَفَحاتها[١]

قد رممت من قبل آدم يلتقى ... مع أمّنا حوّاء فى عرفاتها

شاهدت مكتوبا على أرجائها ... ورأيت مسطورا على عتباتها

لا تقربوا منها وخافوها ولا ... تلقوا بأيديكم إلى هلكاتها

أبدا يقول الداخلون ببابها : ... يارب نَجِّ الناس من آفاتها

قالوا : إذا ندب الغراب منازلا ... يتفرق السكان من ساحاتها

وبدارنا ألفا غراب ناعق ... كذب الرواة فأين صدق رواتها

صبراً لعل الله يعقب راحة ... للنفس إن غلبت على شهواتها

دار تبيت الجن تحرس نفسها ... فيها وتندب باختلاف لغاتها

كم بت فيها مفردا والعين من ... شوق الصباح تسحُّ من عبراتها[٢]

وأقول : يارب السموات العلى ... يا رازقا للوحش فى فلواتها

أسكنتنى بجهنم الدنيا ففى ... أخراى هَبْ لى الخلد فى جناتها

واجمع بمن أهواه شملى عاجلا ... يا جامع الأرواح بعد شتاتها

وكتب إلى الملك الحافظ يستهدى نطعا :

يا ملكا قد خُلقت كفه ... للفرق بين الضرّ والنفع

وملكا صيرنى عبدَه ... إحسانُه فى القول والصنع

وماجدا أنوار أسيافه ... مُشْرقة فى ظلم النقع

نحن بحمد الله فى عيشة ... مرضية بالعقل والشرع

إذا شبعنا بعد طول الطَّوَى ... ليس لنا نَقْلٌ سوى الصفع

---

(١) تعزى ـ بالبناء للمجهول ـ تنسب ، ونفحاتها : جمع نفحة ، وهى هنا الريح

(٢) تسح : تنزل دمعها مدراراً ، والعبرات : جمع عبرة ، وهى الدمعة .

والنقل قد دار على رسمه والوقت محتاج إلى النطع

وله هجوا فى حمام ضيق شديد الحرّ ليس فيه ماء بارد :

إن حَمَّامنا الذى نحن فيه قد أناخ العذاب فيه وخَيَّمْ

مظلم الأرض والسما والنواحى كل عيب من عيبه يتعلم

حرج بابه كطاقة سجن شهد الله مَنْ يجر فيه يندم[١]

وله مالك غدا خازن النيـران بل مالك أرق وأرحم[٢]

كلما قلت قد أطلت عذابى قال لى : اخسأ فيه ولا تتكلم

قلت لما رأيته يتلظَّى : ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

وأهدى إليه صاحبٌ صحنَ حلاوة ، ولم يكن جيداً ، فكتب إليه :

إنّ فى صحنك المسمى حلاوه رقة تورث القلوب قساوه

كم حفرنا فلم نجد غير أرض الـصحن يبسا كمثل أرض السماوه

لست أدرى من سُكَّرٍ كان أم من عسل حين لم تَشُبْه نداوه

غير أنى رأيت صحنا صغيرا ما عليه من النعيم طلاوه

شبهته العيون حين أتانا وجه مولود قد علته غشاوه

لا تكن تحسب الصداقة هذا ليس هذا صداقة بل عداوه

(٣١٤)

أبو الحسن على بن محمد (ابن بسام) البغدادى

على بن محمد بن نصر[٣] بن منصور بن بسام ، أبو الحسن ، البغدادى ، أحد الشعراء وهو ابن أخت حمدون النديم ، وله هجاء خبيث ، استفرغ شعره فى هجاء والده وهجاء جماعة من الوزراء كالقاسم بن عُبيد الله وجعفر بن الزيات .

---

(١) فى الشذرات « من يخر فيه يندم » .

(٢) وفيه « وبه مالك » و « خازن النار ، بلى مالك » .

(٣) له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت ١٤/١٣٩ وذكر عن المرزبانى أنه معدود فى العققة ، وذلك من قبل أن لسانه لم يسلم منه أحد كما ذكر المؤلف .

وتوفى سنة اثنتين وثلثمائة .

وهو من بيت كتابة ، وله من الكتب كتاب « أخبار عمر بن أبى ربيعة » وكتاب « المعاقرين » وكتاب «مناقضات الشعراء » وكتاب « أخبار الأحوص» وديوان رسائله .

ومن شعره فى وزارة بنى الفرات :

إذا حكم النصارى فى الفروج ... وتاهُوا بالبغال وبالسُّروج

فقل للأعور الدجّال : هـذا ... أوانُكَ إن عَزَمْتَ على الخروج

وقال : كنت أتعشق غلاما لخالى أحمد بن حمدون ، فقمت ليلة لأدبّ عليه ، فلما قربت منه لسَعَتْنِى عقرب ، فصرخت ، فانتبه خالى ، وقال : ما تصنع ههنا ؟ فقلت : جئت لأبول ، فقال : صدقت فى است غلامى ، فقلت لوقتى فى ذلك شعرا :

ولقد سريت على الظلام لموعد ... حصلته من غادر كذاب

فإذا على ظهر الطريق مُعَدَّة ... سوداء قد عرفت أوان ذهابى [1]

لا بارك الرحمن فيها عقربا ... دبابة دبت على دَبَّاب

فقال خالى : قبحك الله ، لو تركت المجون يوما لتركته فى هذا المجال [2] .

وقال : كنت أتقلد البريد فى أيام عبيد الله بن سلام بن سليمان بن وهب ، والعاملُ بها أبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد ، فأهدى إلى ليـلة عيد الأضحى بقرة ، فاستقللتها ورددتها وكتبت إليه :

كم من يدٍ لى إليك سالفة ... وأنت بالحق غير معترف

نفسك أهديتها لأذبحها ... فصنتها عن مواقع التلف

---

(١) فى المعجم « فإذا على ظهر الطريق مغـذة » من الإغذاذ فى السـير بمعنى الإسراع فيه .

(٢) فى ب « فى هذا الحال » وفى المعجم « فى هذه الحال » .

(٣١٥)

على بن محمد الدوادارى (ابن الريس)

على بن محمد بن علاء الدين الدوادارى ، يعرف بابن الريس ، وابن الكلاس كان جنديا بدمشق ، رأيته بسوق الكتب غير مرّة .

كان فاضلا أديباً ناظما ناثراً ، له تعاليق ومجاميع يدل حسن اختياره فيها على فضله .

توفى بِحِطين قريةٍ من قرى صفد فى سنة ثلاث وسبعمائة .

ومن شعره :

خليلىّ ماأحلى الهوى وأمَرَّهُ — وأعلمنى بالحلو منه وبالمرّ
بما بيننا من حرمة هل رأيتما — أرق من الشكوى وأقسى من الهجر

وقال أيضاً :

تقدّمت فضلا من تأخر مدّة — بَوَادِى الحيا طَلٌّ وعقباه وابل[1]
وقد جاء وترا فى الصلاة مؤخرا — به ختمت تلك الشفوع الأوائل

وقال :

فكرت فى الأمر الذى أنا قاصد — تحصيلَه فوجدته لا ينجح
وعلمت من نصف الطريق بأنّ مَنْ — أرجوه يقضى حاجتى لا يفلح

وقال لغزا فى رغيف :

ومستدير الوجه كالترس — يجلس الناس على كرسى
يدخل مثل البدر حمامه — وبعدها يخرج كالشمس
يوصل السلطان فى دسته — واللص فى هاوية الحبس

---

(١) بوادى : جمع بادية ، والمراد بها هنا الأوائل ، والطل ـ بفتح الطاء وتشديد اللام ـ المطر الخفيف ، والوابل : المطر الكثير ، يريد أن شأنه كشأن الوابل الذى يأتى بعد الطل .

لو غاب عن عنترة ليـلة وَهَتْ قوى عنترة العبسى

وقال أيضاً :

من مبلغ عبريل أن رحيله جلب السرور وأذهب الأحزانا
والناس من فرط الشماتة خلفه كسروا القدورَ وأوقدوا النيرانا

وقال أيضاً :

وأهيف يحكى البدر طلعة وجهه وإن لم يكن فى حسن صورته البدر
خلوت به ليـلا يدير مدامة وجنح الدجى دون الرقيب لناستر
فلما سرى كأسُ الحميـا بعطفه ومالت به تيها ورنحه السكر
هممت برشف الثغر منه فصدنى عذار له فى منع تقبيله عـذر
حَمى ثغره المعسول نمل عذاره ومن عجب نمل يُصَان به ثغر[1]

(٣١٦)

أبو الحسن علاء الدين على بن محمود اليشكرى الربعى

على بن محمود بن حسن[2] بن نبهان بن سند ، علاء الدين ، أبو الحسن ، اليشكرى ، الربعى ، البغدادى الأصل ، البصرى المولد ، الشاعر ، المنجم .

ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وتوفى سنة ثمانين وستمائة .

سمع بدمشق من ابن طبرزد والـكندى ، أخذ عنه الدمياطى وغيره ، وسمع منه البرزالى ، وكانت له يد طولى فى علم الفلك وحل التقاويم ، مع النظم وحسن الخط ، وكانت وفاته بدمشق .

ومن شعره :

ولما دهانى الخطب من كل وجهة وأصبح حالى حائلا متبدلا[3]

---

(١) فى ب « حمى ثغره المعسول عن عذاره » وما أثبتناه موافق لما فى ث .

(٢) له ترجمة موجزة فى شذرات الذهب ٣٦٧/٥ وقال فيها « تركه بعض العلماء لأجل التنجيم » وفى النجوم الزاهرة ٣٥٠/٧ .

(٣) حائلا : متغيراً عما عهدته .

عكفت على الأفلاك أرجو معونة   بها أو بسعد للكواكب يُجْتَلَى
فخاطبت منها المشترى بعد زهرة   فما ازددت إلا حيرة وتقلقلا
أما والعُلَى لو كنت خاطبت عاقلا   لأصغى إلى ما قلته وتأملا
ولكن خطابى أطلس غير سامع   مقالى له ما ساءنى متأهلا (؟)
فلا فلك التدوير للقول يرعوى   ولا الكوكب الدرى يفهم مقولا
وليس سوى الخلاّق جل جلاله   أوجّهُ وجهى نحوه متوسلا

وقال أيضاً :

إنى أغار من النسيم إذا سَرَى   بأريج عرفك خيفَةً من ناشق[1]
وأود لو سُهِّدْتُ لامن علة   خوفا عليك من الخيال الطارق[2]

وقال أيضاً :

من لى بمقتبل العذار كأنه   مسك بوردة خدّه مفتوت
وتخال جمر الخدّ يحرق خاله الـ   ـنَّدِىّ إلا أنه ياقوت

وقال أيضاً :

وسِرْبٍ من الغيد الحسان عَرَضْنَ لى   فخلت ظباء بالصريم نوافرا
تكحلن سحرا واعتجرن دياجيا   ولحن صباحا وابتسمن جواهرا
وأقبلن فى خصر الحلى فكأنما   سلبن غصونا أولبسن مرائرا (؟)
نصبت لها أشراك عينى طَمَاعة   وقد رفعت خُمْرًا وجَرَّتْ غدائرا

وقال فى صبى لعب وعرق وأخذ المرآة لينظر وجهه فيها :

لما غدا تعبا وكَلَّلَ وَجْهَه عرقُ المزاح

---

(١) فى ب «ياريج عرفك» تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى ث والنجوم الزاهرة.

(٢) فى النجوم «وأود لو سهرت» ، و «حذرا عليك» وفى ذيل مرآة الزمان «وأود لو سهدت جفونى فى الكرى» .

أخذ المراءة فاجتلى   في الورد من نور الأقاح
لابل حَبَـاب قد طفا   من وجنتيه فوق راح

وقال أيضاً :

ولما أتانى العاذلون عدمتهم   وما منهمُ إلا للحمى قارِضُ
وقد بُهِتوا لمـا رأونى شاحبا   وقالوا به عين فقلت وعارض

وقال أيضاً :

أشممت من عرف الصبا المتضوع   طيبا تأرج عن ظباء الأجرع[1]
وأتى يقص على أخبار الغضى   ففهمت من رياه مالم أسمع
رقَصَتْ قدود الدوح عند هبو به   وترنمت وُرْقُ الحمام السجَّع
وسرى عليلا إذ براه هواهم   من لم يُطِقْ حمل الهوى يتوجع
فسقى حيا جفنى إذا ظنَّ الهوى   دارا لهم بين العذيب ولَعْلَعِ
أوطان لهو قد قضت أوطارنا   غفلات أيام لنا لم ترجع
وبمهجتى قاسٍ علىّ وإنه   لتميله نَفَسُ النسيم المولع
جذلان مقتبل الشباب بطرفه   نظر الأبىّ وكسرةِ المتخضع
متمنع لما سألت وصاله   واذلّتى من عزه المتمنع
لقضيتى فى الحب سقم شاهد   لو يسمع الشكوى وفيض مدامع

وقال أيضاً :

ومُعَذَّرٍ فاض الجمال بوجهه   من بعدماقدكان ليس بفائض
وعذاره بالنتف يصبح واقعا   فكأنَّ عارضه أصيب بعارض[2]

---

(١) فى ب «من عرق الصبى» تحريف ماأثبتناه موافقا لما فى ت

(٢) العارض الأول : صفحة الخد ، والثانى : الأمر الذى يعرض لك

وقال أيضاً :

لا تُضِعْ بالفِصاد من دمك الـطيِّبِ واسْتَبْقِهِ فما ذاك رشد
فهو إن حال ريقة كان خمراً وإذا جال فى الخدود فورد

وقال أيضاً :

يا ليلة وصلنا سقتك السحب عودى فعسى يقر هذا القلب
إن طال عتابنا فيا فوزى لو أكثرت ذنوبا كى يطول العتب

وقال أيضاً :

أهوى قمراً تحار منه الحور كالصبح سنا وفرعه ديجور
أراه مقطباً إذا أبصرنى كالكأس إذ عاينها المخمور

وقال أيضاً :

قم نشربها فقد أضاء الشرق والصبح قد بدا لنا يَنْشَقُّ
قم نسلب روح الزق حتى نحيا بالسكر أو يموت بالفراق الزق

(٣١٧)

علاء الدين على بن المظفر الوداعى

على بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد[١] ، الأديب البارع ، المقرىء ، المحدث ، الكاتب ، المنشىء ، علاء الدين الكندى ، كاتب ابن وداعة[٢] ، المعروف بالوداعى .

ولد سنة أربعين وستمائة تقريباً ، وتوفى سنه ست عشرة وسبعمائة .

تلا بالسبع على القاسم الأندلسى ، وطلب الحديث ، ونسخ الأجزاء ، وسمع من الخشوعى والكفر طابى والصدر البكرى وعثمان بن خطيب القرافة والنقيب ابن أبى الجن وابن عبد الدائم وغيرهم ، ونظر فى العربية ، وحفظ كثيراً من أشعار

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٩/٦ عن الذهبى فى تاريخ الإسلام ، وفى النجوم الزاهرة ٢٣٥/٨ وذكر أنه ذكر فى المنهل الصافى عدة كثيرة من مقطعاته ، كما ذكر أنه «أحد من اقتدى به الشيخ جمال الدين بن نباتة فى ملح أشعاره»

(٢) فى ب «كاتب الوداعى» وما أثبتناه موافق لما فى ث وفى النجوم والشذرات

العرب ، وكتب المنسوب ، وخَدَم موقعاً بالحصون ، وتحول إلى دمشق ، وهو صاحب «التذكرة الكندية» الموقوفة بالسميساطية[١] فى خمسين مجلداً بخطه ، فيها عدة فنون ، وتوفى ببستانه عند قبة المسجف ، وكان شيعياً ، [وكان شاهدا بديوان الجامع الأموى ، وولى مشيخة النفيسية][٢] وكانت له ذؤابة بيضاء إلى أن مات .

ومن شعره فيها :

يا عائباً منى بقاء ذؤابتى — مهلا فقد أفرطت فى تعييبها

قد واصَلَتنى فى زمان شبيبتى — فعلام أقطعها زمان مشيبها ؟

وقال أيضاً :

من زار بابك لم تبرح جوارحه — تروى محاسن ما أوليت من منن

فالعين عن قرة ، والكف عن صلة — والقلب عن جابر ، والأذن عن حسن

وقال أيضاً :

وذى دلال أحور أهيف — أصبح فى عقد الهوى شرطى

طاف على القوم بكاساته — وقال ساقى قلت فى وسطى[٣]

وقال أيضاً :

ولا أرِدُ الوادى ولا عدت صادراً — مع الركب إلا قلت يا حادِىَ النوق

فديتك عرج بى وعرس هنيهة — لعلى أبل الشوق من إبل السوق

وقال أيضاً :

لا أرى لَقْطَ عارضيه قبيحاً — يا عذولى عن حبه ظل تيها

وجهه روضة ، وغير عجيب — أنه يلقط البنفسج فيها

---

(١) فى ب ، ث «السمساطية»

(٢) هذه العبارة ساقطة من ب

(٣) فى ب «وقال مافى قلت فى وسطى» تحريف ماأثبتناه موافقا لما فى ث

وقال أيضاً :

أتيت إلى البلقـاء أبغى لقاءكم فلم أركم فازداد شوقى وأشجانى

فقالت لى الأقوام من أنت راصد لرؤياه قلت الشمس قالوا بحسبان (١)

وقال أيضاً :

لنا صاحب قد هذب الشعر طبعه فأصبح عاصيه على فيـه طَيِّعَا

إذا خَمَّسَ الناسُ القصيدَ لحسنه فحق لشعر قاله أن يسبعـا

وقال أيضاً :

قل للذى بالرفض اتهمنى أضل الله قصده

أنا رافضىٌّ ألعن الشيخين أباه وجـده (٢)

وقال أيضاً :

قالوا حبيبك قد دامت ملاحته وما أتاه عـذار إنَّ ذا عجب

فقلت خداه تبر والعذار صَـدًا وقد زعمتم بأن لا يصدأ الذهب

وقال أيضاً :

رَوَّ بمصرٍ و بسكانها شوقى وجدد عهدىَ البالى

وارولنا يا سعد عن نيلها حديث صَفْوَان بن عسال

وصف لى القرط وشنف به سمعى وما العاطل كالحالى

فَهوَ مرادى لا يزيد ولا نور و إن رقا ورقالى (؟)

وقال فى مليح سمين كثير الشعر :

تعشقت فَلاَّحا بنيرب جلق ففى حسنه لافى الرياض تفرجى

وقالوا اسْلُ عنه فهو عَبَلٌ وأشعر وما هو إلا من خيال البنفسج

---

(١) فى ب « قلت الشمس قالوا بأعيان » وما أثبتناه موافق لما فى ث

(٢) الرافضى، أصله : واحد الروافض قوم من الشيعة ديدنهم سب الشيخين الجليلين أبى بكر صديق رسول الله وعمر الفاروق ، أخزاهم الله !

وقال أيضاً :

سمعت بأن الكحل للعين قوة فكحلت فى عاشور مقلة ناظرى
لتقوى على سَحّ الدموع على الذى أذاقوه دون الماء حر البواتر

وقال أيضاً :

سئل الورد عمّن استقطروه لم كذا عذبوك بالنيران
قال مالى جناية غير أنى جئت بعض السنين فى رمضان

وقال أيضاً :

لا نال من وصلك مايسومه إن كان قد أصغى لمن يلومه (١)
حاشا حشاه أن تبيت ليلة مقفرة من الهوى رسومُهُ
واوحشة الصب الذى أنِيسُهُ أنينه ودمعه حميمه (٢)
النوم لا يلوى على جفونه وصبره يلوى به غريمه
هذا وما يشكو سوى عذوله فكم بما يسوءهُ يسومه
وكيف يسلو عن غزال دمعه عقيقهُ ووده صريمه
إن لم يكن فى الحسن عن بدر الدجى
خليفةً فإنه قَسِيمُهُ
فناؤه سماؤه عذاره هالته إزاره نجومه (٣)
كالأقحوان والبروق ثغره أشمه إن شئت أو أشيمه
طوبى لمن يسعده زمانه وذاك فى نَدِيِّهِ نديمه

---

(١) أصل السوم والاستيام فى البيع والشراء المماكسة فى ثمن السلعة

(٢) فى ب «واوحشة الصب الذى أشبه» وأثبتنا مافى ث

(٣) فى ب «قباؤه سماؤه» وما أثبتناه موافق لما فى ث ، وكلاهما غير ظاهر

وقال أيضا :

كلما دغدغَتْ أليف الجنــوب خصر نهر وعطف غصن رطيب[١]
انثنى الغصن ضاحــكا بالأزاهــير وزاد الغـدير فى التقطيب
وإذا هم أن يُقَبِّــلَ خدّ الــورد شوقا ثغر الأقاح الشنيب
خال أن الليتوفر الغض والنر جس أذن الواشى وعين الرقيب

وقال أيضاً :

ويوم لنــا بالنيرين رقيقــة حَوَاشِيهِ خالٍ من رقيب يشينه
وقفنا على الوادى نحييه بكرة فردت علينــا بالرؤس غصونه
وقد هب عُلْوِى النسيم فلم تزل تنازلنا من كل نهر عيونه
ومالت بنا الجُرْدُ العتاق إلى رَشاً جدير العذارى رائقات فنونه
من الترك تفرى الطارقين جفانُهُ وتفرى قلوب العاشقين جفونه[٢]
ينحه سـكر الدلال فينثنى فينهضه من شعره زَرَجُونُهُ
إذا تاهت الأبصار فى ليل شعره هداهن من فوق الصباح جبينه

وقال أيضا :

ليس لى بالصدود منك يَدَانِ لا ولا طاقــة على السلوان
وإذا ما أردت كتمان وجدى نَمَّ دمعى وكان شأنى شـانى
حَرُّ قلبى من برد قلبك عنى وسهادى من طرفك الوَسْنَانِ
وعذولى لمــا رأى منك إعرا ضا رثى لى وان أطلت رثانى
وغرامى هو العـذاب وما فيــض دموعى إلا حمــيم آنِ

(١) فى ب « كلما دغدغت ألف الجنوب » ولايستقيم عليه الوزن ، وما أثبتناه موافق لما فى ث

(٢) فى ب « وتغرى قلوب العاشقين » ولها وجه وجيه

ودماء سقت سماء خـدودى فغدت وهى وردة كالدهـان
فتـكَرَّمْ بعطفة والتفـات مثـل باقى الغصون والغزلان

وقال أيضا :

الزهر فى الأكمام راح مُقَطِّبا والريح قد خطرت عليه بذيلها
وغدت تبشره بإقبال الحيا حتى تبسم ضاحكا من قولها

وقال أيضا :

إن أسرع العارض فى وجنته فأسرعت تَعِيبُـه اللوائم
فما نبـات خده أول من قد دخل الجنـة وهو ظالم

وقال أيضا :

هيهات ما أنا بالمفيق من الهوى ما دام يسكرنى بحسن فائق
متناسب فى حسنه متجانس برشيق قامتـه وطرف رائق
سقيا لوادى النيرَيْنِ فكم لنـا من صابح فيـه الغداة وغابق
أيام ليس لنـا عدو أزرق غير البنفسج والخزامى العـابق
كلا ولا للغانيـات مُشَاقِق فى حمرة الوجنات غير شقائق
والغصن يلحقنا بظل ساكن والنهر يلقـانا بقلب خافق

(٣١٨)

نور الدين على بن موسى بن سعيد المغربى

على بن موسى بن سعيد المغربى[١] ، الأديب ، نور الدين ، ينتهى إلى عمار بن ياسر ورد من المغرب ، وجال فى الديار المصرية والعراق والشام ، وجمع وصنف ، وهو صاحب[٢] كتاب «المغرب ، فى أخبار المغرب» و «المشرق ، فى أخبار المشرق» و « المرقص والمطرب » و « ملوك الشعر » .

---

(١) له ترجمة مطولة فى نفح الطيب ٢٩/٣ بتحقيقنا ، وفى بغية الوعاة ص ٣٥٧ وذكر نسبه « على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد » وفى الإحاطة بإسقاط محمد لكن فى ترجمة والده موسى ذكر « محمد بن عبد الملك »

(٢) ذكر صاحب النفح أن نور الدين على بن موسى بن سعيد تمم كتاب «المغرب، فى أخبار المغرب» وليس هو الذى بدأ تأليفه ، وانظر الحديث عن ذلك فى ٩٥/٣ و١٠١

توفى بدمشق فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وستمائة[١] .

حكى أنه كان يوما فى جماعة من شعراء عصره المصريين ، وفيهم أبو الحسين[٢] الجزار ، فمروا فى طريقهم بمليح نائم تحت شجرة ، وقد هب الهوى فكشف ثيابه عنه ، فقالوا : قفوا بنا لينظم كل منا فى هذا شيئا ، فابتدر الأديب نور الدين فقال :

الريح أقود ما يكون ؛ لأنها　　تبدى خفايا الرِّدْفِ والأركان
وتميل الأغصان عند هبوبها　　حتى تقبل أوجه الغدران
فلذلك العشاق يتخذونها　　رسُلاً إلى الأحباب والأوطان[٣]

فقال أبو الحسين : ما بقى أحد منا يأتى بمثل هذا ، وقال :

لله من أقطار جلّقَ روضة　　راقَتْ لنا حيث السحاب يُرَاقُ
وتلونت أزهارها فكأنما　　نزلت به الأحباب والعشاق
أنا من علمت بشوقه ذكر الحمى　　وتُسَاقُ روحى والركاب تساق
أخلصت فى حبى وكم من عاشق　　فيما أدعاه من الغرام نفاق
يدعو الحمام وترقص الأغصان من　　طرب بهم وتصفق الأوراق
وَحْدِى جمعت من الهوى مثل الذى　　جمعوا ، كذلك تقسم الأرزاق

وقال أيضا :

فى جلق نزلوا حيث النعيم غدا　　مطولا وهو فى الآفاق مختصر
فكل أودية موسى يفجره　　وكل روض على حافاته الخَضِرُ
طال انتظارى لوعد لا وفاء له　　وإن صبرت فقد لا يصبر العمر
ياغصن روض سقته أدمعى مطرا　　وليس لى منه لا ظل ولا ثمر

---

(١) ذكر فى البغية أن مولده بغرناطة ليلة عيد الفطر سنة عشر وستمائة ، وأن وفاته فى حادى عشر شعبان من سنة ٦٧٣ وفى النفح عن الإحاطة (٤١/٣) يوافق فى مولده ، ويقول « ووفاته بتونس فى حدود خمسة وثمانين وستمائة »

(٢) كذا فى ث والنفح ٣٦/٣ و ٣٩ ووقع فى بعض أصوله « أبو الحسن » كما فى ب

(٣) فى ب ، ث « رسلا إلى الأجفان والأوطان »

وقال فى جزيرة مصر :

تأمّل لحسن الصالحية إذ بدت ... وأبراجها مثل النجوم تلألأ[(١)]

ووافى إليها النيل من بعد غاية ... كما زار مشغوف يروم وصالا

وعانَقَهَا من فرط شوق محبها ... فمد يمينا نحــوها وشمالا

وقال أيضاً :

إن للجيزة فى قلبى هَوًى ... لم يكن عندى للوجه الجميل

يرقص الماء بها من طرب ... ويميل الغصن للظل الظليل

وتود الشمس لو باتت بها ... فلذا تصفر فى وقت الأصيل

وقال أيضاً :

إذا الغصون غدت خفافة العذب ... فاسجدهديت إلى الكاسات واقترب

وطارِحِ الورق فى أوراقها طرباً ... ومل إذا مالت الأغصان من طرب

وانهض إلى أم دَفْرٍ بنت دسكرة ... تجلى عليك بإكليل من الذهب

وانظر إلى زينة الدنيا وزخرفها ... فى روضة قد وَشَتْهَا أنمل السحب

وللأزاهر أحــداق محدقة ... قد كحلتها يمين الشمس بالذهب

وقال أيضاً :

أسكان مصر جاور النيل أرضكم ... فأكسبكم تلك الحلاوة فى الشعر

وكان بتلك الأرض سحر، وما بقى ... سوى أثر يبدو على النظم والنثر

وقال أيضاً[(٢)] :

يا واطىء النرجس ما تستحى ... أن تطأ الأعين بالأرجل

---

(١) فى النفح «مناظرها مثل النجوم» والصالحية : نسبة إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل ، وهو السابع من ملوك الأيوبيين بمصر

(٢) ذكر فى النفح هذين البيتين ، وذكر لها قصة فارجع إليهما فى ٣٦/٣ منه

فابل جفوناً بجفون ولا تبتَذِلِ الأرفع بالأسفل[١]

وقال أيضاً :

انظر إلى الغيم كيف يبدو وقد أتى مُسْبِلِ الأزار
والبرق فى جانبيه يذكى أنفاسه وهو كالشرار
ما طاب هذا النسيم إلا والجو من عنبر ونار

وقال أيضاً :

أتى عاطل الجيد يوم النوى وقد حان موعدنا للفراق
فقلدته بلآلى الدموع ووشَّحته بنطاق العناق

(٣١٩)

أبوالحسن على بن موسى الأنصارى الجيانى

على بن موسى بن على بن موسى بن محمد بن خلف ، أبو الحسن ، الأنصارى ، الأندلسى ، الجيانى ، نزيل فاس .

ولى خطابة فاس ، وهوصاحب كتاب «شذور الذهب ، فى صناعة الكيميا»

توفى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

لم ينظم أحد فى الكيميا مثل نظمِهِ بلاغة ومعانى وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب ، حتى قيل فيه : إن لم يعلمك صنعة الذهب ، علمك صنعة الأدب ، وقيل : هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء ، وقصيدته الطائية أبرزها فى ثلاث مظاهر : مظهر غزل ، ومظهر قصة موسى ، والمظهر الذى هو الأصل فى صناعة الكيمياء ، وهذا دليل القدرة والتمكن ، رحمه الله تعالى ، وأولها :

بزيتونة الزيت المباركة الوسطى غنينا فلم نبدل بها الأثلَ والخَمْطا[٢]

---

(١) فى ب،ت «وتستبدل الأرفع» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى نفح الطيب ٣٧/٣

(٢) فى ب ، ث « بزيتونة الذهب » ولا يستقيم معه الوزن

صفونا فآنسنا من الطور نارَهَا تُشَبُّ لنا وهناَونحن بذى الأرطى[١]
فلما أتيناها وقَرَّبَ صبرنا على السير مِنْ بُعْدِ المسافة ما اشتطا
نحاول منها جذوة ما ينالها من الناس من لايعرف القبض والبسطا
هبطنا من الوادى المقدس شاطئاً إلى الجانب الغربىِّ نمتثل الشرطا
وقد أرج الأرجاء منها كأنها لطيب شذاها تحرق العود والقُسْطا[٢]
وقمنا فألقينا العصا فى طلابها إذا هى تسعى نحوها حية نقطا[٣]
وثار لطيف النقع عند اهتزازها وأظلم من نور الظهيرة ما غَطَّى
ومد إليها الفيلسوف يمينه فجاذبها أخذاً وأوسعها ضغطاً
فصارت عصاً فى كفه وأحبها فأخرجها بيضاء تجلو الدجى كشطا
فلم أر ثعباناً أذل لعالم سواها ، ولا منها على جاهل أسطى
هى المركب الصعب المرام وإنها ذلول ولكن لا لكل من استمطى
فأعجِبْ بها من آية لمفكر يقصر عن إدراكها كل من أخطا
وتفجيرها من صخرة عشر أعين وثنتين تسقى كل واحدة سِبْطَا
وتفليقها رَهْواً من البحر فاستوى طريقاً فمن ناج ومن هالك غمطا
فتلك عَصَانا لا عصا خيزرانة على أنها فى كف ممسكها ألطا
وقد كان للزيتون فيها قساوة ولكنَّ لينَ الدهن صيرها نقطاً
تسيل بماء الخد أبيض صافياً إذا ما شرطناها على ساقها شرطا
ومن قبل ما أغوى أبانا بذوقها جذاذا فأخطا والقضاء فما أخطا
قَطَفْتُ جنَاها واعتصرت مياهها فجمدْتُ ُما استعلى وذوبت ما انحطا

---

(١) يشير إلى قوله تعالى فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام (آنس من جانب الطور ناراً فقال لأهله امكثوا » وأكثر الأبيات على هذا النمط

(٢) القسط ـ بالضم ـ ضرب من العود الهندى ، أو العربى ، يتداوى به

(٣) كذا فى ب ، ث ولعله « حية رقطا »

ولينة الأعطاف قاسية الحشى ... إذا نفثت فى الصخر تصدعه هبطا
كأن عليها من زخاريف جلدها ... رداء من الوشى المفوَّفِ أو مرطا[1]
توصل إبليس بها فى هبوطه ... إلى الأرض من عَدْنٍ ففارقها سخطا
أمَتَّ بها حيا وسوّدت أبيضا ... وأسرفت فى قلع السواد فما أبطا
وأحييت تلك الأرض من بعد موتها ... برىّ وكانت تشتكى الجدب والقَحْطَا
كأن العيون الثابتات بخصرها ... عقدن نطاقا أو على جيدها مِمطا
كأن من البدر المنير مشابها ... ومن أنجم الجوزاء فى أذنها قرطا
كأن من الصدغ الذى فوق خدها ... على وردهِ نونا ومن خاله نقطا
ظفرت بها بالنفس من جِسْمِ أمها ... كما ظفرت بالقلب فى صدره لقطا
وأرضعتها بالدر من ثدى بنتها ... فعاشت وكانت قبلُ ماتت به عَبْطَا
فحلت به روح الحياة كأنما ... مزجْتَ لها فى ذلك الدر إسفنطا
وصيرتها بنتا وصيرت بنتها ... لها مرضعا فاعْجَبْ لمرضعة شمطا
فحالت هناك البنت والأم فضة ... فتًى لم يزاحمه العذار ولا خطا
له منظر كالشمس يعطى ضياؤه ... وليس كمثل البدر يأخذ ما أعطى
فهذا الذى أعْيا الأنام فأضمروا ... لمن وضع الأرماز فى علمه سخطا
وهذا هو الكنز الذى وضعوا له ... برابى إخميم وخصوا بها قفطا
وتخليصه سهل بغير مشقة ... لمن عرف التطهير والعقد والخلطا
أبا جعفر خذها إليك يتيمة ... تورّع لوقا أن يورّثها قسطا
ولكننى لما رأيتك أهلها ... سمحت بها لفظا وأثبتها خطا

---

(١) المفوف — على زنة اسم المفعول — أى قد جعلت فيه خطوط بيض على الطول ويقال « برد مفوف » أى رقيق ، أيضا . والمرط — بالكسر — الكساء من صوف أو من خز أو من كتان يؤتزر به ، وربما ألقته المرأة على رأسها فأتزرت به

ومن شعره أيضا فى الصناعة :

لقد قلبت عيناى عن عينه قلبى   بلينة الأعطاف قاسية القلب
يهيم الفتى الشرقى منها بغادة   تشوق إلى شرق وترغب عن غرب
هى الشمس إلا أنها قمرية   هى البدر إلا أنه كامن الشهب
إذا الفلكُ الداريُّ أطلع شهبها   على الذروة العليا من الغُصُنِ الرطب
تراءت عروسا بَرْزَةَ الوجه تبتغى   رفاقا وكانت خلف ألف من الحجب
فزوجها بكرا أخاها لأمها   أبوها رجاء فى المودة والقرب
فعاد بها حيا ، وكان فراقها   له سببا إذ مات من شقة الحب
فجَنَّ هوًى لما استجنت بنفسه   وطار فقالت بعد جَهْدٍ له حسبى
ولما ثنته عن طبيعته التى   بدت عنه إلا أن تناهبها قلبى
تعالى عن الأشباه لونا وجوهرا   وجل فلم ينسب إلى طينة الترب

(٣٢٠)

أبو الحسن على بن مؤمن (ابن عصفور) النحوى

على[1] بن مؤمن[2] بن محمد بن على، العلامة ، ابن عصفور، النحوى ، الحضرمى الإشبيلى ، حامل لواء العربية بالأندلس .

أخذ عن الأستاذ أبى الحسن الدَّبَّاج[3] ، ثم عن الأستاذ أبى على الشَّلَوْبين ، وتصدَّى للاشتغال مدة ، ولازم الشَّلَوْبين عشر سنين إلى أن ختم عليه كتاب سيبويه ، وكان أصْبَرَ الناس على المطالعة ، لا يمل ذلك ، وأقرأ بإشبيلية وشَرِيش ومالقة ولُورَقَة ومُرْسية .

قال ابن الأثير[4] : لم يكن عنده مايؤخذ عنه سوى العربية ، ولا تأهل لغير ذلك

---

(١) له ترجمة فى بغية الوعاة ص ٣٥٧ ، وذكر أن وفاته فى سنة ثلاث ـ وقيل : تسع ـ وستين وستمائة ، وفى شذرات الذهب ٥/٣٣٠

(٢) فى ب ، ث « على بن موسى » وما أثبتناه موافق لما فى البغية والشذرات

(٣) فى ب ، ث « أخذ عن الرياح » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الشذرات وبغية الوعاة

(٤) ينتهى تاريخ الكامل لابن الأثير سنة ٦٢٨

قال : وكان يخدم الأمير عبد الله محمد بن أبي بكر الهنتاني .

ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وتوفى سنة تسع وستين وستمائة ، بتونس .

ولم يكن بذلك فى الورع ، كان الشيخ تقى الدين بن تيمية يدعى أنه لم يزل يُرْجَم بالنارنج فى مجلس الشراب إلى أن مات .

ومن تصانيفه كتاب « الممتع » وكتاب « المفتاح » وكتاب « الهلال » وكتاب « الأزهار » وكتاب « إنارة الدَّيَاجى » وكتاب « مختصر الغرة » وكتاب « مختصر المحتسب » وكتاب « السالف والعذار » وكتاب « شرح الجمل » وكتاب «المقرب» فى النحو يقال : إن حدوده كلها مأخوذة من الجُزُولية ، وكتاب « البديع » شرح الجزولية ، و« شرح المتنبى » ، و «سرقات الشعراء» و « شرح الأشعار الستة » و « شرح المقرب » و « شرح الحماسة » وهذه الشروحات لم يكملها ، وله غير ذلك .

ومن شعره :

لما تدنست بالتخليط فى كبرى ... وصرت مُغْرًى برشف الراح واللَّعَسِ

رأيت أن خضاب الشيب أسترلى ... إنَّ البياضَ قليلُ الحمل للدنَسِ

(٣٢١)

على بن هبة الله (ابن ما كولا)

على بن[1] هبة الله بن جعفر بن علكان[2] بن محمد بن دُلَف بن القاسم بن عيسى ، المعروف بابن ما كولا .

كان أبوه وزير جلال الدولة بن بُوَيه ، وكان عمه أبو عبد الله الحسن[3] بن جعفر قاضى القضاة ببغداد ، وكان عالماً ، حافظاً ، متقناً ، وكان يقال عنه : الخطيب الثانى

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء ١٥/١٠٢

(٢) فى ب ، ث « ابن خلكان » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى معجم الأدباء

(٣) فى النجوم الزاهرة ٥/٨٥ « أبو عبد الله الحسين بن على بن جعفر » وذكر وفاته فى سنة ٤٤٧

قال ابن الجوزى : سمعت شيخنا عبدالوهاب يقدح فيه ، و يقول [العِلْمُ] (١) يحتاج إلى دين .

صنف كتاب « المختلف والمؤتلف » جمع فيه بين كتاب الدارقطنى وعبد الغنى والخطيب وزاد عليهم زياداتٍ كثيرةً ، وله كتاب « الوزراء » .

وكان نحويا مجوداً ، شاعرا ، صحيح النقل ، ما كان فى البغداديين فى زمانه مثله

سمع أبا طالب بن غيلان وأبا بكر بن بشران وأبا القاسم بن شاهين وأبا الطيب الطبرى ، وسافر إلى الشام والسواحل وديار مصر والجزيرة والثغور والجبال ، ودخل بلاد خُراسان وما وراء النهر ، وجال فى الآفاق .

ولد بعُكْبَرَا سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وتوفى سنة خمس وثمانين وأربعمائة

قال الحميدى : خرج إلى خراسان ، ومعه غلمان له تُرْك ، فقتلوه بجرجان ، وأخذوا ماله ، وهربوا ، وطاح دمه هدراً .

ومن شعره :

ولما تفرقنا تباكَتْ قلوبنا — فممسك دمع عند ذاك كساكبه

فيا نفسىِ الحرَّى اكْتَسِى ثوب حسرة — فراقُ الذى تهوينه قد كساك به (٢)

وقال أيضا :

فؤاد ما يفيق من التصابى — أطاع غرامه وعصى النواهى

وقالوا لو تَصَبَّرَ كان يسلو — وهل صَبْر يساعد والنوى هى

وقال أيضا :

علمتنى بهجرها الصبر عنها — فهى مشكورة على التقبيح

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ب ، ث ، وهو موجود فى المعجم الذى نقل عبارة ابن الجوزى بحروفها

(٢) فى المعجم « البسى ثوب حسرة » وفى ب ، ث « فراح الذى تهوينه » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى المعجم

وأرادت بذاك قبح صنيع　　فعلته فكان عين المليح

وقال أيضا :

أقول لقلبي قد سلا كل واحد　　وَنَفّضَ أثوابَ الهوى عن مناكبه[1]

وحبك ما يزداد إلا تجلدا　　فياليت شعرى ذا الهوى مَنْ مَنَاكَ به[2]

وقال أيضا :

تجنبت أبواب الملوك لأننى　　علمتُ بما لم يعلم الثّقَلَانِ

رأيت سهيلا لم يَحِدْ عن طريقه　　من الشمس إلا من مقام هوان

(٣٢٢)

نجم الدين أبو الحسن على بن يحيى (ابن بطريق) الحلى

على بن يحيى بن بطريق ، نجم الدين ، أبو الحسن ، الحلى ، الكاتب .

كتب بالديار المصرية أيام الدولة الكاملية ، ثم اختلّت حاله فعاد إلى العراق ومات ببغداد سنة اثنتين وأربعين وستمائة .

وكان فاضلا ، أصوليا ، قال القوصى : أنشدنا لنفسه بدمشق وكتب بها إلى ابن عنين ، وكان به جَرَبٌ انقطع بسببه فى داره :

مولاى لا بِتَّ فى همى وفى نصبى　　ولا لقيتَ الذى ألقى من الجرب

هذا زمانٌ أبو جهلٍ وذا جربى　　أبو مُعَيْط وذا قلبى أبو لهب[3]

وأنشدنى لنفسه وقد بلغه أنّ الملك الأشرف أعطى الحلى سيفا محلى فتقلده وتشبه بالحيص بَيْصَ :

تقلد راجح الحلى سيفا　　محلًّى واقتنى سمر الرماح

وقال الناس فيه فقلت كفوا　　فليس عليه فى ذا مِنْ جُنَاحِ

---

(١) المناكب : جمع منكب ، وهو مجتمع رأس الكتف والعضد

(٢) مناك به : مؤلف من « منى » فعل ماض وتقول « منى الله فلانا بكذا » أى قدره عليه ، والكاف ضمير المخاطب ، والباء الجارة ، والهاء ضمير الغائب

(٣) فى هذا البيت توجيه بثلاث كنى كما هو ظاهر

أيقدر أن يُغِيرَ على القوافى وأموال الملوك بلا سلاح

وقال أيضا :

لى على الريق كل يوم ركوب فى غبار أغُصّ منه بريق
أقصد القلعة السَّحُوق كأنى حَجَر من حجارة المنجنيق
فدوابى تحفى وجسمى يضنى هذه قلعة على التحقيق

(٣٢٣)

القاضى الوجيه على بن يحيى (ابن الدروى)

على بن يحيى ، القاضى الوجيه ، المعروف بابن الدروى[١]
شاعر مجيد ، وكانت وفاته بالديار المصرية سنة[٢]

ومن شعره :

جُنَّ به العاذل لما رآه وعاد يستعذر مما جناه
أتاه كى يهدى إلى سلوة عنه فضل العقل منه وتاه
وهل يطيع القلب تقييده وقد عصى لما نهته نهاه
الحب بالكتمان عقل ، فإن تجد به وشاةَ قول الوشاه
وما على العاذل من مغرم شفاؤهُ ما ضمنته الشفاه
هويته كالروض فى حسنه إذ رضيت بالوصف منى حلاه
ينور وجها وابتساماً ، فما نعرف منه الثغر أو لا لماه (؟)
إن لم يكن بدراً على بانة فإن بين المنظرين اشتباه
أنكر من قَتْلَى ألحاظه منه دما تعرفه وَجْنتَاه
وَشَفَّنِى سقما فما ضره لو أبرأ السقم الذى قد براه

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدى من كتب الرجال
(٢) هكذا لم يذكر فى أصول هذا الكتاب سنة وفاته

وقال أيضاً :

أَلَمَّ وطرف النجم قدكاد يغمض ... خيال إذا دب الكرى يتعرض[١]

سرى لىَ من أقصى الشآم و بيننا ... فَيَافٍ على السارى تطول وتعرض

هدته من الأشواق نار دخانها ... هموم عليه صبغة الليل تنفض

وأداه للعشاق دمع تقطرت ... مرائرنا فى مائه فهى عرمض

له الله من طيف متى ذقت هَجْعَةً ... أتتنى به خيل الأمانى تركض

يواصلنى عمن هو الدهْرَ هاجر ... ويُقْبِلُ لى عمن هو الدهْرَ معرض

وما شاقنى إلا تألق بارق ... أرقت له والجو بالصبح يَحْرَضُ

وللغيم مسك فى ذرانا مطبق ... وللطل كافور لدينا مرضرض

وقدأشرب الصهباء من كف شادن ... حلاه على شُرْب المدام يُحَرض

يروقك خد منه للثم أحمر ... نصيبك ثغر منه للرشف أبيض

فللحسن من هذا شقيق مهذب ... وللطيب من ذا أقحوان مفضض

وندمان صدق قد بلوت ، وكلهم ... لودك يصفى أو لنصحك يمحض

وقال أيضاً :

يا بان إن كان سكان الحمى بانوا ... ففيض شأنى له فى إثرهم شان[٢]

ويا حمائم إن سَجَّعت مُسْعدة ... فلى على دوحة الأشواق ألحان

أبكى الأحبة أو أبكى منازلهم ... فإن مضى ذكر نعمى قلت نعمان

قد كان فى تلك أوطار نعمت بها ... ولت كما كان من هاتيك أوطان

من لى بأقمار أنس فى دجى طرر ... أفلا كها العيس والأبراج أظعان

---

(١) ألم : زار ، والإلمام : الزيارة

(٢) البان ، الأول : نوع من الشجر ، وبانوا : بعدوا ، وشأنى : واحد الشؤون وهى مجارى الدموع من العين ، وله شان : له خبر ، وأصله بالهمز ، فسهل الهمزة بقلبها ألفا

تلك القدود مع الأرداف إن خطرت ... ما القضب قضب ولا الكثبان كثبان [1]

سقوا من الحسن ماء واحدا فبدا ... منهم لنا غير صنوان وصنوان

يا يوم توديعهم ماذا به ظفرت ... عينى من الحسن لو والاه إحسان

جئنا فولى بها الإعراض من حذر ... فكيف لم تتلَفَّتْ وهى غزلان

من كل قانية الخدين ناهدة ... لو كان للضم أو للثم إمكان

يدلُّ فى وجنتيها الجلّنار على ... أن الذى حاز منها الصدر رمان

كم طِرْتُ شوقاً إليها فى الرياح ضنى ... فظن بلقيس وافاها سليمان

وقال أيضاً :

مابين وجهك والهلال سوى ... أن الأهلة لا تميت هوى

لله منظر من كلفت به ... ماذا من الحسن البديع حَوَى

والنجم منه إذا هوى وروى ... ما ضل مثلى عاشق وغوى

ما الغصن هزته الجنوب إذا ... ما السكر هز قوامَهُ ولوى

لام العذول وقد رآه وكم ... عاوٍ على البدر المنير عوى

يا من غدا بنَوَاهُ يوعدنى ... ليكن عقابك لى بغير نوى

انظر إلى جسمى يذوب ضنى ... وانظر تجد قلبى يفتُّ جوى

وقال من أبيات :

أنت المنى والمنايا للأنام فإن ... أردت آمِنْ قلوب الناس أو أخِفِ

قال العواذل : كم تعنى به أسفا ... فقلت : يا أسفى إن حُلْتُ عن أسف

يا من تَعَطّفت الصدغان منه على ... ذلى وما قلبه القاسى بمنعطف

---

(١) القضب : جمع قضيب ، وهو الغصن ، والكثبان : جمع كثيب ، وهو المجتمع من الرمل ، وفى البيت تشبيهان ضمنيان : أولهما شبه فيه القدود بالأغصان ، وثانيهما شبه فيه الأرداف بالكثبان .

إن كان عندك عدوى كل ذى جَنَف   فإن عندى بلوى كل ذى دَنَفِ
أقول والفجر قد لاحت بشائره   والجو قد كان يكسى حلة السدف
والليل خلف عصا الجوزاء من خور   فذاك فى عمره للشيب والخرف
راهنت يا نجم جفنى فى السهاد وقد   بدا بأجفانك التسهيد فاعترف

ودخل الوجيه ابن الذروى إلى الحمام ومعه ابن وزير الشاعر، فقال ابن وزير:

لله يومى بحمام نعمت بها   والماء ما بيننا من حوضها جارى
كأنه فوق شفاف الرخام ضحى   ماء يسيل على أثواب قصار

فقال ابن الذروى:

وشاعر أوقد الطبع الذكى له   فكاد يحرقه من فرط إذكاء
أقام يعمل أياماً قريحته   (وشبه الماء بعد الجهد بالماء)

ولابن الذروى فى الحمام:

إن عيش الحمام أطيب عيش   غير أن المقام فيه قليل
فَهْىَ مثل الملوك تصفى لك الو   د ولكن وده مستحيل
جنة تكره الإقامة فيها   وجحيم يطيب فيه الدخول
فكأن الغريق فيها كليم   وكأن الحريق فيها خليل

وفيه يقول ابن المنجم:

لا تحسبنَّ الوجيه حين كسا   بُرْدَتَهُ للغلام من غلطه
والله ما لَفّه ببردته   إلا لأخذ القضيب من وسطه

(٣٢٤)

أبو الحسن القاضى الأكرم على بن يوسف (ابن القفطى) الوزير

على بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى، وزير حلب[١].

(١) له ترجمة فى الطالع السعيد ص ٢٣٧ وفى بغية الوعاة ص ٣٥٨ وفى معجم الأدباء ١٥/١٧٥، وفى شذرات الذهب ٥/٢٣٦ وذكره الذهبى فى وفيات سنة ٦٤٦

هو القاضى الأكرم ، الوزير جمال الدين أبو الحسن بن القِفْطى ، أحد الكتاب المشهورين ، وكان أبوه القاضى الأشرف كاتبا أيضا .

ولد بقفط من الصعيد الأعلى بالديار المصرية ، وأقام بحلب ، وكان يقوم بعلوم من اللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل .

ولد سنة ستين وخمسمائة[١] ، وتوفى سنة ست وأربعين وستمائة .

وكان صدرا محتشما كامل السودد ، جمع من الكتب ما لا يوصف ، وقَصَد بها من الآفاق ، وكان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم يكن له دار ولا زوجة ، وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب ، وكانت تساوى خمسين ألف دينار ، وله حكايات غريبة فى غرامه بالكتب ، وهو أخو المؤيد ابن القِفْطى .

ومن شعره :

ضدان عندى قصرا همتى ... وَجْهٌ حَيِيٌّ ولسان وقاح[٢]

إن رمت أمرا خاننى ذو الحيا ... ومقول يطمعنى فى النجاح

فأنثنى من حيرة منهما ... لى مخلب ماضٍ وما لى جَنَاحْ

شبه جبانٍ فر من معرك ... خوفا وفى يمناه عضب الكفاح

وله من التصانيف كتاب « الضاد والظاء » وهو ما اشتبه فى اللفظ واختلف فى المعنى والخط ، كتاب « الدر الثمين ، فى أخبار المتيمين » ، كتاب « من ألْوَتْ الأيام عليه فرفعته ، ثم ألوت عليه فوضعته » ، كتاب « أخبار المصنفين ، وما صنفوه » ، كتاب « أخبار النحويين » كبير ، كتاب « أخبار مصر من ابتدائها

---

(١) فى الطالع السعيد أن مولده فى سنة ٥٦٣ بقفط ، وفى البغية أن ولادته فى ربيع من سنة ٥٦٨ ويذكر صاحب معجم البلدان أن القفطى نفسه حدثه أن مولده فى أحد الربيعين من سنة ٥٦٨

(٢) فى ث « وجه لحى » تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى معجم الأدباء ويحتمله ما فى ب

إلى أيام صلاح الدين» ست مجلدات ، كتاب « أخبار المغرب » كتاب « تاريخ اليمن » ، كتاب « المحلى، فى استيعاب وجوه كلاً » ، كتاب « إصلاح خلل صحاح الجوهرى » ، كتاب « الكلام على الموطأ » لم يتم ، كتاب « الكلام على صحيح البخارى » لم يتم ، تاريخ محمود بن سبكتكين ، وبقية كتاب تاريخ السلجوقية ، كتاب « الاستئناس ، فى أخبار آل مرداس » ، كتاب « الرد على النصارى وذكر مجامعهم » ، كتاب « مشيخة تاج الدين الكندى » ، كتاب « نهزة الخاطر ، ونزهة الناظر ، فى أحاسن ما نقل من ظهور الكتب » انتهى .

(٣٢٥)

جلال الدين على بن يوسف (ابن الصفار) الماردينى

على بن يوسف بن شيبان ، جلال الدين ، الماردينى ، المعروف بابن الصفار مولده بماردين سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، ومات مقتولا قتلته التتر لما دخلوا ماردين سنة ثمان وخمسين وستمائة .

خدم بكتابة الإنشاء الملك المنصور ناصر الدين أرتق صاحب ماردين ، وتولى كتابة أشراف دبيس ثمانى عشرة سنة ، وقد كان شاعرا مجيدا ، وله فضل وأدب ، وصنف كتابا يحتوى على آداب كثيرة وسماه « كتاب أنس الملوك » ، وله شعر رائق منه من قصيدة :

أنا ما سلوت وبرقُ فِيهِ خُلَّبٌ ... أسلو وعارضُه أمامى سائلُ
يسعى بإبريقين ، ذا من ثغره ... يحيى ، وذا من مقلتيه قاتل
فمتى تقوم قيامتى بوصاله ... ويضم شملينا معاد شامل ؟
وأكون من أهل الْخَطَايَا ، خَدُّه ... نارى ، وصدغاه على سلاسل[1]

---

(١) الخطايا : جمع خطيئة ، ووقع فى ب « وأكون من أهل الحظايا » على أنه جمع حظية بمعنى الحظوة ، وما أثبتناه موافقا لما فى ث أدق معنى

وقال أيضاً :

مَشُوقٌ إذا ما ارتاح هَيَّجَه الحب ... وصَبٌّ لوَبْلِ الدمع فى خدّه صب[1]

إذا نفَحته من صَباَ الشوق نفحة ... صبا نحوها والمدَنَفُ الصبُّ قد يصبو

بروحىَ ريمٌ قد رمتنى جفونه ... بأسهم لحظ كان برجاسَهاَ القلبُ

نضا عَضْبَ جفنيه على عذاره ... فمن مهجتى جَفْنٌ ومن لحظه عضب

يعذب قلبى ظالما عَذْبُ ظَلْمه ... ولكن تعذيبى لمرشفه عذب

نصبت لضيف الطيف منه حبائلا ... من النور لما عزَّ فى اليقظة القرب

وما كنت أدرى أنه رافض الهوى ... وينهره عن زورتى ذلك النصب

تجمعت الأضداد فيه ولم يكن ... ليجتمع الإيجاب فى الشىء والسلب

ففى خدّه نار ، وفى الثغر جنة ... وفى لفظه سِلْمٌ ، وفى لحظه حرب

وفى قدّه لين ، وفى القلب قسوة ... وفى خصره جدب ، وفى ردفه خصب

وقال أيضاً :

إذا نظرت عينى وجوه حبايبى ... فتلك صلاتى فى ليالى الرغائب

تبدت لنا عند الصباح طليعة ... من الترك مرد فوق جُرْدٍ سلاهب

بأيديهم سمر طوال كأنما ... أسنتها تبغى التقاط الكواكب

تَثَنَّوا غصونا فى السروج وأطلقوا ... سهام لحاظ من قسى الحواجب

وألقوا قسى المران عنهم وقوموا ... قدودا أعدوها لقرع الكتائب

ولو كشفوا بيض العوارض فى الوغى ... لأغنتهم عن سل بيض القواضب

ترى كل عين منهمُ عين فتية ... تنادى أسود الحرب: هل من محارب؟

---

(١) الصب : العاشق ، ووبل الدمع : كثيره ، وهو من إضافة المشبه به إلى المشبه ، أى الدمع الذى يشبه الوبل ، وأصل الوبل المطر الكثير ، وصب فى آخر البيت : أى انصباب وانهمار

فظلت تواليـنا أسارى محاسن   من القوم صرعى لا أسارى المضارب

وقال أيضاً :

هل اختط فانآد غُصْناً وريقا   غرير حكى الكأس ثغرا وريقا[١]

أم الصدغ لما صفا خـدّه   تمثل فيـه خيالا دقيقا

دنا فـرمى أسهما وانثنى   رشيقا فراح كلانا رشيقـا[٢]

وأبدع فيه فمـالِيَ أرى   له الخال وَهْوَ فريد أشيقـا[٣]

وما بال مبسـمه مبسما   وما ملكته يمينى رقيقـا

وهبه أرتوى من نمير الصبا   فكيف استحال بفيه رحيقا

فأجرى لنـا من فم أولا   وثغر جـديد كميتا عتيقا

حججت إلى كعبة الحسن منه   ووجّهتُ وجهى إليها مَشُوقا

وقبلته فوردت العـذيب   وجزت الثنـايا وجئت العقيقا

وقال أيضاً :

برق بدا أم ثغرك المنعـوت   أم لؤلؤ قـد ضمه ياقوت

وظُباً سيوف جردت من لحظك الـ   ـقتـال أم هاروت أم ماروت

يا للنَّصَارى فارفعوا شَماًسكم   قبـل الضلال فإنه طاغوت[٤]

ما قام أقنوم الجمال بوجهـه   إلا وفى ناسـوته لاهوت

أحْسِنْ فإن الحسن وصف زائل   واصنع جميلا فالجمال يفوت

واستبق أبنـاء الغرام فإنهم   سيقلدوك دماءهم ويمـوتوا

---

(١) غصن وريق : ناضر كثير الورق ، وقوله « وريقا » فى آخر البيت مؤلف من واو العطف ، وكلمة « ريق » وهو ماء الفم

(٢) رشيق ، الأول : وصف من الرشاقة ، والثانى : فعيل بمعنى مفعول من « رشق فلان السهم فى الرمية » أى أنفذه فيها

(٣) كذا فى ب ، ث ، ولعله « أنيقاً »   (٤) فى ب ، ث « فارفعوا أشماسكم »

وقال أيضاً :

مذ عقربت صدغاه واستجمع السـنمل على شهد اللمى الأشنب
تقدم الحاجب للعـارض أن يكتب بالأدهم فى الأشهب
وقام فى جيش الهوى معلنـا وصاح والعشاق فى الموكب
يا أمراء الحسن لا تركبوا القمر الأرضى فى العقـرب

وقال فى غلام مليح غرق فى الماء :

يا أيها الرشأ المكحول ناظره إنى أعيذك من نار بأحشاء
إن انغماسك فى التيـار حقق أن الشمس تغرب فى عين من الماء

وقال أيضاً :

ويوم قر بَرْدُ أنفاسه يمزق الأوجه من قَرْصها[١]
يوم تود الشمس من برده لو جَرَّتِ النار إلى قُرْصها

أخذه من قول القاضى الفاضل : فى ليلة جمد خمرها ، وخمد جمرها ، إلى يوم تود البصلة لو ارتدت إلى قمصها ، والشمس لو جرت النار إلى قرصها

وقال أيضاً :

ما بَرِحتْ يوم وداعى لهم تَضُمُّنِى ضمـة مستأنس
حتى تثنى الغصن فوق النقا وانتثر الطَّلُّ على النرجس

وقال أيضاً :

تعشقته زاهِىَّ حسن فمـــاله أتى بكتاب ضَمَّنُه سورة النمل[٢]
ومالى والمجنون فيـه وشعره إذا مر بالكتبان خط على الرمل

وهو مثل قول الآخر :

---

(١) فصيح العربية يقتضى أن يكون عجز البيت « يمزق الأوجه من قرسها » بالسين ــ أى من شدة برد أنفاس يوم القر ، ولكنه أتى به بالصاد على العامية ليتم له الجناس (٢) فى ب « تعشقته أى حسن » و « بكتاب ضمه »

وتُرْكِيٍّ نقى الخدّ ألمى　　بقَدٍّ ماس كالغصن الرطيب

له شعر حكى مجنون ليلى　　يخط إذا مشى فوق الكثيب

وقال أيضاً :

إذا هَبَّ النسيم بطيب نَشْر　　طرِبْتُ وقلت: إيه يارسول

سوى أنى أغار لأن فيه　　شَذَاكَ وأنه مثلى عليـل

وقال أيضاً :

وأعجب شىء أن ريقك ماؤه　　يولِّدُ درا وهو عذب مُرَوَّقُ

وأنك صاح وهو فى فيك مُسْكِرٍ　　وأنت جديد الحسن وهو معتق

وقال أيضاً :

لا تعتقدوا شامته فى الخد　　قد زخرفها تعمدا بالقصد

ذا خالقه لمـا بدا حاجبه　　نونا جعل النقطة فى الخدّ

(٣٢٦)

علية بنت المهدى ، العباسية ، أخت أمير المؤمنين هارون الرشيد [١] .

علية بنت أمير المؤمنين المهدى العباسى

كانت من أحسن خلق الله وجها ، وأظرف الناس ، وأعقلهن ، ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى بن عيسى العباسى ، وكان الرشيد يبالغ فى إكرامها واحترامها . ولها ديوان شعر .

عاشت خمسين سنة ، توفيت سنة عشر ومائتين ، وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها إلى صدره ، وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى ، وشرقت من ذلك وحُمَّتْ ، وماتت لأيام يسيرة ، وكانت تتغزل فى خادمين : أحدهما طَلٌّ والآخر رَشاً [٢] ، فمن قولها فى طل وصحفت اسمه :

---

(١) لها ترجمة فى كتاب الأغانى (٨٣/٩ بولاق) وانظر لها لحنا فى شعر لها فى الأغانى (٥٤/٩)

(٢) فى ث « رسا » بالسين المهملة ، وفى ب والأغانى بالشين المعجمة ، وكانت علية تقول فيه شعراً ، وتصحفه «زينبا» وانظر أبياتا فى الأغانى (٨٥/٩) ثم صحفته «ريبا»

أيا سروة الفتيان طال تَشَوُّقى فهل لى إلى ظل لديك سبيل
متى يلتقى مَن ليس يُقْضَى خروجه وليس لمن يهوى إليه وصول

وقالت فيه أيضا :

سلم على ذاك الغزال الأغيد الحسن الدلال
سلم عليه وقل له : يا غُلَّ الباب الرجال
خليت جسمى ضاحيا وسكنت فى ظل الحجال (١)
وبلغت منى غاية لم أدر منها ما احتيال

فبلغ الرشيد ذلك ، فحلف أنها لا تذكُره ، ثم تَسَمَّع عليها يوما فوجدها وهى تقرأ فى آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى (فإن لم يصبها وابل فما نهى عنه أمير المؤمنين) فدخل الرشيد وقَبَّل رأسها وقال لها : قد وهبتك طَلاًّ ، ولا منعتك بعدها عما تريدين .

وكانت من أعف الناس ، كانت إذا طهرت لازمت المحراب ، وإذا لم تكن طاهراً غنت .

ولما خرج الرشيد إلى الرى أخذها معه ، فلما وصلت إلى المرج نظمت قولها :

ومغترب بالمرج يبكى لشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحب (٢)
إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه تَنَشَّقَ يستشفى برائحة الركب

وغنت بهما ، فلما بلغ الرشيد الصوت علم أنها قد اشتاقت إلى العراق وأهلها ، فأمر بردها .

ومن شعرها :

إنى كثرت عليه فى زيارته فملَّ ، والشىء مملول إذا كثرا

---

(١) ضاحيا : بارزا متعرضا لحر الشمس ، والحجال : جمع حجلة ـ بالتحريك ـ وهو بيت يزين بالستور ، ووقع فى ب « جليت قسمى صاحبا » تحريف عما أثبتناه موافقا لما فى ث والأغانى . (٢) المسعدون : المواسون المسعفون

ورابنى منه أنى لا أزال أرى ... فى طرفه قصرا عنى إذا نظرا

وقالت أيضا :

كتمت اسم الحبيب عن العباد ... ورَدَّدْتُ الصبابة فى فؤادى

فواشوقى إلى أيام خلى ... لعلى باسم من أهوى أنادى

وقالت أيضا :

خلوت بالراح أناجيها ... آخذ منها وأعاطيها[١]

نادمتها إذ لم أجد صاحبا ... أرضاه أن يشكرلى فيها[٢]

وهذا يشبه قول أبى نُوَاس :

على مثلها مثلى يكون منادما ... وإن لم يكن مثلى خلوت بها وحدى

وقالت أيضاً :

بُنِىَ الحب على الجور فلو ... أنصف المعشوق فيه لسمج

ليس يستحسن فى حكم الهوى ... عاشقٌ يُحْسِنُ تأليف الحجج

وقليل الحب صِرفا خالصا ... هو خير من كثير قد مزج[٣]

وقالت عريب المغنية : أحسن يوم مرّ بى فى الدنيا وأطيبه يوم اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهدى وأخته علية ، وعندهم يعقوب ، وكان من أحذق الناس بالمزمر ، فبدأت علية فغنتهم من صنعتها فى شعرها وأخوها يعقوب يزمر عليها :

تحبب فإن الحب داعية الحب ... وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

تبصر فإن حُدِّثْتَ أنّ أخا الهوى ... نجا سالما فَارْجُ النجاة من الحب

وأطيب أيام الفتى يومه الذى ... يروّع بالهجران فيه وبالعتب

---

(١) فى ب «آخذ منها وأعطيها» ولا يستقيم معه الوزن ، وما أثبتناه موافق لما فى ث

(٢) فى ب « أرضاه أن يسكرنى فيها » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ث

(٣) فى الأغانى « لك خير من كثير قد مزج » وفيه زيادة بيت قبل هذا البيت ، وهو :

لا تعين من محب ذلة ... ذلة العاشق مفتاح الفرج

إذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى ... فأين حلاوات الرسائل والكتب

وقالت أيضاً :

لم يُنسِنيكَ سرور لا ولا حزن ... وكيف لا كيف يُنسَى وجهك الحسن [١]

ولا خلا منك لا قلبى ولا جسدى ... كلى بكلك مشغول ومرتهن [٢]

وحيدة الحسن مالى عنك مذ كلفت ... نفسى بحبك إلا الهم والحزن [٣]

نور تولد من شمس ومن قمر ... حتى تكامل فيه الروح والبدن

فما سمعت مثل ما سمعت منها قط ، وأعلم أنى لا أسمع مثله أبدا .

ولدت سنة ستين ومائة ، وتوفيت سنة عشر ومائتين ، رحمها الله تعالى !

(٣٢٧)

كمال الدين عمر بن أحمد (ابن العديم)

عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة ، الصاحب ، العلامة ، رئيس الشام ، كمال الدين ، العقيلى ، الحلبى ، المعروف بابن العديم [٤] .

ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وتوفى سنة ست وستين وستمائة .

وسمع من أبيه ومن عمه أبى غانم محمد وابن طبرزد والافتخار والكندى والحرستانى ، وسمع جماعة كثيرة بدمشق وحلب والقدس والحجاز والعراق ، وكان محدثاً فاضلا حافظاً مؤرخا صادقاً فقيهاً مفتياً منشئاً بليغاً كاتباً محموداً ، درس وأفتى وصنف ، وترسل عن الملوك ، وكان رأساً فى الخط المنسوب لاسيما النسخ والحواشى ، أطنب الحافظ شرف الدين الدمياطى فى وصفه ، وقال : ولى قضاء حلب خمسة من آبائه متتالية ، وله الخط البديع ، والخط الرفيع ، والتصانيف الرائقة منها « تاريخ

---

(١) فى الأغانى « لم ينسينك سرور — إلخ » على توكيد المضارع المجزوم بلم

(٢) فى الأغانى « ولا خلا منك قلبى ، لا ، ولا جسدى »

(٣) فى الأغانى « يا واحد الحب مالى منك إذ كلفت »

(٤) له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت ٥/١٦ وذكر ياقوت أنه قرأ على كمال الدين بن العديم كتابه الذى سماه « الأخبار المستفادة ، فى ذكر بنى أبى جرادة » ونقل كثيرا عن هذا الكتاب

حلب » أدركته المنية قبل إكمال تبييضه ، روى عنه الدراوردى وغيره ، ودفن بسفح المقطم فى القاهرة .

قال له ياقوت : لم تسميتم ببنى العديم ؟ فقال : سألت جماعة من أهلى عن ذلك فلم يعرفوه ، وقال : هو اسم محدث ، ولم يكن فى آبائى القدماء من يعرف به ، ولا أحسب إلا جد جدى القاضى أبا الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبى جرادة مع ثروة واسعة ونعمة شاملة ، وكان يكثر فى شعره من ذكر العدم وشكوى الزمان ، فسمى بذلك ، فإن لم يكن هذا سببه فما أدرى ما سببه .

ولكمال الدين من المصنفات كتاب « الدرارى ، فى ذكر الذرارى » صنفه للملك الظاهر غازى وقدّمه له يوم ولد ولده الملك العزيز ، وكتاب « الأخبار المستفادة ، فى ذكر بنى جراده » وكتاب فى الخط وعلومه وآدابه ووصف ضروبه وأقلامه ، وكتاب « رفع الظلم والتجرى ، عن أبى العلاء المعرى » وكتاب « تبريد حرارة الأكباد ، فى الصبر على فقد الأولاد » وكان إذا سافر يركب فى محفة تشيله بين بغلين ويجلس فيها ، ويكتب ، وفد إلى مصر رسولا و إلى بغداد ، وكان إذا قدم إلى مصر يلازمه أبو الحسين الجزار ، فقال بعض أهل العصر :

يا ابن العديم عدمت كل فضيلة   وغدوت تحمل راية الإدبار
ما إن رأيت ولا سمعت بمثلها   تيس يلذ بصحبة الجزار[1]

ومن شعر الصاحب كمال الدين :

وأهيف معسول المراشف خلته   وفى وجنتيه للمدامة عاصر[2]
تسيل إلى فيه اللذيذ مدامة   رحيقا وقد مرت عليه الأعاصر
فيسكر منه عند ذاك قوامه   فيهتزتيها والعيون فواتر

---

(١) فى ب « نفس تلذ بصحبة الجزار » وأثبتنا ما فى ث

(٢) الأهيف : الضامر البطن ، ومعسول المراشف : يريد أن رضابه يشبه العسل فى الحلاوة ، والمدامة : من أسماء الخمر

كأن أمير النوم يهوى جفونه　　إذا هم رفعا خالفته المحاجر
خلوت به من بعد ما نام أهله　　وقد غابت الجوزاء والليل ساتر
فوسَّدْته كفى وبات معانق　　إلى أن بدا ضوء من الصبح سافر
فقام يجر البرد منه على تقى　　وقمت ولم تُحْلل لإثم مآزر
كذلك أحلى الحب ما كان فرجه　　عفيفا ووصلا لم تشنه الجرائر

وقال أيضاً :

فوا عجبا من ريقه وَهْوَ طاهر　　حلال وقد أضحى على محرما
هو الخمر لكن أين للخمر طعمه　　ولذته مَعْ أننى لم أذقهما

وقال أيضا :

بدا يسحر الألباب بالحسن والحسنى　　هَلُمَّ إليه إنه المقصد الأسنى (١)
وزَرَّرَ أزرار القميص ترائبا　　وضم إليه الدعص والغُصُنَ اللَّدْنا

وقال ، وكتب بها إلى نور الدين بن سعيد :

يا أحسن الناس نظما غير مفتقر　　إلى شهادة مثلى مع توحده
إن كان خطى كسى حظا كتبت به　　إلىَّ حسنا بدا فى لون أسوده
فقد أتت منك أبيات تُعَلمنى　　نَظْمِ القريض الذى يحلو لمنشده
أرسلتها تقتضينى ما وعدت به　　والحُرُّ حاشاه من إخلاف موعده (٢)
وما نسيت ، ولكن عاقنى ورق　　يجيد خطى فآتيه بأجوده
وسوف أسرع فيه الآن مجتهدا　　حتى يوافيك بدرا فى مجلده
بأحرف حَسُنَت كالوجه دَارَ بِهِ　　مثل الحواشى عذار فى مورده (٣)

---

(١) فى ب « هلالا إليه آية المقصد الأسنى » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ث
(٢) فى ب « أرسلتها تقضى» تحريف
(٣) فى ب « حسنت كالوجه داربة » تحريف

وكتب إلى والده قاضى القضاة مجد الدين :

هذا كتابى إلى من غاب عن نظرى ... وشَخْصُه فى سويدا القلب والبصر
ولا يمن بطيف منـــه يطرقنى ... عند المنام ويأتينى على قَدَرِ
ولا كتاب له يأتى فأسْمَعَ من ... أنبائه عنه فيه أطيب الخـــبر
حتى الشَّمال التى تسرى على حَلب ... ضنت علىّ فلم تخطـر ولم تَسِرِ
أخصه بتحياتى وأخـــبره ... أنى سئمت من الترحال والسفر
أبيت أرعى نجوم الليل مكتئباً ... مفكراً فى الذى ألقى إلى السحر
وليس لى أرب فى غير رؤيته ... وذاك عندىَ أقصى السؤل والوطر

(٣٢٨)

أبو حفص رشيد الدين عمـر بن إسماعيـل الربعى ، الشافعى

عمر بن إسماعيل[١] بن مسعود بن سعد بن سعيد بن أبى الكتائب ، الأديب العلامة ، رشيد الدين ، أبو حفص ، الربعى ، الفارق[٢] ، الشافعى .

ولد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وتوفى سنة سبع وثمانين وستمائة[٣] .

سمع من الزبيدى وابن باقا وغيرهما ، وبرع فى النظم ، وكتب فى ديوان الإنشاء وله يد طُولىٰ فى التفسير وفى البديع واللغة ، وانتهت إليه رياسة الأدب ، وأفتى وناظر ودرس بالظاهرية وانقطع بها ، وله فى النحو مقدمتان كبرى وصغرى ، وكان حلو المناظرة ، مليح النادرة ، يشارك فى الأصول والطب وغير ذلك ، ودرس بالناصرية مدّة قبل الظاهرية ، روى عنه الدمياطى وابن بوقا والمزى والبرزالى وآخرون ، وكتب المنسوب ، وانتفع به جماعة ، وخُنِق فى بيته بالظاهرية وأخذ ذهبه ، وشُنق الذى خنقه على باب الظاهرية ، ودرس بالظاهرية بعده علاء الدين بن بنت الأعز

(١) له ترجمة فى بغية الوعاة للسيوطى ص ٣٦٠ ، وذكره الذهبى فى وفيات ٦٨٩ وذكر أنه خنق فى المحرم وقد كمل التسعين ، ومثله فى شذرات الذهب ٥/٤٠٩

(٢) فى ب «العارجى» تحريف ما أثبتناه موافقاً لما فى ث وبغية الوعاة والذهبى

(٣) كذا فى ب ، ث ، وفى الذهبى وشذرات الذهب وبغية الوعاة « سنة ٦٨٩»

ومن شعره ما كتبه إلى جمال الدين على بن جرير إلى قرية القاسمية على يد رجل اسمه على أيضاً :

حَسَدْتُ عليا على كونه توجَّهَ دونى إلى القاسميهْ
وما بى شوق إلى قرية ولكن مرادىَ ألقىْ سَمِيَّهْ[١]

وكتب إلى شيخ الشيوخ عماد الدين بن حمويه :

من غرس نعمته وناظم مدحه بين الورى وسميه ووليه[٢]
يشكو ظماه إلى السحاب لعله يرويه من وَسْميه وَوَلِيه[٣]

وقال أيضاً :

خود تجمع فيها كل مفترق من المعانى التى تستغرق الكلما
خَطَتْ غزالاسطت ليثا بدت غصنا فاحت عبيرا رنت نبلا بدت صنما

وقال ، وكتب إلى الوزير جرير وقد سَوَّغه سكنى المنبع بدمشق :

فديت بنانا أرانى الندى عيانا وكان الندى يسمع
وكفا حكى البحر جودًا ومن أنامله صح لى المنبع

وقال ملغزاً فى خيمة :

ما اسم إذا نَصَبْتَه رفعتَ ما يُنْصَب به
ولا يتم نَصْبُه إلا بجر سَبَبِهْ

وقال ملغزاً فى سَبْسَب :

ما اسم إذا عسكته فذلك اسم للفلا
وإن تركت عكسه فهو المسمى أولا

---

(١) ألقى سميه فى هذا البيت ثلاث كلمات: الأولى «ألقى» مضارع من اللقاء ، والثانية والثالثة «سميه» أى المسمى باسمه ، وكتبت فى ب ، ث « القاسميه » لتتميم الجناس

(٢) سميه : المسمى باسمه ، ووليه: الموالى له

(٣) الوسمى : المطر أول الربيع ، والولى : المطر يأتى بعد الوسمى

وقال، وكتب بها إلى المكرم محمد بن بصاقه :

يا جوادا جودُ راحته أغْنَتِ الدنيا عن الدِّيَمِ[1]

ووفيـا من سجيته رَعْيُ أهل الود والذمم

إننى أصبحت ذا ثقة بكريم غـير متهم

خص بالحمد اسمه وغدا النَّعْتُ مشتقا من الكرم

وقال بيتين، ولا يؤتى لهما بثالث :

ومُخْطَفة تسبى البدور وتخطف الـعقول كأنّ السحر من جفنها يوحى

رنت وسطت ظبياً وليثا، وأسفرت صباحاً، وفاحت عنبراً، وبدت يُوحَا[2]

(٣٢٩)

عمر بن الحسام أقوش[3] .

أبو حفص زين الدين عمر بن أقوش الدمشقى

هو الشاعر زين الدين، أبو حفص، الشبلىُّ، الدمشقى، الشافعى، الافتخارى .

سألته عن مولده فقال : سنة أربع وثمانين وستمائة، وكانت وفاته فى شهر رمضان سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

اجتمعت به مرة، وقد أنشدنى كثيراً من شعره، وفيه تودد كثير، وحسن صحبة، وطهارة لسان، أنشدنى من لفظه لنفسه رحمه الله :

قد أثقلتنى الخطايا فكيف أخلص منها

يا ربِّ فاغفر ذنوبى واصفح بفضلك عنها

وقال أيضاً :

يا من عليه اتكالى ومن إليـه مآبى

---

(١) راحته : يده، والديم : جمع ديمة — بكسر الدال — المطر الدائم الذى لا ينقطع

(٢) رنت، نظرت، وبدت : ظهرت، ويوح : من أسماء الشمس . ووقع فى ب «بوحى» تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ث غير أنه كتبه «يوحى» بالياء لإتمام التجنيس، وصواب كتابته بالألف المنقلبة عن تنوين الاسم المنصوب

(٣) له ترجمة فى الدرر الكامنة ١٥٦/٣ «عمر بن آقش»

جُدْلى بعفوك عنى إذا أخذْتُ كتابى

وقال أيضاً :

يا سائلى كيف حالى فى مراقبتى وما العقيدة فى سرى و إعلانى
أخاف ذنبي وأرجوالعفوعن زللى فانظر فبين الرجا والخوف تلقانى

وقال فيه أيضاً :

ولما اعتنقنا للوداع عشية وفى القلب نيران لفرط غَليلِهِ
بكيت، وهل يغنى البكى عندهائم وقد غاب عن عينيه وَجْهُ خليله ؟

وقال أيضاً :

يا سيد الوزراء دعوة قائل من بعـــد إفلاس و بيع أثاث
أبْطَتْ حوالتكم على كأنهـــا تأتى إذا ما صِرْتُ فى الأجداث
فإذا أتت من بعد موتى فأحسنوا بوصولها للأهل فى ميراثى

وقال ، وكتب بها إلى الصاحب شرف الدين يعقوب ناظر طرابلس يشكو من أيوب :

بليت بالضر من أيوب حين غدا يُنَــكِّدُالعيش فىأكل ومشروب
وزاد يعقوب فى حزنى لغيبته فضُرُّ أيوب لى مع حزن يعقوب

وقال أيضاً :

إذا ما جئتكم لغناء فقرى يقال ابشر إذا قدم الأمير
وقد طال المطال وخفت يأتى أميرُكُمُ وقد مات الفقير

(٣٣٠)

أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن عبد العزيز الأموى

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم[١] ، أمير المؤمنين ، أبو حفص

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٨٨ ، وفى شذرات الذهب ١/١١٩ وفى تاريخ الإسلام للذهبي ٤ / ١٦٤ طبع القدسى . وفى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ٧/٤٧٠ (الترجمة رقم ٧٩٠)

رضى الله عنه ، ولد بالمدينة[١] سنة ستين من الهجرة عام توفى معاوية ، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

روى عن أنس وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب و يوسف بن عبد الله بن سلام وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والربيع بن سبرة وطائفة .

وكان أبيض ، رقيق الوجه ، جيده ، نحيف الجسم ، حسن اللحية ، غائر العينين ، بجبهته أثر حافر دابة ، ولذلك سمى «أشجَّ بنى أمية» وخَطَه الشيبُ ، قيل : إن أباه لما ضربه الفرس وأدماه جعل يمسح الدم ويقول : إن كنت أشج بنى مروان إنك لسعيد .

بعثه أبوه من مصر إلى المدينة ليتأدب بها ، فكان يختلف إلى عبد الله بن عبيد الله يسمع منه ، ولما مات أبوه عبد العزيز طلبه عمه عبد الملك إلى دمشق ، وزوّجه بابنته فاطمة ، وكان قبل الإمْرَة يبالغ فى التنعم ، ويفرط فى الاختيال فى المشية .

قال أنس رضى الله عنه : ما صَلَّيت خلف إمام أشبهَ[٢] برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى ، عمر بن عبد العزيز .

وقال زيد بن أسلم : كان يُتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود[٣] .

سئل محمد بن على بن الحسين عن عمر ، فقال : هو نجيب بنى أمية ، وإنه يبعث يوم القيامة أمَّةً وحده .

وقال عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه : كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامِذَةً .

---

(١) المعروف أن عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه ! — ولد فى حلوان مصر أيام كان أبوه عبد العزيز بن مروان واليا على مصر ، وهو الذى بدأ عمارة حلوان

(٢) يريد أن صلاته أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة كل من عداه

(٣) هذا تفسير وبيان لقرب المشابهة بين صلاة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال نافع : بلغنا عن عمر أنه قال : من ولدى بوجهه شين يملأ الدنيا عدلا ، فلا أحسبه إلا عمر بن عبد العزيز .

ولما طُلِبَ للخلافة كان فى المسجد ، فسلموا عليه بالخلافة ، فعقر ، فلم يستطع النهوض ، حتى أخذوا بضَبْعَيه ، فأصعدوه المنبر ، فجلس طويلا لايتكلم ، فلما رآهم جالسين قال : ألا تقوموا فتبايعوا أمير المؤمنين ، فنهضوا إليه فبايعوه رجلا رجلا .

وروى حماد بن زيد عن أبى هاشم أن رجلا جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال : لقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله ، فإذا رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس ، فقال لك : يا عمر إذا عملت فاعمل بعمل هذين ، لأبى بكر وعمر .

وقيل : إن عمر هو الذى رأى هذا المنام .

وقد عمل له ابن الجوزى سيرة مجلداً كبيراً .

وكانت وفاته بدير سمعان [١] لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة ، سقاه بنو أمية السم لما شدد عليهم وانتزع كثيراً مما فى أيديهم ، وصلى عليه يزيد ابن عبد الملك ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوما ، ونقش خاتمه « عمر يؤمن بالله » وهو الذى بنى الجُحْفَةَ ، واشترى ملطية من الروم بمائة ألف أسير و بناها ، وروى له الجماعة ، وفى عمر بن عبد العزيز يقول الشريف الرضى :

يابن عبدالعزيز لو بكت العـــينُ فتًى من أمية لبكيتك

غير أنى أقول إنك قد طبــتَ وإن لم يطب ولم يزكُ بيتك [٢]

أنت نزهتنا عن السب والقذ ف فلو أمكن الجزاء جزيتك

---

(١) دير سمعان ـ بكسر السين أو فتحها ـ دير بنواحى دمشق فى موضع نزه وبساتين محدقة ، وعنده قصور ودور ، وعنده قبر عمر بن عبدالعزيز ، وفيه يقول كثير عزة :

سقى ربنا من دير سمعان حفرة بها عمر الخيرات رهنا دفينها

صوابح من مزن ثقال غواديا دوالح دهما ماخضات دجونها

(٢) فى ب « إنك قدمت وان لم تطب ولم يزل بيتك » تحريف قبيح

ولوَ انّى رأيت قبرك لاستحيــيت من أن أرى وماحييتك

دير سمعان فيك مأوى أبى حفــص فودّى لو أننى آويتك[(١)]

أنت بالذكر بين عينى وقلبى إن تدانيت منك أو إن نأيتك

وعجيب أنى قليت بنى مر وان طرا وأننى ما قليتك

قدنما العدل منك لما نأى الجو ر بهم فاجتويتهم واجتبيتك[(٢)]

فلو أنى ملكت دفعا لما نا بك من طارق الردى لافتديتك

(٣٣١)

أبو حفص عمر بن عبد العزيز الشطرنجى

عمر بن عبد العزيز ، أبو حفص الشطرنجى ، مولى بنى العباس[(٣)] .

كان أبوه أعجميا من موالى المنصور ، ونشأ عمر فى دار المهدى مع أولاد مواليه ، فكان كأحدهم ، وتأدب ، وكان مشغوفا بالشطرنج ولعبه ، ولما مات المهدى انقطع إلى علية وخرج معها لما تزوجت ، وعاد معها لما عادت إلى القصر ، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها و بين إخوتها و بنى أخيها من الخلفاء ، فينتحل بعض ذلك و يترك بعضه

وقال محمد بن الجهم البرمكى : رأيت أبا حفص الشطرنجى ، فرأيت إنسانا يلهيك حضوره عن كل غائب ، وتسليك مجالسته عن كل الهموم[(٤)] والمصائب ، قُرْبُه عُرْس ، وحديثه أنس ، وجده لعب ، ولعبه جدّ ، دين ، ماجن[(٥)] ، وكان ما علمته أقل ما فيه من الشعر[(٦)] ، وهو القائل :

تَحَبَّبْ فإن الحب داعية الحب وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

---

(١) فى ب ، ث « مأوى ابن حفص » تحريف ، وقد روى هذا البيت فى ديوان الشريف ١٦٩/١ بيروت :

دير سمعان لا أغبك غاد خير ميت من آل مروان ميتك

(٢) فى ديوان الشريف « قرب العدل — إلخ »

(٣) له ترجمة فى الأغانى ٦٩/١٩ بولاق، وذكر أن اسم أبيه كان اسما أعجميا ، فلما نشأ أبو حفص وتأدب غير اسم أبيه وسماه عبد العزيز (٤) فى الأغانى « عن هجوم المصائب »

(٥) فى الأغانى « ماجد » (٦) لعل كلمة « من » مقحمة

إذا لم يكن فى الحب سخط ولا رِضًى   فأين حلاوات الرسائل والكتب[١]
ففكر فإن حُدِّثت أن أخا الهوى   نجا سالما فارجُ النجاة من الحب
وأطيب أيام الهوى يومُكَ الذى   تروّع بالهجران فيه وبالعتب[٢]

وقال أيضاً :

وقد حسدونى قرب دارىَ منكم   وكم من قريب الدار وَهْوَ بعيد
دخولك من باب الهوى إن أردته   يسير ، ولكنّ الخروج شديد

وقال له الرشيد : يا حبيبى ، لقد أحسنت ما شئت فى بيتين قلتهما ، فقال : ما هما يا سيدى ؟ شرّفهما استحسانُك ، فقال : قولك :

لم ألقَ ذا شَجَنٍ يبوح بحبه   إلا حَسِبْتُكِ ذلك المحبوبا
حذرًا عليك ، وإننى بك واثق ،   أن لا ينال سواى منك نصيبا

فقال : يا أمير المؤمنين لَيْسَالى ، هما للعباس بن الأحنف ، فقال : صدقُكَ واللهِ أعجبُ إلى .

وله أحسن منهما حيث يقول :

إذا سَرّها أمرٌ وفيه مَساءَتى   قضيت لها فيما تريد على نفسى
وما مرّ يوم أرتجى فيه راحتى   فأذكره إلا بكيت على أمسى

قيل : غضب الرشيد على علية بنت المهدى ، فأمرت أبا حفص الشطرنجى — وهو شاعرُهَا — بأن يقول شعرا يعتذر فيه عنها ، ويسأله الرضى عنها ، فقال :

لو كان يمنع حسنُ العقل صاحبه   من أن يكون له ذنب إلى أحد
كانت علية أعلى الناس كلهم   من أن تكافَى بسوء آخر الأبد[٣]
مالى إذا غبت لم أذكر بواحدة   وإن سقمت فطال السقم لم أعدِ[٤]

---

(١) فى الأغانى « إذا لم يكن فى الحب عتب ولا رضى » وقد تقدمت هذه الأبيات فى الترجمة ٣٢٦ (٢) فى الأغانى « تروع بالتحريش فيه وبالعتب » وذكر أن فى هذه الأبيات غناء لعلية بنت المهدى (٣) فى الأغانى « كانت علية أربى الناس كلهم »
(٤) سقط هذا البيت من الأغانى .

ما أعجب الشيء نرجوه ونضمره　　　قد كنت أحسب أنى قد ملأت يدى

فغنت عليه لحنا ، وألقته على جماعة من جواري الرشيد ، فغنينه إياه فى أول مجلس جلس فيه ، فطرب طربا شديدا وسأل عن القصة ، فأخبرنه بذلك ، فأحضر علية ، وقبلت رأسه ، واعتذرت إليه ، وسألها إعادة الصوت ، فغنته ، فبكى ، وقال : لا غَضِبْتُ عليك ما عشت أبدا .

وكانت وفاة أبي حفص فى خلافة المعتصم .

(٣٣٢)

قطب الدين عمر بن عوض (ابن قليلة) الشارعى

عمر بن عوض بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب ، الشارعى ، يعرف بابن قليلة ويدعى قطب الدين .

كانت وفاته بعد السبعمائة .

من شعره ، وقيل : هما لابن حلكان :

ألا يا سائرا فى قَفْرِ عُمْرٍ　　　يقاسى فى السُّرَى حَزْنا وسهلا[١]

بلغت نَقَا المشيب وجزت عنه　　　وما بعد النقا إلا المصلى[٢]

وقال أيضاً :

عزمت على تزويج بكر مدامة　　　بماء قَرَاحٍ والليالى تساعد

فأمهرتها در الحباب ، وإنه　　　إذا جُلِيَتْ ليلا عليها قلائد

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وجادت رياحين البساتين عرفت　　　فطابت بذاك النفس واللوز عاقد[٣]

وكان حضور النبق فألا مهنئا　　　لنا بالبقا فى العقد والورد شاهد

---

(١) أصل القفر الأرض الخالية لا أنيس لها ، فشبه العمر بها ، ثم أضاف المشبه به إلى المشبه ، والحزن : ما علا وصعب من الأرض ، والسهل ضده

(٢) جزت عنه : خلفته وراءك وجاوزته فى سيرك .　　　(٣) كذا

(٣٣٣)

مجير الدين عمر بن عيسى (ابن اللمطى) التيمى

عمر بن عيسى[1] بن نصر بن محمد بن على بن أحمد بن محمد بن حسن بن حسين ، التيمى ، مجير الدين[2] ، ابن اللمطى .

قال العلامة أثير الدين أبو حيان : رأيته بقوص ، وكتبت عنه شيئا من شعره ، قدم علينا مصر ، وسكنها أيام القاضى تقى الدين بن دقيق العيد ، واشتغل عنده فى أوقات ، وكان قد نظر فى العربية ، وأنشدنى لنفسه بمدرسة الأفرم سنة ثمانين وستمائة .

أبى الدمع الا أن يفيض وأن يجرى ... على ما مضى فى مدّة النأى من عمرى
ومالى إن نَطَّفت ماء محاجرى ... وقد بعدت دار الأحبة من عذر[3]
أما إنه لولا اشتياق لذكرهم ... ولا شوق إلاما يهيج بالذكر
لما شاقنى نظم القريض ، ولاصَبَا ... فؤادى على البلوى إلى عمل الشعر
وكان لمثلى عن أفانين منطق ... هنالك ما يلهى عن النظم والنثر

وقال أيضا رحمه الله :

جفن قريح بالبكاء مُوَكَّلُ ... فعلت به العبرات ما لا يفعل
وجوانح منى على شحط النوى ... أضحت تمزق فى الهوى وتنصل
عجبا لحكم الحب فىّ ، فليته ... يوما يجور به ويوما يعدل
إنى وإن أمسى يُحَمِّلنى الهوى ... من ثقله فى الحب ما لا يحمل
فلقد حَلَتْ منه مرارات الجوى ... عندى وخفَّ لدىَّ ما قد يثقل
لا يطمع اللوام فى ترك الهوى ... إن كَثَّرُوا من لومهم أو قللوا

---

(١) له ترجمة فى الطالع السعيد للأدفوى ٢٤٥ وكان معاصرا له ، ولهذا طول فى ترجمته على خلاف عادته (٢) كذا فى ب ، ث ، وفى الطالع السعيد « مجد الدين »

(٣) نطفت : أراد قللت ، وهو فعل لم يستعمله العرب

لهفى على زمن بمنعرج اللوى والشمل مجتمع وجَدّىَ مقبل
ما كان أهْنى العيش فيه ، فليته لو دام منـــه ريثما أتأمل

وقال أيضا :

وزهّدَنى فى الخل أن وداده لرهبة جاه أو لرغبـــة مال
فأصبحت لا أرتاح منه لرؤية ولا أرتجى نفعا لديه بحال

ولما توفى قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد ترك ما تولاه من نظر رباع الأيتام ، وتوجه إلى قوص ، وأقام بها إلى أن توفى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وله من العمر ثلاث وثمانون سنة .

وله شعر جيد ، وكان صحيح الود ، حافظ العهد ، حسن الصحبة ، رحمه الله تعالى !

(٣٣٤)

سراج الدين عمر بن محمد الوراق الشاعر

عمر بن محمد بن حسن [١] ، سراج الدين الوراق ، الشاعر المشهور ، والأديب المذكور.

ملكت ديوان شعره ، وهو فى سبعة أجزاء كبار ضخمة بخطه [٢] إلى الغاية ، وهذا الذى اختاره لنفسه وأثبته ، فلعل الأصل كان من حساب خمسة عشر مجلدا ، وكل مجلد يكون مجلدين ، فهذا الرجل أقل ما يكون ديوانه لو ترك جيده ورديه فى ثلاثين مجلدا ، وخطه فى غاية الحسن والقوة والأصالة ، وكان حسن التخيل ، جيد المقاصد ، صحيح المعانى ، عذب التركيب ، قاعد التورية والاستخدام ، عارفا بالبديع وأنواعه ، وكان أشقر أزرق ، وفى ذلك يقول :

ومن رآنى والحمار مركبى وزُرْقتى للروم عرق قد ضَرَبْ
قال وقد أبصر وجهى مقبلا : لا فارس الخيل ولا وجه العرب

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤٣١/٥ والنجوم الزاهرة ٨٣/٨ وفيه « عمر بن محمد بن الحسين » (٢) وضع كلمة « بخطه » فى هذا الموضع قلق

وكان يكتب الدرج للأمير يوسف سيف الدين أبى بكر بن أسبا سلار والى مصر ، وتوفى فى جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وستمائة ، رحمه الله تعالى !
وقد قارب التسعين أو جاوزها بقليل ، وأكثر شعره فى اسمه ، فمن ذلك :

وكنت حبيباً إلى الغانيات ... فألبسنى الشيبُ بغض الحبيب[1]
وكنت سراجا بليل الشباب ... فأطفأ نورى نهار المشيب

وقال أيضاً :

بُنَىَّ اقتدَى بالكتاب العزيز ... وراح لِبِرِّىَ سعيا وراجا
فما قال لى أف مذ كان لى ... لكونى أبا ولكونى سراجا

وقال أيضاً :

وقالت : ياسراج علاك شيب ... فدع لجديده خلع العذار
فقلت لها : نهار بعد ليل ... فما يدعوك أنت إلى النفار
فقالت : قد صدقت ، وماعلمنا ... بأضيع من سراج فى نهار

وقال أيضاً :

إلٰهِىَ قد جاوزت ستين حجة ... فشكراً لنعماك التى ليس تكفر
وعُمِّرت فى الإسلام فازددت بهجة ... ونورا ، كذا يبدو السراج المعمر
وعَمَّمَ نورُ الشيب رأسى فسرنى ... وما ساءنى ؛ إن السراج منور

وقال أيضاً :

طوت الزيارة إذ رأت ... عصر المشيب طوى الزياره
ثم انثنت لما أُنثنت ... بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت أهرب وهى تسأل جارة من بعد جارة
وتقول : ياست استرحنا لا سراج ولا مناره

---

(١) فى ب «فألبسنى الشيب بغض الرقيب» وليس بذاك

وقال أيضاً :

كم قَطَّع الجود من لسان ... قلد من نظمه النحورا

فها أنا شاعر سراج ... فاقطع لسانى أزدك نورا

وقال أيضاً :

أثنى علىَّ الأنام إنى ... لم أهْجُ خلقا ولو هجانى

فقلت لا خير فى سراج ... إن لم يكن دافق اللسان

وقال أيضاً :

رَبِّ سامح أبا الحسين وسامحـــنى فشأنى وشأنه الإسلام

فذنوب الوراق كل جريح ... وذنوب الجزار كل عظام

وقال أيضاً :

واخجلتى وصحائفى قد سوِّدت ... وصحائف الأبرار فى إشراق[1]

وفضيحتى لمعنف لى قائل : ... أ كذا تكون صحائف الوراق

وقال أيضاً :

و باخل يشنأ الأضياف حَلَّ به ... ضيف من الصبغ نَزّال على القمم

سألته ما الذى يشكو فأنشدنى ... (ضيف ألمَّ برأسى غير محتشم)[2]

وقال أيضاً :

وضاع خصر لها مازلت أنشده ... إذرق لى ورثى للسقم من بدنى

---

(١) فى ب «واخجلتى وصحائفى سودت وغدت» ولا يستقيم وزنه ولا يكمل عربية.

(٢) هذا صدر بيت لأبى الطيب المتنبى ، وعجزه قوله :

* والسيف أحسن فعلا منه باللمم *

وهذا البيت مطلع قصيدة له ، والحديث فيه عن الشيب.

وقال لى بلسان من مناطقه : (لولا مخاطبتى إياك لم ترنى)[1]

وقال أيضاً :

رأت حالى وقد حالت ... وقد غال الصِّبى فَوْتُ

فقالت إذ تشاجرنا ... ولم يخفض لنا صوت

فلا خـــير ولا أير ... ولا ميـر فـذا موت

وقال أيضاً :

أصبحت أعجن إذ أقوم، وشَرُّ ما ... وَقَعَتْ عليه العين شيخ عاجن

و إذا أردت أدُقُّ شيئا لم أجد ... عندى يَدًا والبيت فيه الهاون

وقال :

لما دنوت منها بأيرى ... نام ، وما مثل هذى خجله

وكَلَّ كفى لفرط جذبى ... له وما للجبان حمـله

[فزجَنَتْ وانثنت وقالت: ... قومُوا انظروا عاشقا بوصْلَهْ][2]

[فقلت : هذا لفرط حبى ... قالت : دع التُّرَّهات باللهْ][2]

[قلت: أقيم الدليل ، قالت : ... لوقام ما احتجْتَ للأدِلَّهْ][2]

وقال أيضاً :

ما كنت أعرف فى فلان حالة ... تدعو لحب الأسود الغربيب

حتى رأيت محل سعد عنده ... فرأيت كل غريبة وغريب

ورأيتـه فرحا به فى غاية ... وتعصبا لى غاية التعصيب

فسألت بعض الحاضرين فقال لى ... حاشاك يعزب عنك فهم أديب

أو ليس سعد أسود اغَضَّ الصِّبا ... أو لست أبيض فى خليع مشيب

فأجبته حتى كلامى عنده ... يلغى ، وسعد لم يكن بأديب

[وكلامه المسموعُ إلاَّ أنما الـ ... ـمسموع عند الشيخ إلا النُّوبى][2]

---

(١) هذا عجز بيت لأبى الطيب المتنبى ، وصدره من كلامه قوله :

* كفى بجسمى نحولا أننى رجل *

(٢) الأبيات التى بين الحاصرتين ساقطة من ب

وقال أيضاً :

دع الهوينا وانتصب للتقى   وا كدح فنفس المرء كدَّاحَهْ
وكن عن الراحة فى معزل   فالصفع موجود مع الراحه

وقال أيضاً :

وقائل قال لى لما رأى قلقى   لطول وعد وآمال تُعَنِّينَا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم   محمودة قلت أخشى أن تخرينا

وقال أيضاً :

هزيته بالمدح جهدى فما اهـ   ـتز ونار اليأس كم تتعب[1]
فقلت : أرجوز بدة قال لى   فاتَكَ أين اللبن الطيب[2]

وقال أيضاً[3] :

لى حرمة إذ كاتب قدتهدى   على يثنى ومنى تـبرا
من راء يفع الغلام إذ تبدى   مقطعا ظن شرا

وقال أيضاً :

جارى فى وَقفة وجاريتى   فى وجْمَة مُذْ عدمت دبوسى[4]
أبكى وتبكى وما لنا سبب   يدخل فى كيسها ولا كيسى

وقال أيضاً :

سألتهمُ وقد حَثُّوا المطايا   قفوا نفسا فداروا حيث شاؤا
وما عطفوا علىَّ وهم غصون   وما التفتوا إلىَّ وهم ظباء

وقال أيضاً :

ما حل عَزْمِي مثل عقد قبائه   بدرا يعد البدر من رقبائه

---

(١) كذا فى ب ، ث ، والعربية تقتضى أن يقول «هززته بالمدح»

(٢) فى ب «فإنك ابن اللبن الطيب»   (٣) كذا ورد البيتان ، وفيهما قلق

(٤) فى ب «جار قد وقفته» وفيها «فى وجهه ندب عدمت دبوسى» تحريف

مرح المعاطف تائه بجماله ... واه لصب تائه فى تائه
يحلو مُقَبله وبرد رضابه ... (كالأقحوان غداة غب سمائه)[1]
فى شعره وجبينه فى موقف الـ ... ـحيران بين ظلامه وضيائه
يتشبه الغصن النضير بقدِّه ... ياغصن حسبك لست من نظرائه

وقال أيضاً :

شِمتُ برقا من ثغرها الوضاح ... والدجى سيره مَهِيضُ الجناح
فقــارى شـكى به ويقينى ... هل تجلى الصباح قبل الصباح[2]
فأجابت مــتى تَبَسَّم صبح ... عن حباب أو لؤلؤ أو أقاح
ومتى كان للصباح شميم الـ ... ـمسك أو نكهة كصرف الراح
سل رحيق المسكوب تسأل خبيرا ... باغتباق من خمرة واصطباح
قلت مالى وللسكارى فقالت ... أنت أيضا من الهوى غير صاح
حجـة من مليحــة قطعتنى ... هكذا كلّ حجة للملاح
لا ولحظ كفَتْرَةِ النرجس الـ ... ـغض وخدّ كحمرة التفاح
ما تيقنت بل ظننت وما فى الـ ... ـظن يا هـذه كبير جناح
وكثيرا شبهت بالبـدر والشمــ ... ـس وسامحت فارجعى للسماح
وافعلى ذا من ذاك واطَّرحى الـ ... ـقول اطراحى عليك قول اللاحى[3]

وقال أيضاً :

أحسن ما تنظر فى صفحة ... عذار من أهوى على خدّه
يا قلم الريحان سبحان مَنْ ... خطك بالآس على ورده

---

(١) هذا العجز صدر بيت للنابغة الذبيانى ، وعجزه فى كلام النابغة :
* جفت أعاليه ، وأسفله ندى *
وهذا البيت فى وصف الفم (٢) كذا ، ولعله « فتبارى شكى — إلخ »
(٣) فى ب « اطراحى عليك قول الملاحى »

وقال أيضاً :

جاء عذار الذى أهيم به — فجرد الوجد أىَّ تجريد
وظنه آخر الغرام به — مقيد جاهل بمقصودى
وما درى أن لام عارضه — لام ابتداء ولام توكيد

وقال أيضاً :

يا نازح الطيف من نومى يعاودنى — لقد بكيت لفقد النازحين دما[1]
أوجبت غسلا على عينى بأدمعها — فكيف وهى التى لم تبلغ الحلما

وقال أيضاً :

أقول وكَفِّى فى خصرها — يدور وقد كاد يخفى على
أخذت عليك عهود الهوى — وما فى يدى منك يا خصر شى

(٢٣٥)

سراج الدين عمر بن مسعود الأديب ، الحكيم

عمر بن مسعود الأديب ، سراج الدين ، المجان ، الحكيم ، الكنانى ، صاحب الموشحات ، وكان حلو المرافقة .

توفى بدمشق سنة سبعمائة .

فمن شعره :

رأيته فى المنام ضاجَعَنِى — يا ليت ما فى المنام لو كانا
ثم انثنى معرضاً فواعجبى — يهجرنى نائماً ويقظاناً

وقال أيضاً :

قالوا المعرة قد غدت من فضلها — يُسْعَى إلى أبوابها وتُزَارُ
وجبت زيارتها علينا عند ما — شغف القلوب حبيبها النجار

---

(١) فى ب « يانازح الطيف من نومى أذى ودنا » تحريف

وقال أيضاً فى أحدب :

وأحدب أنكروا عليه وقد ... سُمِّى حساما وغير منكور[1]

ما لقبوه الحسام عن سَفَهٍ ... لو لم يروا قده القلاجورى

وقال أيضاً :

بعثت نحوى المشط يا مالكى ... فكدت أن تسلبنى روحى

وكيف لا تسلب روحى وقد ... بعثت منشورا لتسريحى

وقال أيضاً :

أرى لابن سعد لحية قد تكاملت ... على وجهه واستقبلت غير مقبل

ودارت على أنف كبير كأنه ... (عظيم أناس فى بجاد مزمّل)[2]

وقال أيضاً :

يا حبذا جادى حماة وطيبها ... وطلاوة العاصى بها والجوشق

فاقت منارة جلق فلحسنها الـ ... ـشقراء تكبو خلفها والجوسق

وقال فى إبريق فخار :

يا حبذا شكل إبريق تميل له ... منى القلوب ، وتصبو نحوه الحدق

يروق لى حين أجلوه ، ويعجبنى ... منه طلاوة ذاك الجسم والعنق

كم قد شربت به ماء الحياة ، ولن ... ينالنى منه لا غَصَصٌ ولا شرق

حتى غـــدا خجلا مما أقبله ... فظل يرشح من أعطافه العَرَقُ

وقال فى قنديل :

يا حسن بهجة قنديل خلوت به ... والليل قد أسبلت منا ستائره

---

(١) وقع هذا البيت فى ب هكذا :

وأحدب أنكوط عليه وقد تسمى ... حساما وهو غير منكور

وهو تحريف قبيح

(٢) عجز هـــذا البيت عجز بيت لامرىء القيس فى معلقته ، وصدره من كلامه قوله : * كأن أبانا فى عرانين وبله *

أضاء كالكوكب الدرى متقداً فراق باطنه نوراً وظـاهره
تزيده ظلمة الليل البهيم سَناً كأنما الليل طرف وهو باصره

وقال فى مليح معالج :

[بروحىَ أفدى فى الأنام مُعالجًا مَعاطفُهُ أزهى من الغُصُنِ الغَضِّ] (١)
يكلف عطفيه العلاج فيبسط الـ ـقلوب على حبيه فى ساعة القبض
إذا ما امتطى لطفا مقيرة له وأقعدها واحمر سالفـه الفضى
رأيت محياه وما فى يمينه كشمس تجافى دونها كرة الأرض (٢)

وقال :

مابث شكواه لولا مسه الألم ولا تأوّه لولا شَفَّهُ السَّقَمُ
ولا توهم أن الدمع مهجته أذابَهَا الشوقُ حتى سال وَهْوَ دَمُ
صب له مدمع صب يكفكه فتستهـل غواديه وتنسجم
فطرفُه بمياه الدمع فى غرق وقلبه بلهيب الشوق يضطرم
أراد إخفاء ما يبديه من كمد حتى لقد كان بالسلوان يتهـم
يبدى التجلد والأجفان تفضحه كالبرق تبكى الغوادى وهو يبتسم
سقته أيدى النوى كأساً مدغدغة فما نداماه إلا الحزن والندم
يمسى و يصبح لا صبر ولا جلد ولا قرار ولا طيف ولا حلم
لولا يؤمل إلمـاما بجيرته لكاد يعتاده ممـا به لمم (٣)
قال الوشاة تسلى عن محبتهم يا ويحهم جهلوا فوق الذى علموا
أنى يميل إلى السلوان مكتئب باق على الود والأيام تنصرم
قضى بحبهم عصر الشباب وما خان الوداد وهذا الشيب والهرم

(١) هذا البيت غير موجود فى ب
(٢) فى ب « كشمس تجلت دونها كرة الأرض »
(٣) فى ب « لو لم يؤمل إلماما » وليس بشىء

أنا المقيم على ما يرتضون به مُضْغ إذا نطقوا رَاضٍ بما حكموا

متى دعانى هواهم جئت معتذرا أسعى على الرأس إن لم يسعد القدم

ومن موشحاته رحمه الله تعالى :

جسمى ذوى بالكمد والسهر والوصب من جانى[1]

ذى شنب كالبرد كالدرر كالْحَبَبِ جمانى

بى غصنُ بانٍ نَضِرُ يسبيك منه الهيف

يرتع فيه النظر فزهره يقتطف

الخد منه خَفَر والجسم منه ترف

قد جاءنا يعتذر عذاره المنعطف

ثم التوى كالزَّرَدِ بعبقرى معقرب ريحانى[2]

فى مُذْهَب مُوَرَّد مدنر مكتب سوسانى

ظبى له مرتشف كالسلسبيل البارد[3]

بدر عَلَاه سدف من ليل شَعْرٍ وارد[4]

غصن نَقًا منعطف من لين قَدٍّ مائد

مُقَرطق مُشَنف يختال فى القلائد

بين اللوى وثهمد لجؤذر فى ربرب غزلان

من كُثُب ذى جَيَدِ ذى حور ذى هدب وسنانى

أما وَحَلْى جيده ورنة الخلاخل

والضم من بروده قد قضيب مائل

---

(١) ذوى: ذبل ، وأراد أنه أصبح ناحلا، والكمد : الحزن، والوصب :التعب

(٢) الزرد ــ بالتحريك ــ حلقات الدرع ، وصانعها زراد

(٣) أراد بالمرتشف ثغره

(٤) السدف : الظلمة ، لما شبهه بالبدر شبه شعره بالليل

والورد من خدوده إذ نم في الغلائل
لا كنت من صدوده مستمعاً لعاذل
نارَ الجوى لا تخمدى واستعرى وكذبى سلوانى
وانسكبي واطردى وانهمرى كالسحب أجفانى
مولاى جفنى ساهر مؤرق كما ترى
فلا خيال زائر يطرقنى ولا كرى
إني عليك صابر فما جزا مَنْ صبرا
إن سَحَّ دمْعى الهامر فلا تلمه إن جرى
جال الهوى فى جَلَدى ومضمرى المعذب كتمانى
مـــؤنبى اتئدِ لا تضربى وجنبى عن عنانى

وقال أيضاً :

ترى دهرا مضى بكم يَؤُوبُ مُنيباً ويضحى روض آمالى الجديبُ خصيبا[1]
عسى صب تملكه هواه يعاود جفن مقلته كراه
ويبلغ من وصالكم مناه ويرجع دهرنا عما جناه
ويجمع شملنا وصل يطيب قريبا ويصبح حيث أدعو الحبيبُ مجيبا[2]
أرى أمد الصدود بكم تمادى وكم لمت الفؤاد فما أفادا
وتأبىٰ عَبْرتى إلا اطرادا ونار صبابتى إلا اتقادا
فخدى رده الدمع السكيب خضيباً وقلبى كاد أشواقا يذوب لهيباً
وبى رشأ بناظره يصول حسام من ضرائبه العقول
على وجناته لدمى دليل ولكن ما إلى قَوَدٍ سبيل

---

(١) فى ب « أترى دهر مضى يؤدب شيبيا » تحريف

(٢) « ويجمع شملنا حسن وصل قريبا » تحريف لا يستقيم معه الوزن

خَبَّتْهُ من ضمائرنا القلوب نصيباً　　فكان لها وإن كره الرقيب حبيباً
غزال وهو فى المعنى هلال　　قريب وَصْلُه ما لا ينال
وغصنٌ راح يعطفه الدلال　　كذا الأغصان تثنيها الشمال
إذا مالت بعطفيه الجنوب هبوباً　　تَثَنَّى فى غلائله القضيب رطيبا
كلفت بحبه حلو المعانى　　أعانى فى هواه ما أعانى
أراه وإن تباعد عن عيانى　　كبدر التِّمِّ قاصٍ وَهْوَ دانى
يُرِينا حين تُطْلعه الجنوب عجيباً　　جمالا لا يكلفه الغروب مغيباً

وقال أيضاً :

مِنْ دون رَملة عالج　　لربة الخـال دار[1]
حلت عليه السحائب　　منها الدموع الغزار
هَمَتْ عليهـا دموع　　لها السحاب شؤون
فاخضلَّ منها النقيع　　ومِسْنَ فيها الغصون[2]
حدّث فتلك الربوع　　حـديثهنّ شجون[3]
ففى القلوب لَوَاعِجْ　　من ذكرها وأوار[4]
ونار فقـد الحبائب　　زنادهـا الادِّكَارُ
لم أنس يوم تولّى　　حادى المطى وسارا
خـلى المحبين قَتْـلَى　　كما ترى وأسـارى
ودون رامَةَ خَـلّى　　منه العقول حيارى

---

(١) عالج : اسم رملة بالبادية كثر فيها الشعر ، من ذلك قول أعرابى :

فيا راشقات العين من رمل عالج　　متى منكم سرب إلى الماء وارد
فما القلب من ذكرى أميمة نازع　　ولا الدمع مما أضمر القلب جامد

(٢) مسن : سرن فى تبختر　　(٣) هذا من مثل لفظه « الحديث ذو شجون »
(٤) الأوار ـ بضم الهمزة ـ حرارة الجوف

لان بين الهوادج أقمار تمٍّ تحار
منها بدور الغياهب لم يُخْفِهِنَّ سرارُ
حكوا البروق أبتساما والسمهريَّات لِينَا
أغصان بانٍ إذا ما مالت تُغير الغصونا
كم خلّفت مستهاما ملقى لديها طَعينا(١)
مذ أينعت فى الدمالج لها البدور ثمار
أو راقُهن الذوائب حتى الغصون تغار
سَفَرْن بين الستور هيف رقاق الخصور
عن أوجه كالبدور فى جنح ليل الشعور
تقلدوا فى النحور بمثل ما فى الثغور
يحكين غزلان ضارج شعارهن النفار(٢)
فليس يدنو لطالب من طَيْفهن مزار
هل للحياة سبيل وقد دهتنا العيون
وسُلَّ منها نصول لها الجفون جفون
قُضْبٌ علينا تصول شعارهن المنون
فكيف للهم فارج أو للمحب اصطبار
وفى الجفون قواضب لها المَنُون شفار

وقال أيضا :

أيَخْفَى غرامى والدموع السوافح تنمّ بما تُطْوَى عليه الجوانح

---

(١) فى ب ، ث « ظعينا » بالظاء المعجمة ـ تحريف ما أثبتناه

(٢) ضارج : ماء ونخل لبنى سعد بن زيد مناة ، وفيه يقول الشاعر :

وقلت تبين هل ترى بين ضارج ونهى الأكف : صارخا غير أعجما

وقلبىَ فى وادٍ من الشوق هائم | حزين وغادٍ فى الغرام ورائح
صب هيمان ، بعـد الخلان | نامى الأشجان ، بادى الأحزان
كتمت الهوى العذرىّ بين أضالعى | وأخفيته لولا وشاة مَدَامعى
وحاولت سلوانا فلم ألق سلوة | فقلت لقلبى مُتْ بداء المطامع
سـلوان بان ، وسرى بان | فلا سـلوان ، ولا كتمان
تمَلّكنى حلو الشمايل أهيف | مليح التثنى ناحل الخصر مُخْطَف
أغضّ من الغصن الرطيب شمائلا | وأحسن مرأى فى العيون وأظرف
تثنى ريان ، قـد فتان | فاق الأغصان ، أغصان البان
أعار قضيب البان هزةَ عطفِهِ | ورقّ على نشر النسيم بلطفه
وزاد على البدر المنير بوجهه | سناً وعلى الظبى الغرير بطرفه
ما للغزلان ، معنى أجفـان | طرف وسنان ، صاحى نشوان
تقوّى على ضعفى برقّةِ خصره | وأضرم أشواقى إلى لثم ثغره
فقلت لقلبى عند ما صد مغضبا | وزاد على عدوانه طول هجره
كم ذا العدوان ، بذا الهجران | ترى ما آن ، يرضى الغضبان ؟
أجزِنى من الهجران ياغاية المنى | وجُدْلى بوصل منك إن كان ممكنا
وعدنى إذا لم يمكن الوصل زورةً | وزدنى من الحسنى فلازلت محسنا
وأحسن إن كان ، تلقى إمكان | إن الإنسان ، عبد الإحسان
ظفرت بمحمود الوصال حميده | حبانى به المحبوب بعد صدوده
فقلت لقلبى بين آس عذارِهِ | ونرجس عينيه وورد خدوده
قم يا جنان ، وايش ذا النسيان | واجنى ريحان ، هذا البستان

(٣٣٦)

أبو حفص رشيد الدين عمر بن مظفر القاضي المصرى

عمر بن مظفر بن سعيد ، القاضى رشيد الدين ، أبو حفص ، الفهرى ، اللغوى ، المصرى ، الشاعر ، الكاتب .

تنقل فى الخدم [الديوانية [1]] ومدح الملوك والوزراء ، وكان كثير الحفظ ، روى عنه المنذرى ، وعاش خمسا وسبعين سنة ، وتوفى سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

قال شهاب الدين القوصى : أنشدنى المذكور بدمشق عند قدومه إليها زائرا عقب انفصاله من الخدمة الملكية الكاملية هذه الأبيات فى النسيان :

أفْرَطَ بى النسيان فى غاية ... لم يترك النسيان لى حسا

وكنت مهما عَرَضَتْ حاجة ... مهمة أودعتها الطِّرسا

فصرت أنسى الطرس فى راحتى ... وصرت أنسى أننى أنسى

وأنشدنى أيضاً :

قد نسيت الذى حفظت قديما ... من معان غر وحسن بَيَانِ

عار منى قليبُ قلبى فذهنى ... شارب من بلاذر النسيان [2]

وأنشدته قول ابن سناء الملك :

خاصمنى مَنْ سكتُّ عنه ... فظنّ أنْ ليس لى لسان

فقلت ما أنت لى بخصم ... وإنما خصمىَ الزمانُ

فأنشدنى لنفسه :

سكتُّ إذ سَبَّنى مَنْ لاخَلَاقَ له ... فقيل لى خفت منه إنه لَسِنُ

---

(١) كلمة « الديوانية » ليست فى ب

(٢) القليب : البئر ، وعار : هو مطاوع « عورت البئر والركية » إذا أفسدتها حتى نضب ماؤها

فقلت : والله ما عِيًّا سكتُّ ، ولا ذا النحس خصمى ، ولكن خصمىَ الزمنُ

وأنشدته قول ابن الخيمى :

أأبناء هذا الجيل طُرًّا أكلكم يعوق ولا فيكم يغوث ولا ود

لقد طال ترداد إليكم فلم أجد سوى رب شأن منكم شأنه الرد

فأنشدنى لنفسه :

لأصنام الزمان عبدت دَهرا وقد أسلمت واتَّسَعَ المضيق

فما منهم يغوث أقول هـذا ولـكن كل من فيهم يعوق

(٢٣٧)

المتوكل على الله عمر بن المظفر (ابن الأفطس) ملك بطليوس

عمر بن المظفر بن الأفطس [1] ، ملك بَطَلْيَوْسَ

هو المتوكل من قبيلة من البربر يعرفون بمكناسة ، ورث مُلْكَ بطليوس من أبيه ، وأبوه هو الذى كان يحارب المعتضد بن عبّاد ، وكان المتوكل [فى] بَطَلْيَوْسَ كالمعتمد بإشبيلية ، آل أمره إلى أن حصره الملثمون ، وحصل فى أيديهم ، وقتلوه صبرا ، وقتلوا ولديه قبله ، وهو ينظر إليهما ، وفيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة التى أوّلها [2]

* الدهر يفجع بعد العين بالأثر *

ومن شعره ما خاطب به وزيره أبا غانم :

انهض أبا غانم إلينـــا واسقط سقوط الندى علينا

فنحن عقد من غير وُسْطَى ما لم تـكن حاضرا لدينا

وقال ، وقد ذكر فى مجلس أخيه المنصور بسوء :

وما بالُهُمْ لا أنعـــم الله بالهم ينوطون بى ذمًّا وقد علموا فضلى

يسوؤن لى فى القول جهلا وضلة وإنى لأرجو أن يسوأهُمْ فعلى

(١) ترجمه الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان ص ٣٦ بولاق ، وله ترجمة مع أبيه وجده فى دائرة معارف البستانى ٣٨٧/٩ ، وانظر المعجب فى أخبار المغرب ٧٤–٩٢ وذكر البستانى عن ابن خلدون ان وفاة المتوكل فى سنة ٤٨٩.

(٢) انظر الترجمة رقم ٢٥٧ لابن عبدون ، وفيها القصيدة بتمامها.

وكيف وراحى درس كل فضيلة	ووِرْدُ التقى شمّى وحَرْبُ العِدَى نَقْلِي
فإن كان حقا ما أذاعوا فلامشت	إلى غاية العلياء من بعدها رِجْلى
ولم ألق أضيافى بوجه طلاقة	ولم أسْخُ للعافين فى الزمن المحل
ولى خُلُق فى السخط كالشوك طعمه	وعند الرضى أحلى جنى من جنى النحل
فيا أيها الساق أخاه على النوى	كؤوس القِلَى جهلا رويدك بالعل
لتطفىء نارا أضرمت فى نفوسنا	فمثلى لا يقلى ومثلك لا يقلى
وقد كنت تُشكينى إذا جئت شاكيا	فقل لى لمن أشكو صنيعك بى قل لى
فبادر إلى الأولى وإلا فإننى	سأشكوك يوم الحشر للحَكَمِ العدل

(٣٣٨)

زين الدين عمر ابن مظفر (ابن الوردى) الفقيه الشافعى

عمر بن مظفر (١) بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس ، القاضى الأجل ، الإمام الفقيه ، الأديب الشاعر ، زين الدين ، ابن الوردى ، المعرى ، الشافعى

أحد فضلاء العصر وفقهائه ، وأدبائه وشعرائه ، تفنن فى العلوم ، وأجاد فى المنثور والمنظوم ، نظمه جيد إلى الغاية ، وفضله بلغ النهاية .

ومن شعره :

مليح ساقهُ والردف منه	كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القانى نصيبا	فقد عزم الغريب على الخروج

وقال :

جاءنا مكتنا ملتثما	فدعوناه لأكل وعُجْنا
مد فى السفرة كفًّا ترفا	فحسبنا أن فى السفرة جبنا

وكتب إلى القاضى فخر الدين بن خطيب جبرين قاضى حلب ، وقد غزله وعزل أخاه .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ١٦١/٦ ، وفى الطبقات الكبرى لابن السبكى ٢٤٣/٦ وفى بغية الوعاة للسيوطى ٣٦٥

جَنَّبتنى وأخى تكاليف القضا　　وشفيتنا فى الدهر من خطرين

يا حىّ عالم دهرنا أحييتنـــا　　فلك التحكم فى دم الأخوين

وقال :

قلت وقد عانقته　　عندى من الصبح فلق[1]

قال وهل يحسدنا　　قلت نعم قال انفلق

وقال أيضاً :

جبرتنى ياعدتى بالصلهْ　　فتم الاحسان بنفى الولهْ

وهذه قد حسبت زورة　　مالك بالفيئة مستعجله

وقال :

بالله يا معشر أصحـابى　　اغتنموا علمى وآدابى

فالشيب قد حل برأسى وقد　　أقسم لا يرحل إلا بى

وقال أيضاً :

رامت وصالى فقلت لى شغل　　عن كل خَوْد تريد تلقانى

قالت كأن الخدود كاسدة　　قلت كثيرا لقـلة القانى

وقال أيضاً :

لا تقصد القاضى إذا أدبرت　　دنياك ، واقصد من جواد كريم

كيف تُرَجِّى الرزق من عند من　　يفتى بأن الفلس مال عظيم

وقال أيضاً :

وكنت إذا رأيت ولو عجوزاً　　يبادر بالقيام على الحرارهْ

---

(١) فى ب « عندى من الصبح قلق » وأثبتنا ما فى ث ، وهو الذى يتفق مع ما ذكره فى البيت الثانى

فأصبح لا يقوم لبدر تم كأن النحس قد ولى الوزارة

وقال أيضاً :

أنت ظبي أنت مسكى أنت درى أنت غصنى

فى التفات وثناء وثنايا وتثنى

وقال :

لما شَتَتْ عينى ولم ترفق لتوديع الفتى

أدنيتها من خده والنار فاكهة الشتا

وقال أيضاً :

من كان مردوداً بعيب فقد ردّتنىَ الغيد بعيبين

الرأس واللحية شابا معاً عاقبنى الدهر بشيبين

أنشدنى الشيخ جمال الدين بن نُبَاته أمتع الله بفوائده ورضى عنه :

لا حبذا شيبٌ برأسى ولا شيب بقلبى ، أَخْزَيَا عينى

ما كنت بالتائب من صبوتى أصلا فقد تبت بشيئين

ومن شعر ابن الوردى رحمه الله :

دهرنا أمسى ضنيناً باللقا حتى ضنينا

يا ليالى الوصل عُودِى واجمعينا أجمعينا

وقال :

أنتم أحباى وقد فعلتم فعل العداى

حتى تركتم خبرى فى العالمين مبتدا

وقال :

سبحان من سخرلى حاسدى يحدث لى فى غيبتى ذكرى

لا أكره الغيبة من حاسد يفيد فى الشهرة والأجر

وقال :

وتاجر شاهَدْتُ عشاقه والحرب فيما بينهم سائر

قال : عَلَامَ اقتتلوا هكذا ؟ قلت : على عينك يا تاجر

وقال :

إنى عدمت صديقاً قد كان يعرف قدرى

دعنى لقلبى ودمعى عليه أحرق وأذرى

ومن مُصَنَّفاته « البهجة الوردية ، فى نظم الحاوى » فوائد فقهية منظومة «شرح ألفية ابن مالك » « ضوء الدرة ، على ألفية ابن معطى » قصيدة « اللباب ، فى علم الإعراب » وشرحها ، اختصار ملحة الإعراب نظما ، « مذكرة الغريب » نظماً وشرحها ، « المسائل المذهبة ، فى المسائل الملقبة » أبكار الأفكار ، تتمة تاريخ صاحب حَمَاة ، وأرجوزة فى تعبير المنامات ، أرجوزة فى خواص الأحجار ، ومنطق الطير ، نظما ، و بلغنا وفاته فى الطاعون سنة تسع وأر بعين وسبعمائة ، وهو فى عشر السبعين ، رحمه الله تعالى ! .

(٣٣٩)

الأشدق عمرو بن سعيد بن العاص الأموى

عمرو بن سعيد بن العاص [بن سعيد بن العاص][١] بن أمية بن عبد شمس[٢] .

كان أحد الأشراف الأمويين ، ولى المدينة ليزيد بن معاوية[٣] ، وكان يسمى الأشدق ، سمى بذلك لأنه كان أفقم مائلا إلى الذقن ، ولهذا سمى « لطيم الشيطان » وقيل : إنما سمى الأشدق لتشادقه فى الكلام ، وكان مروان بن الحكم قد ولاه العهد بعدَ ابنه عبد الملك ، فقتله عبدُ الملك ، فقيل : إنها أول غَدْرة كانت فى الإسلام ، وقال ابن الزبير لما بلغه قتله : إن أبا الذُّبَّاب قتل لطيم الشيطان ،

---

(١) زيادة عن تهذيب التهذيب

(٢) له ترجمة فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ٣٧/٨ وانظر العقد الفريد لابن عبد ربه ٩٢/١-١٨٩/٢ لجنة التأليف ، ثم انظر عيون الأخبار لابن قتيبة ١٧١/٢

(٣) فى التهذيب أنه وليها لمعاوية ثم ليزيد

(وكذلك نُوَلى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) وقال يحيى بن الحكم أخو مروان يرثيه :

أعينىَ جودى بالدموع على عمرو ۞ عشية سددنا الخلافة بالخير

كأنَّ بنى مروان إذ يقتلونه ۞ بغاث من الطير اجتمعن على صقر

غدرتم بعمرو يابنى خيط باطل ۞ ومثلكم يبنى البيوت على غدر

فرحنا وراح الشامتون بنعشه ۞ كأن على أكتافنا فلق الصخر

وكان عمرو قد رام الخلافة ، وغلب على دمشق ، وكانت قتلته فى سنة سبعين من الهجرة .

وقد روى له مسلم والترمذى وابن ماجة والنسائى ، رحمه الله تعالى !

(٣٤٠)

عوف بن مُحَلِّم الخزاعى[1] .

عوف بن محلم الخزاعى

أحد العلماء الأدباء الرواة الفهماء الندماء الظرفاء الشعراء الفصحاء .

كان صاحب أخبار ونوادر ومعرفة بأيام الناس ، اختصه طاهر بن الحسين لمنادمته ومسامرته ، فلا يسافر إلا وهو معه ، فيكون زميله وعديله .

قال محمد بن داود : إن سبب اتصاله به أنه نادى على الجسر أيام الفتنة بهذه الأبيات ، وطاهر منحدر فى حَرَّاقة له بدجلة ، وأنشده إياها ، وهى هذه :

عجبت لحرّاقة ابن الحسـين كيف تعوم ولا تغرق

وبحْرانِ، من تحتها واحد ۞ وآخر من فوقها مطبق

وأعجب من ذاك عيدانُها ۞ وقدمَسَّها كيف لاتورق

فضمه طاهر إليه ، وبقى معه ثلاثين سنة لايفارقه ، وكلما استأذنه فى الانصراف إلى أهله ووطنه لم يأذن له ، فلما مات طاهر ظن أنه قد تخلص ، وأن يلحق بأهله ،

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء ١٦/١٣٩ وروى له صاحب الأغانى ١١/٥ بيتين يقولها فى عبد الله بن طاهر فى علة اعتلها

فقرّ به عبدُ الله بن طاهر ، وأنزله منزلته من أبيه ، وأفْضَلَ عليه حتى كثر ماله وحسنت حاله ، وتلطف بجهده أن يأذن له بالعَوْدة فاتفق أن خرج عبدُ الله بن طاهر إلى خراسان ، فجعل عوفاً عديله ، فلما شارف الري سمع صوتَ عند ليبٍ يغردُ بأحسن تغريد ، فأعجب ذلك عبدالله ، والتفت إلى عوف وقال : يا ابن مُحَلِّم ، هل سمعت بأشجى من هذا ؟ فقال : لا والله [قال] قاتل الله أبا كَبِير حيث يقول رحمه الله تعالى :

ألا يا حمام الأيك إلفُكَ حاضر ... وغُصنُك ميّاد ، ففيم تنوح ؟
أفِقْ لا تَنُحْ من غير شيء فإنني ... بكيت زماناً والفؤاد صحيح
ولوعاً فَشَطَّتْ غربة دار زينب ... فها أنا أبكى والفؤاد قريح

فقال عوف : أحسن والله أبو كَبِير ، إنه كان في الهذليين مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مُفْلق ، وما كان فيهم مثل أبي كبير ، وأخذ عوف يَصِفه ، فقال له عبد الله : أقسمتُ عليك إلاَّ عارَضْتَ قولَه ، فقال عوف : قد كبِرَ سنِّي ، وفني ذهني ، وأنكرتُ كلَّ ما أعرف ، فقال له عبدالله : بتُرْبَةِ طاهرٍ إلاَّ فعلْتَ ، فقال عوف رحمه الله :

أفى كل عام غربة ونزوح ... أما للنوى من وَنْيَةٍ فتريح
لقد طَلَّع البين المشت ركائبى ... فهل أرَيَنَّ البينَ وهو طليح[1]
وأرّقنى بالرى نوح حمامة ... فنُحْتُ وذو البثِّ الغريب ينوح
على أنها ناحت ولم تُذْرِ دمعة ... ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفَرْخاها بحيث تراهما ... ومن دون أفراخى مَهَامِهُ فيح
ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر ... وغصنك مياد ، ففيم تنوح ؟
عسى جود عبدالله أن يعكس النوى ... فيلقى عَصاَ التطواف وهى طليح
فإن الغنى يدنى الفتى من صديقه ... وعُدْمُ الفتى بالمعسرين طروح

فاستعبر عبد الله ، ورقّ له ، وجرت دموعه ، وقال له : والله إنى ضنين بمفارقتك ، شحيح على الفائت من محاضرتك ، ولكن والله لا أعملت معى خُفًّا

(١) فى ب ، ث « فهل لى أدين البين — إلخ » تحريف

ولاحافرا إلاراجعاً إلى أهلك ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، فقال له عوف :

يا ابن الذي دان له المشرقان ... وأكثر الأمن به المغربان[١]
إن الثمانين وبُلِّغتَها ... قد أحوجت سمعى إلى ترجُمان
وبدّلتنى بالشطاط انحنا ... وكنت كالصَّعْدة تحت السنان
وقاربت منى خُطاً لم تكن ... مقاربات وثنت من عنان
فأنشأت بينى وبين الورى ... عنانة من غير نسج العنان[٢]
ولم تدع فىّ لمستمتع ... إلا لسانى ، وبِحَسْبِى اللسان
أدعو به الله ، وأثنى على ... صنع الأمير المُصْعَبِىّ الهجان[٣]
وهمتُ بالأوطان وَجْدا بها ... لا بالغوانى ، أين منى الغوان ؟
فقربانى ، بأبى أنتما ... من وَطَنِى قبل اصفرار البنان
وقبل مَنْعَاى إلى نسوة ... أوطانها حَرّان والرَّقتان[٤]
سقى قُصُورَ الشاذياخ الحيا ... من بعد عهدى وقصور المِيان[٥]
فكم وكم من دعوة لى بها ... أن تتخطاها صروف الزمان

وكر راجعاً إلى أهله ، فلم يصل إليهم ، ومات فى حدود العشرين ومائتين .

ومن شعر عوف بن محلم رحمه الله تعالى :

وكنت إذا صَحِبْتُ رجالَ قوم ... صحبتهمُ ونِيَّتِىَ الوفاء

(١) كذا وقع فى ب ، ث ، وفى المعجم «وألبس الامن» والذى نحفظه فى عجز هذا البيت هكذا : * طرا ، وقد دان له المغربان *

(٢) فى ب ، ث «عناية من غير نسج العيان» تحريف

(٣) فى ب ، ث «الأمير المستثير الهجان» تحريف ماأثبتناه

(٤) فى ب «خزان والرقتان» وفى ث «حران والرقتان» وفى معجم البلدان «أوطانها حمران وللرقبان»

(٥) فى ب ، ث «الشادياخ» بالدال مهملة ، و«للبان» بالباء الموحدة – تحريف ما أثبتناه موافقا لمافى معجم الأدباء ومعجم البلدان ٥/٢٠٩ ثم انظره فى ٨/٢٢٠

فأحْسِنُ حين يحسن محسنوهم　　وأجتنب الإساءة إن أساؤا
وأنظر ما يسرهُمُ بعين　　عليها من عيونهم غطاء

وقال :

وصغيرة علقتها　　كانت من الفتن الكبار
بلهاء لم تعرف لغرٍ　　تها يمينا من يسار
كالبدر إلا أنها　　تبقى على ضوء النهار

(٣٤١)

أبو عبد الله عيسى بن هبة الله البغدادى النقاش

عيسى بن هبة الله بن عيسى ، أبو عبد الله ، البغدادى ، النقاش .

كان ظريفاً صاحب نوادر ، خفيف الروح ، له شعر ، روى عنه التاج الكندى كتاب الكامل للمبرد .

وتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

إذا وجد الشيخ فى نفسه　　نشاطا فذلك موت خفى
ألست ترى أن ضوء السراج　　له لَهَبٌ قبل أن ينطفى

ومنه :

رزقت يساراً فوافيت من　　قدرت به حين لم يرزق
وأملقت من بعده فاعتذرتُ　　إليه اعتذار أخ مملق
فإن كان يشكر فيما مضى　　يداً لى يَعْذِر فيما بقى[1]

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

كيف السلو وقد تملك مهجتى من غير أمرى

---

(١) فى ب «يدا فليعيدن فيما بقى» تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ث .

قمر تراه إذا استسرَّ   لمثل أربعة وعشر
يرنو بنجلاوين يسـ   ـقم من يشابهه ويَبْرِى
وإذا تبسم فى دُجَى   ليل شهدت له بفجر
ولذاك تظلُمُهُ إذا   شبهت ريقته بخمر
ولورد وجنته وحسـ   ـن عذاره قدقام عذرى

وكان نقاشا للحلى ، ثم صار بزازاً ، وكان يمتنع من الرواية ويقول : ما أنا أهل ذلك .

قال ابن شجاع : لقيته امرأة يوماً فقالت له : يا سيدى ، النظر منا بقيراط ونصف كم لى بقيراط وحبةٍ ؟ فحل منديلا كان بيده وأعطاها قطعة ، وقال : مرّى إيش أعطوك فقد أنصفوك .

وقال : كان فى دَرْبنا شخص أبغضه لا لسبب ، فاتفق أنى خرجت يوم عيد ، وعلى ثياب العيد ، فلقينى شخص فى الظلمة ، وفى يده دستيجة[1] ملأى شيرجا ، فصَدَمنى بها ، فانكسرت على ثيابى ، وصيرنى شهرة ، قال : فأمسكته وأخرجته إلى الضوء ، فلما رأيته قلت : هو ذا أنت ؟ لهذا كنت أبغضك ، مرّ ، الله معك .

---

(١) فى ب «ديجة» ولم يستقم لى ترجيح ، فإن المعنى مفهوم من السياق ، فهو يريد «قدرة» أو نحو ذلك ، ولم أجد نصا فى ذلك .

حرف الغين المعجمة

(٣٤٢)

أبو الهندى غالب بن عبدالقدوس بن ربعى الشاعر

غالب بن عبد القدوس بن شَبَث[٢] بن ربعى ، أبو الهندى .

كان شاعراً مطبوعاً ، أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، وكان جَزْل الشعر ، سهل الألفاظ ، لطيف المعانى ، وإنما أخمله وأمات ذكره بُعْدُه من بلاد العرب ومُقامه بسجستان وخراسان ومعاقرة الشراب ، وكان يتهم بفساد الدين ، واستفرغ شعره فى وصف الخمر ، وهوأوّل من وصَفَها من شعراء الإسلام ، فمن ذلك قوله رحمه الله تعالى :

سَقَيْتُ أبا المطوّع إذ أتانى ... وذو الرعَثات منتصب يصيح[٣]

شراباً يهرب الذبّانُ منه ... ويلثغ حين يشربه الفصيح

وقال :

نَبَّهْتُ ندمانى وقلت له اصطبح ... يا ابن الكرام من الشراب الأصهب

صفراء تبرق فى الزجاج كأنها ... حدق الجرادة أو لعاب الْجُنْدَبِ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

مفدمة قَزْناً كأن رقابها ... رقاب بنات الماء تفزع للرعد[٤]

جَلَتْهَا الجوالى حين طاب مزاجها ... وطيبتها بالمسك والعنبر الورد

تمجُّ سلافا فى الأباريق خالصا ... وفى كل كأس فى يدى حسن القد

تضمنها زق أزب كأنه ... صريع من السودان ذو شَعَر جَعْد

(١) له ترجمة فى الأغانى ٢١/ ١٧٧ ساسى ، وتجدها فى مهذب الأغانى ٥/ ١٠٤ وفى الشعراء لابن قتيبة ٤٢٩ أوربة ، وفى شرح اللآلى ١٦٨و٢٠٨ وقد سماه ابن قتيبة «عبدالمؤمن» وسماه فى الأغانى «غالب بن عبد القدوس» واختلفت كلمة صاحب اللآلى

(٢) فى ب ، ث «بن شيث» وأثبتنا مافى الأغانى ومهذبه والشعراء واللآلى .

(٣) فى الأغانى « أبا المطرح »

(٤) مفدمة : أى قد وضعت فى الخابية وأغلقت بالفدام ، وقزنا : ظرف ، يريد أنهامعتقة ، ووقع فى ب،ث «مقدمة مزى كأن رضابها» تحريف ما أثبتناه عن الأغانى

اشتهى أبو الهندى الصَّبُوحَ يوما ، فدخل الخمارة فأعطى الخمار[١] دينارا وجعل يشرب حتى سكر ونام ، وجاء قوم يسلمون عليه ، فوجدوه نائما ، فقالوا للخمار : أَلْحِقْنَا به ، فسقاهم حتى سكروا ، وانتبه أبو الهندى فسأل عنهم ، فعرفه الخمار حالهم ، فقال : ياهذا الآن وقت السكر ، والآن طاب ، ألحقنى بهم ، فسقاه حتى سكر ، وانتبهوا فقالوا للخمار : ويحك هو نائم ؟ فقال : لا ، انتبه وعرفته خبركم وسكر ونام ، فقالوا : ألحقنا به ، فسقاهم حتى سكروا ، ولم يزل على ذلك دأبه ودأبهم ثلاثة أيام ، ولم يلتقوا وهم فى موضع واحد ، ثم تركوا الشرب عمدا حتى أفاق ، فلقوه ، وفى ذلك يقول :

نَدَامَى بعدَ ثالثةٍ تلاَقَوْا	يضمهم بسكر دَنٍّ راحِ[٢]
وقد باكرتها فَتُرِكْتُ منها	قتيـلا ما أصابتنى جراح
فقالوا : أيها الخمار مَنْ ذا ؟	فقال : أخٌ تَخَوَّنه اصطباح[٣]
فقالوا : هات ألحقنـا براح	به ، وتعللوا ، ثم استراحوا
فـلم يتمهلوا حتى رمتهم	بحدّ سلاحها ، ولهـا سلاح[٤]
وحَانَ تنبُّهى فسألت عنهم	فقال : أتاحهم قَدَر مُتَاحُ[٥]
رأوك مُجَنْدَلاً واستخبرونى	فحركهم إلى الشرب ارتياح
فقلت : بهم فألحقنى ، فهبوا	فقالوا : هل تنبه حين راحوا
فقال : نعم ، فقالوا : ألحِقَنَّا	به قـد لاح للرائى صباح
فما إن زال ذاك الدأب منا	ثلاثا نستهبُّ ونستباح[٦]

(١) فى الأغانى « فأتى خمارا بسجستان ، وأعطاه ديناراً »

(٢) فى ب ، ث « يضمهم بسكر دنان راح » ولا يستقيم معه الوزن ، وفى الأغانى ومهذبه « يضمهم بكوه زيان راح » وكوه زيان : محلة يباع فيها الخمر

(٣) تخونه : انتقصه ، وأراد سلب عقله وصحوه .

(٤) فى الأغانى « فمـا إن لبثتهم أن رمتهم » .

(٥) فى ب « وكان شبيهم فسألت عنهم » وأثبتنا مافى الأغانى .

(٦) فى الأغانى « ثلاثاً نستغب ونستباح » .

نبيت معا وليس لنا التقاء ببيت مالنا منه بَرَاحُ

قال صدقة بن إبراهيم البكرى : كان أبو الهندى يشرب معنا ، وكان إذا سكر يتقلب تقلبا قبيحا فى نومه ، فكنا كثيرا ما نَشُدُّ رجله لئلا يسقط ، فسكرنا ليلة فى سطح ، وشددنا رجله بحبل طويل ليهتدى إلى القيام لبوله ، فتقلب ، فسقط من السطح ، فأمسكه الحبل ، فبقى معلقا منكسا ، فأصبحنا فوجدناه ميتا ، فمررت على قبره بعد حين فوجدت عليه مكتوبا :

اجعلوا إنْ مُتُّ يومًا كَفَنى وَرَقَ الكَرْمِ وقبرى المعصره

إننى أرجو من الله غَـدًا بعد شرب الراح حُسْنَ المغفره

وكان الفِتْيَانُ يجيئون إلى قبره ، فيشربون ويصبون القَدَح إذا وصَل إليه على قبره .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

إذا صليتُ خمسا كلَّ يوم فإن الله يغفر لى فُسُوقى

ولم أشرك بربِّ الناس شيئا فقد أمسكت بالحبل الوثيق

وجاهدنا العدوَّ وبلتُ مالا يبلِّغنى إلى البيت العتيق

فهذا الحق ليس به خفاء دَعُونِى من بُنَيَّاتِ الطريق[1]

(٣٤٣)

أبو تغلب الغضنفر ابن ناصر الدولة

الغضنفر أبو تَغْلب ، بن ناصر الدولة ، صاحب الموصل ابن صاحبها[2] .

---

(١) « بنيات الطريق : أصلها الطرق التى تتفرع من الطريق العامة ، ثم استعملوها فى معنى الترهات ، وفى مثل « دع بنيات الطريق » أى عليك بمعظم الأمر ، ودع الروغات . ووقع فى ب ، ث « ثنيات الطريق » تحريف ما أثبتناه .

(٢) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ١٣٦/٤ ، وصحح أن وفاته فى سنة ٣٦٩ ، وفى كامل ابن الأثير ٢٥٣/٨ أن اسمه « فضل الله بن ناصر الدولة » ، وانظر تاريخ البداية والنهاية لابن كثير ٢٩٢/١١ ، هذا وقد وقع فى ب ، ث « أبو ثعلب » بثاء مثلثة وعين مهمله ــ وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى النجوم والبداية والكامل

حارب عضد الدولة بن بُوَيْه ، وفر إلى الرحبة ، وهرب منها خوفا من ابن عمه سعد الدولة صاحب حلب ، فأنفذ كاتبه إلى العزيز العُبَيْدى يستنجدبه[1] ، ثم نزل بحوران ، وفارقه ابن عمه الغطريف ، وجاءه الخبر من كاتبه بأن يقدم على العزيز ، فخاف وتوقف[2] ، ثم إنهم حاربوه وقتلوه وأسروه ، وقتله مفرج صبرا ، وبعث برأسه إلى العزيز سنة ثمان وستين وثلثمائة .

وكان يرجع إلى فضل وأدب ، وله شعر .

حكى أن أبا الهيجاء بن عمر بن شاهين صاحب النطيحة قال : كنت أساير معتمد الدولة أبا المنيع قرواش ابن المقلد ما بين سنجار ونصيبين ، فاستدعانى وقد نزل بقصر هناك على بساتين ومياه كثيرة يعرف بقَصْر العباس بن عمرو الغنوى ، فدَخلت عليه وهو قائم فى القصر يتأمل كتابة على الحائط ، فلما دخلت قال : اقرأ ما هنا ، فإذا على الحائط مكتوب هذه الأبيات :

يا قصر عباس بن عمـ ـرو كيف فارقك ابن عمرك
قد كنت تغتال الدهو ر فكيف غالك رَيْبُ دهرك
واهاً لعـ ـزك بل لجو دك ، بل لمجدك ، بل لفخرك

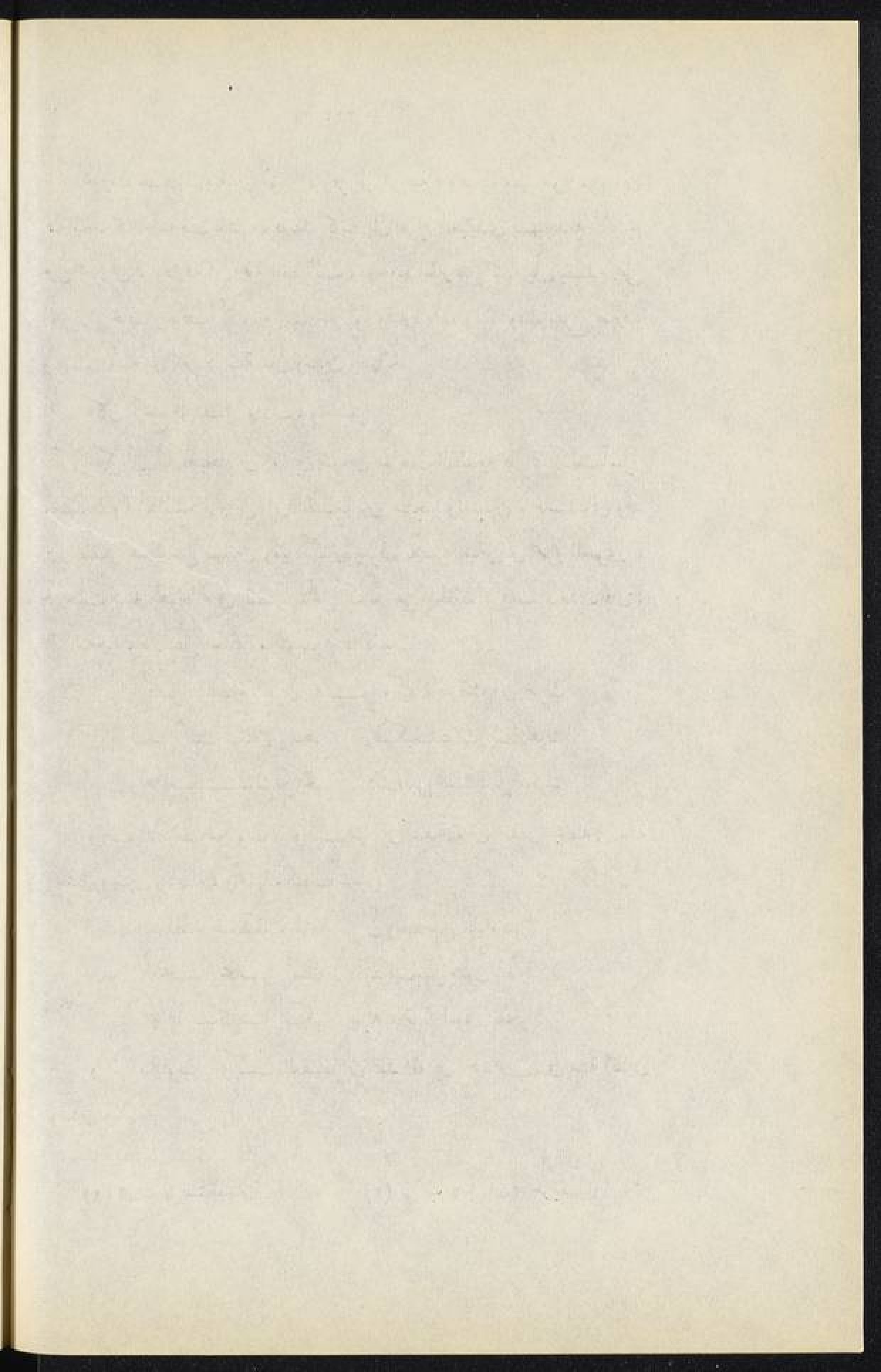
وتحت الأبيات مكتوب : وكتب على بن عبد الله بن حمدان بخطه فى سنة إحدى وستين وثلثمائة ، وتحتها مكتوب شعر :

يا قصر ضَعْضَعَكَ الزما نُ وحط من علياء قدرك
ومحا محاسن أسطر شرفت بهن متون جُدْرك
واها لكاتبها الكر يم وفخره الموفى بفخرك

وتحتها مكتوب : وكتب الغضنفر بن عبد الله بن حمدان فى سنة اثنتين وستين وثلثمائة .

---

(١) فى ب « يستخدمه » (٢) فى ب « فجـآن » تحريف



حرف الفاء

(٣٤٤)

الفتح بن خاقان وزير المتوكل

الفتح[1] بن خاقان بن أحمد بن غرطوج وزير المتوكل[2].

كان شاعرا فصيحا مُفَوَّها موصوفا بالشجاعة والكرم والرياسة والسودد، وكان المتوكل لا يصبر عنه قَدْرَ ساعةٍ، قدّمه واستوزره، وأمره على الشام، وأمره أن يستنيب عنه، وللفتح أخبار في الجود والوفاء والمكارم والظرف، وكان مُعَادلا للمتوكل على جَمَّازَة[3] لما قدم إلى دمشق.

قال أبو العيناء: دخل المعتصم يوما على خاقان يعوده، فرأى ابنه الفتح صغيرا لم يثغر، فمازحه، وقال: أيما أحسن دارنا أم داركم؟ فقال الفتح: دارنا أحسن إذا كان أمير المؤمنين فيها، فقال المعتصم: والله لا أبرح حتى أنثر عليه مائة ألف درهم.

قُتِل هو والمتوكل مَعًا في مجلس أنس[4]، كما تقدم في ترجمة المتوكل، وكان ذلك في سنة سبع وأربعين ومائتين، وكانت له خزانة كتب جمعها عليّ بن يحيى المنجم، لم ير أعظم منها كثرة وحسنا، وكان يحضر داره فصحاء العرب وعلماء البصرة والكوفة.

قال أبو هفان[5]: ثلاثة لم أر قط ولا سمعت بأكثر محبة للكتب والعلوم منهم:

---

(١) له ترجمة في فهرست ابن النديم ١٦٩، وفي معجم الأدباء لياقوت ١٦/١٧٤ وفي كتاب الفخرى ٢٨٤ أوربة له ذكر، وانظر الكامل لابن الأثير ٧/٣٢ بولاق في حوادث سنة ٢٤٧، والنجوم الزاهرة ٢/٣٢٤، والبداية والنهاية لابن كثير ١٠/٣٥١.

(٢) كذا في ب، ث، وفي الفهرست «الفتح بن خاقان بن أحمد»، وفي معجم ياقوت «الفتح بن خاقان بن أحمد، القائد، وقيل: الفتح بن خاقان بن غرطوج» فالجمع بين أحمد وغرطوج في آبائه، جمع بين قولين مختلفين، ووقع في ب، ث «غرطوح» بالحاء مهملة، وأثبتنا ما في المعجم.

(٣) في ب وحدها «على حملاة» تحريف، والجمازة تطلق على الناقة السريعة السير والعدو، وأصلها صيغة مبالغة فعلها «جمز يجمز» من باب ضرب — إذا عدا وأسرع فهو جماز، وقالوا: بعير جماز، وناقة جمازة، وقال الراجز:

أنا النجاشي على جماز حاد ابن حسان عن ارتجازي

(٤) في ب وحدها «قيل هو المتوكل كانا صاحبي مجلس» (٥) في ب، ث «أبو هنان»

الجاحظ ، والفتح بن خاقان ، وإسماعيل بن إسماعيل القاضى .

وكان الفتح يحضر لمجالسة المتوكل ، فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتابا من كمه أو جيبه ، وقرأ فيه إلى حين عودة المتوكل .

وللفتح من التصانيف كتاب « البستان » وكتاب « الصيد والجوارح » وقال ياقوت : ومن شعر الفتح رحمه الله(١) :

لست منى ولست منك فَدَعْنِي ... وامض عنى مصاحبا بسلام

وإذا ما شكوت ما بىَ قالت ... قد رأينا خلاف ذا فى المنام

لم تجد علةً تَجَنَّى بهـا الذنـب ... فصارت تعتل بالأحلام

قال البحترى : قال لى المتوكل : قل فىَّ شعراً وفى الفتح ، فإنى أحب أن يَحْيا معى ولا أفقده فيذهب عنى ولا يفقدنى ، فقل فى هذا المعنى ، فقلت :

سيدى كيف أنت أخلفت وعدى ... وتثاقلت عن وفائى بعهدى

لا أرتنى الأيام فقـدك يا فـتح ولا عرَّفتْكَ ما عِشْتَ فقدى

أعظم الرزء أن تقدَّم قبـلى ... ومن الرزء أن تؤخر بعدى

حسدا أن تـكون إلفاً لغيرى ... إذ تفردتُ بالهوى فيك وحدى

فقال : أحسنت يا بحترى ، جئتَ بما فى نفسى ، وأمر لى بألف دينار .

قال البحترى : فقتلا معاً ، وكنت حاضراً ، وربحت هذه الضربة ، وأومأ إلى ضربة على ظهره .

ومن شعر الفتح بن خاقان :

وإنى وإياهـا لكالخمر ، والفتى ... متى يستطع منها الزيادة يزدد

إذا ازددت منها ازددت وجداً بقربها ... فكيف احتراسى من هوى يتجدد

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أيها العاشق المعذَّب صبرا ... فخطايا أخى الهوى مغفوره

---

(١) انظر هذا الشعر منسوبا إلى المتوكل فى قصة له ، فى الأغانى ١٧/١٣٠ بولاق

زفرة فى الهوى أحطُّ لذنب　　من غَزَاة وحَجَّة مبروره

(٣٤٥)

أمير المؤمنين الفضل بن أحمد المسترشد بالله العباسى

الفضل بن أحمد[1] بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن جعفر ابن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن على بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، أمير المؤمنين ، المسترشد بالله ، ابن المستظهر ، ابن المقتدى .

بويع بالخلافة ليلة الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ، بايعه سبعة من أولاد الخلفاء ، وكان المسترشد أشقر ، أعطر ، أشهل ، خفيف العارضين ، وجلس للناس جلوساً عاماً ، وكان المتولى البيعة قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد الدامغانى ، وبايع الناس إلى الظهر ، ثم أخرجت جنازة المستظهر ، وكان عمره لما بويع سبعاً وعشرين سنة ؛ لأن مولده سنة ست وثمانين وأربعمائة ، وكان يتنسَّكُ فى أول زمانه ، ويلبس الصوف ، وينفرد فى بيت للعبادة ، وختم القرآن ، وتفقه ، وكان مليح الخط ، لم يكن قبله فى الخلفاء مَنْ كتب أحسن منه ، وكان يستدرك على أغاليط كتابتهم .

وقال ابن الأنبارى : كان يقول : أنا ورَّاق الإنشاء ، ومالك الأمر يتولى ذلك بنفسه الشريفة ، وكان ذا همة وإقدام وشجاعة ، وضَبَط الخلافة ورتبها أحسن ترتيب ، وأحيا رسمها ، وشيد أركان الشريعة ، ولم تزل أيامُه مكدرة بكثرة[2] التشويش من المخالفين ، وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك ومباشرته ، إلى أن خرج الخرجة الأخيرة فكسر وأسر وقتَلَته الملاحدة ، جهزهم عليه السلطانُ مسعود ، فهجموا عليه بخيمته بظاهر مَرَاغة سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما ، وكان عمره خمساً وأربعين سنة

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٧٣ ، وفى شذرات الذهب ٨٦/٤ ، وفى الفخرى ٣٤٨ أوربة ، وفى البداية والنهاية ٢٠٧/١٢ ، وكامل ابن الأثير ١١/١١ ، والنجوم الزاهرة ٢٥٦/٥ .

(٢) فى ب ، ث « مكدرة مكبوة التشويش » تحريف ما أثبتناه ، والعبارة بنصها فى تاريخ الخلفاء

ومن شعره ما كتب وأشير عليه بالهزيمة رحمه الله تعالى :

قالوا تقيم وقد أحا ط بك العدو ولا تفر [١]
فأجبتهم : المرء ما لم يتعظ بالوعظ غرّ
لا نلت خيرا ما حييـــتُ ولا عدانى الدهرَ شرّ
إن كنت أعلم أن غـــير الله ينفع أو يضر

ومن شعرهِ أيضاً رحمه الله تعالى :

أقول لشرخ الشباب اصطبر فولّى وردّ قضاء الوطر
فقلت : قنعت بهذا المشيب وإن زال غيم فهذا مطر
فقال : المشيب ابتناء الغبار على جمرة ذاب منها الحجر

وقال أيضاً :

ولا عجب للأسد إن ظفرت بها كلابُ الأعادى من فصيح وأعجم
فحربَةُ وَحْشِىّ سقت حمزة الردى وموت علىّ من حسام ابن مُلْجَم [٢]

وقال أيضاً :

أنا الأشقر الموعودُ بى فى الملاحم ومن يملك الدنيا بغير مزاحم [٣]
ستبلغ أقصى الروم خيلى وتنتقى بأقصى بلاد الصين بيضُ صَوَارمى [٤]

واتفق أن المسترشد رأى فيا يرى النائم فى الأسبوع الذى استشهد فيه كأن على يده حمامة مُطَوقة ، فأتاه آتٍ وقال : خلاصُك فى هذا الطير ، فلما أصبح

---

(١) فى ب ، ث « ولاتقر » بالقاف ، تحريف ماأثبتناه موافقا لما فى تاريخ الخلفاء ؛ ولأنه هو الذى يتفق مع المعنى المقصود

(٢) وحشى : عبد حبشى ، حرضته هند بنت أبى سفيان على قتل حمزة بن عبد المطلب عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه فجعها فى أبيها وأخيها وعمها فى غزاة بدر ، فقتله غدرا فى غزوة أحد .

وابن ملجم : هو عبدالرحمن بن ملجم المرادى قاتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب

(٣) كذا فى ث ، وفى ب «أنا الأشقر الردعى بين الملاحم » وفى تاريخ الخلفاء « المدعو بى فى الملاحم» (٤) كذا فى ب ، وفى ث « بأقصى بلاد الصين سطو عزائمى » وفى تاريخ الخلفاء «وتنتضى بأقصى بلاد الصين بيض صوارمى »

حكى لابن سكينة الإمام ما رآه ، فقال : ما أولته يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أولته ببيت [أبى] تمام الطائى :

هـذا الحمام فإن كسرت عيافة ... من حائهن فإنهن حِمَـــامُ

وخلاصى فى حمامى ، وليت مَنْ يأتينى فيخلصنى مما أنا فيه ، [من الذل والحَبْس ، وقُتل بعد المنام بأيام] وكان قد خرج للاصلاح بين السلجوقية واختلاف الأجناد ، وكان معه جمع كثير من الأتراك ، فغدر أ كثرهم به ولحقوا بالسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ، ثم التقى الجمعان فلم يلبثوا إلا قليلا وانهزموا عن المسترشد ، وقبض على المسترشد وعلى خواصه ، وحملوا إلى قلعة بقرب هَمَذان وحُبِسوا بها ، وكان ذلك فى شهر رمضان ، و بقى إلى النصف من القعدة ، وحمل إلى مسعود إلى مَرَاغة ، وأنزل بناحية من العسكر ، فدخل عليه جماعة من الباطنية من خلف الخيمة ، وتَعَلَّقوا به ، وضربوه بالسكاكين ، فوقعت الضجة ، وقُتل معه جماعة منهم أبو عبد الله ابن سكينة ، وابن الجزرى ، وخرج جماعة وأمسكوا وقتلوا وحرقوا ، و بقيت يد أحدهم لم تحرق ، وهى خارجة من النار مضمومة كلما ألقيت النار عليها لم تحرق ، ففتحوا يده فإذا فيها شعرات كن عند المسترشد ، فأخذها السلطان وجعلها فى تعويذ ذهب ، ثم جلس السلطان للعزاء ، وخرج الخادم ومعه المصحف وعليه الدم ، وخرج أهل مَرَاغة وعليهم المُسُوح وعلى وجوههم الرماد ، وهم يستغيثون ويبكون ، ودَفَنُوه فى مدرسة أحمد ، و بقى العزاء بمراغة أياماً ، وخلف من الأولاد منصورا الراشد ، وأبا العباس أحمد ، وأبا القاسم عبد الله ، و إسحاق توفى فى حياته رحمه الله !.

(٣٤٦)

أمير المؤمنين الفضل بن جعفر المطيع لله العباسى

الفضل بن جعفر [١] ، أمير المؤمنين ، المطيع لله ، ابن المقتدر ، ابن المعتضد .

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٦٠ ، وفى الفخرى ٣٣٦ أوربة ، وفى شذرات الذهب ٤٨/٣ وفى النجوم الزاهرة ١٠٨/٤ وذكر أنه مات فى يوم الاثنين لثمان بقين من المحرم فى سنة ٣٦٤ وكان قد خرج مع ولده الخليفة الطائع يريد واسطا ، وانظر كامل ابن الأثير ٢٢٩/٨ بولاق

بويع له بالخلافة عند [خَلْع] المستكفى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة .

وقال ابن شاهين : وخلع نفسه غير مكره فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين ، ونزل عن الخلافة لولده أبى بكر عبد الكريم ، ولَقَّبوه الطائع لله ، وسِنُّه يومئذ ثمان وأربعون سنة[1] ، ومات المطيع فى المحرم سنة أربع وستين ، وكان أبيض تعلوه صفرة ، أقْنى ، جميل الوجه ، وكانت خلافته تسعا وعشرين سنة ، وفى أيامه أعِيدَ الحجرُ الأسود إلى البيت من القرَامطة .

ومن شعره يمدح سيف الدوله بن حمدان :

تَخَيَّرْتُ سيفا من سيوف كثيرة فلم أر فيها مثل سيف لدولة
أرى الناس فى وَسْط المجالس يشربوا(؟) وذاك بثغر الشام يحفظ بيضتى

(٣٤٧)

الفضل بن عبد الصمد ، الرَّقَاشى ، البصرى[2] .

الفضل بن عبد الصمد الرقاشى الشاعر

من فحول الشعراء ، ومدح الخلفاء الكبار ، وبينه وبين أبى نوَاس مهاجاة ومباسطة توفى فى حدود المائتين .

وكان مولى رَقَاش ، وهو من ربيعة .

قال أبو الفرج صاحب الأغانى : قيل إنه كان من العجم من أهل الرى ومدح الرشيد ، وأجازه ، إلا أن انقطاعه كان إلى البرامكة ، فأغْنوه عمن سواهم ، وكان كثير التعصب لهم ، ولما صُلِب جعفر جاء له الرقاشى وهو على الجِذْع فبكى أحَرَّ بكاء وقال الأبيات التى منها :

على اللذات والدنيا جميعاً ودولة آل برمَكٍ السَّلامُ

وقد ذكرها ابن خلكان فى ترجمة جعفر البرمكى ، فكتب أصحاب الأخبار إلى الرشيد ، فأحضره ، وقال : ماحملك على رثاء عدوى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين كان إلىّ محسنا ، فلما رأيت هذا الحال حرَّكنى إحسانه ، فماملكت نفسى حتى

---

(١) فى تاريخ الخلفاء «ثلاث وأربعون سنة» (٢) له ترجمة فى الأغانى ١٥/٣٥ بولاق ، ولأبى نواس فيه هجاء (انظر ديوان أبى نواس ١٧٦)

قلت الذى قلت ، قال : فكم كان يُجْرِى عليك ؟ قال : ألف دينار فى كل سنة ، قال : فإنى قد أضعفتها لك .

قال ابن المعتز : حدثنى أبو مالك قال: قال الفضل بن الربيع للرقاشى: ويلك يا رقاشى! ما أردت بوصيتك إلا الخلاف على الصالحين ، فقال له : جُعِلت فداك لو علمتُ أنى أعافىٰ من علة ما أوصيت بها ، فإنها من الذخائر النفيسة التى تُدَّخر للممات ، ووصيته هذه أرجوزة مزدوجة يأمر فيها باللواط وشرب الخمر والقمار والنثار بين الديكة والهراش بين الكلاب ، وهو يزعم لتهتكه وخلاعته أنها من الفوائد التى تدخر للوصية عند الموت ، وأولها :

أوصى الرقاشِىّ إلى إخوانه وصية المحمود فى أخدانه

وهى مشهورة موجودة ، ولما قال[1] أبو دُلَف قصيدته التى يقول فيها :

جنبينى الدرع قد طا ل عن التوصيف جامى
واكسرى البيضة والطر ّ وألقى بالحسام
واقذِفى فى لجة البحـر بقوسى وسهامى
وبتُرْسِى وبرمحى وبسرجى ولجامى
واعقرى مهرى أصاب الله مهرى بالصرام
أنا لا أطلب أن يعرف فى الحرب مُقامِي
وبحسبى أن ترانى بين فتيان كرام
سادة نغدو مجدين على شرب المدام[2]
واصطفاق العود والنا يات فى جنح الظلام
وتُخَلِّى الضربَ والطَّعْنَ لأشلاء وَهَامِ
لِشَقِىٍّ قال : قد طا لَ عن الحرب فِطامِي
تهزم الراح إذا ما هم قوم بانهزام

(١) هكذا ، ولم يذكر جواب « لما » فإما أن يكون قد سقط من الأصول ماقاله الفضل محاكيا فيه هذه الأبيات ، وإما أن يكون بعض هذه الأبيات من كلامه

(٢) فى ب ، ث « يغدو مجدين »

(٣٤٨)

فضل الشاعرة جارية المتوكل

فضل ، جارية المتوكل ، الشاعرة [١] .

كانت من مولّدات اليمامة ، ولم يكن فى زمانها امرأة أفصح منها ولا أشعر توفيت سنة ستين ومائتين .

قال لها يوما على بن الجهم [٢] :

لاذ بها يستظل فيها　　فلم يجد عندها ملاذا [٣]

فقال لها المتوكل : أجيزى ، فقالت :

ولم يزل ضارعا إليها　　تَهْطل أجفانه رذاذا [٤]

فعاتبوه فزاد عشقا　　فمات وَجْدًا فكان ماذا

وقال ابن المعتز : كانت تهاجى الشعراء ، ويجتمع عندها الأدباء ، ولها فى الخلفاء والملوك مدائح كثيرة ، وكانت تتشيع ، وتتعصب لأهل مذهبها ، وتقضى حوائجهم بجاهها عند الملوك [والأشراف] .

وعشقت سعيد بن حميد ، وكان من أشدّ الناس نصبا وانحرافا عن أهل البيت رضى الله عنهم ، وكانت فضل نهاية فى التشيع ظاهرتَهُ ، انتقلت إلى مذهبه ، ولم تزل كذلك إلى أن توفيت ، ومن قولها فيه :

يا حَسَنَ الوجه سيىء الأدب　　شِبْتَ وأنت الغلامُ فى الأدب

ويحك إن الشبابَ كالشَّرَكِ الـ　　ـمنصوب بين الغرور والكذب

بينا يشكى إليك إذ خرجت　　من لحظات الشكوى إلى الطلب

---

(١) لها ترجمة فى الأغانى ٢١/١١٤ ساسى ، وتجدها فى مهذب الأغانى ٩/١٧٧ ، وفى المنتظم لابن الجوزى ٥/٦ وذكرها فى وفيات ٢٥٧

(٢) انظر قصة فيها ثالث هذه الأبيات فى بدائع البدائه لابن ظافر ٤٩ بولاق ، ثم انظر قصة أخرى فيها ثلاثة الأبيات فى ص ٦٠ منه ، وقد نسب أولها إلى المتوكل على الله أمير المؤمنين ، وفى المنتظم أن المتوكل أمر عليا أن يقول بيتا تجيزه فضل

(٣) فى البدائع والمنتظم «لاذ بها يشتكى إليها»　(٤) فى ب ، ث «تظل أجفانه رذاذا» تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى بدائع البدائه والمنتظم

فلَحْظُ هذا ولحظ ذاك وذا الـــلحظ محب بعين مكتئب

قال أبو الفرج الأصفهانى : حدثنى جعفر بن قدامــة قال : حدثنى سعيد ابن حميد قال : قلت لفضل الشاعرة أجيزى(1) :

مَنْ لُمحِب أحَبَّ فى صغره(2)

فقالت غير متوقفة :

فصار أحدوثةً على كبره

فقلت :

من نظر شفَّه فأرَّقه

فقالت :

وكان مَبْدا هواه من نظره

لولا الأمانى لمات من كمد كما الليالى تزيد فى فكره(3)

ليس له مسعد يساعـــده بالليل فى طـــوله وفى قصره(4)

ومن شعرها :

قد بدا شِبْهُكَ يا مو لاى فى جنح الظلام

فانتبه نَقْضِ لُبــَانا ت اعتناق والتئام

---

(1) انظر قصة فيها هذه الأبيات فى بدائع البدائه ٦٨ بولاق ، منسوبه لغير فضل بروايته بسند إلى أبى الفرج

(2) فى ب وحدها «من محب» ولايستقيم معه الوزن

(3) المذكور فى بدائع البدائه بسند إلى أبى الفرج الأصفهانى عن جعفر بن قدامة أن أبا عبادة قال أربعة الأنصاف الأولى كلها ثم قال لجاريته سلمى اليمانية : أجيزى ، فقالت هذين البيتين وبيتا ثالثا . وهو :

الجسم يبــلى فلا حراك به والروح — فيما أرى — على أثره

هذا ، وفى البدائع «لولا التمنى لمات» وفيه «مر الليالى يزيد فى فكره»

(4) فى البدائع «ما إن له مسعد فيسعده»

قبل أن تفضحنا عو   دة أرواح النيـــام

وألقى عليها يوما أبو دُلف العجلى :

قالوا: عشقت صغيرة ،فأجبتهم   أشهى المطىّ إلىّ ما لم يركب

كم بين حَبّة لؤلؤ مثقوبة   من بين حبة لؤلؤ لم تثقب (١)

فقالت محبية رحمها الله تعالى :

إن المطية لا يَلَذُّ ركوبها   ما لم تُذَلَّلْ بالزمام وتركب (٢)

والحَبُّ ليس بنـافع أربابه   ما لم يؤلف بالنظام ويثقب

قال على بن الجهم : كنت يوما عند فضل ، فلحظتها لحظة اُستَرَابَتْ بها فقالت :

يا رُبَّ رامٍ حَسَنٍ تعرُّضُهْ   يرمى ولا يشعر أنى غَرَضُهْ

فقلت مجيبا لها رحمها الله تعالى :

أىُّ فتى لحظُكِ ليس يمرضُهْ   وأى عَقْدٍ مُحْكَم لا ينقضُهْ

فضحكت وقالت : خذ فى غير هذا .

ويوم أهديت إلى المتوكل قال لها : أشاعرة أنت ؟ فقالت : كذا يزعم من باعنى واشترانى ، فضحك المتوكل وقال : أنشدينا شيئا ، فأنشدته :

اسْتَقْبَلَ المَلْكُ إمامُ الهدى   عامَ ثلاث وثلاثينـــا

خلافة أفضَتْ إلى جعفر   وَهْوَ ابْنُ سبع بعد عشرينا

[لاقدَّس الله امرأً لم يَقُلْ   عند دُعائى لكَ آمينا] (٣)

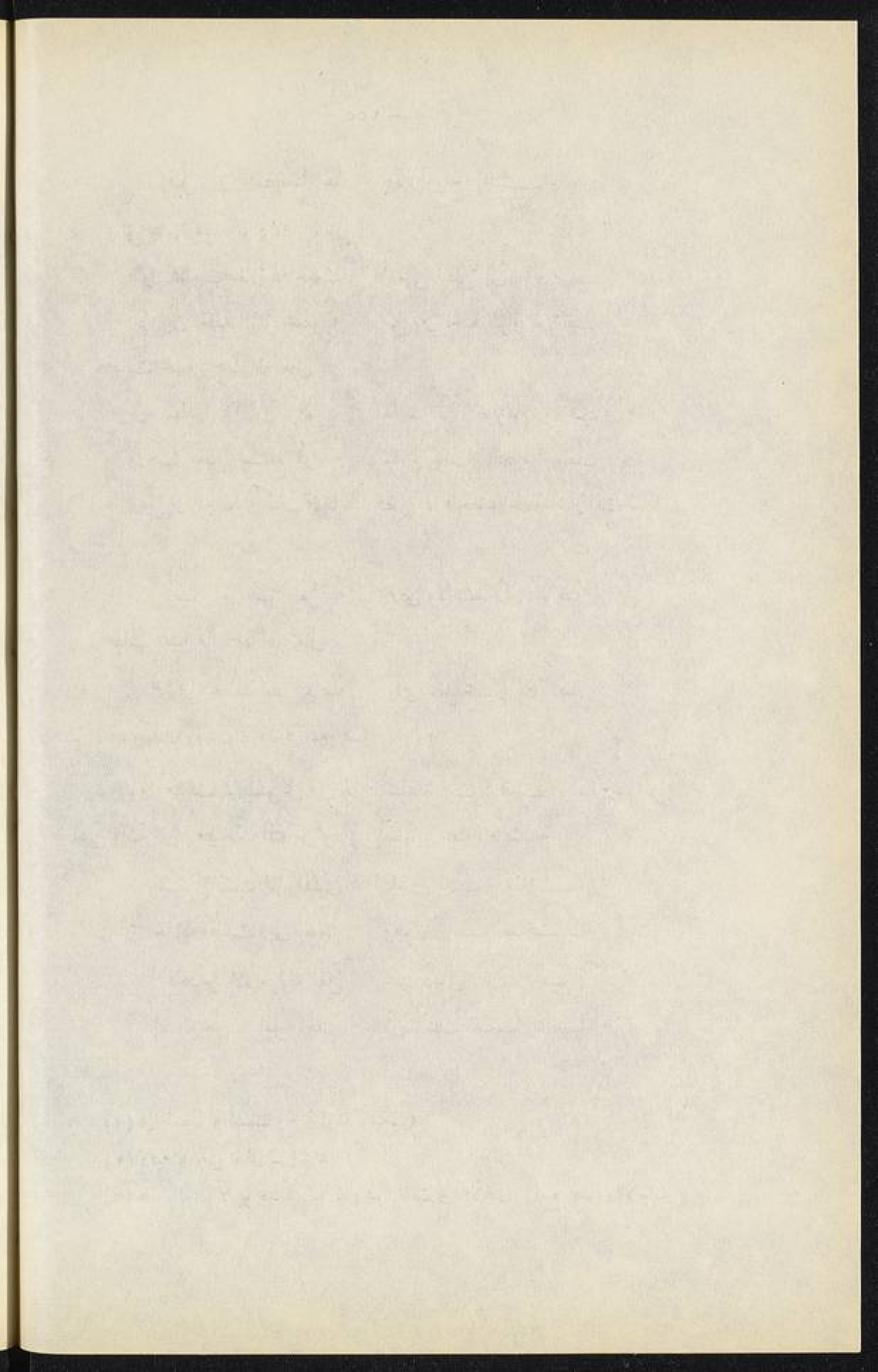
إنا لنرجو يا إمام الهدى   أن تملك الدنيا ثمانينا

---

(١) فى المنتظم « لبست وحبة لؤلؤ لم تثقب »

(٢) وفيه « حتى تذلل — إلخ »

(٣) هذا البيت لا يوجد فى ب ، وهو ثابت فى الأغانى رابع هـذه الأبيات



حرف القاف

(٣٤٩)

أبو شجاع القاسم بن الحسين بن الطوابق البغدادى الشاعر

القاسم بن الحسين، أبو شجاع ، ابن الطوابق ، البغدادى ، الشاعر .

سافر إلى الموصل ، ومدح الملوك بها وبديار ربيعة وديار بكر ، روى عنه عثمان الملطى النحوى شيئا من شعره .

وتوفى سنة ست وسبعين وخمسمائة .

ومن شعره رحمه الله :

لىَ بيتٌ يموت فيه السنانيـــر هَزَالَى والفأر فى الأسراب
أنا فيـه فوق التراب ، وخير لىَ منه لو كنت تحت التراب

وله أيضاً :

قدمَتْ تهزُّ قوامها يوم النقا فتساقطت خجلاً غصونُ البانِ
وبكت فجاذبها البُكىَ من مقلتى فتمثل الإنسان فى إنسانِ
وأحبكم وأحب حبى فيكم وأجل قدركم على إنســان
وإذا نظرتـكم بعينِ لَجَاجة قام الغـرام بشافع عريان[1]
إن لم يُخَلِّصنى الوصال بجاهه سافرت تحت عقوبة الهجران
أصبحْتَ تخرجنى بغير جناية من دار إعزاز لدار هوان
كدم الفصاد يراق أرذل موضع أبدا ويخرج من أعز مكان

(٣٥٠)

أبو محمد القاسم ابن القاسم الواسطى

القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور ، أبو محمد ، الواسطى[2] .

مولده بواسط سنة خمسين وخمسمائة ، وتوفى بحلب سنة ست وعشرين وستمائة

---

(١) أراد من الشفيع العريان المقبول الشفاعة، أخذه من قول الفرزدق :
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

(٢) له ترجمة فى بغية الوعاة للسيوطى ص ٣٨٠ ، وذكر وفاته فى ليلة الخميس ثامن ربيع الأول سنة ٦٢٦ ، وفى معجم الأدباء لياقوت ٢٩٦/١٦ وذكر أنه توفى فى يوم الخميس رابع ربيع الأول من سنة ٦٢٦

كان أديباً نحوياً لغوياً فاضلا مصنفاً قرأ النحو بواسط على الشيخ مصدق ابن شبيب ، وقرأ اللغة على سيد الرؤساء هبة الله بن أيوب ، والقراآت على الشيخ أبى بكر الباقلانى وعلى الشيخ على بن هبان الحاجمى [(١)] ، وسمع كثيراً من كتب النحو واللغة على جماعة يطول ذكرهم .

ومن تصانيفه «شرح اللمع» لابن جنى ، و«شرح التصريف الملوكى» وكتاب « فعلت وأفعلت» [(٢)] على حروف المعجم ، كتاب فى اللغة لم يتم ، كتاب شرح المقامات على حروف المعجم ، شرح آخر على ترتيب المقامات ، شرح آخر على ترتيب آخر ، كتاب خُطَب ، كتاب رسالة فيما أخذ[ه] على الرشيد بن النابلسى فى قصيدة نظمها فى الإمام الناصر .

ومن شعره رحمه الله :

دیباج خـــدك بالعذار مطرز ... برزت محاســـنه وأنت مبرز
وبدت على غُصْن الصِّبا لك روضة ... والغصن ينبت فى الرياض ويغرز
وجنت على وجنات خدك حمرة ... خجل الشقيق بهـــا وحار القرمز [(٣)]
لو كنت مدعياً نبوة يوسف ... لقضى القياس بأن حسنك معجز

وقال أيضاً رحمه الله :

زهر الحسن فوق زهر الرياض ... منه للغصن حمرة فى بيـــاض
قد حمى ورده ونرجســه الغـــض سيوف من الجفون مواضِ
فإذا ما اجتنيت باللحـظ فاحـذر ... ما جنت صحة العيون المراض
فلهـا فى القلوب فتـــلة باغ ... رويت عنــه فتكة البرّاض [(٤)]

---

(١) كذا فى ب ، ث ، وفى المعجم « على بن هياب الجاجمى »

(٢) فى ب ، ث « فعلت مافعلت » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى المعجم

(٣) فى ب « وحال الدهمز » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ث والمعجم

(٤) البراض : أحد فتاك العرب من بنى كنانة ، وبسبب فتكه قامت حرب الفجار بين كنانة وقيس عيلان ؛ لأنه قتل عروة الرحال القيسى

وإذا فوّقت سهاما من الهدْ ب رمين السهام بالأغراض
واجل من جوهر الدنان عروسا نطقت عن جواهر الأعراض
كلما أبرزت أرت لك وجها ذا انبساط يعطيك وجه انقباض
فعلى الأفق للغمام مُلاءٌ طرزتها البروق بالإيماض(1)
وكأن الرعود إرزامُ نوقٍ فُصِلت دونها بناتُ المخاض(2)
أو صهيل الجياد للملك الظا هر تسرى بالجحفل النهاض

وقال يهجو الرشيد النابلسى الشاعر :

لا تعجبن لمَدْلَوَيْهِ إذا بدا شبه المريضْ
أُنظر إلى بخر بفيه أنتن الجوّ العريضْ
وتكسرت أسنانه بالعض فى جعْس القريضْ(3)
وتقطعت أنفاسه عرضا بتقطيع العروضْ

وقال أيضاً رحمه الله :

يا من تأمل مدلويه وشك فيما يقسمه
أُنظر إلى بخر بفيه وما أظنك تفهمه
لا تحسبن بأنه نفس يغيره فَمُهْ
لكنما أنفاسه نتنت بشعر ينظمه

وقال يهجو جماعة :

ويُبْدُونَ الطلاقة من وجوه كما يبدو لك الحجر الصقيل
إذا قاموا لمجد أقعدتهم مَسَالِكُ ما لهم منها سبيل(4)

---

(١) هكذا فى ث والمعجم ، والذى فى ب «وعلى الأفق للغمائم سيل* طردتها»
(٢) إرزام النوق : صوتها ، وفى ب « إذرام فوق » تحريف
(٣) كذا فى المعجم ، وكان فى ب ، ث « جبس القريض »
(٤) فى ب «أقعدتهم* هنالك مالهم-إلخ » تحريف ، وفى المعجم «مالهم فيها سبيل»

وإن طلبوا الصعود فمستحيل　　وإن لزموا النزول فما يزولُ[١]

كذاك السجل فى الدولاب يعلو　　صعودا والصعود له نزول

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لنـا صديق به انقباض　　ونحن بالبسط نستلذ

لا يعرف الفتح من يديه　　إلا إذا ما أتاه أخْذ

فـكفه «أين» حين يُعْطى　　شيئا و بعد العطاء «مُنْذُ»

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لا تُرِدْ من خيار دهرك خيرا　　فبعيد من السراب الشراب

رونق كالحَبَاب يعلو على الـكأْ　　س ولكن تحت الحَبَاب الحباب[٢]

عَذُبَتْ فى النفاق ألسنة القو　　م وفى الألسُنِ العِذَابِ العَذَابُ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أفى البان إن بان الخليط مخبر　　عسى ما انطوى من عهدلَيَاءَ يُنْشَر[٣]

فـكم حركات فى اعتدال سكونها　　أحاديث يرويها النسيم المعطر

يودُّ ظلامُ الليل وهو ممسَّك　　لَذَاذاتها والصبحُ وهو مزعفر[٤]

أحاديث لو أن النجوم تمتعت　　بأسرارها لم تدر كيف تَغَوَّرُ

يموت بها داء الهوى وهو قاتل　　ويحيا بها ميت الجوى وهو مقبر

فيا لنسيم صحتى فى اعتـــلاله　　وصحوى إذا ما مرّ بى وهو مسكر

وقال رحمه الله مُوَشحة أيضاً :

فى زهرة وطيب　　بستانى　　من أوجه ملاح

---

(١) هكذا فى المعجم ، ووقع فى ب «وإن لزموا النزول فما نزول» وفى ث «فما يزولوا»

(٢) الحباب الأول : نفاخات الماء التى تعلو الخمر عند مزجها ، والثانى معناه الحية

(٣) فى ب « عسى ما انطوى من لى عهدى ينشر » تحريف

(٤) فى ب « يبرد ظلام الليل »

أجلو على القضيب ريحانى والورد والأقاح

ما روضة الربيع فى حلة الكمال[1]

تزهو على ربيع مرّت به شمال

فى الحسن كالبديع بالحسن والجمال

ناهيك من حبيب نشوان بالدل وهو صاح

إن قلت والهيبى حيانِى من ثغره بِرَاحْ

كم بت والكؤوسُ تُجْلَى من الدنان

كأنها عروس زفت من الجنان

تبدو لنا الشموس منها على البنان

لم أخش من رقيب ينهانى ألهو إلى الصباح

مَعْ شادنٍ ربيب فتّان زَنْدِى له وشاح

خيل الصبا بركضى تجرى مع الغواه

فى سنتى وفرضى ما أبتغى سواه

وحجتى لعرضى ما تنقل الرواه

عن عاقل لبيب أفتانى أن الهوى مُبَاحْ

والرشف من شنيب رَيَّانى ما فيه لى جناح

(٣٥١)

أبو محمد علم الدين القاسم بن محمد البرزالى الإشبيلى

القاسم بن محمد بن يوسف[2]، الشيخ الإمام الحافظ المحدث المؤرخ، علم الدين، أبو محمد ابن العدل بهاء الدين بن الحافظ زكى الدين البرزالى، الإشبيلى، ثم الدمشقى، الشافعى

---

(١) ب، ث « ياروضة البديع » وأثبتنا ما فى المعجم

(٢) له ترجمة فى الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى ٢٣٧/٣ وفى شذرات الذهب ١٢٢/٦

ولد فى جمادى الأولى سنة خمس وستين وستمائة ، وحفظ القرآن والتنبيه ومقدمة ابن الحاجب ، وسمع سنة ثلاث وتسعين[1] من أبيه ومن القاضى عز الدين الصائغ ، ولما سمع صحيح البخارى من الأيلى بعثه والده فسمع سنة سبع ، وأحب الحديث ، ونسخ الأجزاء ، ودار على الشيوخ ، وسمع من ابن الجزُولى أبى عمر وابن علان وابن شيبان والمقداد والفخر ، وجَدّ فى الطلب ، وذهب إلى بعلبك ، وارتحل إلى حلب سنة خمس وثمانين ، ومنها ارتحل إلى مصر ، وورث عن العز الحرانى وظيفته ، وكتب بخطه الصحيح المليح كثيراً ، وخرج لنفسه وللشيوخ شيئاً كثيراً وجلس فى شبيبته مدة مع أعيان الشهود ، وتقدم فى معرفة الشروط ، ثم اقتصر على جهات تقوم به ، وورث من أبيه جملة ، وحصل كتباً جيدة وأجزاء فى أربع خزائن ، وبلغ ثبته أربعة وعشرين مجلداً ، وأثبت فيه مَنْ كان يسمع معه ، وله تاريخ جمع فيه من عام مولده الذى توفى فيه الإمام أبو شامة فجعله صلة لتاريخ أبى شامة فى خمس مجلدات ، وله مجاميع وتعاليق كثيرة ، وعمل فى فن الرواية عملا قلّ مَنْ يبلغ إليه ، و بلغ عدد مشايخه بالسماع أكثر من الألفين ، و بالإجازة أكثر من ألف ، رتب كل ذلك وتَرْجمَهم فى مسودات متقنة ، وكان رأساً فى صدق اللهجة والأمانة ، صاحبَ سنة واتباع ، ولزوم الفرائض ، خيراً ، متواضعاً ، حسن البشر ، عديم الشر ، فصيح القراءة مع عدم اللحن ، قرأ ما لا يوصف كثرة ، وروى ، وكان عالما بالأسماء والألفاظ ، وكان فيه حلم وصبر وتودد ، ولا يتكثر بفضائله ، ولا ينتقص بفاضل ، بل يُوَفّيه حقه ، يلاطف الناس ، وله ودّ فى القلوب ، وحب فى الصدور ، احتسب عدة أولاد : منهم محمد ، تلا بالسبع وحفظ كتباً ، وعاش

---

(١) كذا فى ب ، ث ، والذى فى الدرر « وأسمع صغيراً فى سنة ٧٣ من أبيه والقاضى عز الدين بن الصائغ » وهو الذى يتفق مع بقية ماذكره المؤلف ؛ إذ يذكر رحاله إلى حلب سنة ٨٥

ثمان عشرة سنة ، ومنهم فاطمة ، عاشت نيفا وعشرين سنة ، وكتبت صحيح البخارى وأحكام مجد الدين وأشياء

وللشيخ علم الدين إجازات عالية عامة مؤكدة من ابن عبد الدائم و إسماعيل ابن عزون والنجيب ، وحدّث فى أيام شيخه ابن البخارى ، وكان حلو المحاضرة ، قوى المذاكرة ، عارفا بالرجال ، لا سيما أهل زمانه وشيوخهم ، لم يخلف بعده مثله

حج سنة ثمان وثمانين ، وأخذ عن مشيخة الحرمين ، ثم حج أربعاً بعد ذلك ، وكان باذلا لكتبه وأجزائه ، سَمْحاً فى كل أموره ، مؤثراً ، متصدقاً

قال الشيخ شمس الدين الذهبى : وهو الذى حبّب إلىّ طلب الحديث ، قال لى : خَطُّكَ يشبه خط المحدّثين ، فأثّر قوله لى وسمعت وتخرجت به فى أشياء

وَلِىَ دار الحديث الأشرفية مُقْرئا فيها ، وقرأ بالظاهرية سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، وحضر المدارس وتفقه على الشيخ تاج الدين عبد الرحمن ، وصحبه ، وأكثر عنه ، وسافر معه ، وجوّد القراءة على الرضِىِّ[1] بن دبوقا ، وتولى مشيخة دار الحديث النورية ، ومشيخة دار الحديث النفيسية ، ووقف كتبه وعَقَاراً جيداً على الصدقات

وتوفى بِخُلَيْص بكرة الأحد[2] الرابع من ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة عن أربع وسبعين سنة ونصف ، وتأسف الناس عليه

(٣٥٢)

أبو المنيع معتمد الدولة قرواش بن مقلد ، الأمير

قرواش بن مقلد بن المسيب رحمه الله ! ابن رافع ، الأمير ، أبو المنيع ، معتمد الدولة ، ابن الأمير حسام الدولة ، العقيلى ، صاحب الموصل

---

(١) فى ب ، ث « على على رضى الله عنه بن دبوقا » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الدرر الكامنة

(١) فى الدرر الكامنة « ومات ذاهبا إلى مكة غريبا فى رابع ذى الحجة سنة ٧٣٦ ، ودفن بخليص » اهـ . وخليص – بزنة التصغير – حصن بين مكة والمدينة ، ووقع فى ب « وتوفى لخليص – إلخ » تحريف

وقد خطب فى بلاده للحاكم ، ثم رجع عن ذلك وخطب للقادر العباسى ، فجهز صاحب مصر جيشاً لحربه، ووصل إلى الموصل ، ونهبوا داره وأخذوا له من الذهب مائتىْ ألف دينار ، فاستنجد عليهم بدَبيس بن صدقة ، واجتمعا على حربهم ونصرا عليهم ، وقتَلَا منهم خلقا كثيراً

وكان ظريفاً شاعراً نهَّاباً وهَّاباً ، وجمع بين أختين ، فلاموه ، فقال : خبرونى ما الذى يستعمل من الشرع حتى تتكلموا فى هذا الأمر؟ وقبض عليه بركة ابن أخيه وحَبَسه وتلقب زعيم الدولة ، فلم تطل دولته ، فقام بعده أبو المعالى قريش بن بدر بن مقلد بن أخيه ، فأول ماملك أخرج عمه قرواشا وذبحه صبراً ، وقيل : بل مات فى سجنه سنة أربع وأربعين وأربعمائة

وفى قرواش يقول الطاهر الجزرى رحمه الله تعالى :

وليل كوجه البرقعيدىّ ظلمةً ... وبَرْدِ أغانيه وطول قرونه

سريت ونومى فيه نوم مشرد ... كعقل سليمان بن فَهْدٍ ودينه

على أولق فيه مَضَاء كأنه ... أبو جابر فى طَيْشه وجنونه

إلى أن بدَا وجه الصباح كأنه ... سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وكانت إمارة قرواش خمسين سنة

حكى أبو الهيجاء[1] بن عمر بن شاهين قال : كنت أُسَايرُ معتمد الدولة قرواشاً مابين سنجار ونصيبين ، فنزل ، ثم استدعانى بعد الزوال وقد نزل هناك بقصر العباس ابن عمرو الغنوى ، وهو مُطِلٌّ على بساتين ومياه كثيرة ، فدخلت عليه ، فوجدته قائما يتأمل كتابةً فى الحائط ، قال : فقرأتها ، فإذا فيها مكتوب :

يا قصر عباس بن عمـــرٍو كيف فارقك ابن عَمْرِك ؟

---

(١) انظر الترجمة رقم ٣٤٣ من هـذا الـكتاب تجد هذه القصة وهذه الأبيات وفيها هنا زيادة عما هناك

قد كنت تغتال الدهو ر فكيف غالك ريب دهرك؟

واهـا لعزك ، بل لجو دك ، بل لمجدك ، بل لعمرك

وتحت الأبيات مكتوب : وكتبه على بن عبد الله بن حمدان سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ، وهذا الكاتب هو سَيْفُ الدولة بن حَمْدان ، وتحت ذلك مكتوب :

يا قصر ضعضعك الزما ن وحَطَّ من علياء قدرك

ومحا محاسن أسطر شرفت بهن متون جُدْرِك

واها لكاتبها الكريـ ـم وقدره الموفى بقدرك

وتحت الأبيات : وكتبه الغَضَنْفر بن الحسن بن عبد الله بن حمدان بخطه فى سنة اثنتين وستين وثلثمائة ، وتحت ذلك مكتوب :

يا قَصْرُ ما فَعَلَ الأولى ضُرِبت خيامهم بعُقرك؟[1]

أخنى الزمان عليهمُ وطواهمُ تطويل نشرك

آهـا لقاصِرِ عمرِ مَنْ يختال فيك وطول عمرك

وتحت ذلك مكتوب : وكتب المقلّد بن المسيب بن رافع بخطه سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ، وهذا هو حسامُ الدولة أبو قرواشٍ المذكور ، وتحت ذلك مكتوب :

يا قصر ما فعل الكِرا م الساكنون قديم عصرك

عاصرتهم فبـدرتهم وشأوتهم طرّاً بصبرك

ولقـد أثار تعجبى يا ابن المسيب رَقْم سطرك

وعلمت أنى لاحـق بك دائبا فى قَفْو إثرك

وتحت ذلك مكتوب : وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب سنة إحدى وأربعمائة

---

(١) عقر الدار — بضم العين المهملة وسكون القاف — وسطها أو أصلها

قال الراوى : فعجبت لذلك ، وقلت له : الساعة كتبت هذا ؟ قال : نعم ، ولقد هممت بهَدْم هذا القصر فإنه مشئوم ؛ دفن الجماعة ، فدعوت له بالسلامة ، ولم يهدم القصر .

وسيأتى ذكر والده المقلد فى مكانه من حرف الميم إن شاء الله تعالى .

ومن شعر قرواش :

لله در النائبـــات فإنها صَدَأ اللئام وصَيْقَلُ الأحرار

ما كنت إلا زبرة فطَبَعْنَنِي سيفاً وأطلق صرفهن غِرارِى

ومنه أيضاً :

وآلفة للطيب ليست تغبُّـــه منعمة الأطراف لينـــة اللمس

إذا مادخان الندّ من جَيْبِهاَ عَلاَ على وجهها أبصرت غيما على شمس

(٣٥٣)

سيف الدين الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبدالله

قُطُزْ بن عبد الله الشهيد[1] ، الملك المظفر ، سيف الدين ، المعز[ى] كان من أكبر مماليك المعز أيبك التركمانى ، وكان بطلا شجاعاً مقداما حازما حسن التدبير ، يرجع إلى دين وإسلام وخـــير ، وله اليد البيضاء فى جهاد التتار .

حكى شمس الدين الجزرى فى تاريخه عن أبيـه قال : كان قطز فى رق ابن الزعيم بدمشق فى القصاعين ، فضربه أستاذه ، فبكى ولم يأكل يومه شيئاً ، ثم ركب أستاذه وأمر الفرّاش يترَضّاه ويطعمه ، فحدثنى الحاج على الفراش قال : جئته فقلت له : ماهذا البكاء من ضربة ؟ فقال : إنما بكائى من لعنة أبى وجدى وهما خير منه ، فقلت : ومن أبوك ؟ واحد كافر ، فقال : والله ما أنا إلا مسلم

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٢٩٣/٥ وفى النجوم الزاهرة ٧٢/٧ وما بعدها وضبط « قطز » بالعبارة بضم القاف والطاء المهملة وسكون الزاى

ابن مسلم ، أنا محمود بن مودود بن أخت خُوَارَزْم شاه ، من أولاد الملوك ، فترضيته ، ولما تملك أحْسَنَ إلى الفرّاش ، وأعطاه خمسمائة دينار ، وعمل له راتبا.

وحكى ابن الجزرى أيضا فى تاريخه قال: حدّثنى أبو بكر بن الدريهم الإسعردى والزكى إبراهيم الجيلى أستاذ الفارس آقطاى قال : كنا عند قطز لما تسلطن أستاذه[(١)] المعز أيبك ، قال : وعنده منجم مغربى ، فصرف أكثر مماليكه ، فأردنا القيام ، فأمَرَنا بالقعود ، ثم أمر المنجم فضرب الرمل ، وقال : اضرب مَنْ يملك بعد أستاذى ؟ ومن يكسر التتار ؟ فضرب و بقى زمانا يحسب ، وقال : يا خَوَنْد يطلع معى خمس حروف بلا نَقْط ، فقال : لم لا تقول محمود بن مودود ؟ فقال : يا خَوَند لا يقع إلا هذا الاسم ، فقال : أنا هو ، وأنا أكسرهم ، وآخذ بثأر خالى خوارزم شاه ، فقلنا : يا خوند إن شاء الله تعالى ، فقال : اكتموا هذا ، وأعطى المنجم ثلاثمائة درهم .

وكان مدبِّر دولة [ابن] أستاذه المنصور على بن المعز أيبك ، فلما دهم التتار الشام رأى أن الوقت يحتاج إلى سلطان نجيب ، فعزل الصبى ، وتسلطن ، وتمّ له ذلك[(٢)] فى أواخر سنة سبع وخمسين ، فلم يبلع ريقه ولا تهنأ بالسلطنة حتى امتلأ الشام تتاراً ، فتجهز للجهاد ، وأخذ أهبة الغزو ، والتفّت[(٣)] إليه عسكر الشام ، و بايعوه ، فسار بالجيوش فى أوائل رمضان ، وعمل المصافّ مع التتار على عين جالوت ، وعليهم كتبغا ، فنصره الله عليهم ، فقتل مُقَدمهم .

وكان قطز شاباً أشقر كبير اللحية ، ولما كسر التتار جهّز بيبرسَ ــ أعنى الظاهر ــ فى أثر التتار ، ووعده بنيابة حلب، فساق وراءهم إلى أن طردهم عن الشام ،

---

(١) فى ب « لما تسلط أستاذه » وما أثبتناه موافق لما فى ث
(٢) فى ب « ورقم له ذلك » تحريف
(٣) فى ب « وألقت إليه عسكر الشام »

ثم انثنى عزمه عن إعطائه حلب ، وولاها علاء الدين ابن صاحب الموصل ، فتأثر الظاهر من ذلك ، ودخل قطز دمشق ، وأحسن إلى الرعية ، فأحبوه حباً زائداً ، ثم استناب على البلد علم الدين سنجر الحلبى ، ورجع بعد شهر إلى القاهرة ، فقتل بين العرابى والصالحية ، ودفن بالقصير رحمه الله تعالى سنة ثمان وخمسين وستمائة، تولى قتله الظاهر ، وأعانه جماعة من الأمراء ، و بقى مُلْقى ، فدفنه بعضُ غلمانه ، وصار قبره يُقْصَد بالزيارة ، ويترحم عليه ، و يسب مَنْ قتله ، فلما كثر ذلك بعث الظاهرمَنْ ينَبْشه ، ونقله إلى مكان لا يعرف ودفنه ، وغبى[1] قبره وأثره ، وكان قتله فى سادس عشر القعدة من السنة .

(٣٥٤)

سيف الدين السلطان المنصور قلاوون ، الصالحى العجمى ، الألفى

قلاوون[2] ، السلطان المنصور ، سيف الدين ، أبو المعالى وأبو الفتوح[3] ، الصالحى ، العجمى .

اشترى بألف دينار ، قيل : ولهذا كان يقال له « الألفى » .

كان من أحسن الناس صورة فى صباه وأبهاهم ، وكان تام الشكل مهيبا مستدير اللحية ، قد وَخَطه الشيب ، على وجهه هَيْبَةُ الملك ، وعليه سكينة ووقار

كان فى إمرته إذا دخل دمشق ينزل فى دار الزاهر ، وعمل نيابة السلطنة للملك العادل سلامش بن الظاهر عند ما خلعوا السعيد وحلفوا لسلامش وهو ابن سبع سنين ، وضربت السكة بوجهين : وجه عليه اسم سلامش ، ووجه عليه اسم قلاوون ، و بقى هذا الحال مدة شهرين ، وفى رجب سنة ثمان وسبعين خلعوا العادل سلامش ، و بايعوا الملك المنصور قلاوون ، واستقل بالملك ، وأمسك

---

(١) غبى قبره : أخفى ، ووقع فى ب ، ث « وعفى قبره »

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤٠٩/٥ والنجوم الزاهرة ٢٩٢/٧ وما بعدها

(٣) فى الشذرات والنجوم « أبو المعالى وأبو الفتح »

جماعة أمراء ظاهرية ، واستعمل مماليكه على نيابة البلاد ، وكسر التتار سنة ثمانين ، ونازل حصن المرقب ، وفتحه سنة أربع وثمانين ، وفتح طرابلس ، وأنشأ بالقاهرة بين القصرين المدرسة العظيمة والبيمارستان العظيم الذى لم يكن مثله ، وتوفى فى سادس القعدة سنه تسع وثمانين وستمائة ظاهر القاهرة ، وحُمِل إلى القلعة وملك بعده ولدُه الأشرف ، فلما كان مستهل سنة تسع أُنْزِل من القلعة فى تابوت إلى تربته ، وفرق الذهب على القراء ، وكان ملكا عظيما لا يحب سفك الدماء ، إلا أنه كان يحب جمع الأموال ، وأبقى الله تعالى الملك فى بيته من بنيه ومماليكه و بنى بنيه إلى الآن .

(٣٥٥)

قيس بن ذريح
صاحب لبنى
الكنانى

قيس بن ذريح [١] ـ بالذال المعجمة ـ الكنانى صاحب لُبْنَى .

قال صاحب الأغانى : كان رضيعاً للحسن بن على عليهما السلام ، اجتاز ببنى كعب والحى خُلُوف ، فوقف على خَيْمه لُبْنَى بنت الحباب ، فاستسقى ماء فسقته ، وكانت امرأة مَدِيدَة القامة شَهْلاء حُلْوة المنظر والكلام ، فلما رآها وقعت فى نفسه فشرب الماء ، فقالت : أتنزل فتبرد عندنا ؟ فقال : نعم ، ونزل ، وجاء أبوها فنحر له وأكرمه ، وانصرف قيس وفى قلبه النار من لبنى ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوِىَ ، ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وَجْدُه بها ، فظهرت له ، فشكا إليها ما يَجِدُه من حبها ، وشكت إليه مثل ذلك ، فانصرف إلى أبيه يسأله زواجها ، فأبى عليه وقال : بنات عمك أحَقُّ بك ، وكان ذريح كثير المال ، فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه به ، فاستعان بأمه على أبيه ، فلم يجد عندها ما يُحِب ، فأتى الحسن بن على رضى الله عنهما وشكا إليه ما به ، فقال : أنا أكفيك ، ومشى معه

---

(١) له ترجمة فى الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١١٢/٨ بولاق ، وفى كتاب «تزيين الأسواق» ٥٣/١ بولاق ، وانظر الأغانى أيضا ١٤/٢ و ٥/ ٢٠و٢٧ بولاق

إلى أبى لبنى فلما رآه أعْظمه، فقال له: قد جئتك خاطبا ابنتك لقيس بن ذريح، فقال: يا ابن بنت رسول الله ما كنا لنعصى لك أمراً، وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن نحب أن يخطبها أبوه ذريح، فإنا نخاف إن لم يسمع[1] أبوه أن يكون علينا عارا وسُبّة، فأتى الحسن رضى الله عنه ذريحا وقومَه، فأعظموه، فقال لذريح: أقسمتُ عليك إلا ماخَطَبْتَ لُبْنى لقيس، فقال: السمع والطاعة، ثم قام فى وُجُوه القوم وخَطَبها لابنه وزوّجه إياها، وزُفَّت إليه، فأقام معها مدّة لا ينكر أحد منهما من صاحبه شيئا، وكان أبرّ الناس بأبيه، فألهاه عكوفُه على لُبْنى عن ذلك، ووجَدَت أُمّه فى نفسها، فقالت لأبيه: لقد خشيت أن يموت قيس ولم يترك ولدا، وقد حُرِم الولَدَ من هذه المرأة، وأنت ذو مال، فيصير مالك إلى غير ولدك، فزوّجْهُ بغيرها لعل الله يرزقه ولدا، وألحت عليه، فأمهل قيسا حتى اجتمع قومه وقال له: يا قيس إنك اعْتَلَلْتَ هذه العلة، فخفت عليك، ومالى ولد سواك، وهذه المرأة ليست بوَلُود، فتزوّجْ غيرها من بنات عمك لعل الله يهب لك ولدا تقرّ به أعيننا، فقال قيس: لا أتزوّج غيرها أبدا، فقال أبوه: إنّ فى مالى سعة فتَسَرَّ بالجوارى، قال: ولا أسوؤها بشىء، فقال: أقسمت عليك إلا طَلّقتها، فقال: الموت عندى والله أسهل من ذلك، ولكن أختار لك خصلة، قال: ما هى؟ قال: تزوّج أنت لعل الله يرزقك ولدا غيرى، قال: مافىّ فضلة[2] لذلك، قال: فدعنى أرحل عنك بأهلى واصْنَعْ ما أنت صانع لو مُتُّ فى علتى هذه، قال: لا، قال: فأدع لُبْنى عندك وأرتحل عنك فلعلى أسلوها فإنها تطيب نفسى أنها فى حِبالى[3]، قال: ولا هذه، ولا أرضى إلا أن تطلقها، ثم حلف أنه لا يكنه بيت ولا سقف إلا

---

(١) كذا فى ب، ث جميعا، ولعل الصواب «إن لم يسع أبوه»

(٢) فى ب «قصد لذلك»

(٣) فى ب «أنها فى حياتى»

أن تطلق لبنى ، وكان يخرج فيقف فى الشمس ضحى ، فيجىء قيس و يقف إلى جنبه ، و يظلل عليه بردائه ، وَيَصْلَى هوحر الشمس حتى يفىء الفَىْء فينصرف عنه فيدخل إلى لبنى فيعانقها و يبكى فتبكى معه ، وتقول له : يا قيس إياك أن تطيع أباك فتهلك فتهلكنى ، فيقول : ما كنت لأطيع فيك أحداً أبداً ، فيقال : إنه مكث كذلك سنة ، وقيل : بل أر بعين يوما ، ثم طلقها ، فلما بانت بطلاقها وفرغ من الكلام لم يلبث أن استُطِير عقله ، ولحقه مثل الجنون ، وأسف وجعل يبكى و ينشج[1] ، و بلغها الخبر ، فأرسلت إلى أبيها ، فأقبل بهَوْدَج على ناقة و إبل تحمل أثاثها ، فلما رأى قيس ذلك أقبل على جاريتها وقال : ويلك ! ما دهانى فيكم ؟ قالت : لا تسألنى وسَلْ لُبنى ، فذهب إلى لبنى ليُلِم بخبائها[2] فيسألها ، فمنعه قومها ، وأقبلت عليه امرأة من قومه وقالت له : مالك تسأل كانك جاهل أومتجاهل ؟ هذه لبنى ترحل الليلة أو غدا ؛ فسقط مغشيا عليه وهو لا يعقل ، ثم أفاق وهو يقول :

و إنى لَمُفْنٍ دَمْعَ عينىَ بالبكىٰ حذار الذى قد كان أو هو كائن
وقالوا : غدا أو بعد ذاك بليلة فراق الذى تهوى ، وهاهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى بكفك إلا أنَّ ما حان حائن

وارتحلت لبنى ، واشتد مرضه ، فسأل أبوه فتياتِ الحى أن يَعُدْنَه و يتحدثن عنده و يعللنه ، فأتينه وجلسن[3] عنده ، وجاءه طبيب يُداويه ، فقال قيس :

عُدْنَ قَيْساً من حب لبنى ، ولُبْنَى داء قيسٍ ، والحبُّ داء شديد
فإذا عادنِى العــوائدُ يوما قالت العين : لا أرَى مَنْ أريد[4]
ليت لُبْنَى تعودنى ثم أقضى إنها لا تعود فيمن يَعُودُ

---

(١) ينشج : يسمع له صوت فى بكائه ، ووقع فى ب « ويئج »
(٢) فى ب « فذهب إلى لبنى يسلم عليها »
(٣) فى ب « فأتينه وحدثن عنده »
(٤) فى ب « قالت العين لا الذى من أريد » تحريف

وَيْحَ قيسٍ ماذا تَضَمَّنَ منها داء خَبْلٍ والقلبُ منه عَميدُ[1]

فقال له الطبيب : مذ كم وجدت هذه العلة لهذه المرأة ؟ فقال :

تَعَلَّقَ رُوحى روحَهَا قبل خَلْقنا ومِنْ بعد ما كنا نِطَافاً وفى المهد

فــزاد كما زدنا ، فأصبح نامياً وليس إذا متنا بمنفصم العهد

ولكنه باقٍ على كل حادث وزائرنا فى ظلمة القبر واللحد

ومن شعره رحمه الله تعالى :

وفى عروة العذرىّ إن متُّ أسْوَةٌ وعمرو بن عجلان الذى قتَلَتْ هِنْدُ

وبى مِثْلُ ما قد نابه ، غير أننى إلى أجَلٍ لم يأتِنِى وَقْتُه بَعْدُ[2]

هَلِ الحبّ إلا عبرة بعد زَفْرَة وحَرّ على الأحشاء ليس له بَرْدُ[3]

وفَيْضُ دُمُوعٍ تَسْتهل إذا بَدَا لنا عَلَمٌ من أرضكم لم يكن يَبْدُو

وشكا أبو لبنى قيساً إلى معاوية ، وأعلمه بتعرضه لها بعد الطلاق ، فكتب إلى مروان بن الحكم بتهديده وردْعه ، وأمر أباها أن يزوجها بخالد بن حلزة[4] من بنى [عبدالله بن] غَطَفَان فلما علم قيس جزع جزعاً شديداً ، وقال رحمه الله تعالى :

فإن يَحْجُبُوها أو يَحُلْ دون وصلها مَقَالَةُ واشٍ أو وعيــدُ أمير

فلن يَمْنَعُوا عينىّ من دائم البكىْ ولَنْ يذهبوا ما قَدْ أجنّ ضميرى

وكنا جميعاً قبل أن يظهر النوى بأنعم حالَىْ غِبْطَـةٍ وسُرُورِ

فما برح الواشون حتى بَدَتْ لنا بطونُ النوى مقلوبةً لظهور

لقد كنتِ حَسْبَ النفس لو دام وَصْلُنَا

ولكنما الدنيــا متاعُ غُرور

---

(١) فى ب « ويح قيس إذا تضمن منها » وفى الأغانى « لقد تضمن »

(٢) فى الأغانى « وبى مثل ماماتا به »

(٣) فى ب « هل الحب إلا عبرة ثم زفرة »

(٤) كذا فى ث والأغانى ، وفى ب « بخالد بن جلدة »

ولم يزل تارة يتوصل إلى زيارتها بالحيلة عليها ، وتارة تزوره وهو نازل على قوم ، إلى أن ماتت لبنى ، فتزايد ولَهُه وجَزَعه ، وخرج فى جماعة من قومه إلى أن وقف على قبرها ، وقال شعراً رحمه الله :

ماتَتْ لُبَيْنَى فَوتُهَا موتى ... هل تنفعن حسرة على الفوت

فسوف أبكى بكاء مكتئب ... قضى حَيَاةً وجدا على ميت [١]

ثم أكب على القبر يبكى حتى أغمى عليه ، فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل ولم يزل عليلا لا يُفِيق ولا يجيب متكلما حتى مات ودفن إلى جانبها ، وكانت وفاتهما فى حدود السبعين من الهجرة .

(٣٦٥)

مجنون ليلى قيس بن الملوح ابن مزاحم

قيس بن الملوَّح بن مزاحم رحمهما الله ابن قيس ، هو مجنون بنى عامر [٢] .

قال صاحب الأغانى : لم يكن مجنوناً ، ولـكن كانت به لُوثة مثل أبى حَيَّة النميرى ، وكان سببُ عشقه ليلى أنه أقبل ذاتَ يوم على ناقة له ، وعليه حُلَّتان من حلل الملوك ، وكان من أجمل الفتيان ، فمر بامرأة من قومه يقال لها كريمة وعندها جماعة من النسوان يتحدّثن وفيهنّ ليلى ، فأعجبهن جماله ، فدعَوْنَه إلى النزول ، فنزل وأمر عَبْداً كان معه فعقَرلهن ناقته ، وتحدثن بقية يومه معه ، فبينما هو كذلك إذ طلع فتًى من الحىّ يُسَمَّى منازل ، فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنون ، فغضب وقام من عندهن وهو يقول :

أأعقر من أجل الكريمة ناقتى ... ووصلىَ مقرونٌ بوصل مُنَازِل [٣]

إذا جاء قَعْقَعْنَ الحلىّ ، ولم أكن ... إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل [٤]

---

(١) فى ب « قضاء حق وجدا على ميت » وأثبتنا ما فى ث الموافق لما فى الأغانى

(٢) له ترجمة فى كتاب الأغانى ١٦٧/١ بولاق ، وانظره أيضا ٢/٢ وفى كتاب « تزيين الأسواق » ٦٢/١ بولاق ، وذكرا الاختلاف فى اسمه واسم أبيه

(٣) فى الأغانى « من جرا كريمة » وفيه « وصلى مفروش لوصل »

(٤) فى ب « إذا جاء قهقهن الحلى » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ث والأغانى

متى ما انتضلنا بالسهام نَضَلْته وإن نَرْمِ رَشْقا فهو غير مناضل (١)

ولما أصبح لبس حلتَيْه وركب ناقة أخرى ومضى متعرضاً لهن ، فرأى ليلى قاعدة بفناء بيتها ، وكان قد علق قلبه بحبها ، وعندها جُوَيْريات يتحدثن معها ، فوقف المجنون وسلم عليهن ، فدعونه إلى النزل وقلن له : هل لك فى محادثة مَنْ لا يشغله عنك مُنَازِل ولا غيرهُ ؟ فقال : إى لعمرى ، ونزل وعَقَر ناقته ، فأرادت ليلى أن تعلم : هل لها عنده مثل ما له عندها ، فجعلت تُعْرِض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتحدّث غيره ، وكان قد شغفته بحبهاواستملحته واستملحها (١) ، فبيناهم جلوس إذ أقبل فتًى من الحى ، فدعته ليلى وساررته سِرَارا طويلا ، ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون وقد تغير وانتقع لونه فقالت :

كِلاَنَا مُظْهِرٌ للناس بُغْضًا وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ

تبلغنا العيون بما أردنا وفى القلبين ثَمَّ هَوًى دفين (٢)

فلما سمع البيتين شهق [شهقةً شديدةً] وأغمى عليه ، فنضحوا الماء على وجهه ، فأفاق بعد ساعة وقد تمكن حب كل منهما من قلب الآخر وانصرفا .

وقد أصاب المجنون لوثة ولم يزل فى جنبات الحىّ (٣) منفرداً عاريا ولم يتكلم ، إلا أن يذكروا له ليلى فيثوب إليه عقله ، فلما تولى الصدقات عليهم نوفل (٤) بن مُسَاحِق رأى المجنون يلعب بالتراب عُرْيَانا ، فسأل عنه ، فأخبروه بخبره ، وحكوا له ما هو فيه ، فأراد أن يكلمه ، فقالوا له : ما يكلمك إلا إن ذكرت له ليلى وحديثها ، فأقبل عليه وذكرَها له ، فثاب إليه عقلُه ، وأقبل يحدّثه بحديثه ، وينشده شعره فيها ، فرقّ له نوفل ، وقال له : أتحب أن أزوّجكها ؟ قال :

(١) فى الأغانى « وإن نرم رشقا عندها فهو ناضلى »

(٢) فى ب « واستمحلته » وسقط منها كلمة « واستملحها »

(٣) فى ب « وفى العينين ثم هوى دفين »

(٤) فى ب « ولم يزل فى خبيات »

(٥) فى ب « نوفل بن مساجق » تحريف

نعم ، وكيف لى بذلك ؟ فدعا له بثياب ، فألبسه إياها ، وراح معه كأصحّ ما يكون يحدّثه وينشده ، فبلغ ذلك رَهْطَ ليلى ، فتلقّوْهُ بالسلاح وقالوا : لا والله يا ابن مُسَاحق ، لايدخل المجنون منازلنا وقد أهْدَرَ السلطان دمه ، فأقبل بهم وأدبر[1] ، فأبوا ، فقال للمجنون : إنّ انصرافك أهون من سفك الدماء ، فانصرف وهو يقول :

أيا وَيْحَ مَنْ أمْسَى تُخُلِّسَ عقله ... فأصبح مذهوبا به كل مذهب[2]

خليًّا من الخلان إلا معذرا ... يضاحكنى من كان يهوى تجنبى[3]

إذا ذكرت ليلى عقلت وراجعت ... روائع عقلى من هوى متشعب[4]

وقالوا : صحيح ما به طيف جنة ... ولا الهمّ إلا بافتراء التكذب

تجنبت ليلى أن يلج بك الهوى ... وهيهات كان الحب قبل التجنب

ألا إنمـــا غادرتِ يا أم مالك ... صدى أينما تذهب به الريح يذهب

ثم إنّ المجنون وأهله وعشيرته اجتمعوا على أبى ليلى ووعَظُوه وناشدوه الرحم وقالوا : إن هـذا الرجل هالك ، وقد حكمناك فى المهر ، فأبى ، وحلف بالطلاق أن لا يزوّجها به أبدا ، وقال : يا قوم أفْضَحُ نفسى وعشيرتى ، فانصرفوا عنه ، وزوّجها رجلا من قومه ، وبنى بها فى تلك الليلة ، فيئس المجنون وزال عقله جملة فقالوا لأبيه : أَحْجُجْ به وادْعُ الله له فلعل الله أن يخلصه ، فحج به ، فلما كان بمِنًى سمع صارخاً بالليل يصيح « يا ليلى » فصرخ صرخة كادت نفسه تزهق معها ، ووقع مغشياً عليه ، ولم يزل كذلك حتى أصبح وأفاق [حائلَ اللون][5] وهو قائل :

عرضت على قلبى العزاء فقال لى ... من الآن فايأس لا أعزك من صبر

---

(١) أقبل بهم وأدبر : أى أدار معهم القول على وجوه شتى لعلهم يقبلون

(٢) تخلس عقله : اختلس ، وسلب فى نهزة وخلسة

(٣) فى ب « يضاحكنى إذ كان يهوى تجنبى »

(٤) فى ب « زوايع عقلى »

(٥) كلمة « حائل اللون » ليست فى ب

إذا بان مَنْ تهوى وأصبح نائيا فلاشىء أجدى من حلولك فى القبر[١]

وداع دعا إذ نحن بالخَيْفِ من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يَدْرِى

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان فى صدرى

دعا باسم ليلى ضَلّل الله سَعْيَه وليلى بأرض عنه نازحة قفر

قال القيسى : مرّ المجنون يوماً بزوج ليلى وهو جالس يَصْطَلى فى يوم بارد ، فوقف عليه المجنون ، ثم أنشأ يقول :

بربك هل ضَمَمْتَ إليك لَيلىٰ قُبَيْلَ الصبح أو قَبَّلْتَ فاها ؟

وهل رَفّتْ عليك قرونُ ليلى رفيفَ الأقحوانة فى نَدَاهَا ؟

فقال : اللهم إذ حلّفتنى فنعم ، فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر ، فسمع نشيش[٢] لحمه من الجمر ، وسقط لحم كفيه مع الجمر ووقع مغشياً عليه ، وقام زوجُ ليلى متعجباً منه مغموماً عليه .

ومن شعر المجنون رحمه الله :

أيا جَبَلَىْ نَعْمَان بالله خَلِّيَا نسيمَ الصَّبا يَخْلُصْ إلى نسيمُهَا[٣]

أَجِدْ بَرْدها أوتشف منى حرارة على كبدٍ لم يبق إلا صميمها

فإن الصَّبَا ريح إذا ما تنسمت على نفس مهموم تجلت همومها

ومنه ، وبه سمى المجنون رحمه الله تعالى :

يقول أناس : عَلّ مجنون عامر يرومُ سُلُوّا ، قلت : أَنّى لمابيا

وقد لامنى فى حب ليلى أقاربى أخى وابنُ عمى وابنُ خالى وخاليا

يقولون : ليلى أهل بيت عداوة بنفسىَ ليلى من عدوّ وماليا

(١) فى ب « إذا بان من تهوى وقد صار بائنا »

(٢) نشيش لحمه : صوت احتراقه ، ووقع فى ب « نشيس »

(٣) فى تزيين الأسواق « سبيل الصبا يخلص إلى نسيمها »

خليلى لا والله لا أملك البكى إذا عَلَم من أرض ليلى بداليا
قَضَاها لغيرى وابتلانى بحبها فهلاَّ بشىء غير ليلى قضى ليا[١]

فسُلب عقله .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

جرى السيلُ فاستبكانىَ السيلُ إذ جرَى
وفاضت له من مقلَتَىَّ غُرُوبُ[٢]

وما ذاك إلا حين أيقنت أنه يمرّ بواد أنتِ منه قريب
يكون أجاجا دونكم فإذا انتهى إليكم تلقى نَشْرَكم فيطيب[٣]
أظل غريبَ الدار فى أرض عامر ألا كل مهجور هناك غريب
وإن الكثيب الفَرْدَ من أيمن الحمى إلىّ ، وإن لم آته ، لحبيب
ولا خير فى الدنيا إذا أنت لم تَزُرْ حبيباً ولم يطرب إليك حبيب

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وأدنَيْتِنِى حتى إذا ما ملكتنى بقول يحلّ العُصْمَ سهلَ الأباطح
تناءيت عنى حين لا لى حيلة وغادرت ما أوْرَيْتِ بين الجوانح

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أمُزْمِعة للبين ليلى ولم تمت كأنك عما قد أظلَّكَ غافل
ستعلم إن شطت بهم غرْبَة النوى وزالوا بليلى أنّ لبك زائل

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

كأن القلب ليلة قيل يُغْدَى بليلى العامرية أو يراح

---

(١) فى الأغانى « فهلا بشىء غير ليلى ابتلانيا »

(٢) الغروب : جمع غرب — بالفتح — وهو الدلو ، أو هى مجارى الدمع .

(٣) النشر : طيب الرائحة ، وفى الأغانى « تلق طيبكم فتطيب »

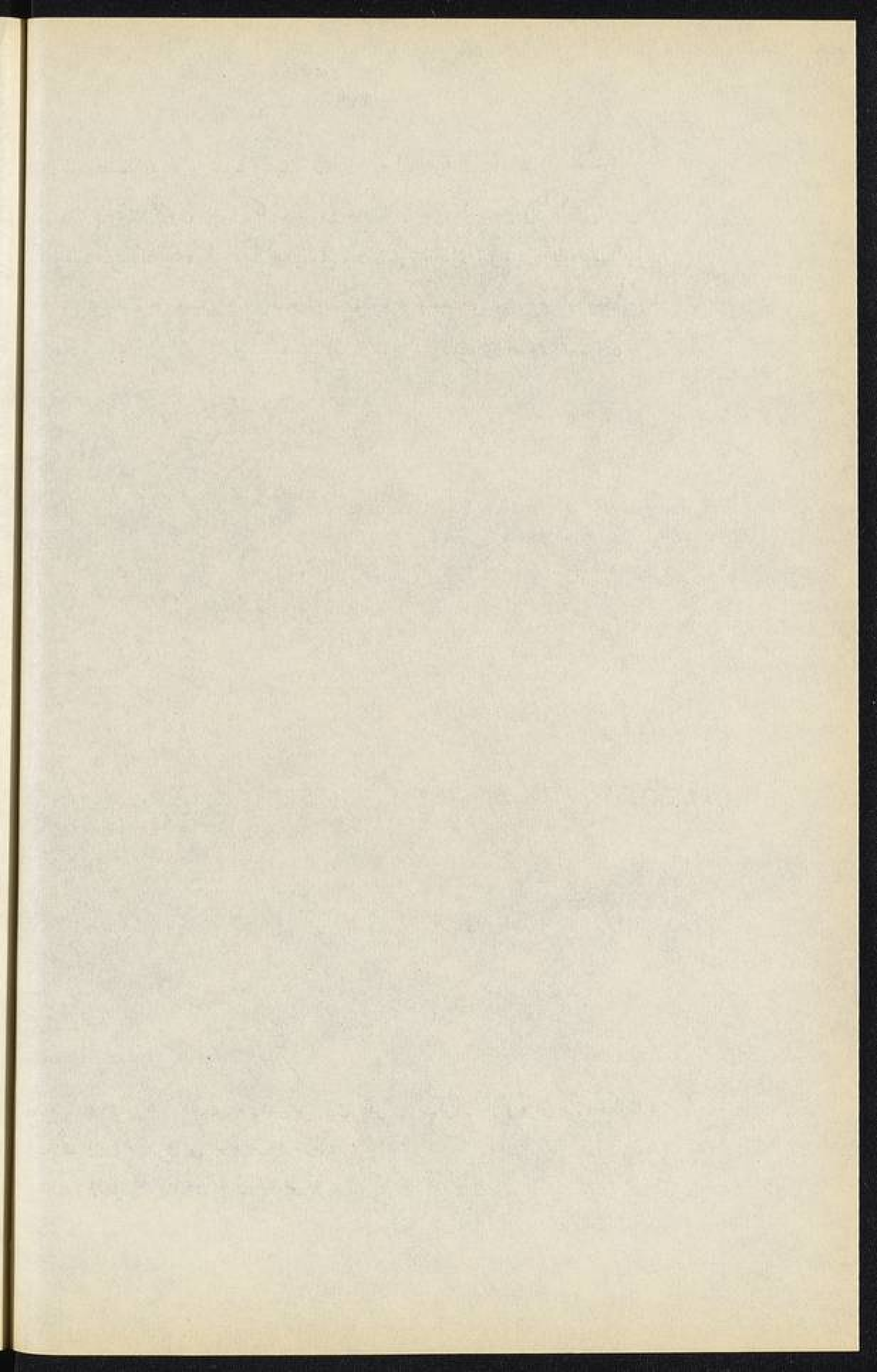
قطاة عَزَّها شرك فبـاتت تجاذبه وقـد علق الجناح[١]

ولم يزل المجنون يهيم فى كل وادٍ ، ويتبع الظباء ، ويكتب مايقوله[٢] على الرمل ، ولا يأنس بالناس ، حتى أصبح ميتاً فى واد كثير الحجارة ، وما دلّ عليه إلا رَجُل من بنى مرّة ، فحضر أهله وغسلوه وكفنوه ، واجتمع حى بنى عامر يبكونه أحرّ بكاء ، ولم نر أكثر باكٍ وباكية من ذلك اليوم ، وذلك فى حدود الثمـانين من الهجرة ، رحمه الله تعالى وعفا عنه ! آمين .

---

(١) عزها : أى غلبها وقهرها ، وفى القرآن الكريم : ﴿ وعزنى فى الخطاب ﴾ أى غلبنى ، ووقع فى ب «غرها شرك»

(٢) كلمة «مايقوله» ليست فى ب



حرف الكاف

(٣٥٧)

ظهير الدين كامل بن الفتح البارزى الأديب

كامل بن الفتح بن ثابت[١] ، ظهيرالدين ، الضرير ، البارزى ، الأديب .

له شعر وتَرَسُّل ، كتب الطلبة عنه ، وتوفى سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وكان مسكنه ببغداد بباب الأزج ، وكان يدخل على الخليفة الناصر ويحاضره ويَخْلُو معه ، وعلمه علم الأوائل ، وهوّن عليه الشرائع ، والله أعلم .

وقال ياقوت : وكان متهما فى دينه ، ومن شعره من قصيدة :

وفى الأوانس من بغداد آنسة　　لها من القلب ما تَهْوَى وتختارُ
سألتها نَهْلَةً من ريقها بدمى　　وليس إلأَخْقَ الطرف سِمْسَار[٢]
عند العذول اعتراضات ولائمة　　وعنـــد قلبى جوَابات وأعذار

(٣٥٨)

الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى

كَتْبُغَا الملك العادل ، زين الدين المنصورى المغلى[٣] .

كان أسمر قصيراً ، رقيق الصوت ، له لحية صغيرة من الحنك ، أسِرَ حدَثا من عسكرهولاكو نوبة حمص الأولى فى آخرسنة ثمان وخمسين وستمائة ، وأمّره أستاذه الملك المنصور ، وكان من أمراء الألوف ، ثم إنه عَظُم فى دولة الأشرف ، ولما قتل الأشرف التفّت الخاصكية عليه ، فحَمَلَ بهم على بيدار وقتلوه ، ولما تملك السلطان الملك الناصر جعَل كتبغا نائبه ، ولما تحول الناصر إلى الكَرَك تسلطن كتبغا ، ولقب بالعادل ، ونهض بأمره لاچين وقراسنقر وطائفة كان قد اصطنعهم فى نوبة

---

(١) له ترجمة فى كتاب «معجم الأدباء» لياقوت ١٩/١٧ ، وفى بغيـة الوعاة للسيوطى ٣٨٢ ووقع فيه «كامل بن أبى الفتح» بزيادة كلمة «أبى» وترجمه أيضاً فى «إنباه الرواة» .

(٢) فى المعجم «ساومتها نفثة من ريقها بدمى» وفى ث «وليس إلاخفيف الطرف»

(٣) له ترجمة فى الدرر الكامنة ٢٦٢/٣ وذكر وفاته فى يوم النحر من سنة ٧٠٢ ، وفى شذرات الذهب ٥/٦ وفى النجوم الزاهرة من مطلع الجزء الثامن فى سلطنة الملك الأشرف ، وترجمه فى ٥٥/٨ وذكر وفاته فى ٢٠٦/٨ .

الأشرف ، وتمكن ، وقدم دمشق وسار بالجيش [إلى حمص، ثم رُدَّ ، ولما كان بأرض بيسان وثب حسام الدين لاچين وشذ على بتخاص[١]] والأزرق فقتلهما فى الحال وكانا عضدى كتبغا ، واختبط الجيش ، وفرّ كتبغا على فرس النوبة ، وتبعه أربعة من مماليكه ، وكان ذلك فى صفر سنة ست [وتسعين][٢] وستمائة، وكانت دولته سنتين ، وساق كتبغا إلى دمشق ، فتلقاه نائبها مملوكه وفتح له أرجواس القلعة ، ودقت البشائر ، ولم ينتظم له حال ، واجتمع كجلن والأمراء وحلَفوا لمن هو صاحب مصر صَرَّحُوا لكتبغا بالحال ، فقال : أنا مامنى خلاف [وخرج من القلعة إلى قاعة صغيرة ، و بذل الطاعة فرسم له أن يقيم بقلعة صرخد][٢] ، فأقام بها ، وانطوى ذكره إلى بعد نوبة غازان[٣] ، فأحسن الملك الناصر إليه وأعطاه حماة[٤] فمات بها سنة اثنتين وسبعمائة .

وكان موصوفاً بالديانة والخير والرفق بالرعية ، ونقل تابوته إلى تربته بسفح قاسِيُون بدمشق ، وجرى فى أيامه الغلاء العظيم بالديار المصرية ، وكان يبكى ويقول : هذا بخطيئتى ، وفيه يقول الوَدَاعى لما تسلطن وخلع على أهل دمشق شعرا :

إنما العادل سلطان الورى   عند ما جاد بتشريف الجميع
مثل قَطْر صاب قُطْرا ما حِلاً   فكسا أعطافه زهر الربيع

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ب ، ووقع فى ث « فنحاص » وفى ب « والأورق » وكلاهما تحريف ماأثبتناه موافقا لما فى الدرر الكامنة .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من ب ، وكلمة « صرخد » وقعت فيها « صرخة » فصارت العبارة هكذا « أنا ما منى خلاف صرخة »

(٣) فى ب « إلى بعد نوبة فأزال » تحريف قبيح ، وفى ث « نوبة قازان »

(٤) فى ب « وأعطاه عماه » تحريف ردىء

(٣٥٩)

كلثوم بن عمرو العتابى الشاعر

كلثوم بن عمرو العَتَّابى ، الشاعر[1] .

أصله من الشام ، من أرض قنسرين ، صحب البرامكة ، وصحب طاهر بن الحسين ، وكان حسن الاعتذار فى رسائله وشعره ، وهو أديب مصنف ، له من الكتب : كتاب المنطق ، وكتاب الآداب ، وكتاب فنون الحكم ، وكتاب الخيل ، وكتاب الألفاظ .

وتوفى فى حدود العشرين والمائتين .

وكان تزهد ومدح الرشيد والمأمون ، وكان قد نقل إلى الرشيد عنه ما أهدر به دمه ، فخلصه جعفر ، فقال فيه شعرا :

ما زلتُ فى غَمَرَاتِ الموت مُطَّرَحاً　　يضيقُ عنى فسيحُ الرأى من حِيَلِى

فلم تزل دائما تسعى بلطفك لى　　حتى اختلست حياتى من يَدَىْ أجَلِى

وكلم يحيى بن خالد فى حاجة بكلمات قليلة ، فقال له يحيى : لقد نزر كلامك اليوم وقلّ ، فقال : وكيف لا يقل وقد كفيتنى ذلّ المسألة ، وحيرة الطلب ، وخوف الردّ ؟ فقال له يحيى : لئِنْ قلّ كلامك لقد كثرت فوائده .

ومن شعره :

ولو كان يَسْتغنى عن الشكر حامد　　لعزة مُلْك أو علوّ مكان

لما أمر الله العبادَ بشكره　　وقال : أشكروا لى أيها الثقلان

ولما دخل على المأمون كان عنده إسحاق المَوْصِلى ، فسلم عليه ، فردّ عليه وأدناه وقرّبه حين دخل منه وقبل يده ، وأقبل عليه يسأله عن حاله وهو يجيبه بلسان طَلْق ، فاستظرفه المأمون ، وأقبل عليه بالمُداعبة والمُزاح ، فظنّ أنه استخف

---

(١) له ترجمة فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١٢/٢ بولاق ، وفى كتاب الفهرست لابن النديم ١٥٧ مصر ، وفى كتاب « معجم الأدباء » لياقوت ١٧/٢٦ وقال فى مطلع الترجمة « وقد ذكرنا أخباره مستوفاة فى كتابنا أخبار الشعراء »

به ، فقال له : يا أمير المؤمنين الإيناس قبل الإبْسَاسِ ، فاشتبه على المأمون ، وأقبل على إسحاق مستفهما ، فأومأ إليه وغمزه على معناه حتى فهمه ، فقال : يا غلام ، ألفَ دينار ، فأتى بذلك ، فدفعها إلى العتابى ، ثم غمز المأمون إسحاق الموصلى عليه ، فجعل العَتَّابى لا يأخذ فى شىء إلا عارَضَه ، فبقى العتابى متعجبا ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ائذن لى فى مسألة هذا الشيخ عن اسمه ، فقال : نعم سَلْه ، فقال لإسحاق : يا شيخ مَنْ أنت ؟ وما اسمك ؟ فقال : أنا من الناس ، واسمى كل بصل ، فتبسم العتابى ، وقال : أما أنت فمعروف ، وأما الاسم فمنكر ، فقال إسحاق : ما أقل إنصافك ، أتنكر أن يكون اسمى كل بصل ، واسمك كلثوم ؟ وما كلثوم من الأسماء ؟ أليس البصل أطيب من الثوم ؟ فقال العتابى : لله درّك ! ما أحجَّكَ ! أيأذن لى أميرُ المؤمنين أن أصله بما وصلنى به ؟ فقال : لا ، بل هو مُوَفَّر عليك ونأمر له بمثله ، فقال إسحاق : أما إذ أقررت [(١)] فتوهَّمْنى أنت ، فقال : ما أظنك إلا إسحاق الموصلى الذى يتناهى إلينا خَبَرُه ، قال : أنا حيث ظننت ، فأقبل عليه بالتحية والسلام ، فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما : أما إذ اتفقتما فانصرفا متنادمين ، فانصرف العتابى إلى منزل إسحاق ، وأقام عنده .

وقال الورّاق : رأيت العتابى يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام ، فقلت له : وَيْحَكَ ! أما تَستحى ؟ فقال : أرأيت لو كنا فى دار فيها بقر أكنت تحتشم أن تأكل وهو يراك ؟ فقلت : لا ، فقال : أُصبر حتى أُعلمك أنهم بقر ، ثم قام فوعَظَ وقَصَّ ودعا حتى كثر الزحام ، فقال لهم : رُوِىَ لنا من غير وجه أنه من بَلَغَ لسانه أرنبةَ أنفه لم يدخل النار ، قال : فما بقى أحد منهم إلا أخرج لسانه نحو أرنبة أنفه ويُقَدِّره هل يبلغها أولا ، فلما تفرقوا قال العتابى : ألم أعلمك أنهم بقر ؟ .

---

(١) فى ب « أما أنا فقد عرفتك فتوهمنى »

ودخل العتابى على عبد الله بن طاهر ، فلما مثل بين يديه أنشده :

حُسْنُ ظنى وحُسْنُ ما عوّد اللـــه بسُؤْلِى منك الغداةَ أتىٰ بى
أىّ شىء يكون أحسن من حســـنِ يقينٍ حَدَا إليك ركابى

[فأمر له بجائزة ، ثم دخل عليه من الغد فأنشده :

وُدُّك يكفينيك فى حاجتى ورؤيتى كافية عن سؤال
وكيف أخْشَى الفقر ماعِشْتَ لى وإنما كَفَّاك لى بيتُ مال ؟][1]

فأمر له بجائزة ، ثم دخل عليه فى اليوم الثالث فأنشده :

بهجات الثياب يخلقها الدهـــر وثوبُ الثناء غَضٌّ جديد
فاكْسُنِى ما يَبِيدُ ـ أصلحك اللـــه ! ـ فإنى أكسوك مالا يبيد

فأمر له بكسوة وجارية .

---

(١) سقط مابين المعقوفين من ب وحدها

حرف اللام

(٣٦٠)

أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدى

لوط بن يحيى بن مخنف[1] بن سليمان ، الأزدى ، أبو مِخْنَف — بالميم والخاء المعجمة والنون والفاء — وجده مخنف من أصحاب على بن أبى طالب رضى الله عنه !.

توفى لوط سنة سبع وخمسين ومائة .

وكان راوياً أخبارياً صاحب تصانيف، وكان يروى عن جماعة من المجهولين.

قال أبو حاتم: متروك الحديث ، وقال الدار قطنى : أخبارىّ ضعيف .

ومن تصانيفه : كتاب الردة ، فتوح الشام ، فتوح العراق ، كتاب الجَمَل ، كتاب صِفِّين ، كتاب النهْرَوان ، كتاب الغارات ، كتاب الخريت[2] بن راشد وبنى ناجية ، كتاب مقتل علىّ رضى الله عنه ، كتاب مقتل حُجْر بن عدى وأصحابه ، مقتل محمد بن أبى بكر والأشتر ومحمد بن أبى حذيفة ، كتاب الشورى ، مقتل عثمان رضى الله عنه ، كتاب المسور بن علقمة ، كتاب مقتل الحسين رضى الله عنه ، كتاب المختار بن أبى عُبَيد ، كتاب وفاة معاوية وولاية يزيد ووقعة الحرّة ومقتل عبد الله بن الزبير والعراق[3] ، كتاب مقتل سليمان بن صُرَد ، وعين الوردة ، كتاب مَرْج راهط ومقتل الضحاك بن قيس الفهرى ، كتاب مُصْعَب بن الزبير والعراق ، كتاب مقتل عبد الله بن الزبير[3] ، كتاب حديث وادى الجماجم ومقتل عبد الرحمن بن الأشعث ، كتاب نجدة الحَرُورى ، كتاب الأزارقة ، كتاب حديث روشنقياذ[4] ، وكتاب شبيب الحرورىّ وصالح بن[5] مصرّح ، كتاب مطرف ابن المغيرة ، كتاب يزيد بن المهلب ومقتله بالعقر ، كتاب خالد القَسْرى ويوسف

---

(١) له ترجمة فى كتاب « معجم الأدباء » لياقوت ٤١/١٧ وفى تاج العروس ١٠٥/٦ ترجمة موجزة له ، وضبط «مخنف» بكسر الميم وسكون الخاء وفتح النون ، بزنة منبر ، وله ترجمة فى كتاب الفهرست لابن النديم ص ١٣٦ مصر

(٢) ب والفهرست «الحريث بن راشد» (٣) كذا، وفى الكلام تكرار، وفى الفهرست « وحصار ابن الزبير» (٤) فى ب « روشنعياد» وفى الفهرست « روستقبان »

(٥) فى الفهرست «شبيب الخارجى وصالح بن مسرح» وفى ب «ثيب الحرورى»

ابن عمر ، وموت هشام وولاية الوليد ، كتاب زيد بن عليّ ويحيى بن زيد ، كتاب الضحاك الخارجى ، كتاب الخوارج والمهلّب بن أبى صُفْرة ، وله غير ذلك من الفتوحات ، والله أعلم .

(٣٦١)

ليلى بنت عبدالله، الأخيلية، الشاعرة المشهورة[١] .

ليلى الأخيلية

كانت من أشعر النساء لا يتقدم عليها إلا الخنساء ، توفيت فى عشر الثمانين من الهجرة .

وكان توبة بن الحمير يهواها ، وقد تقدّم ذكره ، خَطَبها فأبى أبوها ، فكان يزورها ، قال لها الحجّاج : إن شبابك قد مضى ، واضمحلّ أمرك ، فأقسم عليك إلا صدقتنى ، هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك فى ذلك ؟ قالت : لا والله أيها الأمير ، إلا أنه قد قال لى ليلة وقد خلونا كلمةً ظننت أنه قد خضَعَ فيها لبعض الأمر ، فقلت له :

وَذِى حاجة قُلْنَا لهُ لا تبُحْ بها ... فَلَيْسَ إليها ما حييتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغى أن نخونه ... وأنت لأخرى صاحب وخليل[٢]

فلا والله ما سمعتُ بعدها منه ريبة حتى فرق بيننا ، فقال لها الحجاج : فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت : وجّه صاحباً له إلى حاضرنا وقال له : أَعْلُ شرَفاً واهتف بهذا البيت بين أهله :

عفا الله عنهـــا هل أبيتَنَّ ليلة ... من الدهر لا يَسْرِى إلى خيالُهَا

فلما فعل ذلك عرفت المعنى ، فقلت :

---

(١) لها ترجمة فى الأغانى ١٠/٦٧ — ٨٤ بولاق

(٢) فى ب « لنا صاحب لا نبتغى » وفى ب ، ث « وأنت لأخرى قارع »

وعَنْهُ عفا ربى وأحْسَنَ حفْظَهُ　　يعزُّ علينا حاجـــةٌ لا ينالُهـا

وعن محمد بن الحجاج بن يوسف قال : بينما الأمير جالس[(١)] إذ استؤذن لليلى، فأذن لها فدخلت امرأة طويلة دعجاء العين حَسَنَةُ المِشْية حسـنة الثغر ، فسلمت عليه ، فرحّب بها الحجاج ، وقال لها : ما وراءكِ ؟ ضَعْ لها وسادة ياغلام ، فجلست ، فقال لها : ما أقْدمكِ إلينا ؟ فقالت : السلام على الأمير ، والقضاء لحقه ، والتعرّض لمعروفه ، فقال : كيف خَلَّفت قومك ؟ قالت : فى حال خِصْبٍ وأمْنٍ ودَعَة ؛ أما الخصب ففى الأموال والـكلأ ، وأما الأمن فقـد أمنهم الله عز وجل ، وأما الدَّعَة فقد خامَرَهم من خوفك ما أصلح بينهم ، ثم قالت : ألا أنشدك أيها الأمير؟ قال : إذا شئت ، فقالت :

أحجّاجُ لا يُفْلَلْ سلاحك إنما المنـــايا بكفّ الله حيث يراهـــا
إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة　　تَتبع أقصى دائهـــا فشفاها
شفاها من الداء العُضَال الذى بها　　غلام إذا هز القنـــاة سقاها
ســقاها دماء المارقين وعَلَّهَا　　إذا جمحت يوما وخيف أذاها
أعدّ لها مصقولة فارســـية　　بأيدى رجال يحلبون صَرَاها[(٢)]
أحجاج لا تعطى العداة مناهُمُ　　أبى الله يعطى للعـــداة مناها[(٣)]
ولا كل خلاف تقـــلد بيعة　　بأعظم عهد الله ثم شراها

فأمر وكيله أن يعطيها خمسمائة درهم ، ويكسوها خمسة أثواب ، كُساخزّ .

وفى خبر آخر أنها وفدت عليه ، فقال لها : أنشدينى بعض شعرك فى توبة ، فأنشدته :

لعمركَ ما بالموت عار على الفتى　　إذا لم تصبه فى الحيـــاة المعاير

---

(١) كلمة « جالس » ليست فى ب

(٢) فى ب « أعد لها مصقولة » وفيها « رجال يضربون صراها »

(٣) حفظى « ولاالله يعطى »

وما أحد حى وإن عاش سالمًا   بأخْلَدَ ممن غيبته المقابر
ولا الحى مما أحدث الدهر معتب   ولا الميْتُ إن لم يصبر الحى ناشر
وكل جديد أو شباب إلى بِلًى   وكل امرىء يوما إلى الله صائر
قتيل بنى عوف فيا لَهفَا له   وما كنت إياهم عليه أحاذر
ولكننى أخشى عليه قبيلة   لها بدروب الشام بادٍ وحاضِرُ

فقال الحجاجُ لحاجبه : اذْهَب فاقطع عنى لسانها ،[فدعا بالحجّام ليقطع لسانها، فقالت : ويحك ! إنما قال الأمير : اقطع لسانها] بالعطاء والصِّلة ، فارْجِعْ إليه فاستأذِنهُ ، فرجع إليه فاستأذنه فاستشاط غيظاً ، وهم بقطع لسانه ، ثم أمر بها ، فأدخلت عليه ، فقالت : كاد وعَهْد الله يقطع أيها الأمير مِقْوَلى ، وأنشدته :

حجاج أنت الذى ما فوقه أحد   إلا الخليفة والمستعظم الصمد
حجاج أنت شهاب الحرب إذ نهجت   وأنت للناس نور فى الدجى يَقِدُ

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ب

حرف الميم

مالك بن طوق
صاحب الرحبة

(٣٦٢)

مالك(١) بن طَوْق التغلبى(٢) صاحب الرَّحَبَة .

أحد الأشراف ، والفرسان الأجواد ، وَلِىَ إِمْرَةَ دمشق المتوكل كان ينادى على باب داره بالخضراء ـ وكانت دار الإمارة ـ بعد المغرب « الإفطار يرحمكم الله » قال : والأبواب مُفَتَّحة يدخلها الناس .

توفى سنة تسع وخمسين ومائتين .

وهو الذى بنى الرحَبة التى على الفُرات ، وإليه تنسب ، وسبب ذلك أن هارون الرشيد(٣) [ركب فى حراقة مع ندمائه فى الفرات ، ومعهم مالك بن طوق ، فلما اقترب من الدواليب ، قال : يا أمير المؤمنين لو خرجت إلى الشط لنجوز هذه الدواليب ، قال : أحسبك تخاف هذه ؟ قال : الله يكفى أمير المؤمنين كل محظور ، قال الرشيد :] قد تَطَيَّرت بقولك ، ثم صعد إلى الشط ، فلما بلغت الحرَّاقة إلى الدواليب دارت دورةً ثم انقلبت بما فيها ، فتعجب الرشيد من ذلك ، وسَجَدَ شكرا لله تعالى وتصدق بأموال كثيرة ، وقال لمالك : وجبت لك علينا حاجة فسَلْ ما تحب ، قال : يُعْطينى أميرُ المؤمنين هنا أرضاً أبنيها فتنسب إلىّ ، قال : قد فعلنا وساعدناك بالأموال والرجال ، فلما عمرها واستوثقت أموره فيها وتحوَّل الناسُ فيها أنفذ إليه الخليفةُ يطلب منه مالا ، فتعلَّل ودافع ومانع وتحصَّن وجَمَع الجيوش ، وطالت الوقائع بينه و بين عسكر الرشيد ، إلى أن ظفر به صاحبُ الرشيد وحمله مُكبلا ، فمكث فى السجن عشرة أيام ، ثم أمر بإحضاره فى جَمْع من الرؤساء وأرباب الدولة ، فقبَّلَ الأرض ولم ينطق ، فعجب الرشيد من صَمْته ، وغاظه ذلك ، وأمر بضرب عنقه ، و بُسِط النّطع ، وجُرِّد السيف وقُدِّم مالك ، فقال الوزير : يا مالك تكلم فإن أمير المؤمنين يسمع كلامك ، فرفع رأسه وقال : يا أمير المؤمنين أخرسْتُ عن الكلام دَهْشة ،

---

(١) له ترجمة فى معجم البلدان ١٣٦/٤ وذكر فيها أغلب ما ذكره المؤلف مع اختلاف يسير (٢) فى ب « الثعلبى »

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من ب

وقد أدهشت عن السلام والتحية ، فأما إذ أذن أمير المؤمنين فإنى أقول : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله و بركاته ، الحمد لله الذى خلق الإنسان من سُلَالة من طين ، يا أمير المؤمنين جَبَر الله بك صَدْع الدين ، ولَمّ بك شعَث الأمة ، وأخمد بك شهاب الباطل ، وأوضح بك سبيلَ الحق ، إن الذنوب تُخْرِس الألسنة الفصيحة وتَصْدَع الأفئدة ، وايمُ الله لقد عَظُمت الجريمة ، وانقطعت الحجة ، ولم يبق إلا عَفْوك أو انتقامك ، ثم أنشأ يقول بعد ما التفت يميناً وشمالا :

أرى الموتَ بين النِّطْع والسيف كامناً ... يُلَاحظُنى من حيث ما أتلفت
وأكبرُ ظنى أنك اليــوم قاتلى ... وأىُّ امرىء ممــا قضَى الله يُفْلِت؟
يعز على الأوس بن تغلب وقفة ... يهز علىّ السيف فيهــا وأسكت
وأى أمرىء يُدْلى بعذرٍ وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مُصْلَتُ
وما بىَ من خوف أموتَ وأننى ... لأعـــلم أن الموت شىء موقت
ولــكنّ خوفى صبية قد تركتهم ... وأكبادُهُم من حَسْرة تتفتت
كأنى أراهم حتى أنْعى إليهـــمُ ... وقد خَمَشوا تلك الوجــوه وصَوَّتُوا
فإن عشت عاشوا آمنـين بغبطة ... أذود الردى عنهم، وإن مت مَوَّتُوا
فــكم قائل لا يبعــد الله داره ... وآخَرُ جــذلان يسرّ ويشمت

قال : فبكى هارون الرشيد ، وقال : لقد سكتُّ على همة ، وتكلمت على حلم وحكمة ، وقد عفوت لك عن الصَّبْوَه ووهبتك للصِّبْية ؛ فارجع إلى ولدك ولا تعاود فقال : سمعاً وطاعة وانصرف .

(٣٦٣)

مالك بن نويرة
اليربوعى

مالك بن نُوَيْرَة[١] بن حمزة بن شداد ، أبو المغوار ، اليربوعى ، أخو مُتمم . كان يلقب بالجفول[٢] لكثرة شعره ، قتل فى الردّة

---

(١) انظر الأغانى ١٤/٦٦ — ٧٦ بولاق ، وفيه « نويرة بن عمرو بن شداد »
(٢) فى ب ، ث « الحفول » بالحاء المهملة ، وما أثبتناه موافق لمـا فى الأغانى

قال صاحب الأغانى : كان أبو بكر رضى الله عنه لما جهز خالد بن الوليد لقتال أهل الردة قد أوصاهم أنهم إذا سمعوا الأذان فى الحى و إقامة الصلاة نزلوا عليهم ، فإن أجابوا إلى أداء الزكاة ، وإلا الغارة ، فجاءت السريّةُ حىَّ مالك ، وكان فى السرية أبو قتادة الأنصارى ، وكان ممن شهد أنهم أذَّنُوا وأقاموا وصَلّوْا ، فقبض عليهم خالد [[1] وكانت ليلة باردة ، فأمر خالد] مناديا ينادى « ادفئوا أسرا كم » وكان لغة كنانة إذا قالوا « ادفئوا الرجل » يعنون اقْتُلُوه ، فقتل ضرار بن الأزور مالـكا ، وسمع خالد الداعية [2] فخرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمرا أصابه ، فقال أبو قتادة : هـذا عَمَلُكَ ، فزبره خالد ، فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر ، فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه فيه عمر ، فلم يرض إلا أن يرجع إلى خالد [ويُقيم معه [1]] ، فرجع إليه ، ولم يزل معه حتى قدم خالد المدينة ، وكان خالد قد تزوج بزوجة مالك ، فقال عمر : إن فى سيف خالد رَهَقاً وحق عليه أن تقيده ، وأَكْثَرَ عليه فى ذلك ، وكان أبو بكر لا يقيد عماله ، فقال : ياعمر إن خالداً تأوّل فأخطأ فارفع لسانك عنه ، ثم كتب إلى خالد أن يقدم عليه ، فقدم وأخبره بخبره ، فقبل عذره ، فعنفه بالتزويج ، وقيل : إن خالداً كان يهوى امرأة مالك فى الجاهلية ، وكان خالد يعتذر فى قتله فيقول : إنه قال لى وهو يُرَاجعنى : ما إخال صاحِبَكم إلا قد كان يقول كذا وكذا ، فقال خالد : أو ما تَعُدُّه صاحبك ؟ ثم قدمه فضرب عنقه .

ومما يؤيد خالداً وأن مالكا مات مرتداً أن متمماً لما أنشد عمر [مراثيه [1] فى مالك] قال له عمر : والله لوددت أنى أحسن الشعر فأرثى أخى زيداً بمثل مارثيت

---

(١) مابين المعقوفين ساقط من ب

(٢) فى ب « الداهية » وما أثبتناه موافق لما فى ث

أخاك ، فقال متمم : لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته ، فقال عمر رضى الله عنـه : ما عزّانى أحد عن أخى بأحْسَنَ مما عزانى به متمم .

وقال الرياشى : صلى متمم بن نويرة مع أبى بكر رضى الله عنـه الصبح ، ثم أنشده :

نِعْمَ القتيلُ إذا الرياح تناوحت　　فوق العضاهِ قَتَلْتَ يا ابن الأزور

ثم بكى حتى سالت عينه العوراء ، ثم انحط على سِيَةِ قوسه[1] مغشياً عليه .

وقيل لمتمم : ما بلغ من وجْدِك على أخيك ؟ فقال : أصبت بإحدى عينيَّ ، فما قطرت منها قطرة عشرين سنةً ، فلما قتل أخى استهلَّت فما ترقأ .

و يقال فى المثل : فتىً ولا كمالك ، ومَرْعًى ولا كالسَّعْدان ، يعنون به مالكا هذا

وقيل لمتمم : صف لنا مالكا ، فقال : كان يركب الجمل الثفال[2] فى الليلة القرّة يرعى لأهله بين المزادتين[3] عليه الشملة الفَلُوت يقود الفرس الحَرُون ، ثم يصبح ضاحكا

ومن شعر متمم فى مالك :

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت　　فوق العضاهِ قتلت يا ابن الأزور

أدعوته بالله ثم غـــــدرته　　بل لو دعاك بذمة لم يغـدر

لا يلبس الفحشاء تحت ثيـابه　　صعب مقـادته عفيف المئزر

فلنعم حشو الدرع كنت وحاسراً　　ولنعم مأوى الطارق المتنور

وقال يرثيه من أبيات رحمه الله :

وكنا كندمانَىْ جَـذيمة حِقْبَةً　　من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وعشنا بخير فى الحيـــاة وقبلنا　　أصاب المنايا رَهْط كسرى وتبعا

فلمـا تفرقنا كأنى ومالـكا　　لطول اجتماع لم نَبِتْ ليـلة معا

فإن تكن الأيام فرّقْنَ بيننــا　　فقد بان محمودا أخى يوم ودّعا

أقول وقد طار السنا فى رَبَابه　　وجون يسحُّ الماء حتى تربعـا

---

(١) فى ب « على سن قوسه »

(٢) فى ب « الجمل المثقال » وفى الأغانى « الجمل الثقال »

(٣) فى ب « يرعى لأهله من المزارتين » وفى الأغانى « بين المزادتين »

سقى الله أرضاً حلها قبر مالك ذِهابَ الغوادى المدجنات فأمرعا
تحيته منى وإن كان نائياً وأمسى تراباً فوقه الأرض بلقعا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى والدكادك[1]
لقد لامنى عند القبور على البكى رفيقى لتَذْراف العيون السوافك[2]
فقلت لهم إن الشجا يبعث الشجا دعونى فهذا كله قبر مالك

وقال عمر رضى الله عنه لمتمم : أكان مالك يحبك مثل محبتك إياه ؟ فقال : أين أنا من مالك ؟ والله ياأميرالمؤمنين لقد أسَرَنِى حىٌّ من العرب فشدونى وِثاقا وألقونى بفنائهم ، فبلغه خبرى ، فأقبل علىَّ على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوس فى ناديهم ، فلما نظر إلىَّ أعرض [عنى] وقصد إلى القوم، فعرفت ما أراد، فوقف عليهم وسلّم وحادثهم وضاحكهم ، فوالله ما زال حتى ملأهم سروراً ، وأحضروا غداءهم فسألوه النزول يتغذى معهم ، ففعل ، ثم نظر إلىّ وقال: ليقبح بنا أن نأكل ورجل مُلْقًى بين أيدينا لا يأكل معنا ، وأمسك عن الطعام ، فقام القومُ وصَبُّوا الماء على قِدِّى حتى لان ، وحَلّونى، ثم جاؤا بى وأجلسونى معهم على الغداء ، فلما أكلنا قال لهم : ما ترون هذا تحرّم بنا وأكله معنا ، وإنه لقبيح بكم أن تردّوه إلى القيد فخلّوا سبيلى وأطلقونى بغير فداء، وكان مقتل مالك فى حدود سنة ١٣ .

(٣٦٤)

مجاهد بن سليمان بن مرهف (ابن الربيع)

مجاهد بن سليمان بن مرهف بن أبى الفتح ، المصرى ، التميمى ، الأديب ، المعروف بالخياط ، ويعرف بابن الربيع[3] .

---

(١) فى الحماسة ٢٩٠/٢ يروى هذه الأبيات بتقديم ثانيها على أولها وهو الأوفق لتناسق المعنى

(٢) فى ب « رفيق بمرزاز الدموع » وما أثبتناه موافق لما فى ث والحماسة

(٣) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ٢٤٢/٨

كان من كبار أدباء العوام ، لكنه قرأ النحو ، وفهم ، وكان قد سلطه الله تعالى على أبى الحسين الجزار شاعر الديار المصرية .

وتوفى مجاهد سنة اثنتين وسبعين وستمائة .

ومن شعره :

أبا الحسين تأدب ما الفخر بالشعر فخر
وما تبللت منه بقطرة وهو بحر[1]
وإن أتيت ببيت وما لبيتك قدر
لم تأت بالبيت إلاّ عليه للناس حكر

وكان ناصر الدين بن النقيب قد وعَده بإردب قمح ، فجهز له أربع وَيْبات وتأخر له ويبتان ، فكتب إليه أى إلى ابن النقيب رحمه الله :

يا ماجداً بالقمح قد جاد لى ما الذى أجلاك أن تمنعه
وقد شكا لى بعضه فرقة الـ باقى عسى مولاى أن يجمعه

فكتب إليه ابنُ النقيب الجوابَ :

أأبعث الثنتين من حاصل إليك أو تبعث لى الأربعه
تا الله ما أخرتها مانعاً لها وما فى ذاك من مطمعه
وإنما أخرتها خيفة من كفك المتلفة المضيعه
وما عسى مقدارها عندكم والألف مع مثلك مستودعه
وإنها أجود ما يقتنى وإنك المشؤوم بالأربعه[2]

ومن شعره رحمه الله تعالى :

أعد يا برق ذكر أهَيْل نجد فإن لك اليد البيضاء عندى

---

(١) فى النجوم « وما ترشحت منه »

(٢) سقط هذا البيت من ب

أشيمك بارقا فيضلّ عقلى   فواعجبا تضل وأنت تهدى
ويبكيك السحاب وأنت ممن   تحمّلَ بعض أشواقى ووعدى
بعثت مع النسيم لهم سلاما   فما عطفوا علىّ له برد

ومنه أيضاً رحمه الله تعالى :

وظبىٍ تظلمت من خده   لقلبى عليه حقوق ودم
أخذت القصاص بتعضيضه   ولم يَجْرِ بعدُ عليه القلم

(٣٦٥)

أبو العزيز محمد بن محمد الخراسانى

محمد بن محمد[١] بن مواهب ، أبو[٢] العزيز ، الخراسانى ، الشاعر ، البغدادى ، صاحب العروض ومصنف النوادر ، المنسوب إلى حِدّةِ الخاطر .

قرأ الأدب على الجواليقى ، وله ديوان شعر فى خمسة عشر مجلداً .

قال العماد الكاتب : ومدح الخلفاء والوزراء ، وله مصنفات أدبية ، وتغير ذهنه آخر عمره ، وتوفى سنة ست وتسعين[٣] وخمسمائة ، وله اثنتان وثمانون سنة ، وأورد له ابن النجار ما يكتب على كران :

أنا محسود من النا   س على أمر عجيب
أنا ما بين قضيب   يتثنى وكثيب

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أنا راضٍ منكم بأيسر شىء   يرتضيه لعاشق معشوق
وسلام على الطريق إذا ما   جمعتنا بالاتفاق الطريق[٤]

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء ٤٦/١٩ وشذرات الذهب ٢٥٧/٥ وبغية الوعاة للسيوطى ١٠١   (٢) كذا فى ب ، وفى المعجم والشذرات « أبو العز »
(٣) كذا فى ب ، ث ، وفى المعجم « سنة ست وسبعين وخمسمائة »
(٤) فى المعجم « وسلام من الطريق » وكذا فى البغية

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

إن شئت أن لاتعدّ غمرًا فخل زيدا معـــا وعمرا

واستغن بالله فى أمور ما زلن طولَ الزمان أمرا

ولا تخالف مدى الليالى لله حــتى الممات أمرا

واقنع بما راج من طعام والبس إذا ما عربت طِمْرًا

(٣٦٦)

محمد بن محمد[1] بن أحمد بن عبدالله ، القاضى ، نجم الدين بن جمال [الدين] الطبرى.

كان فقيهاً جيداً فيه كرم وحسن أخلاق ، وله نظم منه رحمه الله تعالى :

أشبيهة البدر التمــام إذا بدا حسنا وليس البدر من أشباهك

مأسور حبك إن يكن متشفعا فإليك بالحسن البديع بجاهك

وأسَاه قد أعيا الاساةَ دواؤه وشِفاه يحصل بارتشاف شفاهك

فصليه واغتنمى بقـاء حيـاته لا تقطعيه جفـاً بحق إلٰهك

قال تاج الدين اليمنى : توفى القاضى نجم الدين الطبرى سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة[2] ، ومولده سنة ثمان وخمسين وستمائة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(٣٦٧)

محمد بن أحمد[3] ـ وقيل: هو ابن محمد ـ أبو الفرج، الوأواء، الغسانى ، الدمشقى

شاعر مطبوع ، منسجم الألفاظ ، عذب العبارة ، حسن الاستعارة ، جيد التشبيه، بنى الحريرى مقامة[4] على قوله :

وأمطَرَتْ لؤلؤا من نرجس وسَقَتْ وَرْداً وعَضَّتْ على العُنَّاب بالبَرَدِ

---

(١) له ترجمة فى الدرر الكامنة ١٦٢/٤ وشذرات الذهب ٩٤/٦

(٢) فى الدرر الكامنة وشذرات الذهب أن وفاته فى سنة ٧٣٠ فى جمادى الآخرة

(٣) له ترجمة مبسوطة فى يتيمة الدهر ٢٧٢/١ بتحقيقنا وفى الوافى بالوفيات ٣٢/٢

(٤) هى المقامة الثانية

ومن شعره رحمه الله تعالى :

وليلى كفِكْرِى فى صُدود معذبى — وإلا كأنفاسى عليه من الوجد
وإلا كعُمْر الهجر فيه ؛ لأنه — إذا قسته بالوصل كان بلا حد

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

اسقيانى ذبيحة الماء فى الكأ — س وكُفَّا عن شرب ماتسقيانى
إننى قد أمنت بالأمس إذ مـــ — ـت بها أن أموت موتا ثانى
قهوة تطرد الهموم إذا ما — سكنت فى مواطن الأحزان
نثرت راحـة المزاج عليهـا — حـدقا ما تدور فى أجفان
فهى تجرى من اللطافة فى الأر — واح مجرى الأرواح فى الأبدان
يتهادى بكأسها مَنْ هدايا — هُ إلينا طرائفُ الأشجان
ما رأينا ورداً كورد بخـــــ — ـديه بدا طالعاً على غصن بان
زارنى والصباح فى ساعد الأفـ — ـق كبحر فى نصفه نصف جان
وغدا والهـلال فى شَرَكِ الفجـ — ـر شريكى فى قبضة الارتهان(١)
ويمين الجـوزاء يبسط باعا — لعناق الدجى بغير بنان
وكأن الإكليل إذ رُمِىَ الغر — ب به شعلة من النيران(٢)
وكأن النجوم أحداقُ رومٍ — ركبت فى محاجر السودان
رشأ تَشْرَهُ النفوس إلى ما — فى ثناياه من رحيق اللسان
لا وما أحمرَّ من تورّد خديـــ — ـه وما اصفر من شموس الدنان
لأطيل السجود فى قبلة الكأ — س بتسبيح ألسن العيدان(٣)

---

(١) كذا فى الأصول والوافى ، وفى اليتيمة « وغداف الظلام فى شرك الفجر »
(٢) فى ب « وكأن المريخ إذ رما العذب » تحريف ، وفى الوافى « وكأن المريخ إذ رمى الغرب به حربة من النيران »
(٣) فى الوافى « لأطلت السجود »

كم صلاة على فتى مات سكرا   قد أقيمت فينا بغير أذان
أيها الرائح الذى راحتاه   بخضاب الكؤوس مخضو بتان
عُج بضحك الأقداح فى رهج القصـ   ـف إذاما بكت عليها القنانى[1]
واسقنى القهوة التى تنبت الور   د إذا شئت فى خدود الغوانى
لا تدغدغ صدر المدام بأيدى الـ   ـمزج ما دغدغت صدور المثانى
كتبتها أيدى السحاب بأقلا   مِ دموع على طروس المغانى
ألفات مؤلفات ولاما   ت تكوَّنَّ من ضمير المعانى
فى رياض تريك بالليل منها   سُرُجاً من شقائق النعمان

انظر إلى ما فى هذه القصيدة من جودة التشبيه وصحته ، ولطف الاستعارات ورشاقة ألفاظها .

ومن شعره :

وجلا الثريا فى مُلا   ءة نوره البدر التمام
فكأنها كأس ليَشْرَبها الدجى والبدر جام
وكأن زرق نجومها   حدق مفتحة نيام

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

سَقْياً ليوم غدا قوس الغمام به   والشمس مشرقة والبَرْقُ خلاس[2]
كأنه قوسُ رامٍ والبروق له   رشق السهام ، وعين الشمس برجاس

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

والبدر أول ما بدا متلثما   يبدى الضياء لنا بخد مُسْفِرِ[3]

---

(١) فى ب « عج بصبح الأقداح فى وهج العصف » وما أثبتناه موافق لما فى ث والوافى
(٢) فى ب « والبدر خلاس » وما أثبتناه موافق لما فى ث والوافى
(٣) فى ب « والبر أول مابدا » وما أثبتناه موافق لما فى ث والوافى

وكأنما هو خوذة من فضـــة ‏ قد ركبت فى هامة من عنبر

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

لست أنسى قلبى وقد راح نهبا ‏ بين بَيْنٍ مبرح وصـــدود

وسماء العيـــون إذ ذاك تَسْقِى ‏ بسحاب الدموع روض الخدود

وقال ، وهو لطيف عذب :

بالله ربكما عوجا على سكنى ‏ وعاتباه لعل العتب يعطفـه

وعَرِّضا بى وقُولاَ فى حديثكما : ‏ ما بالُ عبدك بالهجران تُتْلفه ؟

[فإن تبسَّم قُولا فى مُلاَطفة : ‏ ماضرَّ لو بوصالٍ منك تسْعفُه ؟][1]

وإن بدا لكما فى وجهه غضب ‏ فغالطاه وقولا : ليس نعرفـه

وقال آخر فى المعنى :

ألا يا نسـيم الريح بلغ رسالتى ‏ سليمى وعَرِّضْ بى كأنك مازح

فإن أعرضت عنى فموه مغالطا ‏ بغيرى وقل : ناحت بذاك النوائح

أخذه القائل فنظمه دو بيت :

باللطْفِ إذا لا لقيت من أهواه ‏ عاتبه وقل له الذى ألقـاه

إن أغضبه الوصـال غالطـه به ‏ أورقَّ فقـل عبدك لا تنساه

وقال الآخر مواليّا :

بحرمة العهد إن جزت النقا ياسعد ‏ أبصرت ذاك المحيا والأثيث الجعد

عرض بذكرى وغالطها وقل يادعد ‏ إذلم تجودى بوصلك فاسمحى بالوعد

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى من أبيات[2] :

ويا رسولى إليهم صف لهم أرقى ‏ وأن طرفى لطيف الضيف مرتقب

واسأل مواهبهم للعين بعض كرى ‏ لعل أن يهبوا لى بعض ما نهبوا

---

(١) هذا البيت ساقط من ب وهو ثابت فى ث والوافى

(٢) فى ب هنا « وقال أيضا رحمه الله تعالى » وماأثبتناه موافق لما فى ث ، وفى الوافى الذى نقل عنه المؤلف هذه الترجمة بحروفها « وقلت أنا من أبيات » فهى للصلاح الصفدى

وَلَطِّفِ القول لا تسأم مراجعة — عند الهوى والنوى قد ينجح الطلب[١]
عرض بذكرى فإن قالوا أتعرفه — فاسأل لى الوصل وانكرنى إذا غضبوا

ومن قول الوأواء الدمشقى فى سيف الدولة[٢] :

مَنْ قاس جَدْواك بالغَمام فما — أنصف فى الحكم بين إثنين
أنت إذا جُدْتَ ضاحك أبداً — وهو إذا جاد باكى العين

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أيا ملزمى ذنب الدموع وقد جرت — فأبدت من الأسرار كل مَصُونِ
أعِنّى على تأديب دمعى فإنه — يتوب إذا ما كنت أنت معينى

وقال أيضاً ، وهو لطيف جداً :

إذا اشتد ما ألقى جلستُ حِذَاءهُ — ونار الهوى قد أضرمت بين أوصالى
أُقَبِّلُ من فِيه نسيمَ كلامه — إذا مر بى صَفْحاً بأفواه آمالى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يامن بزرقة سيف اللحظ طلّ دمى — والسيف ما فخره إلا بزرقته
عَلَّمت إنسان عينى أن يعوم فقد — جادت سباحته فى ماء مقلته

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ولما وقفنا ساعة البين لم نُطِقْ — كلاما تناجينا بكسر الحواجب
نادى بإضمار الهوى ظاهر الهوى — بأطيب من نجوى الأمانى الكواذب

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

رعَى الله من لم يرع لى حق صحبتى — وإن كان فى كف المنية مُودِعِى

---

(١) فى الوافى « واشك الهوى والنوى »

(٢) فى ب هنا « ومن قول الوأواء الدمشقى وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى سيف الدولة » وظاهر أن عبارة « وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى » مقحمة هنا بفضل النساخين المساخين ، وأن موضعها حيث نبهنا فى الهامشة ٢ فى ص ٣٠٤

فيا أسفى زدنى عليـــــه تأسفاً   ويا كبدى وجداً عليه تَقَطَّعِى
وإنى لمشـــتاق إلى من أحبه   فلا معـــه شوقى ولا صبره معى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

تنفَّست الغـــداة وقد تولت   ركائبهم معارضة طـــريق
تنادى بالحريق فَظَلْتُ أبكى   فنادت بالحريق وبالغريق

وقال رحمه الله فى جَرَب معشوقه من أبيات :

دبّ فى كفيْـه ما مِنْ   حُبِّـــــه دب بقلبى
فهو يشكو حَرّ حَبٍّ   واشتكائى حـــرَّ حُبِّ

وكانت وفاة الوأواء فى عشر التسعين والثلثمائة تقريباً ، رحمه الله تعالى !

(٣٦٨)

محيي الدين محمد بن محمد (ابن سراقة) الشاطبى

محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سُرَاقة ، محيي الدين ، الأنصارى ، الأندلسى ، الشاطبى[١] .

ولد فى رجب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بشاطِبَة ، وتوفى سنة اثنين وستين وستمائة بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم .

سمع الكثير ، وولى مشيخة دار الحديث البهائية بحلب ، ثم قدم إلى الديار المصرية وولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة إلى حين وفاته ، وكان أحَدَ الأئمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة ، وأحد المشايخ المعروفين بطريق القوم ، وله فى ذلك إشارات لطيفة ، مع ما جُبل عليـه من مكارم الأخلاق ، واطراح التكليف ، ورقة الطبع ، ولين الجانب ، وله شعر منه :

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٣١٠ وفى النجوم الزاهرة ٦/٢١٦ وذكره الذهبى فى وفيات سنة ٦٦٢

إلى كم أمنّى النفسَ مالا تناله ... فيذهب عمرى والأمانىُّ لا تُقْضَى

وقد مر لى خمس وعشرون حجة ... ولم أرض فيها عيشتى فمتى أرْضَى

وأعلم أنى والثـلاثون مدتى ... وخير مغانى اللهو أوْسَعُهَا رَكْضَا

فماذا عسى فى هـذه الخمس أرتجى ... ووجدى إلى أوب من العشر قدأفضى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وصاحب كالزلال يمحو ... صفاؤه الشك باليقـين

لم يحص إلا الجميـل منى ... كأنه كاتب اليمـين

وهذا عكس قول المنازى :

وصاحب خلتـه خليلا ... وما جرى غَدْرُه ببـالى

لم يحص إلا القبيح منى ... كأنه كاتب الشمال

وكان محيي الدين من أبناء القُضاة ، حفظ القرآن العظيم ، وتفقه على مذهب مالك ، رحمه الله !

(٣٦٩)

نصير الدين محمد بن محمد الطوسى الفيلسوف

محمد بن محمد بن الحسن، نصير[١] الدين، الطوسى، الفيلسوف ، صاحب علم الرياضى كان رأساً فى علم الأوائل ، لا سيا فى الأرصاد والمجسطى فإنه فاق الكبار، قرأ على المعين سالم بن بدران المعتزلى الرافضى وغيره ، وكان ذا حرمة وافرة ، ومنزلة عالية عند هُولاَكُو، وكان يطيعه فيا يشير به عليه والأموال فى تصريفه ، وابتنى بمراغة قبة ورَصَداً عظيما ، واتخذ فى ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء ، وملأها من الكتب التى نُهِبَتْ من بغداد والشأم والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على

---

(١) له ترجمـة فى شذرات الذهب ٣٣٩/٥ وقال « مات فى ذى الحجة ببغداد وقد نيف على الثمانين » فلا تكون ولادته فى سنة ٥٩٧ كما قال المؤلف ، وذكره الذهبي فى وفيات سنة ٦٧٢ ، وله ترجمة فى عيون التواريخ ، وفى عقد الجمان ، وفى الذيل على مرآة الزمان

أر بعمائة ألف مجلد ، وقرر بالرصَد المنجمين والفلاسفة ، وجعل له الأوقاف ، وكان حسن الصورة ، سَمْحاً كريماً جواداً حليماً ، حسن العشرة ، غزير الفضل .

حكى أنه لما أراد العمل للرصد رأى هولا كومايغرم عليه ، فقال له : هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فائدته ؟ أَيَدْفع ما قُدِّر أن يكون ؟ فقال : أنا أضرب لك مثلا : يأمر القان[1] مَنْ يطلع إلى هذا المكان ، ويرمى من أعلاه طشت نحاس كبير من غير أن يعلم به أحد ، ففعل ذلك ، فلما وقع كانت له وقعة عظيمة هائلة رَوَّعتْ كل من هناك ، وكاد بعضهم يصعق ، وأما هو وهولا كو فإنهما ما حصل لهما شىء لعلمهما بأن ذلك يقع ، فقال له : هذا العلم النجومى له هذه الفائدة ، يعلم المتحدث فيه ما يحدث فلا يحصل له من الرَّوْعَة ما يحصل للذاهل الغافل عنه ، فقال له : لا بأس بهذا ، وأمرهُ بالشروع فيه ، أو كما قيل .

ومن دهائه ما حُكى أنه حصل لهولا كو[2] غضب على علاء الدين الجوينى صاحب الديوان ، فأمر بقتله ، فجاء أخوه إلى النصير وذكر له ذلك ، فقال النصير : هذا القان إن أمر بأمر لا يمكن رده ، خصوصاً إذا برز إلى الخارج ، فقال له : لابد من الحيلة فى ذلك ، فتوجه إلى هولا كو وبيده عكاز وسُبْحة ثم اصطرلاب ، وخلفه مَنْ يحمل مبخرة وبخورا وناراً ، فرآه خاصة هولا كو الذين على باب المخيم ، فلما وصل أخذ يزيد فى البخور ويرفع الاصطرلاب ناظراً فيه ويَضَعُه ، فلما رأوه يفعل ذلك دخلوا على هولا كو وأعلموه ، ثم خرجوا إليه فقال لهم : القان[1] أين هو ؟ قالوا له : جوا ، قال : طيبٌ مُعَافَى موجود فى صحة ؟ قالوا : نعم ، فسجد شكراً لله تعالى ، ثم قال لهم : طيب فى نفسه ؟ قالوا : نعم ، وكرر ذلك مراراً وقال : أريد أن أرى وجهه

---

(١) القان : لقب من ألقاب ملوك التتار الذين منهم هولا كو

(٢) فى ب « أنه حصل له غضب » ولا يستقيم مع القصة

بعيني ، فدخلوا فأعلموه ، وكان فى وقت لايجتمع به أحد ، فقال : على به ، فلما دخل ورآه سجد وأطال السجود ، فقال له : ما خَبَرك ؟ قال : اقتضى الطالع فى هذا الوقت أن يكون على القان أمر فظيع عظيم إلى الغاية ، فقمت وعملت هذا ، وبَخَّرت بهذا البخور ودعوت بأدعية أعرفها أسأل الله تعالى صَرْفَ ذلك عن القان ، وينبغى الآن أن القان يكتب إلى سائر ممالكه بإطلاق مَنْ فى الاعتقال والعفو عمن له جناية لعل الله عز وجل يصرف هذا الحادث العظيم ، ولو لم أر وَجْه القان ما صَدَّقت ، فأمر فى تلك الساعة هولاكو بما قال ، وانطلق علاء الدين صاحبُ الديوان فى جملة الناس، ولم يذكره النصير الطوسى ، وهذا غاية فى الدهاء ، بلغ به مقصده ، ودفع عن الناس أذاهم .

ومما وقف له عليه أن ورَقَةً حضرت إليه من شخص من جملة ما فيها : يا كلب ابن الكلب ، فكان الجواب : أما قوله يا كذا فليس بصحيح ؛ لأن الكلب من ذوات الأربع ، وهو نابح طويل الأظفار ، وأما أنا فمنتصب القامة بادى البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك ، فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص ، وأطال فى نَقْضِ [1] كلّ ما قاله ، هكذا ردّ عليه بحسن طوية وتأنٍ غير منزعج ، ولم يقل فى الجواب كلمة قبيحة .

ومن تصانيفه: كتاب المتوسطات بين الهندسة والهيئة ، وهوجيد إلى الغاية ، ومقدّمة فى الهيئة ، واختصر المحصَّل للامام فخر الدين وهَذَّبه وزاد فيه ، وشرح الإشارات ، وردّ على الإمام فخرالدين فى شرحه ، وقال : هذا جَرْح وما هو شَرْح وقال فيه : إنى حررته فى عشرين سنة ، وناقض فخر الدين كثيراً ، ومن تصانيفه

---

(١) فى ب « والحال فى نقيض كل ماقاله »

التجريد فى المنطق ، وأوصاف الأشراف ، وقواعد العقائد ، والتخليص فى علم الكلام ، والعروض بالفارسية ، وشرح الهمزة لبطليموس ، وكتاب المجسطى ، وجامع الحساب فى التخت والتراب والكرة والاسطرلاب والمغطّيات[1] والمناظرات والمساطير والليل والنهار والكرة المتحركة والطلوع والغروب وتسطيح الكرة المطالع[2] وتربيع الدائرة والمخروطات والشكل المعروف بالقطاع والجواهر والاسطوانة والفرائض على مذهب أهل البيت ، وتعديل المعيار[3] فى بعض تنزيل الأفكار ، و بقاء النفس بعد بوَار البدن ، والجبر والمقابلة ، و إثبات العقل الفعال[4] ، وشرح مسأله العلم ، ورسالة الإمامة[5] ورسالة أبى نجم الدين الكاشى فى إثبات واجب الوجود ، والحواشى[6] على كليات القانون ، والزيج الأيلجانى[7] ، ورسالة ثلاثون فصلا فى معرفة التقويم ، وكتاب كرمان الأوس والثريا وتوسيوس ، وله شعر كثير بالفارسية .

وقال شمس الدين بن المؤيد العرضى : أخذ النصير العلم عن كمال الدين بن يونس الموصلى ومعين الدين سالم بن بدران المصرى المعتزلى ، وكان منجماً بعد أبيه وكان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يدخل يده فى الأموال ، واحتوى على عقله حتى إنه لا يركب ولا يسافر إلا فى وقت يأمره به ، ودخل عليه مرة ومعه كتاب مُصَوّر فى عمل الدرياق الفاروقى ، فقرأه عليه ، وعظمه عنده ، وذكر منافعه ، وقال: إنَّ كمال منفعته أن تسحق مفرداته فى هاون ذهب ، فأمر له بثلاثة آلاف دينار لعمل الهاون ، وولاه هولاكو جميع الأوقاف فى سائر بلاده ، وكان له فى كل بلد نائب يستغل الأوقاف ، ويأخذ عشرها ، ويحمل إليه ليصرفه فى جامكيات المقيمين بالرصد ، ولما يحتاج إليه من الأعمال بسبب الأرصاد ، وكان للمسلمين به نفع

---

(١) فى ب «والقطيات والظاهرات» (٢) فى ب «والطالع»
(٣) فى ب «وتعديل العيار» (٤) كلمة «الفعال» ليست فى ب
(٥) فى ب «ورسالة الأمانة» (٦) فى ب «والجوشى على كليات»
(٧) فى ب «والزيج والأيجانى»

خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم ، وكان يبرهم ، ويقضى أشغالهم ، ويحمى أوقافهم ، وكان مع هذا كله فيه تواضع وحسن ملتقى .

قال شمس الدين الحريرى : قال حسن بن أحمد الحكيم صاحبنا : سافرت إلى مَرَاغة وتفرّجت فى الرصد ومتوليه على بن[1] الخواجا نصير الدين الطوسى ، وكان شاباً فاضلا فى التنجيم والشعر بالفارسية ، وصادفت شمس الدين المؤيد العرضى وشمس الدين الشروانى والشيخ كمال الدين الأيكى وحسام الدين الشامى ، فرأيت فيه من آيات الرصد شيئاً كثيراً ، منها ذات الحلق وهى خمس دوائر متخَذَة[2] من نحاس : الأولى دائرة نصف النهار ، وهى مركوزة على الأرض ، ودائرة معدل النهار ، ودائرة منطقة البروج ، ودائرة العرض ، ودائرة الميل ، ورأيت الدائرة الشمسية التى يعرف بها سَمْتُ الكواكب ، وأخبرنى شمس الدين العرضى أن نصير الدين أخذ من هولاكو بسبب عمارة هذا الرصد ما لا يحصيه إلا الله تعالى ، خارجاً عن الجوامك والرواتب التى للحكماء والقَوَمَة[3] .

وقال نصير الدين فى الزيج الأيلجانى : إننى جمعت لبناء الرصد جماعةً من الحكماء : منهم المؤيد العرضى من دمشق ، والفخر المراغى[4] كان بالموصل ، والفخر الخلاطى الذى كان بتفليس[5] ، ونجم الدين القزوينى[6] ، وقد ابتدأنا فى بنائه فى سنة سبع وخمسين وستمائة بمراغة ، والأرصادُ التى بُنيَتْ [قبلُ وعليها كان الاعتماد دون غيرها هو رصد ابن جيس ، وله مذ بنى ألف وأربعمائة سنة ، و بعده][7] رصد بطليموس ، و بعده فى ملة الإسلام رصد المأمون ببغداد ، وله أربعمائة سنة وثلاثون سنة ، والرصد البيسانى[8] فى حدود الشام ، والرصد الحاكمى بمصر ،

---

(١) فى ب «على باب الخواجا — إلخ» (٢) فى ب «متحدة» تحريف

(٣) فى ب «للحكماء المقومة» (٤) فى ب «الفخر المرايني» تحريف

(٥) فى ب «يلقس» تحريف (٦) فى ث «والنجم دبيران القزوينى»

(٧) هذه الزيادة ليست فى ب (٨) فى ث «البينانى»

ورصد بنى الأعلم ببغداد وله مائتان وخمسون سنة ، وقال الأستاذون : إن أرصاد الكواكب لا تتم فى أقل من ثلاثين سنة ؛ لأن فيها يتم دوران[1] هذه السبعة ، فقال هولاكو : اجهد فى أن رصد هـذه السبعة يتم فى ثنتى عشرة سنة ، قلت : أجتهد فى ذلك .

وكان النصير قد قدم من مَرَاغة[2] إلى بغداد ومعه كثير من تلامذته وأصحابه ، فأقام بها مدّة أشهروصات ، وخلف من الأولاد : صَدْرَ الدين على ، والأصيل حسن ، والفخر أحمد ، وولى صدر الدين بعد أبيه غالبَ مناصبه ، فلما مات ولى بعده الأصيل حسن ، وقدم الشام مع غازان ، وحكم فى أوقاف الشام تلك الأيام ، وأخذ منها جملة ، ورجع مع غازان ، وولى نيابة بغداد فأساء السيرة ، فعُزِل وصُودر وأهين ، فمات غير حميد ، وأما الفخر أحمد فقتله غازان لكونه أكل أوقاف الروم وظلم .

ومولد النصير بطوس سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وتوفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وستمائة ببغداد ، وشيّعه صاحبُ الديوان والكبار ، وكانت جنازته حفلة ، ودفن فى مشهد الكاظم ، رحمه الله تعالى آمين !

(٣٧٠)

أبو طالب مؤيد الدين محمد بن محمد ابن العلقمى الوزير

محمد بن محمد[3] بن على ، أبو طالب ، الوزير مؤيد الدين بن العَلْقمى ، البغدادى ، الرافضى ، وزير المستعصم .

ولى الوزارة أربع عشرة سنة ، فأظهر الرَّفْضَ قليلا ، وكان وزيراً كافياً خبيراً بتدبير الملك ، ولم يزل ناصحاً لأصحابه وأستاذه حتى وقع بينه و بين الدوادار لأنه كان

---

(١) فى ث «تم دورة هذه السبعة» (٢) فى ف «قدم من مزارعه»

(٣) له ترجمة فى الفخرى ٣٨٨ أوربة ، وسماه « أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقمى ، وذكر وفاته فى سنة ٦٥٦ وترجمه فى شذرات الذهب ٢٧٢/٥ وذكر اسم أبيه ووفاته كما فى الفخرى

متغالياً فى السُّنة ، وعَضَّده ابنُ الخليفة ، فحصل عنده من الضغن ما أوجب سَعْيه فى دَمَار الإسلام وخراب بغداد على ماهو مشهور ؛ لأنه ضعف جانبه وقويت شوكة الدوادار بحاشية الخليفة حتى قال فى شعره من ذلك رحمه الله :

وزير له من بأسه وانتقامه ... بِطَىّ رقاع حشوها النظم النثر
كما تسجع الورقاء وهى حمامة ... وليس لها نَهْىٌ يُطاع ولا أمر

وأخذ يكاتب التتار إلى أنّ جَرّأ هولاكو وجره على أخذ بغداد ، وقرر مع هولاكو أموراً انعكست عليه ، ونَدِم حيث لاينفعه الندم ، وكان كثيراً ما يقول بعد ذلك * وجَرَى القضاء بعكس ماأملته * لأنه عُومِل بأنواع الهَوَان من أراذل التتار والمرتدة .

حتى أنه كان جالسا بالديوان ، فدخل عليه بعضُ التتار ممن ليس له وَجاهة راكباً فرسَه ، فسار إلى أن وقف بفرسه على بساط الوزير ، وخاطبه بما أراد ، وبال الفرس على البساط ، وأصاب الرشاشُ ثيابَ الوزير ، وهو صابر لهذا الهوان يُظْهِرُ قوة النفس وأنه بلغ مراده .

وقال له بعض أهل بغداد : يا مولانا أنت فعلْتَ هذا جميعه حَمِية وحميت الشيعة ، وقد قتل من الأشراف الفاطميين خلقا لا تحصى ، وارتكبت الفواحش مع نسائهم ، فقال : بعدأن قتل الدوادار ومن كان على رأيه لامبالاة بذلك[1] ، ولم تطل مدته حتى مات غما وغيظا فى أوائل سنة سبع وخمسين وستمائة .

بعث إليه المستعصم شدة أقلام ، فكتب إليه : قبل المملوك الأرض شكراً للإنعام عليه بأقلامٍ قَلَّمت أظفار الحِدْثان ، وقامت له فى حرْب الزمان مقامَ عَوالى

---

(١) فى ب « بعد أن قتل الدوادار قال رأيه لأستاذه بذلك » كلام لامعنى له

المُرّان ، وأجنته ثمار الأوطار [1] من أغصانها ، وحازت له قصبات المفاخر يوم رهانها [2] فيالله كم عقد زمام فى عقدها ، وكم بحر سعادة أصبح جاريا من مِدادها ومَددها ، وكم سنان خط استقام بمثقفاتها ، وكم صوارم فلّ مضاربها مطرّر مرهفاتها .

لم يبق لى أمل إلا وقد بلغت نفسى أقاصيه برّابى و إنعاما
لأفتحَنَّ بها والله يقدر لى مصانعا أعجزت من قبل بهراما [3]
تعطى الأقاليم من لم يبد مسألة له فلا عجب أن تعطى أقلاما

وكان قد طالع المستعصم فى شخص من أمراء الجبل يعرف بابن شرف شاه وقال فى آخر كلامه وهو مدبر فوَقّع [4] المستعصم له :

ولا تساعد أبداً مدبرا وكُن مع الله على المدبر

فكتب ابنُ العلقمى أبياتاً فى الجواب منها :

يا مالكا أرجو بحبى له نَيلَ المنى والفوْزَ فى المحشر
أرشدتنى لا زلت لى مرشداً وهاديا من رأيك الأنور
أبنت لى بيتا متى قلته عن شرف من بيتك الأطهر
فضلك فضل ماله منكر ليس لضوء الشمس من منكر
أن يجمع العالم فى واحد ليس على الله بمستنكر

اشتغل بالحِلّة على عميد الرؤساء [5] أيوب، وعاد إلى بغداد، وأقام عند خاله عضد الدين أبى نصر المبارك بن الضحاك ، وكان أستاذ الدار ، ولما قبض على مؤيد الدين القمى — وكان أستاذ الدار — فرضت الأستاذ دارية إلى شمس الدين بن الناقد ، ثم عزل وفرضت الأستاذ دارية إلى ابن العلقمى ، فلما توفى المستنصر بالله وولى الخليفة المستعصم وتوفى ابن الناقد وزر ابن العلقمى ، وكان قد سمع الحديث واشتغل على أبى البقاء

---

(١) فى ب « ثمار الأقطار »
(٢) فى ب « يوم رمانها » تحريف
(٣) فى ب « لى افتخار بها والله يقدر لى »
(٤) فى ب « فرفع »
(٥) فى ب « حميد الرؤساء »

العكبرى ، وحكى أنه لما كان يكاتب التتار تحيل إلى أن أخذ رجلا وحلق رأسه حلقاً بليغاً وكتب ما أراد عليه بالإبر ، ونفض عليه الكحل، وتركه[1] عنده إلى أن طلع شعره وغطّى ما كتب ، فجهزه وقال : إذا وصلت مُرْهُم بحَلْق رأسك ودَعْهم يقرؤن ما فيه ، وكان فى آخر الكلام «اقطعوا الورقة» فضُرِبت عنقه ، وهذا غاية فى المكر والخزى .

(٣٧١)

تاج الدين
محمد بن محمد
(ابن حنا)

محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم المصرى[2] ، الصاحب تاج الدين ، ابن الصاحب فخر الدين ، ابن الوزير بهاء الدين [بن حِنّا].

ولد سنة أربعين وستمائة ، وتوفى سنة سبع وسبعمائة ، وسمع من سبط السِّلَفى ومن الشرف المرسى ، وبدمشق من ابن عبد الدائم وابن أبى اليسر ، وانتهت إليه رياسة عصره بمصره ، وكان ذا تَصَوُّن وسؤدد ومكارم أخلاق وشكل حسن وبزة فاخرة إلى الغاية ، يتباهى فى المطاعم والملابس والمساكن ، ومع ذلك صدقاته كثيرة ، وتواضعه وافر ، ومحبته فى الفقراء والصلحاء زائدة ، وهو الذى اشترى الآثار النبوية ـ على ما قيل ـ بستين ألف درهم ، وجعلها فى مكانه بالمعشوق ، وهو المكان المنسوب إليه بالديار المصرية ، وهى قطعة من العَنَزة[3] ومزود ومخصف وملقط من فضة ، ورأى من العز والرياسة والوجاهة ومن السيادة مالارآه جدهُ . الصاحب بهاء الدين .

حكى الشيخ شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى أن الصاحب فخر الدين الخليلى لما لبس خلعة الوزارة توجّه من القلعة بالخِلْعة إلى دار الصاحب تاج الدين ، وجلس بين يديه ، وقبل يده ، فأراد أن يجبره ويعظم قدره ، فالتفت إلى بعض

---

(١) فى ب « ونزله عنده »
(٢) له ترجمة فى الدرر الكامنة ٢٠١/٤ وفى النجوم الزاهرة ٢٢٨/٨
(٣) العنزة : عصا كان النبى صلى الله عليه وسلم يغرزها أمامه إذا صلى ، ووقع فى ب « الصفوة ومدود ومخضر سلقط من فضة » تحريف قبيح

غلمانه ، وطلب منه توقيعاً يختص بذلك الشخص ، فأخذه وناوله لابن الخليلي وقال : مولانا يعلم على هـذا التوقيع ، فأخذه وقبله ووضعه على رأسـه وكتب عليه قدامه .

وكان فتح الدين بن سيد الناس إذا حكى هذه الحكاية يقول : وهذه الحركة من الصاحب تاج الدين بمنزلة الإجازة والإمضاء لوزارة ابن الخليلي .

ومن أحسن حركة اعتمدها[1] ما حكاه الشيخ صلاح الدين الصفدى حرسه الله تعالى فى تاريخه ، قال : حكى لى القاضى شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله تعالى قال : اجـتزت بتربته[2] ، فرأيت إلى جانبها مكتبا للايتام ، وهم يكتبون القرآن فى ألواحهم ، فإذا أرادوا مَسْحَها غسلوا الألواح وسكبوا ذلك على قبره ، فسألت عن ذلك ، فقيل لى : هذا شرط الواقف ، وهذا قصد حسن ، وعقيدة صحيحة .

وكان الصاحبُ بهاء الدين يؤثره على أولاده لصُلْبه ، ويُعَظِّمه ، وكتب له عليه حجة بمبلغ ستين ألف مثقال مصرية .

ومن وجاهته وعظمه فى النفوس أنه لما نـكب على يد الشجاعى جرّده من ثيابه وضرب به مقرعة[3] واحدة فوق قميصه ، ولم يَدَعْه الناس يصل إلى أكثر من ذلك ، مع جبروت الشجاعى وعتوّه وتمـكنه من السلطان .

وكان له شعر حسن ، فمن ذلك ما كتبه إلى السراج الوراق فى حمار سَقَطَ فى بئر فمات :

يفديك جَحْشُكَ إذ مضى متردّيا ... وبتالد يُفْدَى الأديب وطارفِ
عدم الشعير فلم يجده ولا رأى ... تبنا وراح من الظما كالتالفِ

(١) فى ب « حركة أخذها »
(٢) فى ب « أخبرت بتربة »
(٣) فى ب « بقرعة واحدة »

ورأى البويرة غير خاف ماؤها ... فرمى حشاشة نفسه لمخاوف
فهو الشهيد لكم بوافر فضلكم ... هٰذِى المكارم لاحمامة خاطف
قوم يموت حمارهم عطشا لقد ... أزروا بحاتم فى الزمان السالف

وأجابه الوراق بقصيدة على وزنها فى غاية الحسن ، أولها :

أدْنت ثمار قطوفها للقاطف ... وثنت بأنفاس النسيم معاطفى

ومنها فى ذكر الحمار :

ولكم بكيت عليه عند مرابع ... ومراتع رشت بدمعى الذارف
يمشى على عسرى ويسرى صابرا ... بمعازف تلهيه دون معالف
وقد استمر على القناعة يقتدى ... بى وهى فى ذا الوقت جلّ وظائفى
ودعاه للبئر الصدى فأجابه ... وأُعْتاقه صرف الحمام الآزف
وهو المدلّ بألفة طالت وما ... أنسى حقوق مراتعى ومآلفى
وموافقى فى كل ما حاولته ... فى الدهر غير موافقى ومخالفى
دوران ساقية لطاحون ونقل الماء فى شات ويوم صائفِ
لكن بماء البئر راح بنقلة ... قتلته شومات بموت جارف

وبعث الصاحب تاج الدين إلى السراج ، وقد ولد له وَلَدٌ صلَةً ، وثلثا حريريا ، وكتب مع ذلك أبياتاً خمسة أولها :

* بعثت بها وبالثلث الرفيع *

فأجابه الوراق بأبيات أولها :

سرت من جانب العز الرفيع ... إلى بطيب أنفاس الربيع
مصرعة كأنى اليوم منها ... ولجت على حبيب والصريع[1]
دعونا الخمسة الأبيات ستاً ... لسبع تلقت فوق الجميع

---

(١) فى ب « والحب على حبيب والصريع » تحريف قبيح ، وأراد بحبيب أباتمام حبيب بن أوس ، وأراد بالصريع مسلم بن الوليد ؛ فإنه كان يلقب «صريع الغوانى»

فدينا من هباتك مذهبات ... كأنّ بحوزكها قطع الربيـــع(١)
تزيد بلمس كفك حسن وَشْيٍ ... كحسن الروض بالغيث المريع
بهـــا أحييت للنفساء نفساً ... ولى معها وللطفـــل الرضيع
وقد سمنت كيسى بعد ضعف ... به التقت الضلوع مع الضلوع(٢)

وحكى أنه أضاف جده يوما ، ووسّع فى الضيافة ، فلما عاد جده إلى بيته أخذ الناس يتعجبون من همته وكرم نفسه ؛ فقال الصاحب بهاء الدين : ليس ماذكرتموه بعجيب ؛ لأن نفسه متسعة ، والعجيب العجيب كونه طول هذا النهار وما أحضره من المشروب والمأكول من الطعام والفاكهة والحلوى وغير ذلك على اختلاف الأنواع ما قام من مكانه ، ولا دعا خادما ، ولا أشار إليه بيده ولا طرْفه ، وقيل : إن الناس تعجبوا على كثرتهم من شربهم الماء المبرد فى كيزان عامّة نهارهم ، فسئل عن ذلك فيما بعد ، فقال : اشترينا خمسمائة كوز ، و بعثنا إلى الجيران قليلا قليلا برّدوا ذلك فى الباذهنجات التى لهم ، ولاشك أنه كان عالى الهمة ، ممجدا مُسوّدا (٣)

واعتكف فى مئذنة(٤) عرفات بجامع مصر ثلاثة أيام ، فكتب إليه السراج الورّاق

ثلاثة أيام قطعت لطولها ... ثلاث شديدات من السنوات
حجبن مُحيّاً الصاحب بن محمد ... ليجمع بين الحسن والحسنات
وما كاد قلبى أن يقر قراره ... لأنى بمصر وهو فى عرفات

وقال الحكيم شمس الدين بن دانيال يهجوه :

يحتاج ذا التـــاج من يُرَصّعه ... بدُرّة تحت دالها كسرة
فمن رأى عُنْقه الطويلَ ولا ... يزل فيـــه يموت بالحسرة

---

(١) فى ب « كأن محولها » تحريف (٢) فى ب « سمنت كبشى »
(٣) فى ب « أسود » (٤) فى ب « زمان عرفات »
(٥) فى ب « حجبن فجاء الصاحب » تحريف

(٣٧٢)

أبو طاهر محمد بن محمد ابن بنان الأنبارى الكاتب

محمد بن محمد بن بنان الأنبارى[1] ، أبو طاهر بن أبى الفضل ، الكاتب . من أهل مصر ، وأصله من الأنبار .

قرأ الأدب ، وسمع الحديث ، وكان شيخاً جليلا مَهيبا عالما أديباً كاملا بليغاً يكتب الخط الحسن ، ويقول الشعر الجيد ، ويترسل ، وفيه فاكهة ودماثة أخلاق .

قدم بغداد رسولا مع قافلة الحاج من مكة من جهة سيف الإسلام طغتكين أخى صلاح الدين من اليمن ، فأنزل بباب الأزج ، وأكرم مثواه ، وحدث بكتاب الصحاح فى اللغة للجوهرى ، وبالسيرة النبوية .

ولد سنة سبع وخمسمائة ، وتوفى بها سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ودفن بالقرافة

له كتاب تفسير القرآن المجيد ، وكتاب المنظوم والمنثور فى مجلدين ، ومن نظمه فى صاحب له توفى :

عجباً لى وقد مررت بآثا ... رك كيف اهتديت نَهْج الطريق

أتراني نسيت عهدك فيها ... صدقوا ما لميتٍ من صديق

وكتب الكثير بخطه المليح ، وتولى ديوان النظر فى الدولة المصرية ، وتنقلت به الخدم فى الأيام الصلاحية بتنيس وإسكندرية ، وكان القاضى الفاضل ممن يغشى أبوابه ويمدحه ، ويفتخر بالوصول إليه .

(٣٧٣)

محمد بن محمد بن عروس الكاتب

محمد بن محمد بن عروس ، الشيرازى ، الكاتب ، الشاعر ، نزيل سامَرّا .

له نظم ، وتوفى فى سنة ثمانين ومائتين .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٢٨/٤ ، وسماه « محمد بن محمد بن أبى الطاهر ابن محمد بن بيان ، الأنبارى » وقال « توفى فى ربيع الآخر من سنة ٥٩٦ وله تسع وثمانون سنة » وذكره الذهبى فى وفيات ٥٩٦ « محمد بن محمد بن بيان الأنبارى » وفى حسن المحاضرة للسيوطى « محمد بن محمد بن أبى الطاهر محمد بن بيان الأنبارى »

ومن شعره :

ولقد تأملت الحيا ة بُعَيْدَ فقدان التصابى

فإذا المصيبة بالحيا ة هى المصيبة بالشباب

وله أيضاً فى أبى العَيْنَاء رحمه الله تعالى :

طَرْفُ أبى العيناء معلول ودينه لاشك مدخول

وليس ذا علم بشىء ، ولا له إذا حصلت محصول

ما هو إلا جملة غَثَّة وليس للجملة تفصيل

قال محمد بن عروس : اجتمعت أنا وعلى بن الجهم فى سفينة ، ونحن غير متعارفين فتذاكرنا ، ووجدت له مذاكرة حلوة ، فكان فى بعض ما قاله : أنا أشعر الناس؟ قلت : بماذا ؟ قال : بقولى :

سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة وأدْنى فؤاداً من فؤاد معذب

فبتنا جميعاً لو تُرَاقُ زجاجة من الخمر فيما بيننا لم تسرب

فقلت : والله قد أحسنت ، ولكننى أشعر منك ، قال : بأى شىء ؟ قلت : بقولى :

لا والمنازل من نَجْد وليلتنا بفيد إذ جسدانا بيننا جسد[1]

كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه نوما فما انفك لاخدّ ولاعضد[2]

فقال : أحسنت ، ولكن بِمَ صرت أشعر منى ؟ قلت : لأنك منعت دخول جسد بين جسدين ، وأنا منعت دخول عَرَضٍ بين جسدين ، قال : مَنْ أنت ؟ قلت : أنا ابنُ عروس ، قلت : فمن أنت ؟ قال : أنا على بن الجهم .

---

(١) فيد ــ بفتح الفاء وسكون الياء ــ بليدة فى نصف طريق مكة من الكوفة

(٢) فى ب « يوما » فى مكان « نوما » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ث

(٣٧٤)

أبو الحسن محمد بن محمد البصروى

محمد بن محمد بن أحمد ، أبو الحسن البصروِى[١] ، وبصرى : قرية بدُجَيل دون عكبرة .

كان شاعراً فصيحاً مطبوعاً ، له نوادر : منها أنه قال رجلٌ : لقد شربتُ البارحةَ كثيراً ، فاحتجت للقيام للبَوْل كل ساعة كأنى جَدْى ، فقال : لم تصغر نفسك ياسيدى ؟

وتوفى ببغداد فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى !

ومن شعره :

ترى الدنيا وزهرتَها فتصبو	وما يخلو من الشبهات صبٌ[٢]
فضول العيش أكثرُه هموم	وأكثر ما يضرك ماتحبّ[٣]
فلا يَغررْكَ زُخْرُفُ ما تراه	وعيشٌ لين الأطراف رَطْبُ
إذا ما بُلْغة جاءتك عفواً	فخذها فالغنى مَرْعًى وشرب
إذا حَصَل القليلُ وفيه سِلْمٌ	فلا تُرِدِ الكثير وفيه حَرْبُ

وله غير ذلك ، رحمه الله !

(٣٧٥)

فخر الدين أبو الوليد محمد بن سعيد الشاطبى (ابن الجنان)

محمد بن سعيد بن هشام بن الجَنَّان[٤] — بتشديد النون — الشيخ فخر الدين أبو الوليد ، الشاطبى ، الحنفى .

ولد سنة خمسَ عشرة وستمائة ، بشاطبة ، وقدم الشام ، وصحب الصاحب

---

(١) له ترجمة قصيرة فى النجوم الزاهرة (٥/٥٢) وفى معجم البلدان (٢٠٩/٢)

(٢) كذا فى ث ، وفى ا والنجوم « وما يخلو من الشبهات قلب » وفى المعجم « وما يخلو من الشهوات قلب » .

(٣) فى ا المعجم والنجوم « أكثر هاهموم » .

(٤) له ترجمة فى نفح الطيب (٣٢١/١ بتحقيقنا)

كمال الدين العَدِيم وولدَه قاضى القضاة مجد الدين ، فاجتذباه ، ونقلاه من مذهب مالك إلى مذهب أبى حنيفة ، ودرّس بالإقبالية ، وكان أديباً فاضلا ، وشاعراً محسناً ، وكان يخالط الأكابر ، وفيه حُسْنُ عشرة ومُزَاح .

توفى سنة خمس وسبعين وستمائة .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى حرسه الله تعالى : أخبرنى الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس ، قال : أخبرنى والدى ، قال : كنا عند القاضى شمس الدين بن خلكان وهو ينوب فى الحكم بالقاهرة ، والشيخُ فخر الدين حاضر ، وهو إلى جانبى ، فأنشد :

عَرْفُ النسيم بعَرْفِكم يتعرَّفُ ... وأخو الغرام بحبكم يتشرف
شَرَفُ المتيم فى هواكُمْ أنه ... طَوْرًا يَنُوح وتارةً يتلهَّفُ
لطفت معانيه فهبَّ مع الصبا ... فرقيبه يهبو بِهِ لا يعرف
وإذا الرقيب درى به فلأنه ... أخفى لديه من النسيم وألطَفُ
ولأنه يغدو النسيم ديارهم ... وله على تلك الربوع توقفُ

فقال القاضى شمس الدين : يا شيخ فخر الدين لطفته لطفته إلى أن عاد لاشىء ، فالتفت وقال بلسانه : القاضى حمار ماله دوك شى [١] ، يعنى القاضى حمار ماله ذوق.

قال أبو حيان : أنشدنى فخر الدين بن الجنان :

أفنانىَ القبضُ عنى ... حتى تلاشى وجودى
وجاءنى البسط يُحْيِي ... روحى بفضل وجودى
فقلت للنفس شكرا ... كذاك بالنفس جودى [٢]
وقمت أشطح سكرا ... فغبت عن ذا الوجود

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

ذكر العُذَيْب فمال من سكر الهوى ... صبٌّ على صحف الغرام قد انطوى

---

(١) فى ا « القاضى عرس ماله دوق سى »

(٢) فى ا « لذاك بالنفس جودى »

يبكى على وادى العقيق بمثـله ويميل من طرب بمنعطف اللوى[١]
وجهت وجهى نحوهم فبوجههم لا أبتغى غَيْراً ولا أرجو سِوَى
وبمهجتى معبود حُسْنٍ منهـمُ فلذا على عرش القلوب قداستوى
أوحى إلى قلبى الذى أوحى له فعجبت كيف نَطَقْتُ فيه عن الهوى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

عليك من ذاك الحمى يا رسول تسرى علامات الرضا والقبول
جئتَ وفى عِطْفيك منهم شذًى يسـكر من خمر هواه العذول
يكفيك تشريفاً رسولَ الرضا أنك للعشاق فيهم رسـول
حللتُمُ قلبيَ وَهْوَ الذى يقول فى دين الهـوى بالحلول

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وأبيك لم تخفق حشاى ، وإنما طربا بأودية العقيق تصفق[٢]
بالله قولوا مَنْ أكون لديهـمُ حـتى أرى بهواهم أتعشق
نطق الغرام بحالهم لما رأى أن اللسان بحاله لا ينطق
لا يدعى فيـه الفؤاد خفوقه فوشاحُ من أهوى لعمرى أخفق

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ودَوْح بَدَتْ معجزات له تبين عليـه وتدعو إليه[٣]
جرى النهر حتى سق غصنه فمـال يقبل شـكرا يديه
وكف الصبى صبغت حليه فأضحى الحمام ينادى عليه
كساه الأصيل ثياب الضنى لخل طبيب الدياجى لديه

(١) بمثله : يريد بدمع أحمر مثل العقيق لونا
(٢) فى ا ، ث « بأدوية العقيق »
(٣) فى ا « وروح بدت » تحريف يظهر صوابه من بقية الأبيات ، وما أثبتناه موافق لما فى ث

وجاء النسيم له عائداً فقام له لائماً معطفيه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

خَبَرٌ بأنفاس النسيم مُعَطَّرُ وافى إلىّ فظلتُ منه أسكر

لله ما أحلى شمائله التى جاء النسيم بعَرْفها يتبختر[(١)]

وافى وما فى القوم مَنْ يدرى به إلا فتى فى حبه متنكر

تتلى أحاديث الغرام بقلبه ولسانُه عما به يستخبر

حتى إذا غَنَّى له الحادى بهم ومَرَى له من نَشْر ليلى العنبر

هز المعاطف ثم راح مولَّهاً نشوان فى ذيل الصبا يتعثر

متهتكا فى العاشقين كما ترى يبدى الذى يخفيه منه ويضمر

سلطان حبى فيك أرسل أدمعا أمست بأخبار الغرام تخبر

فقرأت منها فى صحيفة وَجْنَتى ما لا وعينك باللسان تعبر

نزلوا حديقة مقلتى ، أو ما ترى أغصان أهدابى بدمعى تزهر؟

لا أقفرَتْ تلك المنازل منهمُ أبدا ورَبْعُ الصبر منهم مُقْفِر[(٢)]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

يا رعى الله عيشنا بين روض حيث مال السرور فيه نميل

تحسب النهر عنده يتثنىّ وتخال الغصون فيه تسيل

وقال أيضاً رحمه الله :

أهَيْلَ الحى هل علم الفريقُ بأنى فيكُمُ صبّ مَشُوقُ

نعم علموا ، وذاك لأنّ دمعى غداة البين سال به الطريق

أتأتون الحجاز وما علمتم بأن القلب بينكم العتيق ؟

---

(١) العرف — بالفتح — الرائحة الطيبة .

(٢) أصل الربع المنزل مطلقا ، أو خاصا بما يسكنه القوم أيام الربيع ، ومقفر : خال لا أنيس به

وألفاظى العذيب وفى ضلوعى الـــحمى ودموع مقلتىَ العقيق

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لى حبيب عن حبه لاأحول ... إنّ شرح الغرام فيه يطول

قال لى عاذلى : تناسَ هواه ... قلت : أنسى يا عاذلى ما تقول

ولعمرى لقد نسيت فقل لى ... أنت فيه مساعد أم عَذُولُ ؟

لو ضللنا فى فترة من هواه ... لهدانا من مقلتيه رســـول

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

قم فاسقنيها وجيش الليـل منهزم ... والصبح أعـــلامه محمرة العذب

والسحب قد نثرت فى الروض لؤلؤها ... فضمها الشمس فى ثوب من الذهب

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

حديث ذاك الحمى رَوْحى وريحانى ... فكيف يصبر عن هذين جثمانى

فمن هواك لذاك الحسن راح به ... فى الحى كلُّ خَلِيِّ القلب يهوانى

ثم انْثَنَيْتُ وبى من سكره طربٌ ... أهزُّ عِطْفِى به تيهاً وأردانى [1]

وحقهم لو ملكت الكون أجمعه ... وهبته طمعاً فى وصل هجرانى

وقال أيضاً رحمه الله :

بروحى وقلبى روض مبسمه الذى ... أبان لنــا زهراً بأرض عقيقِ

وخاف بأن يسرى النسيم بعطره ... فأصبح يخفيـــه بسترِ شقيقِ

(٣٧٦)

سعد الدين محمد بن الشيخ محمد محيي الدين بن العربى

محمد بن محمد بن على بن العربى ، الطائى ، الحاتمى ، سعد الدين ، بن الشيخ محيى الدين بن العربى ، الأديب الشاعر [2] .

---

(١) سقط هذا البيت من ا ، وهو ثابت فى ث

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب (٥/٢٨٣) ذكر فيها البيتين اللذين يقولهما فى مليح رآه فى الزيادة بدمشق ، وما لا يخرج عما ذكره المؤلف هنا ، وله ترجمة فى نفح الطيب (٢/٣٦٩) فى أثناء ترجمة والده كما ترجم هناك لأخيه عماد الدين بن الشيخ الأكبر أيضا ، وقد روى صاحب النفح كثيرا من شعر سعد الدين هذا .

ولد بملطية فى رمضان سنة ثمان عشرة وستمائة ، سمع الحديث ، ودرَّس ، وكان شاعراً مجيداً ، وله ديوان مشهور .

وتوفى بدمشق سنة ست وثمانين وستمائة[١] ، ودفن عند قبر أبيه بسفح قاسيون فى تربة بنى الزكى .

ومن شعره فى مليح رآه بالزيادة بدمشق :

يا خليلىَّ ، فى الزيادة ظَبْىٌ سلبت مقلتاه جَفْنِى رُقَادَهْ

كيف أرجو السلوَّ عنه وطرفى ناظر حسن وجهه فى الزيادهْ

وقال رحمه الله فى مليح قاض :

ورُبَّ قاض لنا مليح يُعْرِب عن منطق لذيذ

إذا رمانا بسهم لحظ قلنا له دائم النفوذ

وقال رحمه الله فى مليح قواس :

قلت لقوَّاس له طلعة مَنْ رام عنها الصبر لم يقدر

يا من له وجه كبدر الدجى بكم تبيع القوس للمشترى

وله أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

لما تبدَّى عارضاه فى نَمَطْ قيل ظلام بضياء اختلط

وقيل نمل فوق عاج قد سقط وقال قوم إنها اللام فقط[٢]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

فاتر الطرف فاتك لدم الصب سافك

---

(١) الذى فى شذرات الذهب ونفح الطيب أن وفاته فى سنة ٦٥٦ ، وكانت وفاة والده الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن على بن عربى فى سنة ٦٣٨ وله ترجمة واسعة فى الشذرات (٥/ ١٩٠) وفى نفح الطيب (٢/ ٣٦٠ — ٣٨٤)

(٢) فى نفح الطيب ورد هذا البيت هكذا :

وقيل سطر الحسن فى خديه خط وقيل نمل فوق عاج انبسط

هاجر لى مواصل آخذ لى وتارك
وعلى كل حالة فهو مولًى ومالك
قد أرانى الدجى ضُحًى وجهه وهو ضاحك(١)
يا سليما من الأسى أنا والله هالك
لىَ حال كمثل شَعْرك يا بدر حالك
كم صبا فيك عابد ولكم ضلّ ناسكُ
لك والله منظر قلّ فيه المشارك
إن يوماً أراك فيه ليوم مبارك

وقال أيضاً رحمه الله :

أسْباك نرجسُ مقلتيه المضعف يا للهوى غلب القوىَّ الأضعفُ
فتكَتْ بقلبك مرهَفاتُ جفونه سله عَلَى مَ عليه سُلّ المرهف
ويروقنى الورد الجنى بخدّه وَاهاً له لو كان مما يُقْطَفُ
إن سامنى فيه الهوانَ فإننى أبدا بعشق جماله أتشرف
يثنيه عن وصلى العفافُ ، وطرفه أبدا يُريق دمى ولا يتعفف
أمعنى قسما بمن قَسم الهوى وقضى بأنك فى الغرام تعنف
ما أبصرت عيناك أحسن منظر من وجهه لو كنت ممن ينصف
قال الحبيب وقد رآنى مُبْديا فرطَ التأسف لو أفاد تأسف
مالى أراك لفرط حبك حاكياً يعقوبَ ؟ قلت له : لأنك يوسف(٢)

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أنا بالأحبة لا أزال مولَّهاً إن لم أكن أنا للصبابة مَنْ لَهَا

---

(١) فى ا « قد أتانى الدجى ضحى »
(٢) يعقوب عليه السلام مضرب المثل فى الحزن ، ويوسف ابنه مضرب المثل فى الجمال

جاء البشير بهم فلولا أننى　　عبد لهم لبذلت نفسى كُلَّها
شرفت بهم منا القلوب ، وإنما　　شرف المنازل بالذى قد حَلّها
آهٍ على أيامنـــا بطُوَيلع　　ما كان أطيبها لنا وأجَلَّها
لاحت منازلهم بأعلى المنحنى　　قف بى لألثم حَزْنَهُنَّ وسهلها
ياسادة ملـكوا النفوس لأنهم　　كانوا أحق بها ، وكانوا أهلها

وقال أيضاً رحمه الله فى مليح يسمى بابن الفويرة[1]

زعموا بأن المسك فارته أغتدت　　تجنى من الظبى الغرير وتجلب
نسبوا الفويرة للغزال، وما دروا　　أن الغزال إلى الفويرة ينسب

وقال رحمه الله أيضاً فى مليح سمين :

وقالوا : من كلفت به سمين　　وذلك لايخفُّ على القلوب
فقلت لهم : نحول الجسم وصف المحب وليس من وصف الحبيب

وقال أيضاً رحمه الله فى مليح ضعيف :

قيل لى جسم من تحب نحيل　　وهو مما يشينه فاسْلُ عَنْهُ
قلت: ماذاك من سقام ولـكن　　خفَّة الروح أغدَتِ الجسمَ منه

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ألا ياسائلى عن شرح حالى　　سؤال المشفق البر الرحيم
فأما الجسم فهو كما تراه　　سقيم مثل ناظرك السقيم
وأمّا حال قلبى ياحبيبى　　فلا تسأل عَنَ أصحاب الجحيم

وقال أيضا رحمه الله تعالى دو بيت :

قد طارحنى الحديث فى ناديه　　بدر حسن جميع ما يبديه

---

(١) فى ا « يسمى بابن الفويرة » تحريف يعرف صوابه من البيتين

يا مهدى درّ لفظه من فيه　　شرفت مسامعى فإيه إيه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

ياللهوى مالىَ من راحم　　يأخذ حقى منك يا ظالمى
لو لم تكن فى مهجتى حاكما　　ماغبت عنى غيبة الحاكمى

وقال أيضاً سامحه الله تعالى دو بيت :

صبرت فؤادى عنهم إذ جاروا　　فى الحب وأربابُ الهوى أطوار
نادونى كم تظهر عنا جلدا　　فى قلبك غيرنا ؟ فقلت : النار

قال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

أليلة وَصْلٍ كنتِ أم ليلة القدر　　سقى عهدكِ الماضى سلاف من الخمر
لئن كان ذاك العهد وَلَّى ولم يَدُمْ　　فإنى له إنى له دائم الذكر
أ آمل أن الدهر يسخو بردِّهِ　　فوا أسفا ما ذاك من شيم الدهر
وبى رشأ أهوى رشاقةَ قده　　إذا ما انثنى ياخجلة الغُصُن النَّضِرِ
أيا صَنَمَ الحسْنِ الذى فتن الورى　　وبرهان قولى أن قلبك من صخر
سسبانى ثغر منك كالدر نظمه　　ويا من رأى درًّا يُشَبَّه بالبدر
أشاهد ريقاً منه كالشهد طعمه　　وما ذقته يوماً ولكننى أدرى

(٣٧٧)

نور الدين محمد بن محمد الإسعردى الشاعر

محمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الصمد بن رستم ، الإسعردى ، نور الدين ، الشاعر[١] .

ولد سنة تسع عشرة وستمائة ، وتوفى سنة ست وخمسين وستمائة .

كان من كبار شعراء الملك الناصر ، وله به اختصاص ، وله ديوان شعر ،

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب (٥/٢٨٤)

وغلب عليه المجون ، وأفرد هزلياته[1] من شعره وجمعها وسماها « سُلافَة الزرجون ، فى الخلاعة والمجون » وضم إليها أشياء من نظم غيره ، وكان ماجناً خليعاً ، يجلس تحت الساعات[2] .

حضر ليلة عند الملك الناصر فى مجلس أنس ، فخلع عليه قَباء وعمامة وطوق ذهب ، فأتى بهما من الغد وجلس تحت الساعات[2] .

ومن شعره :

ولقد بليت بشادن إن لمته فى قبح ما يأتيه ليس بنافع
متبذل فى خسة وجهالة ومجاعة كشهود باب الجامع

وحضر ليلة عند الناصر فى مجلس أنس ، وكان فيه شرف الدين بن الشيرجى ، وكان ألحى ، فقام ابن الشيرجى فقضى[3] شغله ، وعاد ، فأشار إليه السلطان بصفع النور الإسعردى ، فصفعه ، فلما فعل نزلت ذَقَنُه على كتف النور ، فقبض عليها ، وأنشد فى الحال :

قد صفعنا فى ذا المحل الشريف وَهْوَ إن كنت ترتضى تشريفى
فارثِ للعبد من مصيف صفاع يا ربيع الندى وإلاَّ خرى فى

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : ما أحسن ما أتى بياء المنادى هنا لترشيح التورية بين الربيع والخريف وقوله « وإلاَّ خرى فى » من أحسن التورية بقرينة إمساكه ذقن ابن الشيرجى ، وقد ظرف غاية .

وأضرَّ قبل موته فقال :

قد كنت من قَبلُ فى أمن وفى دَعَة طرفى يرود لقلبى روضة الأدب
حتى تَلَقَّبْتُ نور الدين فانعمشت عينى ، وحوّل ذاك النور للقلب

---

(١) فى ا « وأفرد لبابة من شعره »
(٢) فى ا «والسامات» فى الموضعين ، تحريف ، والقصة على الصواب فى الشذرات
(٣) فى « فصار إلى شغله »

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

سألت الله يختم لى بخير   فعجل لى، ولكن فى عيونى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا سائلى لما رأى حالتى   والطرف منى ليس بالمبصر
لست أحاشيك ، ولكننى   سمحت بالعينين للأعور[1]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

قلت إذ راح ناعسائم أبدى   ضرطة آذنَتْ لشملى بجَمْعِ
فاتنى أن أرى الديار بطرفى   فلعلى أرى الديار بسمعى

وقال مضمناً قول المتنبى رحمه الله :

سبانىَ معسولُ المراشف عاسل الـمعاطف مَصْقُول السوالف مائد
يروم على أردافِهِ الخصر مسعداً   (إذا عظم المطلوب قَلَّ المساعد)

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

قلت يوماً للصدر هل تثبت البـعث وتنفى إنكارهم للحشر
قال أثبتُه قلت ذقنك فى استى   قال أنفى فقلت فى وسط حجرى

وقال أيضاً يفضل حشيش الفقراء رحمه الله :

لك الخير لا تسمع كلام المفند   ودونك فى فتياك غير مقلد[2]
سألت عن الخضراء والخمر فاستمع   مقالة ذى رأى مصيب مسدَّد
وحقك ما بالخمر بعض صفاتها   أتشرب جهراً فى رباط ومسجد؟
عليك بها خضراء غير مبالغ   بأبيض وَرْقٍ أو بأحمر عسجد
ولكن على رغم المدام هدية   تنزه عن بيع بغير التزهد

---

(١) فى ا « لست أكافيك »

(٢) المفند : اسم الفاعل من التفنيد ، وهو التكذيب ، ومعناه نسبة المحدث إلى الكذب

رياضية يحكى الجنان اخضرارها ... وخمرهم كالمـــارج المتوقد[1]
مدامهمُ ينسى المعانى، وهـــذه ... تذكر أسرار الجمال المـــوحد
هى السر ترقى الروح فيها إلى ذرى المـــعالم فى معراج فهـــم مجرد
بل الروح حقاً لا يحلُّ بربعها ... هموم ولا يحظى بها غير مهتدى
ولا داسها العصّار عمداً ودنس الـــدِّنان بمختوم من القار أســود
ولا تتعب الأبدان عند نزالها ... وفى القىء إذ تبدو كزق ممدد[2]
ولا تستخف الناسُ عقلك بينهم ... لعمرى ولا تدعى لديهم بمفسد
وفى طرَف المنديل يوماً وعاؤها ... و يعتاض عن حمل الزجاجة باليد
وتخلص من إثم وحدّ ، ولا ترى ... ذليلا ، وتنجو من نديم معربد
وتشربها فى العسر واليسر دائماً ... ولا تتقى فيها ليالى التعبد
وتأمن كبسات الحماة وكيدهم ... وتسلم من جور الولاة ولا تدى
وتغدو ذكيًا فاضلا ذا نباهة ... ظريفًا ولا يغشاك فَرْطُ تبلد
وتصبح عند الناس غير مبغض ... وتمنح من كل بحسن التوَدّد[3]
و إن ذاقها المعشوق وافاك خلسة ... من الحاسد الواشى على غير موعد
ومن فضلها فى الطب جودة هضمها ... وهيهات يحصى فضلها المتعدّد[4]
ولا سـيما إن كان فيها منادمى ... غزال كغصن البانة المتأوّد
ينادم بالشِّعر اللطيف وتارة ... يغنى فيزرى بالحمام المغرد
يغازلنى سراً بعينَىْ غزالة ... ويبسم عن ثغر كدرّ منضد
فلا تستمع فيهـــا مقالة عاذل ... يصدُّك عنها واعْصِ كل مفند

---

(١) المارج : الشعلة من النار

(٢) فى ا « عند زوالها » وما أثبتناه موافق لما فى ث

(٣) فى ا « بحسن التردد » تحريف ما أثبتناه موافقا لمافى ث ... (٤) كذا

وقال أيضاً يفضل الخمر على الحشيش رحمه الله :

فَدَيْتُكَ نورُ الحق قد لاح فاهْتَدِي — نديمى ، وكن فى اللهو غيرَ مقلِّدِ
أترضى بأن تمسى شبيهَ بهيمةٍ — بأكل حشيش يابس غير أرغد
فدع رأى قوم كالدواب ولا تُدِرْ — سوى درة كالكوكب المتوقد
مدام إذا مالاح للركب نورها — وقد ضل ليلا عاد بالنور يهتدى
حشيشتهم تكسو المهيب مهانة — فتلقاهُ مثل القاتل المتعمد[1]
وتبدو على خَدَّيه مثل اخضرارها — فيضحى بوجه مظلم اللون أربد
وتفسد من ذهن النديم خياله — فينظر مبيض الصباح كأسود
وخمرتنا تكسو الذليل مهابة — وعزًّا فتلقى دونه كل سيد
وتجلى فتجلو همَّ كل منادم — ويروى بها من شربها قلبه الصَّدِى[2]
وتبدو فيبدو سرّه وتسرُّه — فيشبهها لونا بخدّ مورّد
وفيها على رغم الحشيش منافع — فقلْ فى معانيها وصفها وعدّد
وفى غيرها للناس كل مضرة — فحدّث بكل السوء عن وصفها الردى
وحقك ما ذاق الحشيش خليفة — ولا ملك فاق الأنام بسؤدد
ولا جدّ فى وصف لها قط شاعر — بتنميق ألفاظ كألحان معبد
ولم تُضرب الأوتار فى مجلسٍ لها — وما ذاك إلا للشراب المورّد
أتخضب من غير المدامة راحة — إذا ما بدت فى الكأس تجلى على اليد
بها ينثنى المعشوق نشوان مائلا — بقدّ كغصن البانة المتأوّد
يعاطيك راحا مثلها فى رضابه — ومبسمه مثل الحباب المنضد
وينعم بالوصل الذى كان باخلا — به ثم ينسى كل ما كان فى الغد
أعن مثلها يا صاح يصبر عاقل — لقد كنت فى تركى لها غير مهتدى

---

(١) فى ا ، ث «تكسى»

(٢) وفيهما «فتجلى»

ولولا فضول الناس ما بت صاحيا ولم أستمع فيهـــا مقال المفند
فخــذها ولا تسمع مقالة لائم وإن حرمت يوماً على دين أحمد

تأمل هاتين القصيدتين وكيف ناقض بينهما ؟ وبهذا يعرف حذق الشاعر ؛ فإنه يمدح الشيء ويذم ضده ، ثم يعكس فيميل الطباع إلى ما مدح ، ويصرفها عن ما ذم ، من غير أن يغير حقيقة هذا ولا هذا .

وقال أيضاً :

أيا حبـذا دَوْحٌ حللنا ظلاله فطاب لنا فيه مَقِيل ومسرح
سرينا إليه خِلسة كنسيمه وعدنا كأغصان به تترنح

وقال وهو ببستان البهاء بن سيدة :

ألا يا بهاء الدين ليس بنادم نديمك بل تسدى إليه المكارم
خربنا وبُلْنَا إذ سكرنا بنهركم (ووجهك وضاح وثغرك باسم)

وقال رحمه الله فى أحول لائط :

يا ظريفاً يكاد يقطر من عطـــفيه ماء اللواط فى كل واد
عش هنيئا فإن عينيك يغنى حَوَلٌ فيهما عن القواد

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ولى صـــاحب قال نلت المنى بمن هو دون الورى مُنْيَتِى
فقلت أتى زائراً قال لا ولـكن جـــلدت ولى نيتى

(٣٧٨)

شهاب الدين محمد بن محمد ابن محمود بن مرداش

محمد بن محمد بن محمود بن مرداش [١] ، شهاب الدين بن عبد الله .

كان فى أول أمره جنديًا ، وخدم بحماة ، وصحب صاحبها الملك المنصور ، ثم أبطل

---

(١) له ترجمة قصيرة فى الدرر الكامنة (٢٣٨/٤) وفيها « محمد بن محمد بن محمود بن مكى بن دمرداش » وفيها أنه قال الشعر الرائق حتى لقب « البحترى » وأنه ولد سنة ٦٣٨ وتوفى فى سنة ٧٢٣

ذلك ، ولبس زىّ العُدول[1] ، وجلس فى مركز الرواحية بدمشق، و بها ولد وتوفى

ومن شعره :

أقول لمسواك الحبيب لكَ الهنا ... برشف فَمٍ ما ناله ثغر عاشق

فقال وفى أحشائه حرقة الجوى ... مقالة صبّ للديار مفارق

تذكرت أوطانى فقلبى كما ترى ... أعلله بين العُذَيب و بارق

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمه الله تعالى : ما أحلى قول محيى الدين ابن قرناص :

سألتك يا عُودَ الأراكة إن تعد ... إلى ثغر مَنْ أهوى فقبله مشفقا

ورِدْ من ثَنِيَّات العذيب مُنَهِلاً ... تسلسل ما بين الأبيرق والنقا

ولابن مرداش[2] رحمه الله تعالى وعفا عنه :

ولما التقينا بعدَ بعدٍ وفى الحشا ... لواعج شوق فى الفؤاد تحتّم

أراد اختبارى بالحديث فما رأى ... سوى نظر فيه الجوى يتكلم

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ومهفهف الأعطاف مَعْسُول اللمى ... كالغصن يعطفه النسيم إذا سرى

قال اسقنى فأتيته بزجاجة ... مُلِئت قراحا وهو لَاهٍ لا يرى

وتأرّجت برُضابه وأمدّها ... من نار وجنته شعاعاً أحمرا

ثم انثنى ثَمِلاً وقد أسكرته ... برضابه وبوجنتيه وما درى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

قال لى ساحر اللواحظ : صف لى ... هَيَفِى قلت : يا رشيق القوام[3]

---

(١) العدول : جمع عدل ، وهم جماعة من أعوان القاضى ، كانوا يزكون الشهود ويوثقون الوثائق طبق الشروط الشرعية

(٢) كذا فى ا ، ث ، والذى فى الدرر «ابن دمرداش»

(٣) الهيف ـ بالتحريك ـ الرقة والنحول

لك قدٌّ لولا جوارح جفنيـــك لغنت عليـه وُرْقُ الحمـامِ[1]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

حتَّام لا تصل المدام وقد أتت   لك فى النسيم من الحبيب وُعُودُ
والنهر من طَرَب يصفق فرحة   والغصن يرقص والرياض تَميدُ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

قد صنت سِرَّ هواكم ضَناً به   إنَّ المتيم بالهـــوى لَضَنِينُ
فوشت به عينى ولم أكُ عالمـــاً   من قبلها أن الوشاة عيون

ومن شعر ابن مرداش[2] رحمه الله تعالى :

لقد لذ لى من بعد طول تنسكى   غرامى بمعسول اللَّمى وتهتكى
وأصليت قلبى فى جحيم صدوده   وإن كان فى توحيده غير مشركُ
ولم أنس إذ ودَّعْتُهُ وحشاشتى   تقابل جيش الشوق فى كل معرك
فلو يسمع الشـكوى حسـود لَرَاعه
غريبُ الهوى من حيث أشكى ويشتكى
ولما سَرَت من نحوه نَسْمة الصبا   يفوح شذاها كالعبير المُمَسَّكِ
علمت يقيناً أن نار ذكائه   أعادت نسيم الريح من عرفها الذكى

وقال أيضاً رحمه الله فى خياط :

رأيت فى السوق خَيَّاطاً محاسنه   تزهو على البدر إذ يبدو من الأفق
إن قرض الخيط فى فيـه وألصقه   إلى ثنايا كنظم الدرّ فى النَّسَقِ
تـكسوه نوراً ثناياه فتحسبه   على المراشف خيط الصبح فى الشفق

---

(١) يريد أن قوامه يشبه الغصن تمام الشبه ، وفى قوله «جوارح جفنيك» تورية
(٢) فى الدرر «ابن دمرداش»

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أراهُ بعيداً وهو من نفَسى أدنى ... إلىّ ، وألقاه إذا غاب بالمعنى

وتشتاقه شوقَ الرياض إلى الحيا ... عيونى و إن أضحى فؤادى له مغنى [١]

تَشَرَّد نومى إذ جفانى لأجله ... وسال من الصبر إلى المقلة الوسْنى [٢]

وكيف يُلام القوم فى عشق مقلة ... لواحظها تلقاك بالحسن والحسنى

يلوم عليه الحاسدون و بيننا ... من الودّ ما يفنى الزمان وما يفنى

إذا ما قطعت العمر فى ظل عشقه ... فلله ما أحلاه عيشاً وما أهنى

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

قسما بظبى ليس فيه نفور ... إنى بعشق عذاره معذور

قمر يميس به كما شاء الصبا ... غصن يسرّ الناظرين نضير

يرنو إلىّ بناظر فيه الرضا ... فيغور فى قلبى الجوى و يغير

وتزيدنى ألطافه شغفاً به ... وقليل إحسان الحبيب كثير

و إذا أتانى زائراً وافى وفى ... ديباجتيه نضرة وسرور

لا يعتريه تكلف أنّى سرى ... سرّا ولا يذروه حين يزور

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

ولرب ليل سِرْتُ فيه والدجى ... يدعى لفرط ظلامه بالكافر

طَوْراً أضل عن الطريق وأهتدى ... طوراً بنجم من هلال الحافر

وقال أيضاً سامحه الله تعالى دو بيت :

أخفيت هواك عن جميع البشر ... ضَنًّا بحديث سرك المستترِ

فانصان وكاد يخفى يا قمرى ... عن فرط ذكا مثلك لولا نظرى

---

(١) المغنى : اسم مكان من «غنى بالمكان يغنى — مثل رضى يرضى» إذا أقام .

(٢) هكذا وقع عجز هذا البيت ؛ ولا يتجه عندى .

وله أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

كلما زادنى اللَّوَاحى ملاما ... فى هوى من أحب قلت سلاما[1]

أنا من معشر إذا استمعوا العذ ... ل تجافَوْا عنـــه ومرّوا كراما

لى سمـــع للمنطق العذب إلا ... أنه لا يعى ســـواه كلاما

يصبح العاذلون فى الهرج والمر ... ج وقلبى لا يستفيق غـــراما

وجفـــانى الذى أحِبّ وأجفا ... نى يبيتون سجـــداً وقياما

وقال أيضاً :

طرب الدوح من غناء الحمام ... وتثنى سكراً بغـــير مدام[2]

وسقته سحب الغوادى فأضحى ... باسمَ النَّور من بكاء الغمام

باسماً فى كمامه وابتســـام الـــعجب يخفى للحسن فى الأكمام

كيف لا يزدهيه عجب وقد أصـــبح يحكيك يا رشيق القوام

يا حمام الأراكِ لا تعرب اللحـــن فحسبى مافيك من إعجام

لا تَبُـــحْ بالذى تُجِنّ فتلقى ... ما ألاقى من كثرة اللـــوّام

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ولقد قطعت العيش فى زمن الصبا ... قطع امرئ عن غيه لا يرجع

أيام ألقى الحادثات بمثلهـــا ... بأساً وأنف الخطب عنى أجدع

والآن قد ولّى الشباب وأقبل الـــشيب الملـــمّ وخطبه لا يدفع

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

تقضت شهور بالبعاد وأحـــوال ... جرت بعدكم فيها أمور وأحوال

فإن يَسَّر الله التـــلاق ذكرتها ... وإلاَّ فلى فى هذه الأرض أمثال

---

(١) اللواحى : جمع لاحية ، وهى اللائمة .

(٢) أخذ هذا من قول ابن المعتز :

روضة من قرقف أنهارها ... وغناء الورق فيها فى ارتفاع

لاتلم أغصانها إن رقصت ... فهى ما بين شراب وسماع

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا قمري إن جزت وادى الأراك ... وقبّلتْ أغصــانه الخضرُ فاك

أرسل إلى عبــدك من بعضها ... فإننى والله مالى ســواك[1]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

روى دمعُ عينى عن غرامى فأشكلا ... ولـكنه روّى الحديث فأشكلا

وأسنــده عن واقدىّ أضالعى ... فأضحى صحيحاً بالغـرام معللا[2]

وله أيضاً سامحه الله تعالى وعفا عنه :

وافى النســيم وقد تحمل منكم ... لطفاً يقصر فهمه عن علمــه

وشكا السقام وما درى ماقدجرى ... وأنا أحق من الرســول بسقمه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

إن طال ليلى بعدكم فلطوله ... عذر وذاك لما أقاسى منكم

لم تسْرِ فيــه نجومه لـكنها ... وقفت لتسمع ما أحدث عنكم

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

عجباً لمشغوف يحدّث عنكم ... ماذا يقول وما عساهُ يمدح

والـكون إما صامت فمعظم ... حرماتكم أو ناطق فمسبح

وقال أيضا سامحه الله تعالى وعفا عنه :

من لأسير أمست أنيسته ... فى الدوح عن حاله تسائله

فهو يغنى مبدى الحزن لها ... وهى بأوراقها تراســله

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

حتى إذا رق جلباب الدجى وسرت ... من تحت أذياله مسكيـة النفَسِ

---

(١) فى قوله « مالى سواك » تورية لابأس بها ، وهى واضحة .

(٢) فى قوله « واقدى أضالعى » تورية ، فالواقدى أحد الرواة ، وقصده المتقد الملتهب من ضلوعه بسبب حرقة الهوى .

تبسم الصبح إعجابا بخلوتنا ووصلنا الطاهر الخالى من الدنَسِ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

جيادك يا من طبَّقَ الأرض عدلُه وحاز بأعلى الجد أعلى المناصب

إذا سابَقتْهَا فى المهبَّة غرة رياحُ الصبا عادت لها كالجنائب [1]

ولو لم يكن فى ظهرها كعبة المنى لماشبهت آثارها بالمَحَارب

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

يا سيدى أوحَشْتَ قوما مالهم عن حسن منظرك الجميل بديل

وتعلاتْ شمسُ النهار فما لها من بعد بعدك بكرة وأصيل

وبكى السحاب مساعدا لتفجعى من طول هجرك والنسيم عليل

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

بى من أمير تشكى وهو يذيب الجوانح

لما حكى الظبي حسناً حنت إليه الجوارح

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أنظر إلى الأزهار تلق رؤوسها شابت وطفل ثمارها ما أدركا

وعبيرها قد ضاع من أكمامها وغدا بأذيال الصبا متمسكا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ولما أشارت بالبنان وودَّعت وقد أظهرتْ للكاشحين تشهدا

طفقنا نبوس الأرض نُوهِمُ أننا نصلى الضحى خوفا عليها من العدا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ما أبطأت أخبار من أحببته عن مسمعى بقدومه ورجوعه

---

(١) فى قوله «الجنائب» تورية ، وذلك أنها تحتمل أن تكون جمع «جنوب» وهى ريح تهب عكس ريح الصبا ، وعليه يكون المعنى أنها صارت متأخرة عن جياد الممدوح تأخراً فاحشا ، كما تحتمل أن تكون جمع « جنيب » وهو من الخيل ما يجنب إلى الفرس الذى يركبه الفارس ، ويكون المعنى أنها تساويها .

إلا جـرى قلبى إليه خافقاً   وشكا إليه تشـوّق بدموعه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

يقولون شبهت الغـزال بأهيف   وهذا دليل فى المحبـة واضح

ولو لم يكن لحظ الغزال كلحظه أحـوراً   لما تاقت إليه الجوارح

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يقول لىَ الدولاب راض حبيبك الـمملول بما يهوى من الخير والنفع

فإنىَ من عُـودٍ خلقت وها أنا   إذا مال عنى الغصن أسقيه من دمعى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى دو بيت :

الصبّ بك المتعوب والمعتوب   والقلب بك المسلوب والملسوب

يا من طلبت لحاظُه سفك دمى   مهلا ضعف الطالب والمطلوب

قيل : إن الشيخ صدر الدين بن الوكيل كان يقول : وددت لو أخذ شعرى كله وأعطانى هذين البيتين .

وله غير ذلك ، وكل شعره مليح ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !

(٣٧٩)

محمد بن أحمد (ابن الحداد) الأندلسى القيسى الشاعر

محمد بن أحمد بن عثمان ، أبو عبدالله ، القيسى ، الأندلسى ، ابن الحدّاد ، الشاعر[١]. له ديوان شعر كبير ، وكتاب فى العروض ، اختص بالمعتصم بن صُمَادح .

وتوفى سنة ثمانين وأربعمائة .

ومن شعره قولُه من قصيدة :

بعيشكما ذاتَ اليمينِ فإنـنى   أراح بشم الروح من عقـداتها[٢]

فقد عبقت ريح النعامى كأنمـا   سـلام سليمى فاح من نفحاتها[٣]

---

(١) له ترجمة فى الإحاطة للسان الدين بن الخطيب (٢/ ٢٥٠ — ٢٥٦) عن ابن بسام ، وله ترجمة فى الذخيرة لابن بسام (١ / ٢ / ٢٠١) .

(٢) فى الذخيرة « اراح لشم الروح » . (٣) وفيها « راح فى نفحاتها » .

وتيماء للقلب المتيم منـــزل ... فعوجا بتسليم على سَلَمَاتهـــا
مشاعر تهيامٍ وكعبة فتنةٍ ... فؤادىَ من حجاجها ودعاتها
فكم صالحتنى من مِناها يد المنى ... وكم هب عَرْفُ اللهو فى عرفاتها[1]
عهدت بها أصنام حسن عهدتنى ... هَوَى عبدَ عُزَّاها وعبد مَنَاتها[2]
أهِـــلُّ بأشواق إليها وأتَّقِى ... شرائعها فى الحب حقّ تُقَاتها

وله أيضا رحمه الله تعالى وعفا عنه :

هم فى ضميرك خيموا أم قوّضوا ... ومنى جفونك أقبلوا أم أعرضوا
وهم رضاك من الزمان وأهله ... سخطوا كما زعمت وُشَاتُك أم رضوا
أهواهُمُ وإن استمرّ قِلاهُمُ ... ومن العجائب أن يحب المبغض.

وله أيضا :

وقد هوت بهوى نفسى مها سَبَإٍ ... فهدّدت مضر من تيمت سَبَأْ
كأن قلبى سليمان ، وهـدهده ... طرفى ، و بلقيس ليلى ، والهوى النبأْ

(٣٨٠)

محمد بن أحمد ، الصابونى الصدفى الإشبيلى الشاعر

محمد بن أحمد بن الصابونى ، الصدفى ، من أهل إشبيلية .

قال ابن الأبّار : ذهبت الآداب بذهابه ، وختمت الأندلس شُعَرَاءها به ، ذهب إلى المشرق فتوفى بالإسكندرية وهو طالب مصر سنة أربع وستمائة .

ومن شعره من قصيدة رحمه الله تعالى :

أقسم فرق الليل عن سنة الضحى ... وأهبط خصر القاع من كفل الدعص
إلى أن أرى برقًا إذا شمت وجهه ... رأيت جبين البدر مكتمل القرص

---

(١) فى الذخيرة « فكم صالحتنى فى مناها يد المنى » و « من عرفاتها » .
(٢) وفيها « عهدنى » بنون النسوة .

وقال أيضا سامحه الله تعالى وعفا عنه :

لقد حجبت زج الحواجب سلوتى ومن لحظ هذا سميت بالحواجب

وواوات أصـــداغ أقارب نسبة لنوناتها تدعى بوصف عقارب

وميم فم من تحت صـاد لشارب سلافا حواها ختم صـاد لشارب

وله أيضا رحمه الله تعالى وعفا عنه :

أمَا وعذار فوق خدّيك إنه لأنكا فعلَىْ مقلتيك لفَاعلُ

وما خيلت نفسى إلىّ بأنه ستفعل أفعالَ السيوف الحمائلُ

وله أيضا رحمه الله تعالى :

رأيت فى خـــده عذارا خلعت فى حبـه عذارى[1]

قد كتب الحسن فيه سطرا (ويولج الليل فى النهار)

وله أيضا رحمه الله تعالى :

يسقى الرحيق المختوم من يده ختامه من عذاره مِسْكُ

أسبل دمعى من صدّه دررا جسمى لفرط الضنا بها مسك

(٣٨١)

أبو نصر محمد بن أحمد الفدوخى

محمدبن أحمد بن الحسين بن محمود ، الفدوخى ، أبونصر، الـكاتب، الأوّابى . كان كاتبا على أعمال السواد من قبل الوزير ابن هُبَيرة ، وكان شيخاً فاضلا نبيلا أديبا حاذقاً ، صنّف عدة رسائل : منها رسالة فى الربيع .

وتوفى سنة سبع وخمسين وخمسمائة .

ومن شعره :

ما لعين جنت على القلب ذنب إنمـا يرســـل اللحاظ القلب

---

(١) العذار الأول أراد به ما يبدو من الشعر أول طلوعه فى وجه المحبوب ، والعذار الثانى هو الحياء ، وهو كقولهم « خلع برقع الحياء » .

والهوى قائد القلوب فإن سلـــط جيش الغرام فالقلب نَهْبُ
أحياة بعـــد التفرّق يا قلـــب فأين الهـوى وأين الحب
كان دعوى ذاك التأوّه للبيـــن ولم ينصدع لشملك شَعْبُ
إن موت العشاق من ألم الفر قة فى الحب سُـــنَّة تستحب
وعلاج الهوى عـــذاب المحبيـــن ولـكنه عـــذاب عَذْبُ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

يا ربِّ عفوك إننى فى معشر لا أبتغى منهم سواك مَلاذا
هذا ينافق ذا وذا يغتاب ذا ويسب هذا ذا ويشتم ذا ذا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

قالت وقد عاينتُ حمرة كفها لا تعتبنَّ فالعهد غير مضيَّعِ
ما إن تعمدت الخضاب ، وإنما زفرات حبك أوقدت فى أضلعى
فبكيتُ من شوقى دما ، فمسحته بأناملى ، فتخضبت من أدمعى

وله ترسل مليح ، رحمه الله تعالى !

(٣٨٢)

أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس الحافظ

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس (١) .

الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدِّث ، فتح الدين ، أبو الفتح بن الفقيه أبى عمرو ابن الحافظ أبى بكر ، اليعمرى .

كان حافظا بارعا ، أديبا بليغا مترسلا ، حسن المحاورة ، لطيف العبارة ، فصيح الألفاظ ، كامل الأدوات ، لا تُمَل محاضرته ، كريم الأخلاق ، زائد الحياء ، حسن الشكل والعمة ، وهو من بيت رياسة وعلم ، سمع وقرأ وارتحل ، وكتب

---

(١) له ترجمة وافية فى الدرر الكامنة (٤/٢٠٨) وترجم والده أبا عمرو فيه (٤/١٦٢) كما ترجم أخويه أبا القاسم وأبا سعيد ، وترجم له ابن العماد فى شذرات الذهب (٦/١٠٨) وفى النجوم الزاهرة (٩/٣٠٣) .

وحدّث وأجاز ، أجاز له عبد اللطيف ، وكناه بأبى الفتح ، وسمع حضورا سنة خمس وسبعين من القاضى شمس الدين محمد بن العماد ، وفى سنة خمس وثمانين كتب الحديث عن الشيخ قطب الدين بن العسقلانى ، وقرأ على أصحاب ابن طبرزذ وأصحاب الكندى وأصحاب الحرستانى[1] ، وارتحل إلى دمشق سنة تسعين فكاد يدرك القمر ابن السخاوى[2] فعاقه بليلتين ، قال الشيخ شمس الدين : ولعل مشيخته تقارب الألف ، ونسخ بخطه ، واجتاز[3] وانتقى شيئاً كثيراً ، ولازم الشهادة مدّة ، وكان عنده كتب كبار وأمّهات جيدة : منها مصنف ابن أبى شَيْبَة ، ومسنده ، والمحلى ، والتمهيد ، وجامع عبد الرزاق ، وتاريخ أبى خيثمة ، والاستيعاب ، والاستذكار ، وتاريخ الخطيب ، والمعاجم الثلاثة للطبرانى ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ المظفرى ، وغير ذلك .

وصنف « عيون الأثر ، فى فنون المغازى والشمائل والسير » و« النَّفْح[4] الشذى ، فى شرح الترمذى » ولم يكمل ، وكتاب « سمر اللبيب ، بذكر الحبيب » و« منح المدح » وشعره رقيق ، سهل التركيب ، منسجم الألفاظ ، عذب النظم بلا كلفة ، وكتب بالمغربى طبقة كما كتب بالمشرق .

فمن شعره قوله رحمه الله تعالى :

عهدى به والبَيْنُ ليس يَرُوعه ... صَبًّا براه نحوله ودموعه
لا تطلبوا فى الحب ثار متيم ... فالموت من شرع الغرام شروعه
عن ساكن الوادى سَقَته مدامعى ... حدّث حديثاً طاب لى مسموعه
أفدى الذى عَنَتِ الوجوه لحبه ... إذ حلّ معنى الحسن فيه جميعه

---

(١) فى ب « الحرستانى » وفى الدرر الكامنة « الحرانى » .
(٢) كذا فى ا ، ب ، وفى الدرر « الفخر ابن البخارى » .
(٣) كذا ، ولعله « واختار »
(٤) فى ا ، ب « المنقح الشذى » تصحيف ما أثبتناه موافقا لما فى النجوم .

البــدر من كلف به كَلِفٌ به   والغصن من عطف عليه خضوعه[1]
أهواه معسول المراشف واللَّمى   حلو الحديث ظريفه مطبوعه[2]
دارت رحيق لحاظه فلنا بهـا   سكر يحل عن المدام صنيعه
يجنى فأضمرُ عتبــه فإذا بدا   فجماله مما جنــاه شفيعه

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

قضى ولم يقض من أحبابه أرَبَا   صب إذا مرّ خفاق النسيم صبا
راضٍ بما صنعت أيدى الغرام به   فحسبه الحب ما أعطى وما سلبا
لا تحسبنّ قتيل الحب مات ففى   شرع الهوى عاش للإخلاص منتسبا
فى جنة من معانى حسن قاتله   لا يشتكى نَصَبًا فيها ولا وصبا
ما مات من مات فى أحبابه كلفا   وما قضى بل قضى الحق الذى وجبا
فالسحب تبكيه بل تسقيه هاميةً   وكيف تبكى محبا نال ما طلبا
فطوّقت جيدها الورقاء واختضبت   له .وغنت على أعوادها طربا
ومالت الروضة الغناء راقصــة   تصبو وتنثر من أوراقها ذهبا
فالغصن نَشْوان يثنيه الغرام به   كأنه من حُمَيًّا وجــده شربا
والروض حمل أنفاس النسيم شذا   أزهاره راجيا من قربه سببا
فراقه الورد فاستغنى به وثنى   عطفا إليه ومن رجع الجواب أبى
ففارقت روضها الأزهار واتخذت   نحو الرسول سبيلا وابتغت سببا
وحين وافته نادت عند رؤيته   لمثل هــذا حبيباً فليحلّ حُبّا
تهللت وجنات الورد من فرح   وأعين النرجس انهلت له لغبا
سقته واستوسقت من عرفه أرجا   أزكى وأعطر أنفاسا إذا انتسبا

---

(١) الكلف الأول الحب الشديد ، والكلف الثانى بثر فى الوجه يشبه حب السمسم ، أو هو السواد .

(٢) فى النجوم « لله حلوى المراشف واللمى » وهى أحسن .

وأملت لمحـــة من حسن قاتلها … فأجفلت رَهَباً إذ لم تطق هربا(١)

أما دَرَى حين جدّ الوجد أن لها … من دمعها ولها من حسنه حجبا

وبانة الشيح جادَتها سحائبها … أوفت وفاء وكفت حولها عذبا

عَرارها وخزاماها وما حملت … من البشام سقاهُ الغيث منسكبا

والعاذلون لَوَوْا أكتافهم حزنا … والكاشحون ثنوا أعطافهم حربا

لم يبق عـــذل ولا لوم يؤنبه … سِيَّان إن بعد اللاهى وإن قربا

ولم يكن قبل ذا يصغى لهم أذنا … ولا تخوّف يوماً أعـــين الرقبا

وربمـا طاف شيطان السلوّ به … فأرسل الشوق من آماقه شهبا

أفديه من حافظ للعهد إذ نقضوا … عهداً ومن صادق فى الحب ما كذبا

راض الصبابة واستحلى لواعجها … حتى استلان له منها الذى صعبا

تراهُ منتقضاً للوصـــل مقتضياً … طوراً ومكتئبا للبين مرتقبا

يستخبر الركب هل شط المزار بهم … والرسم أعجم أنى خاطب العربا

بالله يانسمات الريح هل خـبر … عنهم يُعيد لىَ العيش الذى ذهبا

بانوا فأىّ فؤاد لم يَذُبْ أسـفاً … وأىّ قلب غداة البين ما وجبا(٢)

ناديت بالسفح قلباً فى ضيافتهم … لايذكر السفح إلاحنّ مغتربا

غَيْران تصرعه الذكرى إذاخطرت … والريح إن نسمت والدمع إن نضبا(٣)

يرتاع للقُضْب إن ماست معاطفها … ليناً وكان يروع السمر والقضبا(٤)

شوقاً إلى غصن بانٍ مثمر قمـرا … على كثيب نقاً بالحسن منتقبا

تضرم المـاء فى جنات وجنته … نارا وأضرم فى أحشائنا لهبا

لو لم يكن بابلىّ الريق مبسمهُ … لما اكتسى ثغرهُ من دره حَبَبَا

---

(١) قاتلها ، هنا : أى الذى مزجها بالماء .   (٢) وجب القلب : خفق

(٣) نسمت الريح : هبت ، ونضب الدمع : جف .

(٤) القضب فى أول البيت قامات الحسان وقد ودهن . والقضب فى عجز البيت السيوف .

للأقحوانة مما فيــه منظرها ولم ينل مثله عَرْفاً ولا ضربا
والبرق يخفق لما شام بارقه فالمزن تبكى له أن أعوز الشنبا
من لى وللكبد الحرى ومقلتى الضـرّا استهلت وسَحّتْ دمعها سحبا
ومن لمضنًى إذا لجّ السقام به والحبّ لم يرض إلا روحه سَلَبَا
ما زال يتعبــه حتى استراح به وإنما يألف الراحات من تعبا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى[١] :

ما شروط الصوفىّ فى عصرنا قطـعا سوى ستة بغـير زياده
وهى نيك العلوق والسكر والسطـلة والرقص والغنا والقيـاده
وإذا ما اهتـدى وأبدى اتحاداً وجميـلا من خلوة وأعاده
وأتى المنكرات عقلا وشرعا فهو شيخ الشيوخ ذا السجاده

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

يا كاتم الشوق إنّ الدمع مبديه حتى يعيد زمان الوصل مبديه
أصبو إلى البان بانت عند هاجرتى تعللا بليـالى وصلها فيه
عصرمضى وجلابيب الصبا قُشُبٌ لم يبق من طيبه إلا تمنيـه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

صرفت الناس عن بالى لحبـل ودادهم بالى
وحبـل الله يعصمنى به علقت آمالى
فمن يسلو الورى طراً فإنى ذلك السالى
فلا وجهى لذى جِدَةٍ ولا ميلى لذى مال

---

(١) فى الأمهات التى ترجمت لأبى الفتح بن سيدالناس والتى أومأنا إليها فى مطلع ترجمته هنا أنه كان لا يخلو مما ينتقد عليه .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

فقرى لمعروفك المعروف يغنينى | يامن أرَجِّيه والتقصير يُرْجينى
إن أوثقتنى الخطايا عن مدى شرف | نجا بإدراكه الناجون من دونى[1]
وغض من أملى ماساء من عملى | فإن لى حسن ظنّ فيك يكفينى[2]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

عذيرِىَ من دهرى تصدى معاتباً | لمستبهج الغنى فأقصد من قصد[3]
رجوت به وصل الحبيب فعندما | تبدّى له المعشوق قابلَه الرَّصَدْ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

يابديع الجمال شكر جمالك | أن توافى عشاقه بوصالك
كنت عطفا لهم وقلبك قاس | فهمُ يأخـذون من ذا لذلك
غير أن الكمال أولى بذا الحسـ | ـن ومن للبدور مثل كمالك
قابلَتْ وجهك السماء فشكل الـ | ـبدر مافى مرآتها من خيالك
مثلته لكن رسوم صداها | كلفته فقصرت عن مثالك

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

إن غض من فقرنا قوم غنًى منحوا | فكل حزب بما أوتوه قد فرحوا
إن هم أضاعوا لحفظ المال دينهمُ | فإن ماخسروا أضعاف ماربحوا

وكانت وفاة الشيخ فتح الدين بن سيد الناس حادى عشر شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، ومولده رابع عشر ذى القعدة سنة إحدى وستين[4] وستمائة رحمه الله ! .

---

(١) فى الدرر الكامنة « إن أوبقتنى الخطايا » .

(٢) فى الدرر « أوغض من أملى » . (٣) كذا ، وفى الدرر « لمهج الغنى » .

(٤) فى الدرر الكامنة « ولد فى ذى القعدة سنة ٦٧١ » .

(٣٨٣)

أبو اليسر بدر الدين محمد بن محمد بن عبد القادر (ابن الصائغ)

محمد بن محمد بن عبد القادر ، الأنصارى ، الشيخ الإمام المفتى ، بركة الوقت ، بدر الدين ، أبو اليسر ، بن قاضى القضاة عز الدين بن الصائغ ، الدمشقى ، الشافعى ، مدرس الدامغية والعمادية[1] .

ولد سنة ست وسبعين وستمائة ، وسمع كثيراً من أبيه وابن شيبان والفخر على و بنت مكى ، وحضر على ابن علان ، وحدّث بصحيح البخارى عن اليونينى ، وكان يلازم حلقة الشيخ برهان الدين ، وعرض عليه قاضى القضاة فامتنع واستعفى ، وصمم ، فاحترمه الناس ، وأحبوه لتواضعه ودينه ، وعظمه شكر نائب دمشق ، واعتقد فيه ، وحج غير مرّة ، وتولى خطابة القدس مدة مديدة ، وتركها ، وكان مقتصداً فى لباسه وأموره ، زار القدس فتعلل هناك ، ونقل إلى دمشق فمات بها فى شهور سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، ودفن عند أبيه بسفح قاسيون ، وشيعه الخلائق ، وحمل على الرؤس ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !

(٣٨٤)

بهاء الدين محمد بن إبراهيم (ابن النحاس) النحوى

محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى نصر[2] ، الإمام العلامة ، حجة العرب ، بهاء الدين ، ابن النحاس ، الحلبى ، النحوى ، شيخ العربية بالديار المصرية .

ولد فى سلخ جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وستمائة بحلب ، وتوفى سنة ثمان وتسعين وستمائة بالقاهرة .

سمع ابن المثنى والموفق ابن يعيش وأبا القاسم بن رواحة وابن خليل ، وقرأ القراآت على أبى عبدالله الفاسى ، وأخذ عن جمال الدين بن عمرون ، ودخل مصر لما خربت حلب ، وأخذ عن بقايا شيوخها ، ثم جلس للافادة ، وتخرج به جماعة

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (١٢٣/٦) وفيه « الدماغية والعمادية » وفيه أن وفاته فى جمادى الأولى من سنة ٧٣٩ .

(٢) له ترجمة فى بغية الوعاة للسيوطى (ص ٦) وفى شذرات الذهب (٤٤٢/٥)

من الأئمة ، وكان من أذكياء بنى آدم ، وله خبرة بالمنطق وإقليدس ، مشهوراً بالدين والصدق والعدالة ، مع اطراح الكلفة ، يمشى فى الليل بين القصرين بقميص وطاقية على رأسه فقط ، وكان حسن الأخلاق ، فيه ظرف النحاة وانبساطهم ، وكان له صورة كبيرة فى صدور الناس ، معروفاً بحل المشكلات ، واقتنى كتباً نفيسة ، ولم يتزوج قط ، وكانت له أوراد من العبادة .

قال قطب الدين عبد الكريم : كان كثير التلامذة ، كثير الذكر ، كثير الصلاة ، ثقة ، حجة ، يسعى فى مصالح الناس ، وكان لا يدخر شيئاً ، وكان عنده من أصحابه ومن الطلبة من يأكل على مائدته ، وكان لا يكلم أحداً فى حل النحو إلا بلغة العوام ، لا يراعى الإعراب .

قال الشيخ أثير الدين : كان الشيخ بهاء الدين والشيخ محيي الدين محمد ابن عبد العزيز المارونى المقيم بالإسكندرية شَيْخَيِ الديار المصرية ، ولم ألق أحداً أكثر سماعا لكتب الأدب من الشيخ بهاء الدين ، وانفرد بسماع الصحاح للجوهرى ، وكان كثير العبادة والمروءة والرحم على من يعرفه ، لايكاد يأكل شيئاً وحده ، وكان ينهى عن الخوض فى العقائد ، وله تودد إلى من ينتمى إلى الخير ، ولى التدريس بجامع ابن طولون وبالقبة المنصورية ، وله تصدير بمصر ، ولم يصنف شيئاً إلا إملاء على كتاب « المقرب[1] » لابن عصفور من أول الكتاب إلى باب الوقف أو نحوه .

توفى يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين .

وكنت أنا وإياه نمشى بين القصرين ، فعبر علينا صبىّ يسمى بجمال ، وكان مصارعا ، فقال الشيخ بهاء الدين : ينظم كل منا فى هذا المصارع ، فنظم الشيخ بهاء الدين رحمه الله تعالى :

---

(١) فى ا ، ب « المغرب » تصحيف ما أثبتناه .

مصارعٌ تَصْرَعُ الآسادَ سمرتهُ ... تيهاً فكل مليح دونه همج

لماغدا راجحاً فى الحسن قلت لهم: ... عن حسنه حدّثوا عنه ولاحرج[1]

ونظم الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله :

سَبَانى جمالٌ من مليح مُصارع ... عليه دليـــــل للملاحة واضح

لئن عزمنه المثل فالكل دونه ... وإن خف منه الخصر فالردف راجح

قال الشيخ أثير الدين : وسمع الشيخ شهاب الدين الفزارى نظمنا ، فنظم :

هل حكم ينصفنى من هوى ... مصارع يصرع أسْدَ الشَّرَى

مذفرّ منى الصبر فى حبه ... حكى عليه مدمعى ماجرى

أباح فتكى فى الهــوى عامدا ... وقال : كم من عاشق فى الورى

رميته فى أسر حبى ومن ... أجفان عينيه أخذت الكرى

وقال الشيخ أثير الدين : أنشدنى الشيخ بهاء الدين يخاطب رضى الدين الشاطبى وقد كلفه أن يشترى له قطراً :

أيها الأوحد الرضىُّ الذى طا ... ل علاء وطاب فى الناس نشراً

أنت بحر لا غرو إن نحن وافيـــناك راجين من نَدَاكَ القطرا

وأنشدنى لنفسه ما كتب على منديل :

ضاع منى خَصْرُ الحبيب نحولا ... فلهذا أضحى عليه أدور

لطفت خرقتى ورقت فجلت ... عن نظير كما حكتها الخصور

أكتم السرّ عن رقيب لهـذا ... بىَ يخفى دموعَه المهجور

وأنشدنى لنفسه أيضاً رحمه الله تعالى :

إنى تركت لدى الورى دنياهم ... وظللت أنتظر الممات وأرقب

وقطعت فى الدنيا علائق ليس لى ... ولد يموت ولا عقار يخرب

---

(١) راجحاً : زائداً .

وله أيضا رحمه الله تعالى فى مليح شرطوه :

قلت لما شرطوه وجرى   دمه القانى على الخد النقى
ليس بِدْعاً ما أتوا فى فعلهم   هو بدر مشرق بالشفق

وكتب الخط الفائق المنسوب ، وقرأ عليه جماعة من أهل عصره ومصره ، وقرأ عليه الشيخ شمس الدين الذهبى ، وكان يحفظ ثلث صحاح الجوهرى ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !.

(٣٨٥)

بدر الدين محمد ابن إبراهيم (ابن جماعة) قاضى القضاة

محمد بن إبراهيم بن سعد[١] الله بن جماعة بن على بن جماعة بن حازم بن صخر ، قاضى القضاة ، بدر الدين ، أبو عبد الله ، الكنانى ، الحموى ، الشافعى .

ولد بحماة سنة تسع وثلاثين وستمائة ، وسمع سنة خمسين من شيخ الشيوخ ابن عزون وغيره ، وبدمشق من الوانى بن أبى اليسر وابن عبد الله وطائفة ، وحدث بالشاطبية عن ابن عبد الوارث صاحب الشاطبى ، وحدّث بالكبير[٢] ، وتفرّد فى وقته ، وكان قوىّ المشاركة فى علم الحديث والفقه والأصول والتفسير ، خطيباً ، تام الشكل ، ذا تعبد وأوراد ، وحج ، وله تصانيف ، درّس وأفتى ، واشتغل ، فولى خطابة القدس ، ثم طلبه الوزير ابن السلعوس[٣] ، فولاه قضاء مصر ، ورفع شأنه ، ثم حضر إلى الشام قاضياً ، وولى خطابة الجامع الأموى مع القضاء ، ثم طلب لقضاء مصر بعد ابن دقيق العيد ، وامتدت أيامه إلى أن شاخ ، وأضرّ وثقل سمعه ، فعزله بقاضى القضاة جلال الدين القزوينى سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، وكثرت أمواله ، وباشر آخراً بلا معلوم على القضاء ، ولما رجع السلطان

---

(١) له ترجمة فى حسن المحاضرة للسيوطى ١/١٩٤ وفى الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى ٣/٢٨٠ وفى شذرات الذهب ٦/١٠٥ وفى النجوم الزاهرة ٩/٢٩٨ .

(٢) كذا ، ولعله «بالكثير» . (٣) فى ا ، ب «بن السعلوس» .

من الكرك صرفه وولى جمال الدين الزرعى ، فاستتم نحو السنة ، ثم أعيد بدرُ الدين ابن جماعة ، وولى مناصب كباراً ، وكان يخطب من إنشائه ، وصنف فى علوم الحديث وفى الأحكام ، وله رسالة فى الكلام على الاسطرلاب .

وتوفى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة[١] ، رحمه الله ! .

(٣٨٦)

أبو العبر محمد بن أحمد الهاشمى

محمد بن أحمد الهاشمى[٢] ، كنيته أبو العباس ، فصيرها «أبا العبر» ثم إنه كان يزيدها كل سنة حرفا فمات وهو أبو العبرطرد وطيك طنكندى بك بك بك .

وكان شاعراً ، ترك الجد وعَدَل إلى الهزل ، حبسه المأمون ، وقال : هذا عار على بنى هاشم ، فصاح فى الحبس : نصيحة لأمير المؤمنين ، فأخبروه ، فاستحضره ، وقال : هات نصيحتك ، فقال : الكشكية أصلحك الله لا تطيب إلا بكشك ، فضحك منه ، وقال: أرى أنه مجنون ، فقال أبو العبر: إنما امتخطت[٣] حوت ، فقال : وَيْحَكَ ! مامعنى قولك ؟ فقال : أصلحك الله زعمت عنى مججت نون ، و إنما امتخطت حوت ، فأطلقه ، وقال : أظننى فى حَبْسك مأثوم ، قال : بل ماء بصل ، فقال : أخرجوه عنى ، ولا تُقِم فى بغداد فهذا عار علينا .

وكان فى مبدأ أمره صالح الشعر ، مع توسط ، لا يتفق مع أبى تمام والبحترى وأضرابهما ، فعمد إلى الحمق ، وكسب بذلك أضعافَ ما كسبه كل شاعر بالجدّ .

---

(١) وقع فى عامة أصول هـذا الكتاب أن وفاته فى سنة ٧٧٣ وهو خطأ من النساخ قطعا ، ويدل لذلك أن مؤلف هـذا الكتاب قد توفى فى عام ٧٦٤ أى قبل هـذا التاريخ بتسع سنين ، فكيف يصح أنه كتبه ؟ وثانيا قد نص ابن حجر أن مولده فى سنة ٦٣٩ كما ذكر المؤلف ، ونص على أن وفاته فى سنة ٧٣٣ وقد جاوز التسعين ودفن قريب تربة الإمام الشافعى رحمه الله !

(٢) له ترجمة فى معجم الأدباء ١٢٢/١٧ .

(٣) فى ب « إنما ومتخط جوب » .

ومن قوله الصالح :

لا أقـول الله يظلمنى　　كيف أشكو غير متهم

وإذا ما الدهر ضعضعنى　　لم تجـدنى كافرَ النعم

قنعت نفسى بما ظفرت　　وتناهت فى العُلىٰ همى

قال عبد العزيز أبو أحمد : كان أبو العبر يجلس فى مجلس يجتمع إليه المُجّان فكان يجلس على سلم و بين يديه بالوعة فيها ماء وحمأة ، وقد سهل مجراها ، و بيده قَصَبة طويلة ، وعلى رأسه خف ، وفى رجليه قلنسوتان ، ومستمليه فى جوف بئر ، وحوله ثلاثة يدُقّون بالهواوين ، حتى تكثر الجَلَبة للسماع ، و يصيح مستمليه من البئر ، ثم يملى عليهم ، فإن ضحك أحد منهم ممن حضر قاموا فصَبُّوا على رأسـه من البالوعة إن كان وضيعا ، وإن كان ذا مروءة رَشُّوا عليه بالقصبة من مائها ، ثم يجلس فى ذلك إلى أن ينقضى المجلس ، فلا يخرج أحد منه حتى يغرم درهمين .

ومن شعره الصالح :

أيهـا الأمرد المولَعُ بالهجـر أفِقْ ما كذا سبيل الرشاد

فكأنى بحسن وجهك قد ألـبس فى عارضيك ثوبَ حِدَادِ

وكأنى بعاشِقِيكَ وقد أبـدلت فيهم من خلطة ببعاد

حيث تُغضِى العيون عنك كما ينـقبض السمع من حديثٍ مُعادِ

فاغتنم قبل أن تصير إلى كا　　نَ وتضحى من جملة الأضداد[1]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

رأيت من العجائب قاضيين　　هما أحدوثة فى الخافقين

---

(١) مفعول « اغتنم » محذوف : أى اغتنم الفرصة ، مثلا ، و « كان » أراد أنه يتحدث عن جماله على أنه كان حدثا من أحداث الماضى ، وهـذا كقولهم « أضحى فلان فى خبر كان » .

همااقْتَسَما العمى نصفين عمدا ... كما اقتسما قضـاء الجانبين
هما فأل الدَّمارِ لملك يحيى ... إذا افتتح القضاء بأعورين
وتحسب منهما مَنْ هزَّ رأسا ... لينظـر فى مواريث وَدَيْنِ
كأنك قد جعلت عليه دنا ... فتحت نزاله من فردعـين

وكان المتوكل يرمى به فى المنجنيق إلى البركة ، فإذا علا فى الهواء يقول : الطريق ، جاءكم المنجنيق ، حتى يقع فى البركة ، فيطرح عليه الشباك ويصطاد ، ويخرج وهو يقول : وما مرّ بى الملك ذا الملك ، ويصطادنى بالشبك ، كافى بعض السمك ، ويضحك لى هك هك .

قال بعضهم : رأيته ببعض آجام سامرّا ، وهو عُرْيَان لا يواريه شىء ، على يده اليمنى باشق ، وبيده اليسرى قوس ، وعلى رأسه قطعة رقة حبك مشدود بالشوظة ، وفى ذكره شعر مفتول فيه شعر قد ألقاه لصيد السمك ، وعلى شفته ذوشاب ملطخ ، فقلت له : خرب بيتك ما تصنع ؟ قال : أصطاد بجميع جوارحى .
وفى كتاب «بثر الدرّ» باقى نوادره .

وكانت وفاته بعد الأربعين ومائتين [١] ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !

(٣٨٧)

مجدالدين محمد بن أحمد (ابن الظهير) الإربلى

محمد بن أحمد [٢] بن عمر بن أحمد بن أبى شاكر ، الشيخ مجد الدين ، أبوعبدالله ابن الظهير ، الإربلى ، الحنفى ، الأديب .

ولد بإربل فى ثانى صفر سنة اثنتين وستمائة ، وسمع ببغداد فى الكهولة من أبى بكر بن الخازن والكاشغرى ، وبدمشق من السخاوى وكريمة وتاج الدين ابن حمويه وتاج الدين بن أبى جعفر ، وقيل : إنه سمع من ابن اللَّتى ، روى عنه

---

(١) فى معجم الأدباء أن وفاته فى سنة خمسين ومائتين .
(٢) له ترجمة فى الجواهر المضية ٢/٢٠١ وفى الوافى ٢/١٢٣ .

أبوشامة[١] والدمياطى وأبوالحسين اليونينى وشهاب الدين محمود ، وعليه تدرب ، وبه تخرج ، وابن العطار وابن الخباز والشيخ جمال الدين المزى[٢] وجماعة ، وكان من كبار الحنفية ، ودرّس بالقيمازية ، وكان ذا رأى منتق ، وهو من أعيان شيوخ الأدب وفحول المتأخرين فى الشعر ، له ديوان شعر فى مجلدين .

وكانت وفاته سنة سبع وتسعين وستمائة ، بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية ، ورثاه الشيخ شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى بقصيدة أوّلها :

تنكر لَيْلِي واطمأنت كواكبه ... وسدّت على صبحى الغداة مذاهبه[٣]

بَكَتْهُ معاليه ولم يرقب له ... كريم مضى والمكرمات نوادبه

ولا غروأن تبكى المعالى بشجوها ... على المجد إذ أودى وهنّ صواحبه

فأىّ إمام فى الندىّ وفى الهدى ... تماثله آدابه ومآدِبُهْ

أظن ارتقى نسر السحاب وأنه ... علا فوقه فاستنزلته مخالبه[٤]

وهى من قصيدة طويلة مليحة .

ومن شعر الشيخ مجد الدين رحمه الله تعالى :

حيث الأراكة والكثيب الأوْعَسُ ... وادٍ يَهِيمُ به الفؤاد مقدّس

يحمى بأطراف الرماح طرافه ... عِزًّا وبالبيض المواضى يحرس

وتكاد أنفاس النسيم إذا سرت ... من خيفة الغيران لا تتنفس

وبجنب ذاك الشعب أنفس مطلب ... أمست تذوب أسًى عليه الأنفس

وبكل خدر منه ليثٌ مُخْدِرٌ ... أفغابةٌ ذاك الحمى أم مكنس[٥]

يا جيرة الحىّ المظلل بالقنا ... هل ناركم بسوى الأضالع تقبس

أضرمتموها للنزيل ودونها ... غيرانُ فتَّاكُ الحفيظة أشوس

---

(١) فى الوافى زيادة « والقوصى » .

(٢) فى ا ، ب « جمال الدين الفخفازى » وما أثبتناه موافق لما فى الوافى ، والترجمة هناك كالتى هنا بالحرف الواحد إلى هذا الموضع .

(٣) فى الوافى « تمكن ليلى » . (٤) وفيه « أظن الردى نسر السماء — إلخ »

(٥) فى ا ، ب « وتكل منه حذار ليث مخدر » تحريف .

وقال أيضا رحمه الله تعالى وعفا عنه :

غشّ المفنِّدِ كامنٌ فى نصحه ... فأطل وقوفك بالغوير وسفحه

واخلع عذارك فى محلّ ريّهُ ... برَذاذِ دمع العاشقين وسَفْحِهِ[1]

وإذا سرى سحَرا طليحُ نسيمِه ... مالت به سكرا ذوائب طَلْحه

جهل الهوى قوم فراموا شرحه ... جلّ الهوى وحياته عن شرحه[2]

أفدى الذى يغنيه فاتر طرفه ... عن سيفه وقوامُه عن رمحه

ذو وجنة شرقت بماء نعيمها ... كالوردِ أشرقه نداه برشحه

وكأنّ طرّته ونور جبينه ... ليل تألق فيه بارق صبحه

قلبي وطرفى ذا يسيل دما وذا ... بين الورى أنت العليم بقَرْحه[3]

وهما بحبك شاهدان ، وإنما ... تعديل كل منهما فى جرحه

والقلب منزلك القديم فإن تجد ... فيه سواك من الأنام فنحه

وقال أيضا رحمه الله تعالى وعفا عنه :

أواصل فيه لوعتى وَهْوَ هاجر ... ويؤنسنى تذكاره وهو نافر

ويغرى هواه ناظرىّ بأدمع ... يورّدها ورد له وهو ناظر[4]

ويفتنّ فى تيه الملاحة خاطرا ... فكل خلىّ فى هواه مُخاطر

ويزورّ سخطا ثانىَ العِطْف معرضا ... فلا عَطْفه يرجى ولا الطيف زائر

مُحيَّاه زاهٍ بالملاحة زاهر ... فقلبي وطرفى فيه ساه وساهر

يُجيل على الخد المهفهف معجبا ... حِبالة شعرٍ كَمْ بها صِيدَ شاعر[5]

جلا طلعة كالروض دبّجَهُ الحْيَا ... ترف بماء الحسن فيه أزاهر[6]

---

(١) فى ا، ب «مجاريه إذا يزداد .. ونحه» تحريف شنيع عما أثبتناه موافقا لما فى الوافى

(٢) فى الوافى « جل الهوى وجنابه » .

(٣) فى الوافى قبل هذا البيت « وأنشدنيها الشيخ أثير الدين من لفظه قال : أنشدنى بدر الدين المنبجى » . (٤) وفى الوافى « ورد بخديه ناضر » .

(٥) فى ا ، ب « يخيل على الخد . . خيالة . . صد شاعر » .

(٦) فى ا ، ب «كالروض رنحه الصبا»

وَشَهَّرَ خَدًّا بالعذار مطرّزاً ... فما لفؤاد لم يهم فيه عاذر[1]

فإن صاد قلبي طرفه فهو ساحر ... وإن فتنت آياته فهو فاتر[2]

إذا كان صبري في الصبابة خاذلا ... فمالى سوى دمعى على الشوق ناصر

على أن فيض الدمع لم يرو غلة ... من الوجد أذ كتها العيون الفواتر

وقال أيضا رحمه الله يتشوق إلى دمشق[3] :

لعلّ سنا برق الحمى يتألق ... على النأى أو طيفا لأسماء يطرق

فلا نارها تبدو لمرتقب ولا ... وعود الأمانىّ الكواذب تصدق

وعلّ الرياح الهُوجَ تهدى لنازح ... عن الشام عَرْفًا كاللطيمة يعبق

ديار قضينا العيش فيها منعما ... وأيامنا تحنو علينا وتشفق

سحبنا بها برد الشباب وشربنا ... لذيذ كما شئنا مُصَفًّى مُصفّقُ

مواطن فيها السهم سهمى فكلنا ... نحث مطايا اللهو فيه ونعنق

كلا جانبيه معلم متجعد ... من الماء فى أطلاله يتدفق

إذا الشمس حَلَّتْ بينه فهو مُذْهَب ... وإن حجبتها دوحةُ فهو أزرق

وإن فرج الأوراق جادت بنورها ... فرقم أجادته الأكفُّ منمق

أطلّ عليه قاسيون كأنه ... غمام مغلى أو لغام معلق[4]

تسافر عنه الشمس قبل غروبها ... وترجف إجلالا له حين تشرق

وتصفرّ من قبل الأصيل كأنها ... محبّ من البين المشتّت مشفق

وفى النيرب المرموق للبّ سالب ... من المنظرَ الزاهى وللطرف مونق

بدائع من صنع القديم ومحدث ... تأنق فيه المحدث المتأنق

---

(١) فى ا ، ب « وشعر تبدى بالعذار مطرر » تحريف ، وفيهما « فما لفؤاد لم يهم فيه غادر » وأثبتنا الصواب عن الوافى .

(٢) فى الوافى « فإن صاد قلبى طرفه فهو جارح . . آياته فهو ساحر » .

(٣) فى نفح الطيب (٣ / ١٥٢ بتحقيقنا) كثير من أبيات هذه القصيدة .

(٤) فى النفح « غمام معلى أو نعام معلق »

رياض كوشي البرد تزهو بحسنها ... جداولها ، والنَّوْرُ بالماء يشرق[1]

فمن نرجس يخشى فراق فريقه ... ترى الدمع فى أجفانه يترقرق

ومن كل ريحان مقيم وزائر ... تضاعف رياهُ الرياحُ فيعبق[2]

كأن قدود السرو فيه موآنسا ... قدود عـــذارى ميلها يترقرق

إذا ما تداعت للتعانق صدّها ... عيون من النَّوْرِ المفتـــح ترمق[3]

وقصر يكلّ الطرف عنه كأنه ... إلى النسر نسر فى السماء محلق

زها ببديع الوشى حسنا كأنما ... مدبج روض فى نواحيه مُلْصَقُ

وكم جدول جار يطارد جدولا ... وكم جوسق عال يوازيه جوسق

وكم بركة فيه تضاحك بركة ... وكم قسطل فى الماء للماء يدفق

وكم منزلٍ يغشى العيون كأنما ... تألق فيـــه بارق يتألق

وفى الربوة الشماء للقلب جاذب ... وللسمع إصمات وللعين مرمق

فهام بها الوادى ففاضت عيونه ... فكل قرار منـــه بالدمع يملق

تكفل من دون الجداول شربها ... يزيد بصفيه لهـــا ويصفق[4]

إذا أشرف الولدان من شرفاتها ... رأيت بدوراً فى بروج تألق

وفى بَرَدَى معنًى يَشوق ومنظر ... يروق ومأوًى للسرور ومطرق[5]

إذا أنت من أعلاه أشرفتَ ناظرا ... تجيل عنان الطرف فيه وتطلق

رأيت به بحرا من الدوح مُزْبِدا ... وغـدرانه حيتانه منـــه ترمق

تميل مع الأفنان فيــه كأنها ... نشاوى وما دارَ الرحيــقُ المعتق

وتعطف أعطاف الغصون حمامة ... إذا ما تغنت والغـــدير يصفق

---

(١) النور ـ بالفتح ـ أراد به هنا الزهر ، وبالماء يشرق : أى أنه كثير الرى

(٢) يعبق: تفوح ريحه الطيبة . (٣) ترمق: تنظر. (٤) لعله «شربها لذيذة يصفيه»

(٥) فى ا « وفى برد أبهى شفوف » تحريف ، وبردى ـ بفتحات ـ نهر دمشق

وتجمع فيه كلّ حسن مفرّق ... وشَملُ الأسَى عن حاضريه مفرّق
كأن رياض الغوطتين جنوده ... يُقَسِّم فيها جـوده ويفرّق
وبالمـــزة الفيحاء دام نعيمها ... جنـــان تأنّى أهلها وتأنقوا(١)
حدائقها من ريها ذاتُ بهجةٍ ... بها الراح والريحان والورد محدق
وفى كنفى سطرى ومقرى معالم ... تعلم أسباب الهوى كيف تعلق
عليـــلة أنفاس النسيم رياضُها ... كأن سراها فأر مســك مفتق(٢)
إذا ماتغنت فى ذُرَى الدوح وُرْقُها ... غدا كل عود منه كالعود يخفق
وإن خَمَّشَتْ أنهارها نسمة الصبا ... تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق(٣)
جنيت بها ما شئت من ثمر المنى ... وغازَلنى فيها الغزالُ المقرطَقُ
وفى بيت أبياتٍ مصايد للنُّهى ... خيول الهوى واللهو فيهن سُبَّق(٤)
فكم من كئيب نال فيها ترفقا ... بمن كان لا يحنـو ولا يترفق
وكم من خلىّ لازم طوقهُ الهوى ... ينوح كما ناح الحمام المطوّق
وفى ساحة الميدان أثواب سندس ... لها بهجة تجلو العيون ورونق
كأن شعاع الشمس فى كل وجهة ... يفرّ إذا الغزلان فيه تفرقوا
من الترك لاعانيهمُ يبلغ المنى ... ولا هو ممنون عليه فيعتق
عيونهم المرضى، ومرضى عهودهم ... تؤكد أسباب الهوى وتوثق
أكفهمُ ترمى ولا دم طائح ... وألحاظهم تُصْمِى القلوب وترشق
إذا أرسلوا سود الذوائب خلتها ... أساودَ تأبى أن تصاد فتعلق(٥)
وبالجانب الشرقىّ وادٍ جنانهُ ... محاسنها من جنة الخلد تسرق
تؤلف شمل المـــاء بعد شتاته ... وتجمع شمل الأنس وهو مفرّق

---

(١) فى ا « تألى أهلها وتألقوا » . (٢) فى ا « فأرمسك يعبق » .
(٣) فى ا « وإن حبست أنها رها » وخمشت : أكثرت الخدوش
(٤) فى ا «خيول الهوى .. يسبق» .(٥) فى ا « أساود حيات تصاد فتعلق » .

ومن جسر جسرين إلى تل راهطٍ — طلالٌ عنانُ الأنس فيهن مطلق
فكم من غياض فى رياض وجنة — بها كوثر من مائها يتدفق
حدائقها لا ظلها قالصٌ ولا — مجالُ خيول اللهو فيهن ضيق
رعى الله مَنْ ودعت والوجد قابض — عنان لسانى والمدامع تنطق
وفارقتُهم لا عن ملال ولا رضًى — وغرّبت عنهم غير قال وشرّقوا
لئن حالت الأيام دون لقائهم — فما حال لى عهد ولا انحل موثق
أجيراننا بالغُوطَتين عليكمُ — سلامُ مشوقٍ قد براه التشوّق
له كل يوم ثوب وجد مجدّد — وصبر كما شاءت نوا كم ممزق
أعاتب دهراً صَرْفه غير مُعْتِبٍ — أصرّف فيه كنز عمرى وأنفق[1]
نأت بى ولم تسمع خطابى خطوبه — فدام زفيرى والحنين المؤرق
وبُدِّلْتُ عن تلك الطلال وطيبها — منازلَ صافى العيش منها مرنّقُ
أظل نجىّ الشوق لا نار لوعتى — تبوخ ولا شمل الأسى يتفرّق[2]
وكم ليلة شاب الفؤاد بطولها — وما شاب للظلماء فَوْد ومفرق
وإن غيبتنى غشية توهم الكرى — يواصل طيف الهمّ فيها ويطرق
ويمزج ماء النيل عند وروده — بدمعىَ أشواق إليكم فأشرق
فيا ليت شعرى هل تلوح لمقلتى — منازل ظبى باللقاء محقق
وهل شائم بَرْقَ الثنية ناظرى — على القرب يخفى تارة ثم يخفق
وهل بارد من ماء باناس مُبْرِدٍ — لظى كبدٍ حرّى لها الشوق محرق
وهل زَمَنِى بالصالحية عائد — يبلغنى أقصى المنى ويحقق

---

(١) فى ا « كنز عزمى وأنفق » .
(٢) فى ا « لانار لوعتى تئج » وتبوخ : تبرد .

وهل يجمعنى والأحبـةَ موقف | لنشـكو جميعا ما لقيت وما لَقُوا
وهل لى إلى باب البريد وقد نأى | بريد به فيما يبلغ مـــوثق
دمشق أذاقتنِى الليـالى فراقها | وقد كنت أخشى منه قدما وأفرق
هى الغرض الأقصى، ورؤيتها المنى | وسكانها ودّى لهــم متوثق
ولو لم تـكن ذات العماد لما غدت | وليس لها مثلٌ على الأرض يخلق
حنينى إليها ما حييتُ مرجَّعٌ | وقلبى أسير الشوق والدمع مطلق
عليها تحياتى غـــوادٍ روائح | بها الريح تجرى والركائب تخفق
لجامعها المعمور بالذكر بهجة | ومرأى يسرّ الناظرين ورونق
محاسنه بكر الزمان فصرفهُ | علينا مدى الأيام حانٍ ومشفق
به زَجَل التسبيح عال يهيجه | حنين إلى ذاك الحمى وتشوّق[1]
وللعــلم فيه والعبادة معلم | جديد على مرّ الجديدين مونقُ
وفيه لأرباب التــلاوة لذة | إذا أخذوا فى شأنهم وتحلقوا
كأن مجاج النحل فى لهواتهم | إذا رجّعوا الأصوات فيها وأطلقوا[2]
وكم فيه من مثوى نبىّ ومشهد | بنسبته يسمو محلا ويَسْمُقُ[3]
وكم قائم لله فيــه تهجدا | بدعوَته نُكفى المخوفَ ونُرْزَق[4]
مصابيحه تجلو الظلام كأنها | مصابيح فى جوّ السماء تألقُ
وقبته مأوى الهــلال وبرجه | وفى كل أفق منه للحسن مَشْرِقُ
وقد جاوز الجوزاء فيه مآذن | بأكنافها نور الجلالة محدق
فواحدها منه الهلالُ سواره | وأخرى لها الجوزاء قرطٌ معلق
وأخرى ترى الإكليل فى غسق الدجى | يزان بها منها جبين ومفرق

---

(١) زجل التسبيح : أراد أصوات الذين يسبحون الله . ويهيجه : يثيره ، ووقع فى ا « لمهجتى » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى ب .

(٢) مجاج النحل : العسل ، واللهوات : جمع لهاة ، وهى هنة فى الحلق ، ورجعوا : رددوا .

(٣) يسمق : يعلو ويرتفع . (٤) فى ا « يكفى المخوف ويرزق » .

إذا ما بدا قوس السحاب لناظر　　فمنها له فى الجوّ سهم مفوّق
وقد نازع النسر العنان كأنه　　إلى أخـــويه نازع متشوّق
أحاطت به الأمواه من كل جانب　　وأمثالها فى أرضه تتخرق[(١)]
فمن بركة فيحاء يدعج ماؤها　　ومن جدول ريان كالسهم يمرق
وفوّارة يحـــكى سبيكة فضة　　تلألؤها أو بارق يتـــألق
فإن تنجز الأيام وعدا بقربها　　فإنى مُوَفَّى الحظ منها موفق[(٢)]
وإن أرض طوعا أرض مصر وحرها　　بديلا فإنى فائل الرأى أخرق[(٣)]
سقاها فروّى كل منفصم العرى　　من الدلو دانٍ مُرْعِدُ الشُّحْبِ مُبْرِق[(٤)]
إذا أثقلت حملا رواعد مزنه　　حسبت عشار النوق للرعد يطلق
وإن شهرت سيفا من البرق كفها　　رأيت بخدّيه دم المحل يهرق
على أنه أضحى الكفيل بريها　　وإن ضنّ غيثا ماؤها المتدفق

وكان قد وعده الشيخ شهاب الدين محمود وفخر الدين بن الجنّان ، فأخلفا ، فكتب إلى الشيخ شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى :

مواعد الفخر والشهاب　　أكْذَبُ من لامع السراب
أحسنتُ بالسيدين ظنًّا　　فكان نقبا على خراب
كم أخلفانى فخلّفانى　　إذ كنت غرا على التراب
بمـــا تكلفت من أمور　　ما كنّ من عادتى ودابى
خرجت فيهنّ من قشورى　　فأفقرانى من اللبـــاب
راغا وزاغا وليس هذا الـــخداع من شيمة الصحاب[(٥)]
لو أنصفانى بفرط شوق　　لوافيـــانى بلا طلاب

---

(١) فى ا « وأمثالها فى الروضة الغناء يمرق » تحريف .
(٢) فى ا «فإن تجد الأيام » وما أثبتناه عن ب أدق (٣) فائل الرأى : ضعيفه .
(٤) فى ا « من الذكر أن موعد الصبح مبرق » تحريف .
(٥) فى ا ، ب « وليس هذا ... من سيمة الصحاب » بالسين المهملة .

أو عَدَلا فى الوداد عادا   بعد عدول إلى الصواب
هل أمِنا الصعب من ملامى   والمؤلم المر من عقابى

فأجابه شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى :

أبارقٌ لاح فى صباح   أم نظم الدرّ فى سحاب
أم أسطر فرّجيشُ همى   حين تسارعن فى طلاب[1]
لم ير من قبلها محبٌ   كتائبا سرن فى كتاب
أرسلها سيد نداه   يهزأ بالزاخر العباب[2]
إلى غريبين لم يزالا   لها مدي الدهر فى ارتقاب
لم يخلفا الوعدَ بل أقاما   ليأخذ الجوع فى التهاب
ويستطيلا بكل ناب   كالصارم العضب غير نابى
ويصبح الفخر وهو جاث   ينقضّ للأكل كالشهاب[3]

فلما زاراه كتب إلى الأمير ناصر الدين الحرانى ، متولى حرب دمشق ، رحمه الله تعالى :

تفضل فخر الدين مثل شهابه   وزارا محل العبد وامتثلا الأمرا
وجاآ بجمع ضامرينَ من الطوى   فما تركوا عندى لبابا ولا قشرا
فأوسعتهم بالرغم منى كرامة   وإن كنت بالتحقيق ضقت بهم صدرا
وقالوا جميعاً : يخلف الله ، قلت : إن   تقبل منكم كان فى السنة الأخرى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أدار عقيقا فى إناء من الدر   فعاينت شمس الراح فى راحة البدر
وأبدت سماء الكأس زُهْرَ نجومها   فيا حسن يوم حفّ بالأنجم الزهر

---

(١) فى ا «أم أسطر قد فرين همى».
(٢) أراد بزاخر العباب البحر ، والعباب : الموج .
(٣) فى ا « ويصبح الفم وهو جاث » تحريف .

غدت كعبة الأفراح إذ طاف ناحِرا　　بها الهم مصقول الترائب والنَّحْرِ
غزال له من أخته البعد والسنا　　وليس لها درّ القلائد والثغر
أغارت على أسرار أرواح شَرْبها　　وأنقذت الأفراح من قبضة الأسر
غـريرٌ من الأتراك زنجى خاله　　كقلبي مقيم من هـواه على جمر
إذا ازورّ سخطا أو تلفَّتَ راضيا　　أمات وأحيا بالقطوب وبالبشر
وإن سلّ سيف اللحظ أو هز عطفه　　فيا خجلة البيض القواضب والسمر
تمتع بأيام الصبا واغْدُ جامعا　　لشمل صبا الأيام باللذة البكر
فما العيش إلا وصل كأس بأختها　　وجارية تسقى وساقيـة تجرى
وداو بحسن الظن بالله كل ما　　جنيت فعفو الله يجلو دُجى الوزر

(٣٨٨)

قطب الدين محمد بن أحمد القسطلانى

محمد بن أحمد[١] بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن ميمون ، الإمام ، الزاهد ، قطب الدين ، القسطلانى ، التَّوْزَرِى الأصل ، المصرى ، ثم المكىّ ، ابن الشيخ الزاهد أبى العباس .

ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، ونشأ بها[٢] ، وسمع من ابن البناء والسهروردى وابن الزبيدى وجماعة ، وقرأ العلم ودرس وأفتى ، ورحَل فى طلب[٣] الحديث ، وسمع ببغداد ومصر والشام والموصل ، وكان شيخاً ، عالما ، زاهدا ، عابدا ، كريم النفس ، كثير الإيثار ، حسن الأخلاق ، قليل المثال .

طُلب من مكة إلى القاهرة ، وولى مشيخة دار الحديث بالدار الكاملية إلى أن مات ، وله شعر مليح ، وروى عنه الدمياطى والمزى والبرزالى وخلق كثير

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥ /٣٩٧ وفى الوافى ٢ / ١٣٢ وفى النجوم الزاهرة ٣٧٣/٧ وذكر أن وفاته فى يوم السبت ثامن عشر المحرم .
(٢) فى الوافى «ولد بمصر ، ونشأ بمكة وسمع بها جامع الترمذى من أبى الحسن بن البناء»
(٣) فى ا ، ب « ودخل فى طلب الحديث » تحريف .

وكان يتوجه إلى أبى الهول الذى عند إهرام مصر ، وهو رأس الصنم الذى هناك ، ويعلو رأسه ويضرب به باللالكية[1] ، ويقول : ياأبا الهول ، افعل كذا ، افعل كذا [لأن جماعة من أهل مصر يزعمون أن الشمس إذا كانت فى الحَمَل وتوجه أحدهم إلى أبى الهول ، وبَخَّر بشكاعى وباذاورد ، ووقف عليه ، وقال ثلاثا وثلاثين[2] مرة كلماتٍ يحفظونها ، وقال معها : يا أبا الهول افعل كذا ، فزعموا أن ذلك يتفق وقوعه ، وكان الشيخ قطب الدين يفعل ذلك إهانة لأبى الهول ، وعكسا لذلك المقصد الفاسد ؛ لأن تلك الكلمات ربما تكون تعظيما له ضرورة .

وتوفى الشيخ قطب الدين سنة ستمائة وست وثمانين] .

ومن شعره :

إذا كان أنسى فى التزامى لخلوتى	وقلبى عن كل البرية خالى
فما ضرَّنى من كان فى الدهر قاليا	وما سرَّنى من كان فىَّ مُوالى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ألاهل لهجر العامرية إقصار	فتُقْضَى من الوجد المبرّح أوطار
عسى مامضى من طيب عيشى فى الحمى	يعود ولى فيه نجوم وأقمار
عدمت فؤادى إن تعلقت غيرها	وإن زين السلوان لى فهوَ غدَّار[3]
ولى من دواعى الشوق فى السخط والرضا	على الوصل والهجران ناه وأمّار
أأسلو وفى الأحشاء من لاعج الجوى	لهيب أسال الروح فالصبر منهار

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لما رأيتك مشرقا فى ذاتى	بدلت من حالى ذميم صفاتى
وتوجهتْ أسرار فكرى سُجَّدا	لجميل ما واجهت من لحظاتى
وتلوت من آيات حسنك سورة	سارت محاسنُهَا لجمع شتاتى

---

(١) فى الوافى « باللالكة » . (٢) فى الوافى « ثلاثا وستين » .

(٣) فى ا ، ب « وإن زين السلوان لى فهو أعذار » تحريف .

و بلوت أحـوالى فخلت معبرا ... فى الصحو عن سكرى بصدق ثباتى
وتحوّلت أحوالُ سرى فى العلا ... إذ غبت عن محو وعن إثبات
وتوحّدَت صفتى فرحت مُرَوّحا ... نظراً لمـا أشهدت من آياتى
لا أشتهى أن أشتهى مستنزها ... بل أنتهى عن غفلة الشهوات[1]
أنا إن ظهرت فعن ظهور بواطن ... شهدت بنطق كان من سكتاتى
من كان يجهل ما أقول عذرته ... فالشمس تخفى فى دُجى الظلمات
فدع المعنف والعذول وقل له ... الحـق أبلج فاستمع كلماتى
لا تيأسنّ بذاهب من حاضر ... أو غائب يدعو إلى الغـفلات[2]
لا تنظرنّ لغير ذاتك واسترح ... عن كل مافى الـكون من طلبات
نزّه مصادر وردها عن كل ما ... يلقى بها فى ظلمة الشبهات

(٣٨٩)

شهاب الدين محمد بن أحمد الخولى قاضى القضاة

محمد بن[3] أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر ، قاضى القضاة ، ذو الفنون ، شهاب الدين ، بن قاضى القضاة شمس الدين الخُوَيِّى ، الشافعى ، قاضى دمشق وابن قاضيها

ولد فى سنة ست وعشرين وستمائة ، ونشأ بدمشق ، وقد اشتغل فى صغره ، ومات والده وله إحْدَى عشرة سـنة ، فبقى منقطعا بالعادلية ، ثم أدْمَنَ الدرس والسَّهَرَ والتـكرار مدة بالمدرسة ، وحفظ عدّة كتب ، وعرضها ، وتميز على أقرانه ، وسمع فى صغره من ابن اللَّتِّى ، وابن المقير ، والسخاوى ، وابن الصلاح فأجاز له خلق من أصبهان و بغداد ومصر والشام ، ولازم الاشتغال فى كبره ، وصنف كتاباً كبيرا يحتوى على عشرين علما .

وشرح « الفصول » لابن معطى ، ونظم « علوم الحديث » لابن الصلاح و « الفصيح » لثعلب ، و « كفاية المتحفظ » ، وشرح من أول الملخص للقابسى خمسة عشر حديثا فى مجلد

(١) فى الوافى « أن أشتهى متنزها » .

(٢) وفيه « لا تأنسن بذاهب — إلخ » وهى خير مما هنا .

(٣) له ترجمة فى بغية الوعاة للسيوطى ١٠ وفى الوافى ٢ / ١٣٧ .

قال الشيخ شمس الدين : ثم انجفل إلى القاهرة ، فولى قضاء القاهرة والوجه البحرى خاصة اقتطع له من ولاية الوجيه البهنسى ، وأقام البهنسى على قضاء مصر والوجه القبلى .

ولما مات القاضى بهاء الدين بن الزكى بدمشق ، [و] نقل الخويى إليها ، سمع منه المزى ، والبرزالى ، والنابلسى ، والختنى ، وعلاء الدين المقدسىّ .

توفى فى بستان صَيَّف (١) فيه بالسهم يوم الخميس خامس عشر (٢) رمضان سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وصلى عليه بالجامع المظفرى ، ودفن عند والده بتربته بالجبل .

كان يعرف من العلوم التفسير والأصولين والفقه والنحو والخلاف والمعانى والبيان والحساب والفرائض .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

بخفىّ لطفك كلَّ سوء أتقى ... فامنن بإرشادى إليه ووفِّقِ
أحسنت فى الماضى وإنى واثق ... بك أن تجود علىَّ فيما قد بقى
أنت الذى أرجو فمالى فى الورى ... إنَّ الذى يرجو سواك هو الشقى (٣)

وقال أيضا رحمه الله تعالى وعفا عنه :

أمّا سواكَ فبابُهُ لا أطرق ... حسبى كريمٌ جودُهُ متدفِّقُ
ما إن يخاف بظل بابك واقف ... ظمأ وبحر نداك طامٍ مغدق (٤)
بحبال جودك لا يزال تعلقى ... ما خاب يوماً مَنْ بها يتعلق
بشرى لمن أضحى رجاؤك كنزه ... وله الوثـــوق بأنه لا يملق

(١) فى ا « ضيف فيه » .
(٢) فى الوافى « خامس عشرين شهر رمضان » .
(٣) فى الوافى « فمالى والورى » وهو خير مما هنا .
(٤) فى الوافى « بطل بابك » .

محمد بن أحمد ابن تمام الحنبلى

(٣٩٠)

محمد بن أحمد بن تمام ، الصالحى ، الحنبلى ، الخياط[١] .

هو الشيخ البركة أخو الشيخ تقىّ الدين بن تمام .

ولد بطريق الحج سنة إحدى وخمسين وستمائة، وسمع سنة ست وخمسين ، من عمر بن[٢] عوة التاجر ، وتمام السروى[٣] ، وابن عبد الدائم، وعبد الوهاب بن محمد ، وسمع منه خلق كثير ، واشتهر بالصلاح والتواضع ، وقد طال عمره ، وكان يرتزق من خياطة الخام ، ومما يفتح عليه ، ويطعم ويؤثر ، وكان مليح الوجه ، بسّاماً ، لين الكلمة ، أمّاراً بالمعروف ، له وَقْعٌ فى القلوب ، ومحبة فى الصدور ، نشأ فى تصون وعفاف وقناعة ، وتفقه قليلا ، وصحب الأخيار ، مثل الشيخ شمس الدين بن الكمال ، ورافق ابن مسلم ، والشيخ على بن نفيس .

وكان الأمير سيف الدين تنكز يكرمه ويزوره، ويذهب هو إليه ، ويشفع عنده ، وتمتع بحواسه ، وأبطأ مشيبه .

وتوفى ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى ! .

أبو عبد الله شمس الدين محمد ابن أحمد بن قايماز الذهبى الحافظ

(٣٩١)

محمد بن أحمد بن عثمان بن[٤] قايماز، الشيخ، الإمام، العلامة الحافظ شمس الدين، أبو عبد الله ، الذهبى ، حافظ لا يُجارَى ، ولاحظ لا يُبارَى[٥] ، أتقن الحديث ورجاله ، ونظر علله وأحواله ، وعرف تراجم الناس ، وأبان الإبهام فى تواريخهم والإلباس ، جمع الكثير ، ونفع الجم الغفير ، وأكثر من التصنيف ، ووفّر بالاختصار مؤنة التطويل فى التأليف ، وقف الشيخ كمال الدين بن الزملكانى

---

(١) له ترجمة فى الدرر الكامنة ٣ / ٣١١ وفى الوافى بالوفيات ٢/١٥٢ .

(٢) فى ا ، ب « من ابن حوة التاجر » وما أثبتناه موافق لما فى الوافى والدرر .

(٣) فى الوافى « السروري » .

(٤) له ترجمة فى الوافى ٢ / ١٦٣ ، والدرر الكامنة ٣/٣٣٦

(٥) فى الوافى « ولافظ لا يبارى » .

رحمه الله تعالى على تاريخه الكبير المسمى بتاريخ الإسلام جزءا بعد جزء إلى أن أنهاه مطالعةً ، وقال : هذا كتاب جليل[١] .

ومن تصانيفه : كتاب « تاريخ الإسلام » عشرين مجلدا ، وكتاب « تاريخ النبلاء » عشرين مجلدا ، و « الدول الإسلامية» و « طبقات القراء » و « طبقات الحفاظ » مجلدان ، و «ميزان الاعتدال » ثلاث مجلدات و « المشتبه فى الأسماء والأنساب » مجلد « نبأ الدَّجال » مجلد « تذهيب التهذيب » اختصار تهذيب الكمال ، ثلاث مجلدات « اختصار كتاب الأطراف » مجلدان « الكاشف ، اختصار التذهيب » مجلد « اختصار سنن البيهقى » خمس مجلدات « تنقيح أحاديث التعليق » لابن الجوزى « المستحلى ، اختصار المحلى » « المقتنى فى الكنى » « المغنى فى الضعفاء[٢] » « العبر ، فى خبر من غبر » مجلدان «اختصار المستدرك للحاكم» مجلدان «اختصار تاريخ ابن عساكر » عشر مجلدات « اختصار تاريخ الخطيب » مجلدان « اختصار تاريخ نيسابور » مجلد « الكبائر» جزآن « تحريم الإدبار» جزآن « أخبار السد » « أحاديث مختصر ابن الحاجب » « توقيف أهل التوفيق ، على مناقب الصديق » مجلد « نعم السمر ، فى سيرة عمر» مجلد «التبيان، فى مناقب عثمان» مجلد «فتح المطالب ، فى أخبار على بن أبى طالب » مجلد « معجم أشياخه » وهو ألف وثلثمائة شيخ ، « اختصار كتاب الجهاد لابن عساكر » مجلد « ما بعد الموت » مجلد « اختصار كتاب القدر للبيهقى » ثلاثة أجزاء « هالة البدر ، فى عدد أهل بدر » « اختصار تقويم البلدان» لصاحب حَماة « نفض الجعبة[٣] فى أخبار شعبة» «قض[٤] نهارك ، بأخبار ابن المبارك » « أخبار أبى مسلم الخراسانى » وله فى تراجم الأعيان لكل

---

(١) فى الوافى « هذا كتاب علم » .

(٢) فى ا ب « المقتنى فى الضعفاء » وما أثبتناه موافق لما فى الوافى .

(٣) فى الوافى « نغض الجعبة » وفى ا ، ب « نقض الجعبة » .

(٤) فى الوافى « فض نهارك » .

واحد منهم مصنف قائم الذات ، مثل الأئمة الأربعة ، ومَنْ يجرى مجراهم ، لكنه أدخل الكل فى « تاريخ العلماء والنبلاء » .

وكان مولده فى ربيع أول[1] سنة ثلاث وسبعين وستمائة .

وتوفى فى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

ومن شعره :

إذا قرأ الحديث علىَّ شخصٌ — وأخلى موضعاً لوفاة مثلى

فما جازى بإحسان ؛ لأنى — (أريد حياته ويريد قتلى)

وله أيضا رحمه الله تعالى :

لو أن سفيان على حفظه — فى بعض همى نسى الماضى

نفسى وعرسى ثم ضرسى سَعَوْا — فى غربتى والشيخ والقاضى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

العلم قال الله قال رسوله — إن صح والإجماع فاُجهد فيه

وحذار من نصب الخلاف جهالة — بين الرسول وبين رأى فقيه

(٣٩٢)

محمد بن جعفر[2] أمير المؤمنين المنتصر[3] بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدى بن المنصور .

كان أعْيَنَ أقنى ، أسمر مليح الوجه جسيما مهيباً ، وكان وافر العقل ، راغباً فى الخير ، قليل الظلم ، محسناً إلى العلويين ، وكان يقول : يابغا أين أبى؟ مَنْ قتل أبى؟ ويسب الأتراك ، ويقول: هؤلاء قتلة الخلفاء ، فدسوا للطبيب ابن طيفور ثلاثين ألف دينار عند مرضه فأشار بفَصْده، وفَصَده بريشة مسمومة فمات ، ويقال: إنَّ ابن طيفور نسىَ وقال لغلامه : افصدنى، ففصده بتلك الريشة فمات أيضا، وقيل : مات بالخوانيق،

---

(١) فى الوافى « ربيع الآخر » وذكر أنه أخبره بذلك ، ونظيره فى الدرر

(٢) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٤٣ وفى الوافى ٢٨٩/٢ .

(٣) فى ا، ب « المستنصر بن المتوكل » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الأمهات التى عددناها

وقيل : سم فى كمثراه بارة ، وقال عند موته : ياأمّاه ، ذهبت منى الدنياوالآخرة ، عاجلت أبى فعوجلت ، ولم يتمتع بالخلافة ؛ لأنه ولى فى شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ، ومات فى ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وعاش ستا وعشرين سنة ، وقال عند الموت :

فما مُتِّعَتْ نفسى بدنيا أصبتها ولكن إلى الربّ الكريم أصير
وما كان ما قدّمته رأى فلتة ولكن بفتياها أشار مشير

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

متى ترفع الأيام مَنْ قَدْ وضعته وينقاد لى دهر علىّ جموح
أعلل نفسى بالرجاء ، وإننى لأغدو على من ساءنى وأروح[1]

وله فيما نسب إليه من قتل أبيه رحمه الله تعالى :

لو يعلم الناس الذى نالنى فليس لى عندهم عذر
كان إلىّ الأمر فى ظاهر وليس لى فى باطن أمر

قال سبط ابن الجوزى فى المرآة : كان المتوكل قد أراد أن ينقل العهد من ابنه المنتصر لابنه المعتز لمحبته لأمه ، وسام المنتصر أن ينزل عن ولاية العهد ، فأبى ، وكان يحضره ويتهدّدهُ بالقتل ، فأحضره ليلة وشتمه شتما قبيحا ، وشتم أمّه ، فقام المنتصر وهو يقول : والله لو أنّ جارية لبعض سُوّاسك لمنعت من ذكرها ، ولوجب عليك صيانتها ، فغضب المتوكل وقال للفتح بن خاقان : وحق قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لم تَلْطُمه لأقتلنك ، فقام الفتح ولطمه ، وقال المتوكل : أشهدوا علىّ أننى قد خلعته من الخلافة ، فبقيت هذه الأشياء فى قلبه ، وعمل ما عمل مما هو مذكور فى ترجمة المتوكل ، والله أعلم .

(٣٩٣)

محمد بن جعفر ، أمير المؤمنين ، المعتز بالله ، بن المتوكل بن المعتصم[2] .

---

(١) فى الوافى « لأغدو على ما ساءنى وأروح » .

(٢) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٤٤ وفى الوافى بالوفيات (٢/ ٢٩١)

ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين؛ ولم يل الخلافة قبلَهُ أصغرُ منه ، بويع له بالخلافة عند عزل المستعين بالله وهو ابن تسع عشرة سنة ، وكانت خلافته ثلاث سنين وستة أشهر وأربعة عشر يوما ، ومات عن أربع وعشرين سنة .

وكان مُسْتَضْعَفاً مع الأتراك [اجتمع له الأتراك[1]] فقالوا له : أعطنا أرزاقنا لنقتل صالح بن وصيف، وكان يخافه، فطلب من أمّه مالا لنفقة الأتراك فأبت، ولم يكن فى بيوت الأموال شيء ، فاجتمعوا هم وصالح ، واتفقوا على خَلْعه ، وجرّوه برجله ، وضربوه بالدبابيس ، وأقاموه فى الشمس فى يوم صائف ، فبقى يرفع قدما ويضع أخرى وهم يلطمون وجهه ، ويقولون: اخلع نفسك، ثم أحضروا القاضى ابن أبى الشوارب والشهود وخلعوه، ثم أحضروا محمد بن الواثق من سامرّا فسلم عليه المعتز بالخلافة وبايعه ، ولقبوه المهتدى، ثم إنهم أخذوا المعتز بعد خمسة أيام وأدخلوه الحمام، وعَطّشوه، وطَلَب الماء فمنعوه من ذلك حتى أغمى عليه ، فأخرجوه وقد سَقَوْه ماء بثلج ، فشربه وسقط ميتاً .

وقال سبط ابن الجوزى فى المرآة : لما أوقفوه فى الشمس طلب نعلا فلم يعطوه ، فأسبل سراويله على رجليه ، وقيل : إنهم نزعوا أصابعَ يديه ورجليه ثم خنقوه، وقيل : أدخلوه سردابا مجصصا جديدا[2] ، فاختنق ، ولم يعذب خليفة بمثل ما عذب على صغر سنهِ .

وتوفى يوم السبت لست خلون[3] من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين، ودفن إلى جانب أخيه المنتصر .

وكان أبيض، جميل الوجه، على خدّه الأيسر خال أسود، وصلى عليه المهتدى، وأمّه رومية ، وكان نقش خاتمة «المعتز بالله» وهو ثالث خليفة خلع من بنى العباس ، ورابع خليفة قتل منهم، قال البحترى : كنت صاحبا لأبى معشر المنجم، فتضايقنا مضايقة

(١) زيادة عن الوافى ، وهذه الترجمة تشبه ما هناك فى كل ألفاظها إلا أن المؤلف يسقط بعض ألفاظ مما هناك . (٢) فى الوافى « مجصصا بجص جديد »

(٣) فى الوافى «لست خلون من شعبان ، وقيل : لليلتين، وقيل : فى اليوم الثانى من رمضان » .

شديدة، فدخلنا على المعتز وهو محبوس قبل أن يلى الخلافة، فأنشدته أبياتا كنت قلتها

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك … من الحادث المشكوّ والنازل المشكى
وما هـــذه الأيام إلا منازل … فمن منزل رَحْب إلى منزل ضَنْك
وقد هذبتك الحادثات ، وإنما … صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك
أما فى رســول الله يوسف أسوة … لمثلك محبوسا على الظلم والإفك
أقام جميل الصــبر فى السجن برهة … فآل به الصبر الجميل إلى الملك

فدفع الورقة إلى خادم على رأسه ، وقال : احتفظ بها فإن فرّج الله تعالى ذكرنى لأقضى حاجتهم، وكان أبو معشر قد أخذله طالعاً لمولده فحكم له بالخلافة بمقتضى الطالع ، فلما ولى الخلافة أعطى كل واحد منا ألف دينار ، وأجرى له فى كل شهر مائة دينار .

وقال الزبير بن بكار : دخلت على المعتز فقال لى : يا أبا عبد الله ، قد قلت أبياتا فى مرضى هذا ، وقد أعيا على إجازة بعضها ، وأنشدنى :

إنى عرفت علاج القلب من وجعى … وما عرفت علاج الحب والهلع
جزعت للحب ، والحمّى صبرت لها … فليس يشغلنى عن حبكم وجعى
وما أملّ ببيتى ليلتى أبداً … مع الحبيب ويا ليت الحبيب معى[1]

(٣٩٤)

محمد بن جعفر[2] بن أحمد ، الراضى بالله ، أمير المؤمنين ، بن المقتدر بن المعتضد كان سمحا ، واسع النفس ، أديباً شاعراً كريم الأخلاق ، محبًّا للعلماء ، مجالسا لهم ، ختم الخلفاء فى أمور عدّة : منها أنه آخر خليفة له شعر مدوّن ؛ وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، وآخر خليفة جالس الندماء ، وآخر خليفة كانت

---

(١) بين هذا البيت والذى قبله فى الوافى « قال الزبير : فقلت » وهو الذى يقتضيه السياق ؛ فإنه أراد من الزبير أن يجيز ما قاله .

(٢) له ترجمة فى الوافى بالوفيات (٢ / ٢٩٧) وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٥٧ وفى معجم الشعراء ص ٤٦٥ .

عطاياه ونفقاته وجوائزه تجرى على ترتيب الخلفاء الأول ؛ وقع حريق بالكرخ فأطلق خمسين ألف دينار لعمارة ما احترق .

قال الصولى : دخلت عليه وهو جالس على آجرة قبالة الصانع ، وكنت أنا وجماعة من الجلساء ، فأمر بالجلوس ، فأخذ كل واحد منا آجرة وجلس عليها ، واتفق أنى قد أخذت أنا آجرتين ملتصقتين فجلست عليهما ، فلما قمنا أمر أن توزن كل آجرة ويدفع إلى صاحبها بوزنها دنانير ، قال الصولى : فتضاعفت جائزتى عليهم ، وقد حكى عنه أنواع من الكرم .

ومن شعره وقد تكلم الناس فى إنفاقه الأموال :

لا نقد فى كرمى على الإسراف　　ربح المحامد متجر الأشراف (1)
أجرى كآبائى الخلائف سابقا　　وأشيد ما قد أسست أسلافى
إنى من القوم الذين أكفهم　　معتادةُ الإتلافِ والإخلاف

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

يصفر وجهى إذا تأمله　　طرفى ، ويحمر وجهه خجلا
حتى كأن الذى بوجنته　　من دم جسمى إليه قد نقلا

وقال أيضا رحمه الله تعالى وعفا عنه :

قد أفصحت بالوتر الأعجم　　وأفهمت مَنْ كان لم يفهم
جارية تحسب من لطفها　　مخاطبا ينطق لامن فم
جست من العود مجارى الهوى　　جس الأطباء مجارى الدم

وقال أيضا رحمه الله تعالى عند موته :

كل صفو إلى كَدَرْ　　كل أمر إلى حَذَرْ
ومصيرُ الشباب للـ　　ـموت فيه أو الكبر

---

(1) فى ب « لا تعذلى كرمى على الإسراف » وهو كذلك فى الوافى .

أيها الآمل الذى تاه فى لجة الغرر
أين من كان قبلنا درس الشخص والأثر
رب إنى أدخرت عنـدك أرجوه مُدَّخَر[1]
أننى مؤمن بما بَيَّنَ الوحى فى السير

قيل : إنه مرض ، وتقيأ فى يومين أربعة عشر رطل دم ، وقيل : إنه استسقى وأصابه ذرب عظيم ، وكان أعظم آفاته كثرة الجماع .

توفى ببغداد منتصف ربيع الآخر سنة سبع وعشرين[2] وثلثمائة ، وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أيام ، ولم يوجد له حنوط ؛ لأن الخزائن ختمت عند موته ، فاشتروا له حنوطا من بعض العطارين ، وحُمل إلى الرصافة فى طيار ، ودفن فى تربة عظيمة له أنفق عليها أموالا كثيرة .

قال ابن الجوزى : دَرَسَت الآن ، ولم يبق لها عين ولا أثر ، كان قصيرا أسمر نحيفاً فى وجهه طول ، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه !

(٣٩٥)

أبو المعالى بهاء الدين كافى الكفاة محمد بن الحسن البغدادى (ابن حمدون)

محمد بن الحسن[3] بن محمد بن على بن حمدون ، أبو المعالى ، ابن أبى سعد ، الكاتب المعدل ، كافى الكفاة ، بهاء الدين ، البغدادى .

من بيت فضل ورياسة ، وكان ذا معرفة بالأدب والكتابة ، سمع وروى وصنف كتاب « التذكرة » فى الأدب والنوادر والتواريخ ، وهو كتاب كبير يدخل فى اثنى عشر مجلدا ، اختص بالمستنجد ، يجتمع به وينادمه ، وولاه ديوان

---

(١) فى ا ، ب «رب إنى ادخرت عفوك» وما أثبتناه موافق لما فى الوافى .

(٢) فى الوافى وتاريخ الخلفاء أن وفاته سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، وهو الصواب الموافق لما فى أمهات التواريخ .

(٣) له ترجمة فى الوافى (٢/٣٥٧) وفى بغية الملتمس ، وفى وفيات الأعيان لابن خلكان (الترجمة ٦٢٦ بتحقيقنا) وفى شذرات الذهب ٥/٣٢ وسماه الحسن بن محمد بن الحسن وذكر وفاته فى سنة ٦٠٨ .

الزمام ، وكان أوّلا عارض جيش المقتفى ، وكان كريم الأخلاق ، حسن العشرة ، وقف المستنجد على حكايات له رواها فى التذكرة توهم غضاضة على الدولة ، فأخذ من دَسْتِ منصبه وحُبِس ، ولم يزل فى سجنه إلى أن رُمِسَ .

توفى محبوساً سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

ومن شعره :

يا خفيف العقل والرأس معا ... وثقيل الروح أيضا والبدن
تدّعى أنك مثـــلى طيب ... طيب أنت ولــكن بلبن[1]

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وحاشا معاليك أن تستزاد ... وحاشا نوالك أن يقتضى
ولــكنما أستزيد الحظوظ ... وإن أمرتنى النهى بالرضا

(٣٩٦)

أبو عبدالله محمد بن الحسن (بن الاردخل) الأنصارى الشاعر

محمد بن الحسن بن[2] يمن ، أبوعبدالله ، الأنصارى ، الموصلى ، المعروف بابن الاردخل الشاعر ، نديم صاحب الموصل ، ونديم صاحب ميافارقين .

كان من الشعراء المجيدين ، مدح الأشرف موسى وغيره ، والاردخل هو الجيد فى البناء .

توفى سنة ثمان وخمسين[3] وستمائة .

ومن شعره رحمه الله :

ولقد رأيت على الأراك حمامةً ... تبكى فتسعدنى على أحزانى
تبكى على غصن وأندب قامة ... فجميعنا يبكى على الأغصان
صرع الزمان وحيدَهَا فتعللت ... من بعده بالنوح والأحزان
تخشى من الأوتار وهى مَرُوعة ... منها فَلِمْ غنت على العيدان

(١) يريد أنه قرع .

(٢) له ترجمة فى الوافى بالوفيات (٢/ ٣٥٨) .

(٣) كذا فى ا ، ب والذى فى الوافى « سنة ثمان وعشرين وستمائة » .

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

إبر أنام الليل وهو يقوم　　حامى الإهاب كأنه محموم

مغرى بحرف الجرّ إلا أنه　　ما زال مفتوحا به المضموم

وله أيضا سامحه الله تعالى :

أفى كل يوم لى من الدهر صاحب　　جـديد ، ولى حاد إلى بلد يحدو

أروح وأغدو للغنى غير مُدْرك　　ويدركه من لا يروح ولا يغدو(١)

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

وذكرها ماء بدجلة لائم　　فلم تتمالك أن جرت عبراتها

فلله عين ما عتبت دموعها　　صممن وإقرار الجوارى صُمَاتُهَا

وله أيضا سامحه الله تعالى :

ماعلى مَنْ وصاله الصبح لوقصـ　　ـر من ليل هجره ما أطاله

أَلِفِيُّ القوام عـنى أمالو　　ه فقلبى مكسور تلك الإماله

وقال رحمه الله تعالى وعفا عنه :

واها على عيش مضت سَنَواته　　فـكأنما كانت هى الساعات

والراح ترجم كل همّ طالع　　بكواكب أفلا كها الراحات

قابلت بالساقى السماء فأطلعت　　بدرا علىّ كأنهـا مرآةُ

الخضر عارضُـهُ ، وواضح ثغره　　عين الحيـاة ، وصدغه الظلمات

وله أيضا سامحه الله تعالى وعفا عنا وعنه :

يا قريبا عصيتُ فيه التنائى　　وعزيزا أطعت فيـه الهوانا

أَخذَتْ وصف قدك الورقُ عنىّ　　فأمالت بلحنها الأغصانا(٢)

---

(١) فى ا ، ب « أروح وأغدو للنوى » تحريف لا يتم له معنى .

(٢) كذا فى ا ، وفى ب والوافى يقع عجز هذا البيت

* فأحبت لحبه الأغصانا *

(٣٩٧)

شمس الدين محمد بن الحسن الصائغ العروضى

محمد بن الحسن بن سباع ، شمس الدين ، الصائغ ، العروضى [١] .

أقام بالصاغة زمانا يقرىء الناس العربية والعروض والأدب ، وكان يلقب بقطب الدين بن شيخ السلامية ، ورأيته مرةً [٢] ، توفى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة تقريباً ، وكان له نظم ونثر ، وشرح « ملحة الإعراب » وشرح الدريدية فى مجلدين كبيرين ، رأيته بخطه ، وديوانه مجلدان كبيران ، واختصر صحاح الجوهرى وجرّدَهُ من الشواهد ، وله قصيدة تائية على وزن التائية التى لسلطان العارفين [٣] تزيد على ألفى بيت ، وله المقامة الشهابية عملها للقاضى شهاب الدين الخويِّى .

ومن نظمه :

إن جزت بالموكب يوما فلاَ ... تسأل عن السيارة الكُنَّسِ
فثم آرامٌ علـى ضُمَّرٍ ... لله ما تفعـل بالأنفس
فقل لذى الهيئة ياذا الذى ... ينقل ما ينقل عن هُرْمُسِ
قولك هـذا خطأ باطل ... أما ترى الأقمار فى الأطلس

أخذ هذ المعنى من سيف الدين المشدّ ونقصه فإنه قال :

زعم الأوائل أنمـــا ... تبدو الذوائب للكواكب
وتوهمـوا الفلك المعظـم أطلسا ما فيـه ثاقب
أتراهم لم ينظـــروا ... ما فى الزمان من العجائب
كم مِن هلالٍ قد بدا ... فى أطلس وله ذوائب

وقال وهو بمصر يتشوق إلى دمشق رحمه الله :

لى نحو ربعك دائما يا جلق ... شـوق أكادبه جوى أتمزق
وهمول دمع من جوى بأضالع ... ذا مغرق عينى وهـذا محرق

---

(١) له ترجمة فى الدرر الكامنة ٣/٤١٩ وفى الوافى ٢ / ٣٦١ .

(٢) فى ا « ورأيته أول راية » وفى الوافى « ورأيته غير مرة » .

(٣) كذا فى ا ، ب ، وفى الوافى « التى لشيطان العراق » .

أشتاق منك منـازلا لم أنسها ... أنَّى وقلبي في ربوعك مُوثَقُ
طلل به خَلْقي تَكَوَّنَ أولا ... وبه عُرفت بكل ما أتخلق
وقف عليه لذى التأسف والبكا ... قلبي الأسير ودمع عيني المُطْلَقُ
أدمشق لا بعدت ديارك عن فَتىً ... أبدا إليك بكله يتشوق
أنفقت في ناديك أيام الصبا ... حبا وذاك أعز شيء ينفق
ورحلت عنك ولى إليك تلفتٌ ... ولكل جمع صَدْعة وتفرّق
فاعتضت عن أنسى بظلك وحشة ... منها وَهْى جَلَدى وشاب المفرِقُ[1]
فلبست ثوب الشيب وهو مشهر ... وخلعت ثوب الشرخ وهو معتق[2]
ولكم أسكن عنك قلباً طامعاً ... بوعود قربك وهو شوقاً يخفق
ولكم أحدّث عنك من لاقيته ... وجميع من سمع الحديث يصدّق
والأرض في عرض وطول دائماً ... لم يَحْوِ مثلك غربُها والمشرق
لله وادى النيرين وظله ... لا الرقتان ورامة والأبرق
وسقى ديار الصالحية وابل ... يهمى على تلك المنازل مغدق
والسهم لا افترت ثغور أقاحه ... إلا ودمع سحابه يترقرق
كم فيه من قصر منيف مشرف ... يبدو به قمر منير مشرق
وببيت لهيا لا تعداه الحيا ... طلل عليه من النضارة رونق
هو منزل آثاره مشهورة ... ولأهله عهد علىَّ وموثِقُ
وحباك يا أطلال حوبر واصلا ... غيث مريع مستهلٌّ مشفق
لله سرحة ذلك الربع الذى ... قلبي يهيم به وذاك الجولق
والوادى الشرقى لا برحت به ... ديم تسح وو بلها يتدفق

---

(١) وهى : ضعف ، والجلد : التصبر.

(٢) فى ا ، ب « ثوب الشرخ وهو مفتق » .

فغياضه ورياضه كعيونه هـذا يعوم به وهـذا يغرق
ولكم قطعت به زمانا لم أزل أشتاقه ما دمت حيا أرزق
فى سكر زبدين إلى جسرين كم حَيَّا الحَيا حيًّا عليه رونق
فالواديان كلاهما الغربى والشرقىّ نزهـة مَنْ برفق يرمق
أنى اتجهت رأيت دوحا ماؤه متسلسل يعلو عليه جوسق
والقصر والشرفات والشقراء والـ ـميدان عشقا للذى لا يعشق
فلكم حَوت تلك المنازل صورة فيها الجمال مجمع ومفـرق
فمخضب ومؤزر ومعمـم ومزنّر ومبرقع ومقـرطق
كم من غـزال بالنفوس متوج وقضيب بان بالعيون ممنطق
والريح تكتب والجداول أسطر خط له نَسْخُ الربيع محقق[١]
والطير يقرأ والنسيم مردّد والغصن يرقص والغدير مصفق[٢]
ومعاطف الأغصان أثنتها الصبا طربا فذا عار وهـذا مورق[٣]
وكأن زهر اللوز أحـداق إلى الزوار من خلل الغصون تحدق
وكأن أشجار الرياض سرادق فى ظلها من كل لون نمرق
والورد بالألوان يجلو منظراً ونسيمه عطـر كمسك يعبق
فبـلابل منها تهيج بلابلا وكذاك أثواب الشقيق تشقق
وهزاره يصبو إلى شحروره ويجاوب القمرىَّ فيـه مطوق
وكأنما فى كل عـود صادح عود حـلا مزمومه والمطلق[٤]
والورق فى الأوراق يشبه شجوها شجوى، وأين من الخلى الموثق[٥]
تتلو على الأغصان أخبار الهوى فيكاد ساكن كل شىء ينطق

---

(١) هكذا، وفى الوافى «والريح تكتب فى الجداول أسطرا» وهو الصواب
(٢) فى الوافى «والغدير يصفق» (٣) فى الوافى «غنتها الصبا طربا».
(٤) فى الوافى «وكأنما فى كل عود صارخ».
(٥) وفيه «وأين من الطليق الموثق».

يا سائراً والريح تعثر دونه   والبرق يبسم إذ به يتـألق
إن جزت من وادى دمشق منازلا   لى نحوها حتى الممات تشوق[1]
بالجبهة الغراء والوجـه الذى   يزهو به القصر المنيف الأبلق
ورأيت ذاك الجامع الفَرْدَ الذى   فى الأرض طراً مثله لا يخلق
قل للفتى عبد الرحـيم فإننى   أبداً بحسن وداده أتحقـــق
إن كنتمُ عرضْتُمُ بتشوق   وحياتكم إنى إليكم أشـوَقُ
أشتاقكم من أرض مصر وبيننا   بِيدٌ تَخُبُ لهـا المطى وتعنق[2]
قفر يحارُ بها الدليـلُ ودونه   رمل تكادبه المطايا تغـرق
لم أستطع فيه المسـير كأنه   لتوقد الرمضاء نار تحـرق
فارقتكم لا عـن رضا فلبعدكم   عنى علىَّ الرحبُ ضنكٌ ضيـق
وقنعت حتى صرت أرجو منكم   من بعد ذاك القرب طيفاً يطرق
ولقد عطفت على الزمان معاتبا   فرأيت كفى عنـه صبراً أليَقُ
يمضى النهار وفيه قلبى مفكر   والليـــل طرفى بالبعاد مؤرق
فعليكم منى التحيـــة ما بدا   صبح به وجـه الغزالة مشرق

(٣٩٨)

شمس الدين محمد بن دانيال الحكيم الموصلى

محمد بن دانيال بن يوسف، الموصلى، الحكيم، الفاضل، الأديب، شمس الدين صاحب النظم الحلو، والنثر العذب، والطباع الداخلة، والنكت الغريبة، والنوادر العجيبة.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى: هو ابن حجاج عصره، وابن سكرة مصره، وضع كتاب «طيف الخيال» فأبدع طريقه، وأغرب فيه فكان هو المطرب

---

(١) فى ب «إن جئت من وادى دمشق».

(٢) البيد: جمع بيداء، وهى الصحراء، وتخب: مضارع من الخبب، وتعنق: مضارع من العنق، والخبب والعنق: ضربان من السير السريع.

والمرقص على الحقيقة ، أخبرنى الشيخ فتح الدين بن سيد الناس قال: كان الحكيم شمس الدين ابن دانيال له دكانُ كحلٍ داخلَ باب الفتوح ، فاجتزت عليه أنا وجماعة من أصحابه ، فرأينا عليه زحمة ممن يكحله ، فقالوا : تعالوا نخايل على الحكيم ، فقلت لهم : لا تشاكلوه تخزوا معه[1] ، فلم يسمعوا ، وقالوا : ياحكيم نحتاج إلى عصيات ، يعنون أن هؤلاء الذين يكحلهم يعمون ويحتاجون إلى العصا ، فقال بسرعة : لا ، إلا إن كان فيكم مَنْ يقود لله تعالى ، فمروا خجلين ، وله من هذا النوع غرائب تنقلها المصريون عنه .

وكانت وفاته بالديار المصرية فى شهور سنة ثمان وستمائة .

فمن نظمه قال لغزا فى سرموزة :

وجارية هيفاء ممشوقة القَـــدِّ	لها وجنة أبهى أحمراراً من الورد
من اليمنيات التى حُـرٌّ وجهها	يفوق صقالا صفحة الصارم الهندى
وثيقة حبل الوصـل منذ صحبتها	فلست أراهُ قط منتقض العهـد
وفى وصلها أمسى الشقاء ميسراً	وجاوز فى تيسيره غاية الجهد
ولم أر وَجْهاً قبلها كل ساعـة	على الترب ألقاها معفرة الخـد
ومن عجـبى أنى إذا ما وطئتها	تئنُّ أنيناً دونَهُ أنَّةُ الوَجْدِ
مباركة عندى ، ولا برحت إذاً	مدورة الكعبين شؤما على ضد

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

قلت لمولاى السَّنِى	المحسن المستحسن
من قال إنك ماتنا	فإنَّ عبـدك ماتنى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ولرب ليـل بالخليج قطعتـه	إذ بتُّ منـه ساهراً بالشاطى

(١) فى ا « تخسروا معه » .

أمسى الضناء منادمى وحُشاشتى محشـوة بغرائب الأخـلاط
ولشقـوتى بتنا معا فى مضجع متردين على الثرى يبسـاط
عصفت علىَّ رياحُه فوجـدتها أقوى هبوباً من رياح شباط[1]
قد كنت أنعس لانتشاق فسائه غشيًا فيوقظنى بصوت ضراط
ما زلت أنشق منـه ريحا منتنا حتى استحال إلى الخراء مخاطى
يا أيها المفتون من أزياجه هٰذِى النصيحة فيك للخياط

وقال أيضاً رحمه الله تعالى فى فرسه :

قد كمل الله برذونى لمنقصة وشانه بعـد ما أعماه بالعرج
أسير مثل أسير وهو يعرج بى كأنه ماشياً ينحط من درج
فإن رمانى على ما فيه من عَرَج فما عليه إذا ماتُّ من حرج

وقال فى الشيخ ابن تعلبة وقد ترك الغناء واللهو وتصوّف فى المشتهى من روضة مصر :

لطمت بعدك الخدودَ الدفوفُ وتحامت تلك الصروف الكفوف
وتساوى عنـد الرقاق وقد ما ت لدينا ثقيلُها والخفيفُ
وعلت ضجة المواصـل حزنا والندامى على السرور عكوف
وجرت أدمع الرواويق حتى عاد منها النزيف وهو نزيف
وبدا الشمع وهو من سيلان الـدمع إنسان عينه مطروف[2]
يا إمام الملاح دعوة قاض فى قضايا المجون ليس يَحِيف[3]
كيف ذقت الخشوع هل هو حلو يا حريفى بالله أو حِرِّيفُ
تبت لله توبة الشيخ إن الزهد لا يحتـوى عليـه الضعيف

(١) فى ا « من رياح نشاطى »
(٢) فى ا « ودنا السمع »
(٣) ليس يحيف : لا يجور .

لا تكن راسب المقرّ فما ير سب فى المستقر إلا الكثيف
وإذا قمت للصلاة فقم تعلبة ناشقا فأنت نظيف
وإذا ما خلوت فى خلوة المسجد قل للمريد عندى ضيوف[(١)]
وإذا ما أخرجت كيسك بالمعلوم قل للحضور هذا سفوف
حبذا زهدك التليد فما أنت به فى الشيوخ إلا ظريف[(٢)]

قسما يا قلبة البين إنى … قرم الشوق للقا ملهوف
أترجى منك الرجوع قريبا … طمعا فيك والمحبّ عطوف

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أصبحت أفقر من يروح ويغتدى … ما فى يدى من فاقة إلا يدى
فى منزل لم يحو غيرى قاعدا … فإذا رقدت رقدت غير ممدّد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة … ومخدّة كانت لأم المهتدى
مُلْقَى على طراحة فى حشوها … قمل كمثل السمسم المتبدّد
والفار يركض كالخيول تسابقت … من كل جرداء الأديم وأجرد
هذا وكم من ناشر طاوى الحشا … يبدو كمثل الفاتك المتردّد[(٣)]
هذا ولى ثوب تراه مرقعاً … من كل لون مثل ريش الهدهدِ

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

قد عقلنا والعقل أىّ وثاق … وصبرنا والصبر مرّ المذاق
كل من كان فاضلا كان مثلى … فاضلا عند قسمة الأرزاق

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ما عاينت عيناى فى عطلتى … أدْبَرَ من حظى ولا بختى

---

(١) فى ا « قل للضيوف عندى ضيوف » .
(٢) لعله « إلا طريف » بطاء مهملة (٣) فى ا « كمثل القاتل المتردد » .

قد بعت عبدى وحمارى وقد	أصبحت لا فوق ولا تحتى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا سائلى عن حرفتى فى الورى	وصنعتى فيهم و إفلاسى
ما حالُ مَنْ درهَمُ إنفاقه	يأخذه من أعين الناس

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

رأيت سراج الدين للصفع صالحا	ولكنه فى علمه فاسد الذهن
أستره بالكف خوف انطفائه	وآفته فى طفئه كبر الذقن (١)

وقال وقد صلبوا ابن الكازرونى وفى عنقه جرّة خمر فى الأيام الظاهرية شعرا :

لقد كان حدّ الخمر من قبل صلبه	خفيف الأذى إذ كان فى شرعنا جلدا
فلما بدا المصلوب قلت لصاحبى	ألا تُبْ فإنّ الحدّ قد جاوز الحدّا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لقد منع الإمام الخمر فينا	وصير حدها حد اليمانى (٢)
فما جسرت ملوك الجنّ خوفا	لأجل الخمر تدخل فى القنانى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

كم قيل لى إذ دُعِيتُ شمسا	لابد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء	سما إلى السطح من ضلوع

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

فسّرَ لى عابر مناما	أحسن فى قوله وأجمل
وقال لابد من طلوع	فكان ذاك الطلوع دمّل

---

(١) فى ب « وآفته فى طفئه كثرة الدهن » وهى خير مما اثبتناه عن ا .

(٢) حد اليمانى : أى حد السيف ، وأراد أن الحد على شرب الخمر قد صار القتل

وقال أيضا رحمه الله تعالى وعفا عنه :

يَارَشاً لحظُهُ الصحيح العليل   كل صب بسيفه مقتول
لك ردف غادرته رهن خصر   وهو رهن كما علمت ثقيل

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

يا لائمى فى العذار مهلا   فأنت بالعذل لى مهيج
الحسن قد زادنى غراما   إذ رقم الورد بالبنفسج
وكل ديباج خد ظبى   إن لم يكن معلما قد حرج

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

يقولون سيف الدين من أجل علقه   جفاك فلا تأمن عوائل حقده
فقلت : ألا يا قوم ما أنا جاهل   فأدخل بين السيف عمدا وغمده

وقال وقد أبطلت المنكرات فى أيام حسام الدين لاجين :

أحذر نديمى أن تذوق المسكرا   أو أن تحاول قط أمرا منكرا
لا تشرب الصهباء صرفا قرقفا   وتزور من تهواه إلا فى الكَرَى
أنا ناصح لك إن قبلت نصيحتى   اشرب إذا ما رمت سكرا سكَّرا
والرأى عندى ترك عقلك سالما   من أن تراه بالمدام تغيرا
ذى دولة المنصور لاجين الذى   قهر الملوك وكان سلطان الورى
إياك تأكل أخضرا فى عصره   ياذا الفقير يصير جسمك أحمرا
والمزر يامسعودُ دعه جانبا   واشرب من اللبن المخيض مبكرا
وبنى حرام احفظوا أيديكم   فالوقت سيف والمراقب قد درى
توبوا وصلوا داعيين لملكه   فيه تنالون النعيم الأكبرا

وقال أيضا سامحه الله وقد دعى إلى عُرْس :

دعوتنى للعرس يا سيدى فكدت أن أحضر من أمس
وها أنا الليلة فى داركم فالكلب ما يهرب من عُرْس

وقال فى البرهان الفاحشة[1] وقد صفع وهو أرمد :

صفع البرهان وما رجما فبكى من بعد الدمع دما
قد كان شكا رمدا صعبا فازداد بذاك الصفح عَمى
ورمى النوروز أخادعه حتى باتت تشكو ورما
أدماه القوم بآجرة كانت حورا لا بل أدما
نزلوا سحرا فى ساحله فرأى الإصباح بهم ظلما
من كل فتى بالنطع بدا مثل القصار إذا احتزما
فسقاه بها صرفا سبعا وسقاه بها سبعين بما

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

فى وصف حسنكم تكل الألسن وجمالكم فهو الجمال الأحسن[2]
يا سادة غابوا فمات تصبرى وبكيتهم حتى بكانى المسكن
لى فيكم ظبى ذكرت لحسنه عين الجنان أجمُّ أحْوَرُ أعْيَنُ[3]
قاسى الفؤاد علىَّ لكن عِطفه مثلى على غمز الصبابة لين
باد ولكن فى الضمير محجب سهل ولكن بالرماح محصَّنُ
حلفوا بأن الورد زهرة خده صدق الوشاة، وعارضاه سوسن
متلون الميثاق لكن وجهُهُ بسوى الحياء الطَّلْقِ لا يتلون
فى خط عارضه ونقطة خاله شكل يصادر فى الهوى ويبرهن

---

(١) كذا . ولعل كلمة « الفاحشة » مقحمة ، أو لعله سقط قبلها كلمتان .

(٢) تكل: تضعف (٣) العين ــ بكسر أوله ــ جمع عيناء ، وهى الواسعة العين .

وقال أيضا سامحه الله فى شرح حاله وشكوى زوجته :

قل لقاضى الفسوق والإدبار   عضد البُلْهِ عمدة الفجار
والذى قد غدا سفينة جهل   وله من قرونه كالصوارى
بك أشكو من زوجة صيرتنى   غائبا بين سائر الحضار [1]
غيبتنى عنى بما أطعمتنى   فأنا الدهر مفكر فى انتظار
غبت حتى لو أنهم صفعونى   قلت كفوا بالله عن صفع جارى
فنهارى من البلادة ليل   فى التساوى ، والليل مثل النهار
دَارَ رأسى عن باب دارى فبالله   أخبرونى يا سادتى أين دارى
ملكتنى عيارة وعيارا   حين زادت بالدردبيس عيارى
أين مخ الجمال من طبع مخى   فى التساوى وأين مخ الحمار
غفر الله لى بما رحت للبحر   من البرد أصطلى بالنار
وتجردت للسباحة فى الآ   ل لظنىّ به الزلال الجارى [2]
ولكم قد عصبت رجلى برؤيا   أوطأتنى حلما على مسمار
ولكم رمت قلع ضرس ضروب   بعد ماضرّ غاية الإضرار
فإذا بى قلعت بعد عنائى   واجتهادى القوىّ من أوزارى
ورحًى حزتها لطحن فما زلت   ضلالا أدور حول المدار
وأنادى وقد سئمت من الركض   إلى أين منتهى مضمارى
أنا أختار لو قعدت من الجهد   ولكن أمشى بغير اختيار
أنا أنسى أنى نسيت فلا يخشى   سميرى إذاعة الأسرار

---

(١) يريد أنها أذهلته فصار شارد العقل ، يحضر وكأنه غائب .

(٢) الآل : ما تراه وسط النهار فى الفلوات كأنه ماء وليس بماء .

أنا سطل الشرائحى بما أو دعت من عجة ومن أبزار
ولكم قد رأيت فى الماء شيخاً وهو جاث فى الجب كالعيار
شيخ سوء كالثلج ذقنا، ولكن وجهه فى سواده كالقار
أشبه الناس بى وقد يشبه التيس أخاه فى حومة الجزار
فاعترانى رعب وناديت ما كنت إخال اللصوص فى الأزيار
أين ترسى وأين درعى الحقيقى أمّ عمرو بصارمى البتار
إن أمُتْ كنت فى الغزاة شهيداً أو أعش كنت شاطر الشطار
ثم أثخنت ذلك الزير ضربا بحسامى حتى هوى لانكسار
وجرى الماء فاختشيت، وإلا كدت أقفو الآثار فى التيار
أنا كالبان فى قوامى وإن أفـردتنى كنت فى التهارش ضارى
أنا مثل الخروف قرنا وإن أسقط فإنى أعدّ فى الأقذار
أنا لو رمت للعلاج طبيبا ما تعدّيت دكة البيطار
بعد ما كنت من ذكائىَ أدرى أن بابى من صنعة النجار
أحزر البيض قبل ما يكسروه أن فيه البياض فوق الصفار
وبعينى نظرت كوز نحاس كان عندى أقوى من الفخار
وكثير منى على شيب رأسى حفظ هذى الأشياء مثل الكبار

وقال موشحا يعارض به أحمد الموصلى رحمه الله :

غصن من البان مثمر قمراً يكاد من لينه إذا خطرا يعقد
بديع حسن سبحان خالقه مسك ذكىّ الشذا لناشقه
أبيض ثغر يبدى لعاشقه
نمل عذار يحير الشعرا وفوق شعر يستوقف النهرا أسود

يا بأبى شادن فتنت به يهواه قلبى على تقلبه[1]

* مذ زاد فى التيه من تجنبه *

أحرمَنِى النوم عند ما نفرا حتى لطيف الخيال حِينَ سرى قيد

جوى أذاب الحشا فحرّقنى و نيل دمعى جرى ففرّقنى[2]

* لـكنه بالدموع خلقنى *

فرحت أمشى فى الدمع منحدراً ذاك لأنى غدوت منكسراً مفرد

وأما موشح أحمد الموصلى فإنه قولُه :

بى رشأ عند مارنا وسرى باللحظ للعاشقين إذ أسرا قيد

بمـا بأجفانه من الوَطَف وما بأعطافه من الهيف

* وما بأردافه من الترف *

ذا الأسمر اللدْن ردّنى سمرا وفى فؤادى من قدّه سمـرا أملد

السـحر من لحظه ومقلته والرشد من فرقه وغرّته

* والغىّ من صدغه وطرته *

بدر لصبح الجبين قد سترا بليل شـعر فانظر له سترا أسود

إن قلت بدر فالبدر ينخسف أو قلت شمس فالشمس تنكسف

* أو قلت غصن فالغصن ينقصف *

وسنان جفن سما عن النُّظرا وكل طرف إليه قد نظرا سهد

يزهو بثغر كالدرِّ والشهب والطلع والأقحوان والحبب

* رصع شبه اللجين فى الذهب *

حوى الثريا من ثغره أثراً له الذى أدمعى به نثرا نضد

---

(١) أصل الشادن ابن الظبية إذا قوى وترعرع .

(٢) الجوى : حرقة الباطن .

حاجبه مشرف على شغفى   عارضه شاهد على أسفى
ناظره عامل على تلفى
به غرامى قد شاع واشتهرا   وسيفه فى الحشا إذا شهرا يغمد
عذاره النمل فى الفؤاد سعى   والنحل من ثغره الأقاحَ رعى
ويوسف أيدى النسا قطعا
بالنور من وجهه سبا الشعرا   وردَّنى بالجفا وما شعرا مكمد

(٣٩٩)

أبو على محمد بن الحسن الشبلى الحكيم الشاعر البغدادى

محمد بن الحسن بن عبد الله بن الشبلى ، أبو على ، الشاعر ، الحكيم ، البغدادى توفى فى المحرم سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ، ودفن بباب حرب .

كان شاعراً مجيداً ، وله ديوان ، وكان ظريفاً نديماً مطبوعا ، ومن شعره :

لا تظهرن لعاذل أو عاذر   حاليك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجِّعينَ حرارة   فى القلب مثل شماتة الأعداء

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

يُغْنَى البخيل بجمع المال مدته   وللحوادث والأيام ما يَدَعُ
كدودة القز ما تَبْنِيهِ يهدمها   وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

وقال أيضا رحمه الله يرثى أخاه بقصيدة أولها :

غاية الحزن والسرور انقضاء   ما لحى من بعد مَيْتٍ بقاء
لا لبيد بأربد مات حزنا   وسَلَتْ عن شقيقها الخنساء[1]

---

(١) لبيد بن ربيعة العامرى كان كثير الرثاء لأخيه أربد ، والخنساء : هى تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، كانت كثيرة البكاء على أخيها صخر وبكائها عليه يضرب المثل .

مثل ما فى التراب يبلى الفتى فالـــحزن يبلى من بعـده والبكاء
غـير أن الأموات مروا وأبقوا غصصا لا تسيغها الأحيـاء
إنما نحن بين ظفـر ونـاب من خطوب أسودُهُنّ ضراء
نَتمنى وفى المــنى قصر العمــر فنغـــدو كما نسر نساء
صحة المـــرء للسقام طريق وطريق الفنـــاء هذا البقاء
بالذى نقتـــدى نموت ونحيي أقْتَلُ الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيـا فلا كا نت ولا كان أخذها والعطاء
صلف تحت راعـــد وسراب كَرَعَتْ فيـــه مومس خرقاء
راجع جـــودها عليها فهما تَهَبُ الصبح يسترد المساء
ليت شعرى حلما تمر بنا الأيام أم ليس تعقـــل الأشياء
من فساد يكون فى عالم الكو ن فما للنفوس منه اتقاء
وقليلا ما يصحب المهجة الجســم ففيم الشقا وفيم العنـاء
قبـــح الله لذة لشقانا نالها الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقـــد فإيجادنا علينا بـلاء

ومن شعره رحمه الله تعالى :

بربك أيها الفلك المدار أقصد ذا المسير أم اضطرار
مدارك قل لنا فى أى شيء ففى أفهامنا عنك انبهار
فطوق فى المجرة أم لآل هلالك أم يد فيها سوار
وفيك الشمس رافعة شعاعا بأجنحة قوادمها قصار
ودنيا كلما وضعت جنينا عراه من نوائبها طوار
هى العَشْواء ما خبطت هشيم هى العجماء ما جرحت جُبَارُ
فكم من بعده عفر وعقر يضير وما بلا ليل نهار

لقد بلغ العدو بنا مُناه ... وحل بآدم وبنا الصَّغارُ

وتهنا ضائعين كقوم موسى ... ولا عجل أضلّ ولا خُوَارُ[1]

فيالك أكلة ما زال فيها ... علينا نقمة وعليه عار[2]

نعاقب فى الظهور وما ولدنا ... ويذبح فى حشا الأم الحُوَارُ[3]

ونخرج كارهين كما دخلنا ... خروج الضبِّ أخرجه الوجار

وكانت أنعما لو أن كونا ... نُشاور قبله أو نستشار

وما أرض عصته ولا سماء ... ففيم يغول أنجمها انكدار

ومثل هذه للبحترى رحمه الله تعالى :

أساهٍ أيها الفلك المدار ... أنهب ما تطرف أم جُبَار

ستفنى مثل مافنى ، وتبلى ... كما تَبْلى ؛ فيدرك منك ثار

وما أهل المنازل غير ركب ... مطاياهم رواح وابتكار

لنا فى الدهر آمال طوال ... نُرَجِّيها ، وأعمار قصار

وأهون بالخطوب على خليع ... إلى اللذات ليس له عذار

فآخر يومه سكر تجلى ... غوايته ، وأوله خمار

ومن شعر أبى على بن الشبلى :

وكأنما الإنسان فيه غيرة ... متلونا والحسن فيه مُعار

متصرف وله القضاء مصرف ... ومكلف وكأنه مختار

طورا به تصبو الحظوظ وتارة ... حظ تحيل صوابه الأقدار

---

(١) يشير إلى ضلال قوم موسى فى التيه ، وإلى أن السامرى قد اتخذ لهم من حليهم عجلا جسدا له خوار .

(٢) يريد أكلة آدم أبى البشر من الشجرة التى نهاه الله تعالى عنها .

(٣) الحوار : ولد الناقة .

تعمى بصيرته وتبصر بعد ما لا يسترد الفائت استبصار
فتراه يؤخذ قلبه من صدره ويرد فيه وقد جرى المقدار
فيظل يضرب بالملامة نفسه ندماً إذا لعبت به الأفكار
لا يعرف التفريط فى إيرادهِ حتى يبينه له الإصدار

وقال أيضا رحمه الله تعالى وعفا عنه :

إن تكن تجزع من دمعى إذا فاض فَصُنْهُ
أو تكن أبصرت يوماً سيدا يعفو فكنه
أنا لا أصبر عمن لا يحل الصبر عنه
كل ذنب فى الهوى يغفر لى مالم أخنه

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

قالوا : القناعة عز، والكفاف غنى والذل والعار حرص النفس والطمع
صدقتم ، مَنْ رضاه سَدُّ جوعته إن لم يصبه بماذا عنه يقتنع

وله رحمه الله تعالى وعفا عنه :

قالوا وقد مات محبوب فجعت به وبالصِّبا وأرادوا عنه سلوانى
سواهُ فى الحسن موجود فقلت لهم من أين لى للهوى الثانى صِباً ثانى

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

بنا إلى الدير من درنا صبابَاتُ فلا تلمنى فلا تُجْدِى الملامات[1]
لا تبعدن وإن طال الزمان بها أيامُ لهو عهدناها وليلاتُ
فكم قضيت لباناتِ الشباب بها غنما وكم بقيت عندى لبانات

---

(١) درنا — بضم الدال وسكون الراء وبعد النون ألف مقصورة — يقال : موضع بالعراق دون الحيرة بمراحل ، ويقال : هى باليمامة . ووقع فى ا ، ب « درى » تحريف .

ما أمكنت دولة الأفراح مقبلة فانعم ولَذَّ ؛ فإن العيش تارات

قبل ارتجاع الليالى وهى عارية وإنما لذة الدنيا إعارات

قم فاَجْلُ فى فلك الظلماء شمس ضحى بروجُها الدهر كاسات وطاسات

لعله إن دعاَ داعى الحمام بنا نقضى وأنفسنا منها رَوِيَّاتُ

بِمَ التعلل لولا ذاك من زمن أحياؤه باعتياد الهم أموات

دارت تحيي فقابلنا تحيتها وفى حشاها لقَرْع المرج روعات

عذراء أخفى مزاج الماء صورتها لم يبق من روحها إلا حُشَاشات

مدت سرادق برق من أباريقها على مقابلها منها ملاآت

فلاح فى أذرع الساقين أسورةٌ تبرا وفوق نحور الشَّرْبِ جامات

قد وَقَّعَ الدهر سطرا فى صحيفته لا فارقت شارب الخمر المسرات

خذ ما تعجل واترك ماوعدت به فِعْلَ اللبيب فللتأخير آفات

وللسعادة أوقات ميسرة تعطى السرور، وللأحزان أوقات

(٤٠٠)

محمد بن حمد بن فوزجة [1] — بالفاء المضمومة ، وبعد الواو والزاى جيم مشددة — البروجردى .

محمد بن حمد ابن فوزجة

قال الثعالبي فى اليتيمة : من شعره رحمه الله تعالى :

كأن الأيك يوسعنا نثارا من الورق المكسر والصحاح

تميد كأنما عُلَّتْ براح وما شربت سوى الماء القَرَاح

---

(١) له ترجمة فى بغية الوعاة ص ٢٩ ، وفى معجم الأدباء لياقوت (١٨/١٨٨) وقد ضبطه « بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم » وقال : « مولده فى ذى الحجة سنة ثلاثين وثلثمائة ، وكان موجودا سنة خمس وخمسين وأربعمائة » ولعل فى هذين التاريخين خطأ أوفى أحدهما بدليل مانقله المؤلف هناعنه

كأن غصونها شَرْبٌ نَشاوى   تصفق كلها راح براح

وقال رحمه الله فى الفستق المملوح :

أعجِبْ إلىَّ بفستق أعددته   عوناً على العاديَّةِ الخرطوم

مثل الزبرجد فى حرير أخضر   فى حُقِّ عاج فى غلاف أديم

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

فلو ترى نَقْلِى وما أبدعت   فيه بماء الملح أيدى الصنع

قلت حمامات على منهل   منحت مناقيرا تسيغ الجرع

وأكمل منه قول المشتهى أبى الفضل جعفر بن المحسن الدمشقى حيث يقول :

انظر إلى الفستق المملوح حين بدا   مشققا فى لطيفات الطوافير

والقلب ما بين قشريه يلوح لنا   كألسن الطير ما بين المناقير

وقال ابن فوزجة رحمه الله تعالى :

أما ترون إلى الأصداغ كيف جرى   لها نسيم فوافت خده قدرا[1]

كأنما مدَّ زنجىٌّ أنامله   يريد قبضا على جمر فما قدرا

قال ياقوت : وفاة ابن فوزجة بنها وند فى ذى الحجة سنة ثمانين وثلثمائة .

وله « التجنى على ابن جنى » و « الفتح ، على أبى الفتح » والكتابان يرد فيهما على أبى الفتح بن جنى فى شعر المتنبى رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(٤٠١)

أبو طاهر محمد بن حيدر الشاعر

محمد بن حيدر أبو طاهر ، الشاعر ، المشهور .

توفى سنة سبع عشرة وخمسمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

مَرْحَباً بالتى بها قتل الهم وعاشت مكارم الأخلاق

---

(١) الأصداغ : جمع صدغ ـ بالضم ـ وهو الشعر المتدلى على الصدغ ، وقد شبهها فى البيت الثانى بأنامل الزنجى كما شبه وجه المحبوب بالجمر المتوقد .

هى فى رقة الصبابة والشو ق وفى قسوة النوى والفراق
لست أدرى أمن خدود الغوانى سبكوها أم أدمع العشاق (١)

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

خطرت فكاد الوُرْقُ يسجع فوقها إنّ الحمام لمغرم بالبـــان
من معشر نشروا على هام الربا للطارقين ذوائب النيران

أورد له محب الدين بن النجار فى تاريخه قصيدة ، وهى :

من كل ذات روادفٍ كالرمل رَجْرَجةً وليناً
مَنْطَقْنَ بالتحف الخصو ر وصُنَّ بالترف البطونا
وأقمن من تلك العيو ن على خواطرنا عيونا
يامن يلوم على البكا كلفا يزيد به جنونا
الآن قد كان الذى قد كنت أحذر أن يكونا
وتفـرق الشمل الذى قد كنت أعهده مصونا
مِنِّى تعلمت الحمـا مُ النوحُ والإبلَ الحنينا
والسحب من عينى تعلم كيف يحتلب الشؤونا

ومنها :

ورأيت منك قبيح ما ظن الوشاة بنـا يقينا
حتى كأنك كنت بالـــهجران للواشى ضمينا
طوّلت أنفاسى فلم قصرت عن وسنى الجفونا

---

(١) من هنا أخذ شاعر النيل حافظ إبراهيم قوله :

خمرة قيـــل إنهم عصروهـــا من خدود الملاح فى يوم عرس

(٤٠٢)

أبو اليمن محمد بن الخضر التنوخى (السابق)

محمد بن الخضر[١] بن الحسن بن القاسم ، أبو اليمن بن أبى المهزول ، التنوخى ، المعروف بالسابق ، من أهل المعرة .

قال ابن النجار : كان شاعرا مجيدا ، مليح القول ، حسن المعانى ، رشيق الألفاظ ، دخل بغداد ، وجالس ابن باقيا ، والأبيوردى ، والخطيب التبريزى ، وأنشدهم شعره ، ودخل الرى وأصفهان ، ولقى ابن الهبّارية الشاعر ، وعمل رسالة لقبها « تحفة الندمان » أتى فيها بكل معنى غريب ، تشتمل على عشر كراريس ، وأورد له فى مليح قد حلق شعره رحمه الله تعالى :

وجهك المستنير قد كان بدرا ... فهو شمس لِفَيْءِ صدغك عنه[٢]
ثبتت آية النهار عليـــه ... إذ مَحَا القوم آية الليل منه[٣]

وأحسن منه قول ابن بلول الـكاتب رحمه الله :

حلقوك تقبيحاً لحسنك رغبةً ... فازداد وجهك بهجة وضياء
كالخمر فُكَّ ختامها فتشعشعت ... كالشمع قُطَّ ذُباله فأضـاء

ومن شعر السابق المعرى رحمه الله :

وأغيَدَ واجه المرآة زَهْوا ... فحَرَّقَ بالصبابة كل نفس
وليس من العجائب أن تأتى ... حريق بين مرآة وشمس

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ولقد عصيت عواذلى وأطعته ... رشأ يقتل عاشقيه ولا يَدِى

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد ٤/١١٧ وذكر وفاته فى سنة ٥٣٨.
(٢) فى الشذرات « لنفى صدغك عنه » .
(٣) فى ا ، ب « سبقت آية النهار » تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الشذرات.

إن تلق شر اللوم فيه مسامعي فبما جنت من ورد وجنته النَّدِى

وقال أيضا رحمه الله تعالى وعفا عنه :

وراح أزاحت ظلام الدجى فأبدى الفراش إليها فطارا

يراها توقّدُ فى كأسها فيمّمها يحسب النور نارا

وما زلت أشربها قهوةً تميت الظلام وتحيي النهارا

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

حلمت على السفيه فزاد بغيا وعاد فكَفَّهُ سَفَهى عليه[1]

وفعلُ الخيرمن شِيَمِى، ولكن أتيت الشر مدفوعا إليه[2]

قال محب الدين بن النجار : قال لنا أبو عبد الله الملحى : كنت عند السابق قبل موته ، فقال لى : قد وصف صديقُنا أبو نصر بن الحكيم سماقية ، فتقدم إلى مَنْ يطبخها وأنفِذْهَا إلىَّ ، فقلت : نعم ، وانصرفت ، فتقدمت إلى تعجيل ما اقترحه ، وعدت إلى منزلى عاجلا ، فوردت علىَّ رقعة من السابق بخطه المليح الفائق : يا سيدى ، كانت السماقية ممسَّكة ، فصارت مُمْسَكة ، وأظن سماقها ما نَبَتَ ، والسكين عن ذبح شاتها نَبَتْ .

فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها ولا عَلَتْ كفُّ مُلْقِى كفه فيها

فكتبت فى ظهر الرقعة وأنفذتها قرين السماقية :

بل كُلْ ولا حرج منه عليك ودَعْ عنك التمثل بالأشعار تهديها

(١) كفه : منعه .

(٢) الشيم : جمع شيمة ـ بكسر الشين ـ وهى الخلق والسجية .

ولا تَعَنَّ لتشقيق الكلام ولا قصد المعانى تنقاها وتبنيها[1]

وكانت وفاته بعد الخمسمائة ، رحمه الله تعالى !

(٤٠٣)

أبو عبد الله محمد بن خليفة النميرى ، الشاعر

محمد بن خليفة بن حسين ، أبو عبد الله ، النميرى ، العراقى ، الشاعر ، المعروف بالسنبستى .

أصله من هيت ، أقام بالحلة عند سيف الدولة صدقة بن مزيد ، وكان شاعره وشاعر ولده دبيس ، روى عنه السِّلَفى .

توفى سنة خمس عشرة وخمسمائة .

أورد له ابن النجار فى تاريخه قوله :

قم فاسقنيها على صوت النواعيرِ حمراء تشرق فى ظلماء ديجور[2]

كانت سراجَ أناسٍ يهتدون بها فى أول الدهر قبل النار والنور

فأصبحتْ بعد ما أفنى ذُبالتها مرّ السنين وتكرار الأعاصير

تهتز فى الكأس من ضعف ومن كبر كأنها قبس فى كف مَقْرور

ونرجس خَضِلٍ تحكى نواظره أحداق تبر على أجفان كافور

عليه نيلوفر تحكى كمائمه زرق الأسنة فى لون وتقدير

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

يفض ختاماً عن حديث كأنه وإن ملّ من أسماعنا لم يردَّدِ

فإما لأمرٍ عاجل يستجده وإما لأمرٍ فات أو ذكرِ موعدِ

---

(١) لا تعن : لا تتكلف العناء ، وهو الجهد والمشقة .

(٢) النواعير : جمع ناعورة ، وهى الساقية ، والديجور : الظلمة الشديدة .

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

وخمارة من بنـــات المجو س لاتطعم النوم إلا غرارا
طرقت على عجل والنجو م فى الجو معترضات حيارى
وقد برد الليل فاستخرجت لنا فى الظلام من الدن نارا

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

فوالله ما أنسى عشية ودعوا ونحن عجالى بين غاد وراجع
وقد سلمت بالطرف منها فلم يكن من النطق إلا رجعنا بالأصابع
ورحنا وقد روى السلام قلوبنا ولم يجر منا فى خـــروق المسامع
ولم يعلم الواشـــون مادار بيننا من السر لولا ضجرة فى المدامع

أنشدت هذه الأبيات فى مجلس سيف الدولة صدقة ، فطرب طرباً شديدا ، وما ارتضاها مقدار المطاميرى ، فقال له سيف الدولة : ويلك يا مقيدير ، ماتقول ؟ قال : أقول أنا خير منه ، قال : إن خرجت من عهدة دعواك وإلا ضربت عنقك ، فقال وهو سكران يتلجلج[1] شعراً :

ولما تناجوا للفـــراق غدية رموا كل قلب مطمئن برائع
وقمنا فمبـــد حنة إثر أنة تقوم بالأنفاس عوج الأضالع[2]
مواقف تدمى كل عـــبراء ثرة خروق الكرى إنسانها غيرهاجع
أمنا بها الواشين أن يلهجوا بنا فلم نتهم إلا وشاة المـــدامع

فطرب سيف الدولة ، وأمره بالجلوس عنده .

---

(١) فى ب « سكران مثلج » ولا معنى له .
(٢) فى ا « فميد حنة » تحريف .

(٤٠٤)

محمد بن خليل الأكال

محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر ، المعروف بالأكال[١] .

من جبل بنى هلال ، ومولده بقصر حجاج خارج دمشق سنة ستمائة .

وتوفى سنة ثمان وخمسين وستمائة فى شهر رمضان .

كان رجلا صالحاً كثير الإيثار ، وحكاياته فى أخذ الأجرة على ما يأكله وما يقبله من بر الأمراء والكبراء مشهورة ، ولم يسبقه إلى ذلك أحد ، ولا اقتفى أثره غيره ، وجميع ما يتحصل له يصرفه فى وجوه البر ، ويتفقد به المحابيس والمحاويج والأرامل ، وكان بعض الناس ينكر على من يعامله بهذه المعاملة ، فإذا اتفق ذلك معه انفعل له ودفع ما يرضاه على الأكل ، وكلما تناهى الإنسان له فى المطعم زاد هو فى الاشتراط عليه ، وكان مع ذلك حلو الشكل والحديث ، مليح العبارة ، له قبول تام بين سائر الناس .

وعاش تسعة وخمسين سنة[٢] ، رحمه الله تعالى !

(٤٠٥)

محمد بن المحشى الإسكندرى

محمد بن المحشى الإسكندرى .

توفى فى حدود الخمسمائة .

ومن شعره رحمه الله فى إنسان ينعت بعين الملك :

ألا إن ملكا أنت تُدْعَى بعينه ... جدير بأن يعمى ويصبح أعورا

فإن كنت عين الملك حقا كما ادعَوْا ... فإن له العين التى دمعها جرى

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب (٥/٤٠٣) .

(٢) فى الشذرات «وعاش ثمانيا وخمسين سنة» وكلاهما محتمل .

ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى :

قال لى العاذل فى حبه وقـــوله زور و بهتان
ما وَجْهُ من أحببته قِبْلَةٌ قلت : ولا قولك قرآن

(٤٠٦)

محمد بن داود
ابن الجراح
الكاتب

محمد بن داود بن الجراح ، الكاتب [١] .

كان كاتباً عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ، ودول الملوك ، له فى ذلك مصنفات، كان مع ابن المعتز ، فلما انحل أمر ابن المعتز وقتل اختفى ابن داود .

وقال أبو عمرو محمد بن يوسف القاضى : لما جرت واقعة ابن المعتز حبست أنا وابن المثنى ، ومحمد بن داود بن الجراح ، فـكنا فى دار فى ثلاث بيوت متلاصقات ، و بيتى فى الوسط ، و إذا أجننا الليل تحدثنا من وراء الجدار ، وأوصى بعضنا إلى بعض ، فلما كان فى بعض الليالى دخل أناس بشموع إلى بيت محمد ابن داود وأخرجوه وأضجعوه للذبح ، فقال : ياقوم ذبحاً كالشاة ،أين المُصَادرات ؟ أين أنتم من الأموال ؟ أنا أفدى نفسى بكذا وكذا ، فلم يسمعوا منه ، وذبحوه ، وأخذوا رأسه وألقوه فى البئر ، ثم أخرجوا ابن المثنى بعد ماذهبوا وعادوا ، وقالوا : ياعدو الله ، يقول لك أمير المؤمنين : بم استحللت نـكثَ بيعتى ؟ فقال : لعلى أنه لا يصلح ، فذبحوه وأخذوا رأسه ، وألقوا جثته فى البئر ، ومضوا وغادوا وأخرجونى وقالوا : يقول لك أمير المؤمنين: يافاعل ، ماالذى حملك على نـكث بيعتى ؟ قلت : الشقاوة ، وقد أخطأت وأنا تائب إلى الله تعالى ، فحملونى إلى دار الخلافة وابنُ الفرات جالسٌ ، فو بخنى ، فتنصلت واعتذرت ، فقالوا : وهب لك أمير المؤمنين

---

(١) له ترجمة قصيرة فى شذرات الذهب (٢/٢٢٥) بعد أن ذكر فتنة ابن المعتز وذكر شأن محمد بن داود فيها .

ذنبك ، واشتريت دمك وجرمك بمائة ألف دينار ، فقلت : والله ما رأيت بعضها مجتمعاً قط ، فغمزنى الوزير ، فأديت البعض وسومحت بالباقى .

وكانت وفاة ابن الجراح سنة ست وتسعين ومائتين .

ومن شعر ابن الجراح :

قد ذهب الناس فلا ناس وصار بعد الطمع الياس
وساس أمر القـوم أدناهم وصار تحت الذنب الراس

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

أُعِينُ أخى أوصاحبى فى مصابه أقوم له يوم الحـفاظ وأقعد
ومن يفرد الأقوام فيما ينوبُهُمْ تُبته الليـالى مرةً وهو مفرد

ومن تصانيفه كتاب « الورقة » سماه بذلك لأنه فى أخبار الشعراء ، ولا يزيد فى خبر الشاعر الواحد على ورقة ، ولهذا سمى الصولى كتابه فى أخبار الوزراء بالأوراق ؛ لأنه أطال فى أخبار كل واحد بأوراق ؛ وله «الشعر والشعراء» لطيف كتاب « من سمى عمرا من الشعراء » فى الجاهلية والإسلام ، كتاب «الوزراء» .

(٤٠٧)

محمد بن رضوان الناسخ

محمد بن رضوان ، السيد الشريف ، العلوى ، الحسينى ، الدمشقى ، الناسخ[١] توفى فى ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وستمائة ، عن تسع وستين سنة . كان يكتب خطا متوسط الحسن والمنسوب[٢] ، وله يد فى النظم والنثر والأخبار وعنده مشاركة فى العلوم ، وكتب الكثير وجمع ، وكان مغرى بتصانيف ابن الأثير الجزرى ، مثل المثل السائر والوشى المرقوم ، فكتب منها كثيرا .

---

(١) لم أعثر له فيما بين يدى من أمهات المراجع على ترجمة

(٢) كذا ، ولعله « كان يكتب الخط المتوسط الحسن والمنسوب »

ومن شعره ما ذكر الشيخ قطب الدين اليونيني أنه سمعه منه :

يامن يعيب تلوّنى ... مافى التلوّن ما يعاب
إنّ السماء إذا تلوّ ... ن وجهها يرجى السحاب

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

كرر على الظبى حديث الهوى ... علّ سماهُ بعد صحْوٍ تغيم [1]
ولا تخف أنّ له نفرة ... فطالمَا أونس ظبى الصريم [2]
ولا تقـــل إن له صحبة ... مع غيرنا دهراً وعهدا مقيم [3]
فالماء ربى الغصن فى حجرهِ ... ومال عنه برسول النسيم

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

عقد الربيع على الشتاء مآتماً ... لما تقوّض للرّحيل خيامه
لطم الشقيق خدوده فتضرّجت ... حزنا وناح على القضيب حمامه
والدهر منفتح العيون إلى خيو ... ط المـزن حيث تفَتّقَت أكمامه

وقال من أبيات رحمه الله تعالى :

تجلى لنا ليـــلا فلم ندر وجهه ... أم القمر الوضاح ، واتضح الشك
صعقت له لمـــا استنار جماله ... فطُورُ فؤادى مذ تجلّى له دكُّ
طمَا بحر أجفانى فيانوح غفلتى انـــتبه فلهذا البحر تصطنع الفلك

وقال فى مليح يلقب بالجدى :

رأيت فى جـلق أعجوبة ... ما إنْ رأينا مثلها فى بلد
جَدْىٌ له من صدغه عقرب ... وفى مطاوى الجفن منه أسد

---

(١) تغيم : يذهب صحوها وتتلبد بالغيوم
(٢) الصريم : القطعة من معظم الرمل
(٣) كان من حق العربية أن يقف على «مقيم» بالألف ، ولـكنه وقف عليـه بالسكون على لغة ربيعة .

وخلفه سنبلة تطلب الـــميزان لاترضى بأخذ العدد

وقال فى حسن الصوّاف وكان يلازم رجلا مقدسياً :

يهنيكم الصوّاف أصبح عابدا للرّب غير مداهن ومدلس

طويت له الأرض الفسيحة فاغتدى تحت المهامِهِ فى ظلام الحندس

فهو المقيم بحلّقٍ وركوعه وســجوده أبدا ببيت المقدس

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

عانقته عند الوداع وقد جرت عينى دمُوعا كالنجيع القانى

ورجعت عنه وطرفه فى فترة يملى علىّ مقاتل الفرسان

(٤٠٨)

زين الدين محمد ابن رضوان (ابن الرعاد)

محمد بن رضوان[١] بن إبراهيم بن عبد الرحمن ، المعروف بابن الرعاد ، يدعى زين الدين .

قال الشيخ أثير الدين : كان المذكور خياطا بالمحلة من الغربية ، وله مشاركة فى العربية ، وله أدب لابأس به ، وكان فى غاية الصيانة والترفع عن أهل الدنيا والتردد إليهم ، واقتنى من صناعة الخياطة كتبا نفيسة ، وابتنى دارا حسنة بالمحلة ، وتوفى بالمحلة .

ومن شعره فى الشيخ بهاء الدين النحاس رحمه الله تعالى :

سلم على المولى البهاء وصف له شــوقى إليه وأننى مملوكه

أبدا يحرّكنى إليــه تشوق جسمى به مشـطوره منهوكه[٢]

لــكن نحلت لبعده فكأننى ألف وليس بممكن تحريكه

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدى من أمهات المراجع .

(٢) هذا من اصطلاحات العروضيين .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

رأيت حبيبى فى المنام مُعَانِقِى — وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لى من بعد هَجْرٍ وقسوة — وما ضرّ إبراهيم لو صدّق الرؤيا

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

نار قلبى لا تقرّى لهبا — وامنعى أجفان عينى أن تناما
فإذا نحن التقينا فارجعى — نار إبراهيم برداً وسلاما

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

قالوا وقد شاهدوا نحولى — إلاَمَ فى ذا الغرام تَشْقَى
فنيت أو كدت فيه تفْنَى — وأنت لا تستفيق عشقا
فقلت : لا تعجبوا لهذا — ماكان لله فهو يبقَى

(٤٠٩)

شمس الدين محمد بن سعد الأنصارى الحنبلى ، المقدسى

محمد بن سعد بن عبدالله بن مفلح بن هبة الله بن نمير ، شمس الدين[١] ، الكاتب الأنصارى ، الحنبلى ، المقدسى

نشأ بقاسيون على الخير والصلاح ، وأقرأ القرآن والعربية ، وسمع الكثير ، وكان دينا ورعا ، وبرع فى الأدب وحسن الخط ، وكتب للصالح إسماعيل وللناصر داود ، وطال عمره ، وروى عنه الدمياطى وغيره .

وتوفى سنة خمسين وستمائة .

ومن شعره رحمه الله ما كتبه إلى الصالح إسماعيل رحمه الله تعالى :

ياملكا لم أجد لى من نصيحته — بُدًّا وفيها دمى أخشاء منسفكا
اسمع نصيحة من أوليته نعما — يخاف كفرانها إن كف أو تركا

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب (٢٥١/٥) وقال « شمس الدين محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد بن مفلح » فزاد « سعداً » بين عبد الله ومفلح .

والله لا امتدّ ملك مَدَّ مالــكه   على رعيته من ظُـلْمِهِ شَبَكاَ
ترى الحسـود به مستبشرا فرحاً   مستغربا من بوادى أمره ضحكا
وزيره ابن غزال ، والرفيعُ له   قاضى القضاة ، ووالى حربه ابن بكا
وثعلب وفضـــيل من هما وهما   أهل المشورة فيما ضاق أو ضنكا
جماعة بهـمُ الآفات قد نشرت   والشرع قدمات والإسلام قد هلكا
ما راقبوا الله فى سرّ وفى علن   وإنما يرقبون النجم والفلكا
إن كان خيرا ورزقا واسعا فلهم   أو كان شرا وأمراً سيئا فلكا

(٤١٠)

محمد بن سعيد ابن أحمد بن شرف ، القيروانى

محمد بن سعيد[1] بن أحمد بن شرف ، القيروانى ، الجذامى ، أحد فحول شعراء الأندلس والغرب .

كان أعور ، وله تصانيف منها « أبكار الأفكار » وهو كتاب حسن فى الأدب يشتمل على نظم ونثر من كلامه .

وتوفى سنة ستين وأربعمائة .

وكان بينه وبين ابن رشـيق مُهَاجاة ومعاداة جرى الزمان بها كعادته بين المتعاصرين ، ولابن رشيق فيه عدّة رسائل يهجوه فيها ، ويذكر أغلاطه وقبائحه، منها رسالة « ساجور الـكلب » ورسالة « قطع الأنفاس » ورسالة « نجح الطلب » ورسالة « رفع الإشكال ، ودفع المحال » وكتاب « فسخ الملح ، ونسخ اللمح » .

ومن شعر ابن شرف وهو تشبيه متمكن :

كأنما حامنا فقحة   ألنتن والظلمة والضيق
كأننى فى وسطها فيشة   ألوطها والعرق الريق

---

(١) كذا ، والمشهور « محمد بن أبى سعيد أحمد بن شرف » ووقع فى معجم ياقوت (١٩/ ٣٧) « محمد بن أبى سعيد محمد المعروف بابن شرف » وفى بغية الوعاة (ص ٤٧) « محمد بن أبى سعيد بن شرف ، ولـكن ذكر وفاته فى سنة ٥١٨ .

فبلغ ذلك ابن رشيق فقال مجيزاً :

وأنت أيضا أعور أصلع فصادف التشبيهَ تحقيقُ

وهذا فى غاية الحسن وعجيب الاتفاق .

ومن شعر ابن شرف من أبيات :

ولقد نعمت بليلة جَمَدَ الحيا بالأرض فيها والسماء تذوب

جمع العشاءين المصلِّى وانزوى فيها الرقيبُ كأنه مرقوب[1]

والكأس كاسية القميص كأنها لونا وقدراً معصم مخضوب

هى وردة فى خدِّه و بكأسها تحت القنانى عسجد مصبوب

منى إليه ومن يديه إلى يدى فالشمس تطلع بيننا وتغيب

ومما سار له وطار وملأ الأقطار قولُه :

جاوِزْ علياً ولا تحفل بحادثة إذا ادّرعت فلا تسأل عن الأسَلِ

فالماجدُ السيد الحر الكريم له كالنعت والعطف والتوكيد والبدل

سَلْ عنه وانطق به وانظر إليه تجد ملء المسامع والأفواه والمقل

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لا تسأل الناس والأيام عن خَبَرٍ هما يَبُثَّانِكَ الأخبار تطفيلا

ولا تعاتب على نقص الطباع أخا فإن بدر السما لم يُعْطَ تكميلا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

احذر محاسن أوجه فقدت محا سن أنفس ولو أنها أقمار

سرج تلوح إذا نظرت فإنها نور يضىء وإن مَسِسْتَ فنار

---

(١) من فروع الفقه فى مذهب الشافعية بعض الفقهاء ، ومنهم أنه يجوز الجمع بين صلاتى الظهر والعصر ، وبين صلاتى المغرب والعشاء ، بسبب المطر .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

قالوا تصاهلت الحمــــير فقلت من عدم السوابق[1]
خلت الدسوت من الرخا خ ففرزنت فيهــا البيادق

وقال فى عود ، والمعنى مشهور :

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الذى زَكَتْ منه أغصان وطابت مغارس
تَغَنَّى عليها الطــــير وهى رطيبة وغنت عليها الناس والعود يابس

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

إذا صحب الفتى جَدّ وسعى تحامته المكارهُ والخطوب
ووافاه الحبيب بغــير وعد طفيليا وقاد له الرقيب
وعَــدَّ الناس ضرطته غناء وقالوا إن فساقد فاح طيب

وقال فى مليح اسمه عمر :

يا أعدل الناس إسْماً كم تجور على فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمــر فأبدلوها بعـــين خيفة العين

(٤١١)

محمد بن سعيد الصنهاجى البوصيرى

محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج بن هلال ، الصنهاجى[2] .

كان أحَـدُ أبويه من أبو صير والآخر من دَلَاص ، فركبت له نسبة منهما وقيل الدلاصيرى ، لـكنه اشتهر بالبوصيرى .

كان يعانى صناعة الـكتابة والتصرّف ، وباشر الشرقية ببلبيس ، وله تلك القصيدة المشهورة التى نَظَمَها فى مُباشرى الشرقية التى أوّلها :

---

(١) تصاهلت : أى تصنعت الصهيل وتـكلفته ، والصهيل : صوت الخيل ، والسوابق : جمع سابق ، وهو الحصان .

(٢) له ترجمة موجزة فى شذارات الذهب (٥/٤٣٢) ووقع فيه « محمد بن سعد » وكانت وفاته فى سنة ٦٩٥ .

نَقَدْتُ طـوائف المستخدمينا فلم أر فيهم رجـــلا أمينا
فقد عاشرتهم ولبثت فيهـم مع التجريب من عمرى سنينا[١]
فـكتاب الشمال هُمُ جميعاً فلا صحبت شمـــالهم اليمينا
فـكم سرقوا الغلال وما عرفنا بهـم فـكأنما سرقوا العيونا
ولولا ذاك ما لبســوا حريراً ولا شربوا خمور الأندرينا[٢]
ولا رَبَّوْا من المردان مُرْدًا كأغصان يملن وينحنينا
وقد طلعت لبعضهم ذُقُون ولـكن بعد ما حلقوا ذقونا
وأقلام الجماعـــة جائلات كأسياف بأيدى لاعبينا
وقد ساوفتهم حَرْفاً بحرف وكل اسم يَخُطُّوا منـه سينا
أمولاى الوزير غفلت عما يتمّ من اللئام الـكاتبينا
تَنَسك معشر منهم وعُدّوا من الزهاد والمتورّعينـــا
وقيل لهم: دعاء مستجاب وقد ملأوا من السحت البطونا
تفقهت القضاة فخان كلّ أمانته ، وسمـــوه الأمينا
وما أخشى على أموال مصر سوى من معشر يتأوّلونا
يقول المسلمون: لنا حقوق بها ، ولَنَحْنُ أولى الآخذينا
وقال القبط: نحن ملوك مصر وإنّ سواهُمُ هُمْ غاصبونا
وحللت اليهود بحفظ سبت لهم مال الطوائف أجمعينا
وما ان قطيبة إلا شريك لهم فى كل ما يتخطفونا
أغار على قرى فاقوسَ منه بجـــورٍ يمنع النوم الجفونا
وصير عينها حملا ، ولـكن لمنزله ، وغلتها خزينا
وأصبح شـــغله تحصيل تبر وكانت راؤه من قبل نونا

(١) لبثت: أقمت.

(٢) أخذ هذا من قول عمرو بن كلثوم فى مطلع معلقته:

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

وقدمهُ الذين لهم وصـــول فتمم نقصه صـــلةَ الذينا[١]
وفى دار الوكالة أىّ نهب فليتك لو نهبت الناهبينا
فقام بها يهـــودىّ خبيث يسوم المسلمين أذًى وهُونا
إذا ألقى بها موسى عصاه تلقفت القوافل والسفينا
وشاهِدُهم إذا اُتهموا يؤدى عن الكل الشهادة واليمينا

وهى طويلة إلى الغاية ، وقد اختصرت من أبياتها كثيرا ، وله فيهم غير ذلك ، وشعره فى غاية الحسن واللطافة ، عذب الألفاظ ، منسجم التركيب

وقال فيمن اسْمُه عمر وعلى عينه فص :

سموه عمرا فصحفن اسمه عمرا فَبَيَّنَ الدهر منا موضع الغلط
فأصبحت عينه غينا بنقطتها وطال ما ارتفع التصحيف بالنقط

وقال فيه من قصيدة أوّلها :

أهَوًى والمشيب قد حال دُونَهْ والتصابى بعد المشيب رعونَهْ[٢]
أبت النفس أن تطيع وقالت إن حبى لايدخـــل القنينه[٣]
كيف أعصى الهوى وطينة قلبى بالهوى قبـــل آدم معجونه
سلبتْهُ الرقادَ بيضةُ خدرٍ ذات حسن كالدرة المكنونه
سمتها قبـله تسرّ بهـا النفـــس فقالت كذا أكون حزينه
قلت لابدّ أن تسيرى إلى الدا ر فقالت عسى أنا مجنونه
قلت سيري فإننى لك خير من أب راحم وأمّ حنونه
أنا نعم القرين إن كنت تبغـــين حلالا وأنت نعم القرينه
قالت اضرب عن وصل مثلى صفحا واضرب الخل أو تصير طحينه

---

(١) هذا من اصطلاح النحاة ، وصلة الموصول مشهورة .
(٢) الرعونة : الحمق .
(٣) القنينة : الزجاجة

لا أرى أن تمسنى يد شَيْخٍ كيف أرضى به لطشتى مشينه
قلت إنى كثير مال ، فقالت هبك أنت المبارز القارونه
سيدى لاتخف علىّ خروجاً فى عروضى ففطنتى موزونه
كل بحر إن شئت فيه اختبرنى لا تكذب فإننى يقطينه

وقال رحمه الله من قصيدة أولها :

يا أيها المولى الوزير الذى أيامه طائعةٌ أمره
ومن له منزلة فى العلا تكلُّ عن أوصافها الفكره
إليك نشكو حالنا ؛ إننا حاشاك من قوم أولى عُسْرَه
فى قلة نحن ، ولكن لنا عائلة فى غايه الكثره
أحدّث المولى الحديث الذى جرى لهم بالخيط والإبره
صاموا مع الناس ولكنهم كانوا لمن أبصرهم عبره
إن شربوا فالبئر زير لهم مابرحت والشربة الجَرّه[1]
لهم من الخبيز مصلوقة فى كل يوم تشبه النشره
أقول مهما اجتمعوا حولها تنزهوا فى الماء والخضره[2]
وأقبل العيد وما عندهم قمح ولا خبز ولا فطره
فارحمهم إن عاينوا كعكة فى كف طفل أو رأوا تمره
تشخص أبصارهم نحوها بشهقة تتبعها زَفْره
كم قائل ـ يا أبتا منهم قطعت عنا الخير فى كره
ما صِرْت تأتينا بفلس ولا بدرهم ورق ولا نقره

---

(١) يريد أنهم لا يرتوون مهما يشربوا .

(٢) أشار بهذا البيت إلى قول القائل : « ثلاثة تذهب عنك الحزن : الخضرة ، والماء ، والوجه الحسن »

وأنت فى خدمة قوم فهل تخدمهم ياأبتى سُخْرَه[1]

ويوم زارت أمهم أختها والأخت فى الغيرة كالضره

وأقبلت تشكو لها حالها وصَبْرَها منى على العشره

قالت لها : كيف تكون النسا كذا مع الأزواج ياعره

قُومِى اطلبى حقك منه بلا تخلف منك ولا فتره

وإن تأبى فخذى ذقنه وأنتفيها شعرةً شعره

قالت لها : ما هكذا عادتى فإن زوجى عنده ضَجْرَهْ

أخاف إن كلمته كلمة طلقنى ، قالت لها بعره

وهونت قدرىَ فى نفسها فجاءت الزوجة مجترهْ

فقاتلتنى فتهددتها فاستقبلت رأسى بآجُرَهْ

وحق من حالته هذه أن ينظر المولى له أمره

وقال ، وقد كتب بها إلى بعض الأصحاب :

قل لعلى الذى صداقته على حقوق الإخوان مؤتمنه[2]

أخوك قد عودت طبيعته بشربة فى الربيع كل سَنَهْ

والآن قد عفنت عليه وقد هَدَّتْ قواه وجففت بدنه

وعاودت يومها زيارته وماعتراهامن قبل ذاك سِنَهْ

وعاد عند القيام يحملها براحتيه كأنها زمنه

جئت بها للطبيب مشتكيا ودمعتى كالعوارض الهَتِنَهْ[3]

فقال عُدْ لِى إذا احتميت وكل فى كل يوم دجاجة دهنه

---

(١) سخرة — بضم السين — أى بغير أجر

(٢) حذف التنوين من « لعلى » لإقامة الوزن .

(٣) العوارض : جمع عارض ، وهو السحاب ، والهتنة : الكثيرة المطر .

كيف وصولى إلى الدجاجة والـــبيضةُ عندى كأنها بَدَنَه(١)
جزاكَ ربى إذا انسهلت بما شربتَ عن كل خرية حَسَنَه(٢)

قال الشيخ تقى الدين بن سيد الناس : كانت له حمارة استعارها منه ناظر الشرقية ، فأعجبته ، فأخذها وجهز له ثمنها مائتى درهم ، فكتب على لسانها إلى الناظر : المملوكة حمارة البوصيرى :

يا أيها السيد الذى شهدت — أخلاقُهُ لى بأنه فاضـــل
ما كان ظنى يبيعُنى أحد — قَطُّ ولكن صاحبى جاهل
لو جرسوه علىَّ من سفه — لقلت غيظا عليه يستاهل
أقصَى مرادى لو كنت فى بلدى — أرعى بها فى جوانب الساحل
وبعد هذا فما يحلُّ لكم — أخذى لأنى من سيدى حامل

فردَّها الناظر إليه ، ولم يأخذ الدراهمَ منه .

وقال فيمن على عينه بياض :

انظر بحمـــد الله فى — عينيـه سرا أىَّ سر
طمس اليمين بكوكب — وسيطمس اليسرى بفجر

وقال فى الشيخ زين الدين بن الرعاد :

لقد عاب شعرى فى البرية شاعر — ومن عاب أشعارى فلابد أن يهجىٰ
وشعرىَ بحر لا يوافيــه ضفدع — ولا يقطع الرعاد يوماً له لجـــا

وللبوصيرى فى مدائح النبى صلى الله عليه وسلم قصائد طنانةٌ ، منها قصيدة مهموزة ، أولها :

---

(١) البدنة : الناقة .
(٢) حسنة : مفعول ثان لجزى .

* كيف ترقى رقيك الأنبياء *[1]

وقصيدة على وزن بانت سعاد ، وأولها :

إلى متى أنت باللذات مشغول   وأنت عن كل ماقدمت مسؤل

وقصيدته المشهورة بالبردة التي أولها :

أمِنْ تذكر جيران بذى سلم   مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

قال البوصيرى : كنت قد نظمت قصائد فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها : ما كان اقترحه علىّ الصاحبُ زين الدين يعقوب بن الزبير ، ثم اتفق بعد ذلك أن أصابنى فالج أبطل نصفى ، ففكرت فى عمل قصيدتى هذه البردة ، فعملتها واستشفعت به إلى الله تعالى فى أن يعافينى ، وكررت إنشادها ، وبكيت ، ودعوت ، وتوسلت ، ونمت ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فمسح على وجهى بيده المباركة ، وألقى على بُرْدة ، فانتبهت ، ووجدت فىّ نهضةً ، فقمت وخرجت من بيتى ، ولم أكن أعلمت بذلك أحدا ، فلقينى بعض الفقراء ، فقال لى : أريد أن تعطينى القصيدةَ التى مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أيها؟ فقال: التى أنشأتها فى مرضك ، وذكر أولها ، وقال : والله لقد سمعتها البارحةَ ، وهى تنشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمايل ، وأعجبته ، وألقى على من أنشدها بردةً ، فأعطيته إياها ، وذكر الفقير ذلك ، وشاع المنام إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين بن حنا ، فبعث إلىّ وأخذها ، وحلف أن لا يسمعها إلا قائما حافياً مكشوف الرأس ، وكان يحب سماعها هو

---

(١) هذا صدر مطلعها ، وعجزه قوله :

* ياسماء ما طاولتها سماء *

وأهل بيته ، ثم إنه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقى الموقِّع رمدٌ أشرف منه على العمى ، فرأى فى المنام قائلا يقول له : اذهب إلى الصاحب وخذ البردة ، واجعلها على عينيك فتعافى بإذن الله عز وجل ، فأتى إلى الصاحب وذكر منامه ، فقال : ما أعرف عندى من أثر النبىّ صلى الله عليه وسلم بردة ، ثم فكر ساعة وقال : لعل المراد قصيدة البردة التى للبوصيرى ، ياياقوت افتح الصندوق الذى فيه الآثار وأخرج القصيدة للبوصيرى وأْتِ بها ، فأتى بها ، فأخذها سعد الدين ووضعها على عينيه ، فعوفى ، ومن ثم سميت البردة ، والله أعلم .

(٤١٢)

أبو منصور محمد بن سليمان السمرقندى

محمد بن سليمان بن قتلمش ، أبو منصور ، السمرقندى [١] .

ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .

وبرع فى الأدب ، وولى حجبة الباب للخليفة .

وتوفى سنة عشرين وستمائة ، ودفن فى الشونيزية .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

سئمت تكاليف هذى الحياة	وكرّ الصباح بها والمساء
وقد صرت كالطفل فى عقله	قليل الصواب كثير الهذاء
أنام إذا كنت فى مجلس	وأسهر عند دخول الفناء
وقَصَّر خَطْوىَ قيدُ المشيب	وطال على ماعنانى عنائى
وما جرّ ذلك غير البقا	فكيف ترى سوء فعل البقاء

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

تقول حليلتى لما رأتنى	وقد أزمعت عن وطنى غُدُوًّا [٢]

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (٥ / ٩٣) وذكر وفاته فى سنة ٦٣٠ كما ذكر المؤلف .

(٢) أزمعت : اعتزمت ، والغدو ، هنا : الانتقال والارتحال .

أقم واطلب مرامك من صديق فقلت لها : يصير إذا عدوّا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لا والذى سَخَّر قلبى لها عبدا كما سَخَّر لى قلبها

مافرَجِى فى حبها غيرأن تبيح لى من هجرها قلبها[1]

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

ومهفهف غض الشباب أُنيقُه كالبدر غضىّ الشباب وَرِيقِهِ[2]

نازعته مشمولة فأدارها من وجنتيه ومقلتيه وَرِيقِهِ

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

ياقوم مابى مرض واحد لكنّ لى عدّة أمراض

ولست أدرى بعد ذا كله أساخط مولاى أم راضى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ومقرطق وجدى عليه كردفه وتجلدى والصبر عنه كخصره[3]

نادمته فى ليلة من شعره أجلو محاسنه بشمعة ثغره

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لى فى هواك وإن عذبتنى أرب ينفى السلو ولو قُطِّعت آرابا

لاأطلب الروح من كرب الغرام،ولو صبت علىّ سماء الحب أوصابا

ولست أبغى ثواب الصبر عنك،ولو ألبستنى من سقام الجسم أثوابا

وشقوتى بك لا أرضى النعيم بها وساعة منك تسوى النار أحقابا

وكان مُغرًى بالقمار والنرد ، لايكاد يفارقهما إلا إذا لم يجد مَنْ يساعده على ذلك .

---

(١) فى ا ، ب « مافرجى » بالجيم ، وأثبتنا ما أثبتناه عن الشذرات .

(٢) وريقه الأول بمعنى مورق ، والثانى الواو فيه عاطفة ، والريق : ماء الفم .

(٣) وجدى كردفه : أى ثقيل ، والصبر كخصره : اى خفيف ضعيف .

(٤١٣)

جمال الدين محمد ابن سليمان الهوارى (ابن أبى الربيع)

محمد بن سليمان بن عبد الله بن يوسف ، جمال الدين ، الهوارى — بتشديد الواو وبعد الألف راء — المالكى ، المعروف بابن أبى الربيع .

كان فاضلا أديبا ، قال قطب الدين اليونينى : قال ابن خلكان : أنشدنى جمال الدين لنفسه :

لولا التطير بالخلاف وأنهم　　قالوا مريض لايعود مريضاً

لقضيت نحبى خدمة بفنائكم　　لأكون مندوباً قضى المفروضاً[1]

ومن شعره رحمه الله تعالى :

أحبابَ قلبى إن تحكمتِ النوى　　فى بيننا ، وجرى القضاء بماجرى

فلقد غضضت عن الورى من بعدكم　　طرفا يَرَى من بعْدكم أن لايرى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

سريت من السواد إلى السويدا　　مسـيرَ البدر فى طرفى وقلبى

قضيت من النوى وَطَرًا وهاقد　　قضيت لك البقا فى البعد نحبى

وقال رحمه الله فى يوسف بن يعفور :

لك الله ياموسى فأنت محمد الصفات وفكرى فيك حسّانُ مدحه

إذا ما دجا ليل من الخطب مظلم　　فمن يَدِكَ البيضاء إسفار صبحه

وكتب إلى صديق له يدعى الصدر :

مازلت فى بعد وقرب　　صبًّا إليك وأىّ صبّ

حُزْتَ القلوب بأسرها　　والصدر موضع كل قلب

---

(١) مندوبا : أى متوجعاً على فقده ، والمندوب فى اصطلاح الفقهاء المطلوب فعله من غير جزم ، والمفروض ، عندهم : مايطلب فعله طلباً جازماً .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وتوسوست باشتياقي إلى الصد ر وما زال موضع الوسواس

(٤١٤)

شمس الدين محمد بن سليمان التلمساني

محمد بن سليمان بن علي ، شمس الدين ، ابن الشيخ عفيف الدين التلمساني[١] .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله في حقه : نسيم سرى ، ونعيم جرى ، وطيف لا بل أخف موقعاً منه في الكرى ، لم يأت إلا بما خف على القلوب ، وبرىء من العيوب ، رق شعره فكاد أن يُشْرَب ، ودق فلا غرو للقضب أن ترقص والحمام أن يَطْرب ، ولزم طريقة دخل فيها بلا استئذان ، وولج القلوب ولم يقرع باب الآذان ، وكان لأهل عصره ومَنْ جاء على آثارهم افتتانٌ بشعره وخاصة أهل دمشق فإنه بين غمائم حياضهم رُبى ، وفي كمائم رياضهم حَبى ، حتى تدفق نهره ، وأينع زهره ، وقد أدركت جماعة من خُلَطائه لا يرون عليه تفضيل شاعر ، لا يروون له شعراً إلا وهم يعظمونه كالمشاعر ، لا ينظرون له بيتاً إلا كالبيت ، ولا يقدمون عليه سابقا حتى لو قلت ولا امرأ القيس لما بالَيْت ، ومرّت له ولهم بالحمى أوقات لم يبق من زمانها إلا تذكّره ، ولا من إحسانها إلا تشكره ، وأكثر شعره لا بل كله رشيق الألفاظ ، سهل على الحفاظ ، لا يخلو من الألفاظ العامية ، وما تحلو به المذاهب الكلامية ، فلهذا عَلِقَ بكل خاطر ، وولع به كل ذاكر ، وعاجله أجلُه فاخترم ، وأخرم أحبابه لذة الحياة وحرم .

فمن شعره رحمه الله تعالى :

بلا غيبة للبدر وجهك أجمل وما أنا فيما قلته متحمل

ولا عيب عندي فيك لولا صيانة لديك بها كل امرىء يتبذل

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب لابن العماد (٥ / ٤٠٥) وذكر وفاته في سنة ٦٨٨ .

لحاظك أسياف ذكور فما لها | كما زعموا مثل الأرامل تغزل
وما بال برهان العذار مسلما | ويلزمه دور وفيه تسلسل
وعهدى أن الشمس بالصحو آذنت | فما بال سكرى من محياك يقبل
كأنك لم تخلق لغير نواظر | تُسهّدها وجدا وقلبا تعلل
حبيبى ليهنِ الحسنَ أنك جزته | ويهنِ فؤادى أنه لك منزل
إذا كنت ذا ودّ صحيح فلم يكن | يضرّنىَ العُذّال حديث تقولوا
رأوا منك حظى فى المحبة آخرا | لذا حرّفوا عنى الحديث وأولوا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

بعينيك هذى الفاترات التى تسبى | يهون علىّ اليوم قتلى يا حِبِّى
إذا ما رأت عيني جمالك مقبلا | وحقك ياروحى سكرت بلا شرب
وإن هزّ عطفيك الصبا متمايلا | أضاع الهوى نسكى وغيبت عن لُبى
فدعنى وهذا الخدّ أعصر فى فمى | عناقيدَ صُدْغيه ، وحسبى به حسبى
لو أن تجار اللؤلؤ الرطب شاهدوا | ثناياك ما عنوا على اللؤلؤ الرطب
أيا ساقى الكاس الذى زادَ خدّه | عليها احمرارا عدّ بالكاس عن صحبى
وما ذاك بخلا بالمدام ، وإنما | إذا لحت لم آمن عليهم من السلب [1]
وبالله قل لى أيها الظبى كيف قد | تعلمتَ صيد الأسد فى شرَك الهُدْب [2]
وماذا الذى قد بعت فاسترهنتَ به | لديك الرُّبى رَهْناً كثيبا من الكثب
فخذ قصة الشكوى من الأعْيُنِ التى | نفيت لذيذ النوم عنها بلا ذنب
ولا تعتبنْ صبا تهتك ستره | عليك فهتك الستر أليق بالصب

---

(١) لحت : ظهرت .

(٢) الشرك ـ بالتحريك ـ أحبولة الصياد ، والهدب ـ بالضم ـ أشفار العين .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أعز الله أنصـــار العيون وخـلد ملك هاتيك الجفون

وضاعف بالفتور لها اقتدارا وإن تك أضعفَتْ عقلى ودينى

وأبقى دولة الأعطاف فينا وإن جارت على القلب الطعين

وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما على قدّ به هَيَفُ الغصونِ

وصان حجاب هاتيك الثنايا وإن ثنت الفؤاد إلى شجون

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أســير ألحاظ لخدّ أسيل كليم أحشـاء لطرفٍ كَليل

فى حب مَنْ حظى كشَعْرِ له لـكن قصير ذا وهذا طويل (١)

ليس خليـــلا لى ولـكنه أضرم فى الأحشاء نار الخليل (٢)

يا ردفه جُرْتَ على خصره رفقاً به ما أنت إلا ثقيل

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

فى غزلى من لحظ ذاك الغزال أخبــار صب قتلته النبال

غصـن سقته أدمعى ثم ما أثمـر لما مال إلا الملال

حـل ثلاثا يوم حمامه ذوائبا تعبق منهـا الغوال (٣)

فقلت والقصـد ذوائباته يا سهرى فى ذى الليالى الطوال

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لم أنس لما زارنى مقبلا أولانىَ الوصلَ وما ألوى

وقعت بالرشف على ثغره وقع المساطيل على الحلوى

---

(١) حظى كشعره : أى أسود ، والقصير حظه ، والطويل الشعر .

(٢) أضرم : أوقد ، ونار الخليل : نار إبراهيم خليل الرحمن ، وأراد أنها شديدة الالتهاب .

(٣) تعبق : تفوح ، والغوال : جمع غالية ، وهى ضرب من الطيب .

وقال أيضا :

رأى رضابا عن تسليه أولو العشق سلوا
ما ذاقه وشاقه هذا وما كيف ولو

وقال :

يا من أطال التجنى وقد أسا فى التوخى
أسرفت تيها وعجبا وكثرة الشدّ يُرْخى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

بحق هذى الأعين الساحره وحسن هذى الوَجْنة الزاهره
خَفْ فى الهوى إثمىَ يا قاتلى فاليوم دنيا وغدا آخره
قلبىَ مِضرٌ لك ما باله قد ذاب من أخلاقك القاهره

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

أحلى من الشهد مَنْ هويت وكم شُقّتْ به فى الهوى مرارات
وكيف لا تستطاب ريقته وثغره سكر سنيفات

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ياخاله خضرة بعارضه حرستها عن متيم مُغْرَى
كُفٌ عن العاشقين مقتصرا هل أنت إلا حويرسُ الخضرا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

مثل الغزال نظرة ولفتةً مَنْ ذا رآه مقبلا ولا افتتن
أعذب خلق الله ثغرا وفما إن لم يكن أحَقّ بالحسن فمن
فى ثغره وخده وشكله الماء والخضرة والوجه الحسن

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

حللت بأحشاء لها منك قاتل فهل أنت فيها نازل أم مُنَازِل

أرى الليل مذ حُجِّبْتَ ماحال لونه على أنه بينى و بينك حائل (١)

أيسعدنى يا طلعة البدر طالع ومن شقوتى خط بخدّيك نازل

ولو أن قُسًّا واصف منك وجنة لأعجزه نبت بهـــا وهو باقل (٢)

على كل أمر منك عون فربما يعين الذى أبلى بما أنت فاعل

و بى ساحر باللحظ للخدّ حارس وذابلُ أعطافٍ لدمعىَ نازل

وشَعْر كليلى كان طولا فما له قصير كحظى هل لذاك دلائل

نعم قد تناهى فى الغرام تطاولا وعند التناهى يقصر المتطاول

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ما بين هجـرك والنوى قد ذبت فيك من الجوى

وحياة وجهك لا سَلاَ عنـك المحبّ ولا نوى

يا فاتني بمعـــــاطف سجدَتْ لها قُضُبُ اللوى

يا من حكى بقوامـــه قدّ القضيب إذا التوى

ما أنت عنـدى والقضيـــب اللَّدْن فى حالٍ سَوَا

هـــذاك حركه الهوا ، وأنت حرّكت الهوى

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

تمشّى بصحن الجامع اليوم شادن على قدّه أغصان بانِ النقا تُفْنِي

فقلت وقد لاحت عليه حـلاوة ألا فانظروا هذي الحلاوةَ فى الصحن

---

(١) حال لونه : تغير ، يريد أنه دائم مقيم .

(٢) فى ا ، ب « واصفا » بالنصب ، ولا يتم الكلام عليه ؛ إذ يبقى خبر أن محذوفاً ، وباقل : اسم رجل يضرب به المثل فى العى ، واسم الفاعل من « بقل النبت » أى ظهر على وجه الأرض ، والمستعمل أبقل ، بالهمزة .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

بدا وجْهُـــه من فوق أسمر قدّه وقد لاح من ليل الذوائب فى جنح[1]

فقلت عجيبا كيف لم يذهب الدجى وقد طلعت شمس النهار على رمح

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وهل فيه من شىء سوى أنّ طرفه لـكل فؤاد فى البرية صائد

وأن محياه إذا قابل الدجى أضاء به جنح من الليل راكد

فـكم يتجافى خصره وهو ناحل وكم يتحالى ريقـه وهو بارد

وكم يَدَّعِى صونا وهذى جفونه بفترتهـــا للعاشقين مواعد

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

للعاشقين بأحكام الغرام رِضَـــا فلا تـكن فى الهوى بالعذل معترضا

روحى الفداء لأحبابى وإن نقضوا عهـد الوفىّ الذى للعهـد ما نقضا

قف واستمع سيرة الصب الذى قتلوا فمات فى حبهم لم يبلغ الغرضا

رأى فَحَبَّ فرام الوصـل فامتنعوا فرام صـــبرا فأعيا نيلُه فقضى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى موشح :

بدر عن الوصل فى الهوي عدلا مالى عنه إن جار أوعدلا مذهب

مترك اللحظ لفظه خنث

إليه تصبو الحشا وتنبعث

أشكو إليه وليس يكترث

دعا فؤادى بأن يذوب قلا الموت والله إذ دعا وقلا أقرب

---

(١) بدا : ظهر ، وأسمر قده : من إضافة المشبه به إلى المشبه ، أى قده الذى يشبه الأسمر ، وهو الرمح .

لم يبق لى مقـلة ولا كبد
والقلب فيه أودى به الـكمد[١]
وليس يلفى لهجـــره أمد
لاتعجبوا أن غدوت محتملا   لـكنَّ قلبي إن كان عنه سَلاَ   أعجب
بالحسن كلَّ العقول قد نَهَبَا
والحزنَ كل القلوب قد وهَبَا
شمس ولـكننى لديه هبا
فانظر لذاك القوام كيف جلا   غصن وكم بالجمال منه جلا   غيهب

وقال رحمه الله دو بيت :

قاسيت بك الغرام والهجر سنين   ما بين بكا وأنين وحنين
أرضيك ولا تزداد إلا غضبا   الله كما أبلى بك القلب يعين

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يامن بفؤادى نار وجدى غادر   من قاس إليك حسنه من فاخر
لاتخش إذا ماقيل هـذا حسن   عن غيرك فالشيخ غدا شيء آخر

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يامن غدت القلوب فى حكم يديه   ذا صبك كم تهدى تجنيك إليه
عذل وتسهيد ووجـــد وقلى   ما تمَّ على الـكلاب ماتمَّ عليه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لاتعتقدوا عذاره الفتان   قد شجَّ ورد الخدَّ بالريحان
ذا خالقه قد خط فى وجنته   لام كتبت بالقلم الريحانى

---

(١) أودى به : أهلكه ، والـكمد ــ بالتحريك ــ الحزن .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يامرض جسم صـــبه بالتيه	أوردت فؤاده بحار التيه
لايطلب مضنى مغرم فيه سوى	إبلاغ حويجة له فى فيه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

كم يشمت بى فى حبك العذال	كم يكثر فيك القيل بى والقال
الصـــبر بكل حالة أليق بى	أحتاج أداريك ويمشى الحال

وقال أيضاً رحمه الله تعالى .

إن صدّ وراح للجفا يعتمد	أو زال وداده الذى أعتقد
فالأمر له وما عليـــه حرج	لا يدخل بينى و بينه أحد

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

قد أصبح آخر الهوى أوّله	فالعاذل فى هواك مالى ولَه (١)
بالله عليك خل ما أوّله	وارحم دنفاحَشْوُ حشاهُ وله (٢)

وكانت وفاة شمس الدين المذكور فى شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة ، بدمشق، وكان مولده بالقاهرة فى عاشر جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وستمائة .

ورثاهُ والده الشيخ عفيف الدين ، وذكر أخاه أيضاً :

مالى بفقد المحمدينِ يدُ	مضى أخى ثم بعـــده الولد
يانار قلبى ، وأين قلبى ؟ أو	يا كبدى لو يكون لى كبد
يابائع الموت مشـــتريه أنا	فالصبر ما لا يصاب والجلد
أين البنان التى إذا كتبت	وعاين الناس خَطَّهَا سجدوا
أين الثنايا التى إذا ابتســمت	أو نطقت لاح لؤلؤ نَضَدُ

---

(١) وله ، هنا : مؤلف من ثلاث كلمات : واو العطف ، ولام الجر ، وضمير الغائب .

(٢) وله هنا : مصدر « وله به يوله ولها » من باب فرح ـ ومعناه الغرام .

ماافقدتك الإخوان ياولدى ... وإنما شمسَ أنسهم فقدوا
محمد يامحمـد عددا ... وما لما ليس ينتهى عـدد
ماذا على الغاسلين إذ قرب الأمـلاك منه لو أنهـم بعدوا
قد حملت نفسه العلوم إلى الـفردوس والنعش فوقه الجسد
أبكيت خالاتك الضواحك من ... قبلُ ومامن صفاتك النَّكد
بى كِبر مسنى وأمّك قد ... شاخت فمن أين لى يرى ولد
وهَبْه قد كان لى فمثلك لا ... يرجىٰ وأين الزمان والأمد
ياليتنى لم أكن أباك أو ... ياليت ماكنت أنت لى ولد

قيل: إنه عمل مرّة جماعة سماعا حسناً، وكان فيه جماعة ملاح، فبعثوا منهم مليحاً إلى شمس الدين يطلبونه من والده، فلما جاء الرسول كتب والده على يده:

أرسلتما لى رسـولاً فى رسالته ... حلو المراشف والأعطاف والهيف
وقد تما وبسـير ذاك أنكما ... وقدتما النار فى وسط الحشا دنف

فلما حضر ولده وبلغته الواقعة واطلع على مجىء الرسول كتب إلى والده:

مولاى كيف أتى لك الرسول ولم ... تـكن لوردة خدّيه بمرتشف
جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة ... فكيف ردّت بلا ثقب إلى الصدف؟

(٤١٥)

جمال الدين
أبو عبد الله
محمد بن سليمان
(ابن النقيب)

محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين العلامة، الزاهد، جمال الدين، أبو عبد الله، البلخى الأصل، المقدسىّ، الحنفىّ، المعروف بابن النقيب[1].

أحد الأئمة، ولد سنة إحدى عشرة وستمائة، ودخل القاهرة، ودرس بالعاشورية، ثم تركها، وأقام بالجامع الأزهر مدّة، وكان صالحاً زاهداً متواضعاً

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (٥/ ٤٤٢).

عظيم التكلف ، وكان الأكابر يترددون إليه ويسألونه الدعاء ، وصرف همته إلى التفسير ، وصنف تفسيراً حافلا ، جمع فيه خمسين مصنفا ، وذكر فيه أسباب النزول والقراآت والإعراب واللغات والحقائق وعلم الباطن ، قيل : إنه فى خمسين مجلدة.

وتوفى سنة ثمان وتسعين وستمائة ، رحمه الله تعالى !

(٤١٦)

نجم الدين
أبو المعالى محمد
ابن سوار
الشاعر

محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل بن الحسن بن على بن الحسين ، نجم الدين ، أبو المعالى ، الشيبانى ، الشاعر المشهور [١]

ولد بدمشق سنة ثلاث وستمائة ، وتوفى بها سنة سبع وسبعين وستمائة ، ودفن داخل قبة الشيخ رسلان .

صحب الشيخ على الحريرى ، ولبس الخرقة من الشيخ شهاب الدين السهروردى ، وسمع عليه ، وأجلسه فى ثلاث خلوات ، وكان قادراً على النظم مكثرا منه . مدح الرؤساء والقضاة وغيرهم ، وتجرد ، وسافر البلاد على قدم الفقر وقضاء الأوقات الطيبة ، وكان ريحانة المشاهد ، وديباجة السماعات ، وحضر بعض الليالى وقتا وفيه نجم الدين بن الحكم الحموى فغنّى المغنى من شعر ابن إسرائيل قوله :

وما أنت غير السكون ، بل أنت عينه ويفهم هـذا السرّ مَنْ هو ذائق

فقال ابن الحكيم : كفرت كفرت ، فقال ابن إسرائيل : لا ما كفر ، ولكن أنت ماتفهم ، وتشوش الوقت .

ومن شعره رحمه الله :

وَفَى لى مَنْ أهواه جهراً بموعدى فأرغم عذالى عليه وحُسَّدِى
وزار على شَحْط المزار تطولا على مغرم بالوصل لم يتعود [٢]

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (٥ / ٣٥٩) وذكر أنه توفى فى رابع عشر شهر ربيع الآخر من سنة ٦٧٧ عن أربع وسبعين سنة وشهر

(٢) شحط المزار : بعد مكان الزيارة .

فيا حسن ما أبدى لعينى جماله ... ويا برد ما أهدى إلى قلبي الصَّدِى[1]

ويا صدق أحلامى ببُشرى وصاله ... ويانيل آمالى ويا نُجْحَ مقصدى

نديميَّ من سعد أريحا ركائبى ... فقد أُمِنَتْ من أن تروح وتغتدى

ولا تلزمانى النسكَ فالحب شاغلى ... ولا تذكرا لى الورد فالراح موردى

ولا تقِفَانِى فى الرسوم التى عفَتْ ... فقد طال حبسى بين نؤى وموقد

ومرَّا على حىّ بمنعرج اللوى ... وقولا لغزلان الصريم ألا ابعدى

ولا تسعدانى بعدها لكما البقا ... فما فىَّ بعد اليوم فقر لمسعد

أمن بعد ما قد برّد الشوق غلتى ... وزار الكرى أجفان طرفى المسهد

وهامَتْ بى الصهباء وجدا فكل من ... سقاها له طرف إلى رؤيتى صَدِى

وأمسيت والكاسات شمسى وأصبحت ... عروس حميا الحان تُجْلى على يدى

وأضحت ظباء الحىّ صيدَ خلاعتى ... وإن صِدْنَ من أهل النهى كلّ أصيد

ذرانى وعزمى والدجى ومزاره ... فقد أبت العلياء إلا تفردى

ولا تأيسا من روحه وتأسّيا ... فكم مُعْرِض فى اليوم يقبل فى غد

ففى الحىّ صَبّ باع مهجة نفسه ... لجيرة ذاك الحىّ نقدًا بموعد

هو الحبّ إما منية أو منية ... ودون العلى حدّ الحسام المهند

ألم تريا أنى وجدت تلذذى ... برؤياهُ عقبى حيرتى وتلددى

وقد عشت دهراً والزمان يهزنى ... وتطربنى الألحان من كل منشد

فأغدو وفى ليل الغدائر دائباً ... أضل ، ومن صبح المباسم أهتدى

ويسقم جسمى كل جفن ، وتارة ... يورّدد معى كل خدّ مورد

فطورًا أرى فى الربع يبدو تولُّهِى ... وطورا وراء الظعن يُوهِى تجلدى[2]

---

(١) الصدى : العطشان ، صدى يصدى صدى ـ بوزن فرح يفرح فرحاً ـ أى عطش عطشا شديدا .   (٢) يوهى : يضعف ، والتجلد : التصبر .

أحنّ للمع النار شبّ ضِرامها　　بنعمان فى ظل الأراك المعمد
وأصبو متى هَبَّتْ صباحا جرية　　تخبرنى عن منجد غيرمنجدى (١)
وتخجل أجفانى السحاب بوَبْلها　　متى لاح لى برق ببرقة ثهمد

وقال فى غلام جميل الصورة حياهُ بتفاحة :

لله تفاحة وافى بهـــا سكنى　　فسكَّنَتْ لهبـا فى القلب يستعر
كفرصة المسك وافانى الغزال بها　　وغرّة النجم حيانى بهـا القمر
حمراء فى صورة المريخ عاطرة　　يزرى بنشر الحميَّا نشرها العطر، (٢)
أنى بهـا قاتلى نحوى فبل أحد　　قبلى تمشَّى إليه الغصن والثمر

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

عسى الطيف بالزوراء منك يزور　　فقد نام عنـــه كاشح وغيور
وكيف يزور الطيف صبًّا مسهدا　　له النجم بعـد الظاعنين سمير
سروا فى ضياء من شموس خدورهم　　كأنّ سراهم فى الظـلام منير
ظعائن تغزو الجيش وهى رديفة　　عليهنّ من سمر الرماح ستور
إذا نزلوا أرضا تولت مُحُولهـا　　وأضحت وفيها روضة وغدير
وان فارقوا أرضا غدت ورمالهـا　　من الطيب مسك والتراب عَبير
أأحبابنا النائين أدعو وبيننـا　　سهولٌ عسـيرٌ قطعُها ووعور
سقى أبرق الحنان حيث مَصِيفكم　　من المزن دانى الهيدبين مطير
ودار لـكم بالبان عن أيمن الحمى　　يلوح عليهـــا نضرة وسرور
قريبـــة عهدٍ بالخليط رسومها　　مواثل ما محّتْ لهنّ سطور
كأن مَوَاطى الخيل فيها أهـلة　　وآثـار أخفاف المطىّ بدور

---

(١) منجد الأولى بمعنى ذاهب إلى نجد ، والثانية اسم فاعل من «أنجده ينجده» أى أسعفه.　　(٢) النشر : طيب الرائحة ، والحميا : الخمر .

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

في ذمّة الله من أهوى وإن بانا ... وإن أسرّ لي الغدر الذي بانا[1]
وفي سبيل الهوى عهدا تحمله ... قلب يرى حفظه الأيمان إيمانا
يا ظاعنا لم أكن من قبل فرقته ... أهوى ربوعا ولا أشتاق أوطانا
لم يبق بينك عندي يا مُنَى أملي ... للشوق قلبا ولا للدمع أجفانا

وقال أيضا في كحال كحل محبوبه :

يا سيد الحكماء هذي سنة ... مسنونة في الطب أنت سننتها[2]
أو كلما كلّتْ سيوف جفون من ... سفكت لواحظه الدماء سننتها[3]

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا من يشير إليهمُ المتكلم ... وإليهمُ يتوجه المتظلم
وعليهم يحلو التأسف والأسى ... ويلذ لوعاتِ الغرام المغرمُ
هذا الوجود وإن تعدّد ظاهرا ... وحياتكم ما فيه إلا أنتم
وشغلتم كلى بكم وجوارحى ... وجوانحى أبدا تحن إليكم
وإذا نظرت فلست أنظر غيركم ... وإذا سمعت فمنكم أو عنكم
وإذا نطقت ففى صفات جمالكم ... وإذا سألت الكائناتِ فعنكم
وإذا سكرت فمن مدامة حبكم ... وبذكركم فى سكرتى أترنم
وإذا نظمت تغزلا فى صورة ... فلأجل حسنكم المحجب أنظم
أنتم حقيقةُ كل موجود بدا ... ووجود هذى الكائنات توهم
أنا فى وجودكم غريب بائس ... وغريبكم ما باله لا يرحم

---

(١) بان الأولى بمعنى ظعن ، والثانية بمعنى ظهر
(٢) سننتها : من قولهم « سن فلان سنة »
(٣) سننتها ، هنا : من قولهم « سن فلان السكين » ونحوها أى أحدها

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وأهيف القامة عذب اللَّمَى ... يقرّ عينيه دوام السهر[1]

وما رأينا قبل أجفانه ... من نرجس يذبل وقت السحر

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

إن أم صحبي سَمُراً أو أراك ... فإنما مقصدهم أن أراك[2]

وإن ترنمتُ بذكر الحمى ... فإنما عَقْد ضميرى حماك

وإن دعا غيرك داعٍ فما ... أحسب إلا أنه قد دعاك

وإن بكى صبّ حبيبا فما ... أحسب إلا أنه قد بكاك

يا جملةَ الحب وتفصيله ... أجملتَ إذ فرّغتنى من سواك

ويا غنيا عن غرامى به ... مَن لى بأن يَرْحَمَ فقرى غِناك

مَلأْتَ كل الكون عشقا فما ... أعرف قلبا خاليا من هواك

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

إلى كم ـ رعاك الله ! ـ تنأى وأقرب ... وأرضى بما تجنى علىّ وتغضب

فلا أنت مُشْكٍ إن شكوت فيشتفى ... فؤادى وإن أعتب فما أنت معتب

تكلفت لى ذاك الوداد فلم يدم ... وكل وداد بالتكلف يصعب

ومن يتكلف ضد ما هو طبعه ... تَعُدْ نفسه للطبع والطبع أغلب

يقولون هند لا تدوم وزينب ... على العهد كل الناس هند وزينب

تطلبت ودا لا يكون لعلة ... فأعْوَزَنِى وجدان ما أتطلب

وحاولت من يُوفِى بعهد فلم أجد ... كأن الذى حاولت عنقاء مغرب

تلطف فإن اللطف منك سجية ... تعطف فإن العطف منك مجرب

---

(١) اللمى ـ بفتح اللام ، بزنة الفتى ـ سمرة مستملحة فى الشفة

(٢) أم : قصد ، والسمر والأراك : ضربان من الشجر

وإن كان لابدّا من الهجر فاُتئد　　لعل رحيلي عن جنابك يقرب[1]
سأرحل عنك اليوم لا متلفت　　بوجهى كأنى خائف مترقب
وأما ودادى فهْوَ باقٍ وإن من　　بقـــاء ودادى أننى أتعتب[2]

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

يا غزالا قد سبانا حسنه　　وهلالا لاح فى غصن لُجَين
قمري العرب خوّفت ؛ فمن　　منصفى من قمر فى عقربين

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ما أحسن الجامع فى ليلة النصف وقـــد لاح عليـــــه السرور
وأشبهت زهر قنــــاديله　　كاســات راح للندامى تدور
وقارن النسر الـــثريا به　　وقابل البـــدر هناك البدور

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ما مثل جامعنا ومثل وقيده　　كضياء طلعة شاهدى ومواصلى
وكأن ذاك الوجه قنديل يرى　　ومن العذار معلق بسلاســل

وقال أيضا رحمه الله تعالى فى مروحة :

ومحبوبة فى القيظ لم تخل من يدٍ　　وفى القرّ تجفوها أكف الحبائب
إذا ما الهوى المقصور هيج عاشقا　　أتت بالهوى الممدود من كل جانب

وقال فى مليح مُغَنّ :

وأهيف إن غنى فقمريّ بانة　　وإن ماس من عُجْبٍ فبعض غصونها
تحرك خلف الدف حتى تحرّكت　　قلوب رجال فجعت بسكونهـا

---

(١) اتئد : تأن ولا تعجل

(٢) هذا من قول القائل :

إذا ذهب العتاب فليس ود　　ويبقى الود ما بقى العتاب

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

هل عهد ليلى بالكثيب عائد ... أم طيفها لسقم جسمى عائد[١]

حوراء حار العقل فى صفاتها ... لها الجمال عاشق وحاسد

فكل عضو فيه بدر طالع ... وكل عطف فيه غصن مائد

فعطفها وحسن صبرى ناقص ... وحسنها وفرط وجدى زائد

يا كعبة الحسن التى أحجها ... فؤاد مضناك عليك وافد[٢]

قد سُقت فى الهوى إليك مهجتى ... والدم دمع لغرامى شاهد[٣]

وطفت فى مغناك حتى مَلَّنى ... من أرضك الرسوم والمعاهد

ولم أقصر فيك عن حفظ الهوى ... والحرّ من يحفظ من يعاهد

وربما يجمع جمع شملنا ... بكم وتصفو عندك الموارد

وعَلَّنَا نقضى منانا بمنى ... وتنقضى من وصلنا المواعد

أولا فمو تى فيكمُ شهادة ... علىّ فيها بالرضا شواهد

وحكى لى الشيخ عز الدين الدربندى المؤذن بالجامع الأموى ـ رحمه الله تعالى ! ـ قال : أخبرنى نجم الدين بن إسرائيل قال : أضقت فى بعض الأوقات إضافة شديدة ، فقلت فى نفسى : والله لا مدحت غير الله تعالى ، فقلت القصيدة السينية التى أولها :

يا ناق مادون الأثيلِ معرّس ... جِدّى فصُبْحُكِ قد بدا يتنفس

واستصحبى عزما يبلغك الحمى ... لتظل تغبطك الجوارى الكنَّسُ

قال : فجاءت اثنين وستين بيتا ، وكان لى عادة أن أنظم القصيدة وأنقحها

---

(١) عائد الأولى بمعنى راجع ، والثانية من « عاد فلان المريض يعوده » وذلك إذا زاره . (٢) أحجها : أقصدها وأيمم وجهى نحوها .

(٣) سقت مهجتى : جعلتها هديا كما يفعله الحاج إلى بيت الله الحرام إذ يسوق النعم هديا للبيت .

فيما بعد ، فعرضت القصيدة ، فلم أر فيها ما يحذف ، فنمت ليلتى ، فلما كان وقت السَّحَر وإذا بالباب يدقُّ ، فقمت فوجدت قاصدا من مصر ومعه كتاب من الأمير جمال الدين يغمور ، وصُحْبَتَه صرّة ذهب ، وقال : الأمير يسلم عليك ، وهذه برسم النفقة ، فعددت الذهب فكان اثنين وستين ديناراً ، أو كما قال ، رحمه الله تعالى!

(٤١٧)

شرف الدين محمد بن شريف (ابن الوحيد)

محمد بن شريف بن يوسف ، الكاتب ، شرف الدين بن الوحيد[١] .

صاحب الخط الفائق والنظم والنثر .

كان تام الشكل ، حسن البزّة ، موصوفا بالشجاعة ، متكلما بعدة ألسُن ، يضرب المثل بحسن كتابته .

توفى سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وقد شاخ ، سافر إلى العراق ، واجتمع بياقوت المجود ، وكان قد اتصل بخدمة بيبرس الجاشنكير ، وكتب له أجزاء ختمة فى سبعة أجزاء بايقة ذهب بقلم الثلث فى قطع البغدادى ، وحل فيها جملة من الذهب أعطاها له الجاشنكير ألف وستمائة دينار وألف وأربعمائة دينار ، دخل الختمة ستمائة دينار ، وأخذ الباقى ، فقيل له فى ذلك ، فقال : متى يعود آخر مثل هذا يكتب مثل هذه الختمة ، وزمكها صندل المذهب ، وهى وقف فى جامع الحاكم ، وكتب السبعة أقلام طبقة ، وخدم بديوان الإنشاء بالقاهرة ، ومن نظمه فى تفضيل الحشيش :

وخضراء لا الحمراء تفعل فعلها ... لها وثَبَاتٌ فى الحشا وثبات
تؤجِّج ناراً فى الحشا وهى جنة ... وتبدى مر ير الطعم وهى نبات

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

جهد المغفل فى الزمان مضيع ... وإن ارتضى أستاذه وزمانه

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (٢٧/٦) وأشار إلى أن له ترجمة عند الذهبى ، وقال عنه «وهو متهم فى دينه ، يرمى بعظائم ، توفى فى شعبان وقد شاخ»

كالثور فى الدولاب يسعى وَهْولا   يدرى الطريق فلا يزال مكانه

وكان ناصر الدين شافع قد وقف على شيء من نظمه فأثنى عليه وشكرهُ ، فلما بلغ ابن الوحيد ذلك قال * أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى(١) * وكان ناصر الدين شافع قد عمى ، فلما بلغه قوله كتب إليه أبياتا يهجوه :

نعم نَظَرْتُ ، ولكن لم أجد أدباً   يا من غدا واحداً فى قلة الأدب

عيرتنى بعمى أصبحت تذكره   والعيب فى الرأس دون العيب فى الذنب

وكان الواقع بينه وبين محيي الدين بن البغدادى ، وعمل له ذلك المنشور الذى أقطعه فيه قائم الهرمل وابن عروة وأبو عروق وما أشبه هذه الأماكن ، ورأيت كتاب « خواص الحيوان » وفيه مكتوب ذكر الضبع : من خواص شعرها أنه من تحمل بشيء منه حدث له البغاء ، وقد كتب ابن البغدادى على الهامش : أخبرنى الثقة شرف الدين بن الوحيد الكاتب أنه جرّب ذلك فصح معه ، أو كما قال .

(٤١٨)

محمد بن صالح
الطالبى

محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على ابن أبى طالب .

حمله المتوكل من البادية سنة أربعين ومائتين فيمن طلبه من آل أبى طالب، فحبس ثلاث سنين ، ثم أطلق فأقام بسامرا، ثم عاد إلى الحجاز ، وكان راوية أديبا شاعراً ، وهو القائل فى الحبس من أبيات :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى   برق تألق بالحِمَى لمعانه

يبدو كحاشية الرداء ودونه   صعب الذرى متمنع أركانه

---

(١) هذا صدر بيت لأبى الطيب المتنبى ، وعجزه قوله :
* وأسمعت كلماتى من به صمم *

فدنا لينظر أين لاح فلم يجـد　　نظراً إليه وصـده سجّانه
فالنار ما اشتملت عليـه ضلوعه　　والماء ما سمحت به أجفـانه

(٤١٩)

عماد الدين محمد بن عباس الدنيسرى

محمد بن عباس بن أحمد بن صالح ، الحكيم البارع ، عماد الدين ، الدنيسرى[1] ولد بدنيسر سنة خمس وستمائة[2] ، وقرأ الطب حتى برع فيه ، وقد سافر وسمع الحديث بالديار المصرية ، وصحب البهاء زهيرا مدّة ، وتخرج به فى الأدب والشعر ، وتفقه على مذهب الإمام الشافعى ، وصنف « المقالة المرشدة ، فى درج الأدوية المفردة » وأرجوزة فى الدرياق الفاروقى ، ونظم مقدّمة المعرفة لبقراط وغير ذلك ، وسكن الشام ، وخدم بالقلعة فى الدولة الناصرية ، ثم خدم بالبيمارستان الكبير ، وكان أبوه خطيبا بدنيسر ، سمع منه قاضى القضاة نجم الدين بن صصري والبرزالى .

وتوفى سنة ست وثمانين وستمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

وقلت : شهودى فى هواك كثيرة　　وأصْدَقُها قلبى ودمعى مسفوح
فقالوا : شهود ليس يُقبل قولُهم　　فدمعك مقذوف وقلبك مجروح

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

عشقت بدراً مليحاً　　عليه فى الحسن هالَه
مثل الغزال ولكن　　تغار منه الغـزاله
فقلت : أنت حبيبى　　ومالكى لا محاله
جسمى يذوب وجفنى　　دموعـه هطاله
بعثت من نار وجدى　　منى إليه رساله

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (٥/٣٩٧)

(٢) فى الشذرات « ولد بدنيسر سنة ست وستمائة » وفيه أنه توفى فى ثامن صفر من سنة ست وثمانين وستمائة .

ولى عليك شهود ... معروفة بالعـدالة

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

إذا رفع العـود تكبيره ... ونادى على الراح داعى الفرح
رأيت سجـودى لها دائما ... ولكن عقيب ركوع القـدح

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

كَلِفتُ بالمعسول من ريقه ... وهمت بالعَسَّال من قـده[1]
بدر إذا أبصرته مقبـلا ... أبصرت بدر التم فى سعده
يجرح قلبى لحظـهُ مثلما ... يجرحه لحظى فى خـدِّه[2]
قلت لعذالى على حبـه ... والقلبُ موقوف على وجـده
مَنْ يده فى الما إلى زنده ... يعرف حرّ الماء من برده

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ولقد سألت وصاله فأجابنى ... عنه الجمال إشارة عن قائل
فى نون حاجبه وعين جفونه ... مع ميم مبسمه جواب السائل

(٤٢٠)

بدر الدين محمد بن عبد الرحمن (ابن الغويرة) السلمى

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن حفاظ ، بدر الدين ، السلمى ، الحنفى ، الدمشقى ، ابن الغويرة .

تفقه على الصدر سليمان ، وبرع فى المذهب ، ودرس وأفتى ، وأخذ العربية عن الشيخ جمال الدين بن مالك ، ونظر فى الأصول ، وقال الشعر الفائق ، وكان

---

(١) العسال : الشديد الاهتزاز ، وأصله من أوصاف الرمح ، والقد يشبه بالرمح فى اعتداله وتأطره .

(٢) هذا كقول ولادة بنت المستكفى بالله صاحبة ابن زيدون :

ألحاظكم تجرحنا فى الحشا ... ولحظنا يجرحكم فى الخدود

ذا مروءة ودين ومعروف ، وهو والد القاضى جمال الدين بن الغويرة .

ومن شعره :

وشاعر يسحرنى طرفه ورقة الألفاظ من شعره
أنشدنى نظماً بديعاً له أحبب بذاك النظم من ثغره

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

عاينت حَبَّـة خاله فى روضة من جلنار
فغـدا فؤادى طائرا فاصطاده شَرَكُ العذار

وقال :

كانت دموعى حُمْرا قبل بينهم فمذ نأوا قصرتها لوعة الحرق
قطفت باللحظ ورداً من خدودهم فاستقطر البين ماء الورد من حَدَقى[1]

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ورياض كلما انعطفت نثرت أوراقها ذهبا
تحسب الأغصان حين شدا فوقها القمرىُّ منتحبا
ذكرت عصر الشباب وقد لبست أبراده القُشُبا
فانثنت فى الدَّوح راقصة ورمت أثوابها طربا[2]

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

والروض مثل العروس قد خطرت أعطافه فى ملابس قُشُبُ
وريقه الطل قد طفت درراً على كؤس الشقيق كالحبب
فى أعين النور كالدموع وفى مباسم الأقحوان كالشنب

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ألا رب غصن أثمر البدر طالعا وأورق ليلا من عذاريه أليلا

(١) الحدق : جمع حدقة ، وأراد العيون
(٢) الدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة الملتفة لأغصان

محياه روض نرجس اللحظ زهره وقد سال فيه عارض الخدّ جدولا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ألمت بنا والليل زُهْر نجـومه كأحداق زُهْرٍ فتحتها الحدائق
وأبدت مُحَياها لنـــا وتبسمت وهل مع شروق الشمس يلمع بارق

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

تأمّل إلى الروض الأنيق وحسنه وبهجة ذاك النور بين الحـدائق
وقد نثرت أيدى السماء لآلئـــا نظمن حَبَـابا فى كؤس الشقائق

وقال يمدح الملك الناصر يوسف بن العزيز :

أذاع لسان الدمع يوم النوى سرى وحلت أكف البين فيه عُرَى صبرى
وطَلّتْ على إطلاق أسياف نأيهم دمى واغتدى قلبى أسيرا مع السَّفْر(١)
وعطل نادى الأنس من حَلْى حسنهم فحليته من أعين الدمـــع بالدر
رعى الله ليـلات تقضت بوصلهم فقد كن كالخِيلاَنِ فى وَجنة الدهر(٢)
وحيا رياضا بالحمى كنت منهـــم أنال المنى فى ظل أغصانه الخضر
وأركض طرف اللهو فى حلبة الهوى فأعثر فى ذيل المسرّة بالسكر
ولله ليل زارنى فى ظـــلامه غزال رشيق القد كالغُصُن النضر
شربت مياه الحسن من روض وجهه براحة طرفى والدجى مُسبل الستر
وبتنا وثوب الوصـل ينشر بيننا إلى أن طوت برد الظلام يدُ الفجر
فقام كبدر التم فى غسق الدجى يدير شموس الراح فى الأنجم الزهر
وطاف علينا بالكؤس ضُحًى وقد تمايل عطف الروض فى الحلل الخضر
تعانق قَدَّ الغصن أيديه تارة ويلثم طوراً ثغره وجنـــة النهر
وألقت عليه الشمس ثوب شعاعها لتمسح دمع الطل من أعين الزهر

---

(١) طلت دمى : أهدرته ولم تأخذ بثأره

(٢) الخيلان : جمع خال ، وهو نكتة سوداء فى خدود الملاح .

وفاح نسيم الريح يعبث فى الربى بديباج روض حاكه وا كف القطر
و ينساب منها المـاء بين شقائق بدت كالغوانى فى غلائلها الحمر
كما لمعت أسياف يوسف فى الوغى مخضبة أطرافها من دم الـكفر

ومنها فى المديح أيضاً :

يشيد بنيان المعـالى لمجده و يرفل فى ثوب المكارم والفخر
هو البحر يسطو فى غدير مُفاضة بجدوله الماضى على الجحفل المجر
و يغرس فى لَبَّاتهم سوسن القنا فينبت ورد الطعن من ساحة الصدر
ولو لم تكن يمناه غيثا لما بدا بها لامعا برق المهندة البُتْر
ولا أورقت بالنصر فى موقف الوغى وقد جال أغصان المثقفة السمر
و يا عجبا من كفه كيف أضرمت شرار حروب وهى أندى من البحر
ورقَّصْتُ فى ليل المداد عقيلة تناغى بألفـاظ أرق من الخمر
وقد قلدت من بحر علياك جيدها بنظم لآلٍ هذبته يد الفـكر
تغالى ملوك الأرض فى مهر مثلها وها هى قد جاءت إليك بلا مهر

(٤٢١)

محمد بن عبد الرحمن الباجريقى

محمد بن عبد الرحمن[1] بن عمر الباجريقى الجزرى ، الشيخ الزاهد ، ابن المفتى الـكبير جمال الدين .

تحول جمال الدين بوَلَدَيه بعد الثمانين وستمائة إلى دمشق ، فسمعهما من ابن البخارى ، وجلس للإفادة والإفتاء ، ودرس ، ومات وقد شاخ بعد السبعمائة ، فتزهد ولده محمد المذكور ، وحصل له حال وكشف ، فانقطع ، فصحبه جماعة من الرذالة ، وهوّن لهم أمر الشرائع ، وأراهم بوارق شيطانية ، وكان له قوّة تأثير ،

(١) كذا وقع فى ا . ب ، والذى فى شذرات الذهب (٦٤/٦) « شمس الدين محمد بن الإمام جمال الدين عبد الرحيم بن عمر الباجريقى » وقد أشار ابن العماد إلى أن له ترجمة عند الذهبى ، وذكر عنه ما ذكر المؤلف هنا من الضلال وحكم القاضى المالـكى عليه بالقتل مرة بعد أخرى .

فقصده جماعة من الفضلاء ، قلدوا الشيخ صدر الدين بن الوكيل فى تعظيمه ،
وكان ممن قصده الشيخ مجد الدين التونسى النحوى ، فسلكه على عادته ، فجاء
إليه فى اليوم الذى قال له تعود إلىّ فيه ، فقال له : ما رأيت ؟ قال : وصلت فى
سلوكى إلى السماء الرابعة ، فقال : هذا مقام موسى بن عمران بلغته فى أربعة أيام ،
فرجع الشيخ مجد الدين إلى نفسه ، وتوجه إلى القاضى ، وحكى له ما جرى ،
وتاب إلى الله تعالى ، وجدّد إسلامه ، فطلب الباجريقى ، وحكم بإراقة دمه ،
فاختفى ، وتوجه إلى مصر ، وانقطع بالجامع الأزهر ، وتردّد إليه جماعة ، وكان
الشيخ صدر الدين يتردّد إليه ، ويجلس بين يديه ، ويحصل له بهت فى وجهه ،
ويضع يده تحت ذقنه ، ويخلل ذقنه بأصابعه ، وينشد :

عجب من عجائب البر والبحـــر وشكل فرد ونوع غريب

وشهد عليه مجد الدين التونسى وخطيب الزنجيلية والشيخ أبو بكر بن شرف
بما أبيح به دمه ، وحكى عنه التهاون بالصلاة ، وذكر النبى صلى الله عليه وسلم
باسمه من غير تعظيم ولا صلاة عليه ، حتى يقول : ومن محمد هذا ؟ فحكم القاضى
جمال الدين الزواوى المالكى بإراقة دمه ، فاختفى ، وسافر إلى العراق ، وسعى
أخوه بحماية بيبرس العلائى إلى الحنبلى ، فشهد نحو العشرين بأن الستة الذين
شهدوا عليه بينهم وبينه عداوة ، فحقن الحنبلى دمه ، فغضب المالكى ، وجدّد
الحكم بقتله ، وجاء بعد مدّة ونزل بالقابون على باب دمشق ، ولم يزل مختفيا
إلى أن مات وله ستون سنة ، سنة أربع وعشرين وسبعمائة [1] .

وكان يقول : إن الرسل طوّلت على الأمم الطريق إلى الله تعالى .

---

(١) وقع فى ب « سنة أربع وعشرين وأربعمائة » وهو عجيب بعد ما ذكر
فى مطلع الترجمة أن أباه تحول به إلى دمشق بعد سنة ٦٨٠ .

(٤٢٢)

شمس الدين محمد بن عبد الرزاق الحنبلي

محمد بن عبدالرزاق بن رزق الله الرسعيني ، العدل ، شمس الدين ، المحدث[١] ، الحنبلي ، نزيل دمشق .

كان شيخا أبيض مليح الشكل ، ولد سنة عشر وستمائة ، وسمع من ابن روزبة وابن بهروز وابن القبيطي وكريمة وجماعة ، وأمّ بالمسجد الكبير بالرماحين ، وسافر إلى مصر في شهادة ، ولما عاد ودخل الشريعة يسقي فرسه فغرق ، ولم يظهر له خبر ، وذلك سنة تسع وثمانين وستمائة .

كتب إليه بهاء الدين الأزدي :

أحن إلى تلك السجايا و إن نأت ... حنين أخي ذكرى حبيب ومنزل
وأهدي إليها من سلامي مشاكلا ... نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فأجابه شمس الدين المذكور رحمه الله :

على فترة جاء الكتاب معطرا ... بمسك سحيق لا بريًّا القرنفل
فأذكرني ليلات وصل تصرمت ... بدار حبيب لا بدارة جلجل
شكوت إلى صبري اشتياقا فقال لي ... ترفق ولا تهلك أسى وتحمل
فقلت له إني عليك معوّل ... وهل عند رسم دارس من معوّل

ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى :

ولو أن إنسانا يبلغ لوعتي ... ووجدي وأشجاني إلى ذلك الرشا
لأسكنته عيني ولم أرضها له ... ولولا لهيب القلب أسكنته الحشا

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

أأحبابنا إن جادت المزن أرضكم ... فما هي إلا من دموعيَ تمطر

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب لابن العماد (٤١٠/٥) والرسعني ـ بفتح الراء وسكون السين وفتح العين المهملة ـ نسبة إلى « رأس عين »

وإن لاح برق فهو برق أضالعى ◆ وإن ناح ورق عن أنينىَ يخبر
وان نسمت ريح الصبا وتأرجت ◆ فمن طيب أنفاسى بكم تتعطر
وإن رنحت أغصان دجلة فانثنت ◆ فعنى بإبلاغ النسيم تخبر
ومن عجب أنى أكتم لوعة ◆ وأودعها طى الصبا وهى تنشر

(٤٢٣)

أمير المؤمنين محمد بن عبدالله (المهدى بن المنصور)

محمد بن عبدالله ، أمير المؤمنين ، المهدى ، ابن المنصور ، ثالث خلفاء بنى العباس (١) . مولده سنة سبع وعشرين ومائة .

كان جوادا ، سموحا ، مليح الشكل ، محببا إلى الرعية ، قصَّاما للزنادقة ، وكان ملكه عشر سنين وشهرا ونصفا ، مات فى سنة تسع وستين ومائة ، وعاش ثلاثا وأربعين سنة ، وصلى عليه ولده هارون الرشيد .

ومن شعره :

أرى ماء وبى عطش شديد ◆ ولكن لا سبيل إلى الورود
أما يكفيك أنك تملكينى ◆ وأن الناس كلهم عبيدى
وأنك لو قطعت يدى ورجلى ◆ لقلت من الرضا أحسنت زيدى

وكتب إلى جاريته الخيزران وهو فى منتزه له :

نحن فى أفضل السرور ولكن ◆ ليس إلا بكم يتم السرور
عيب ما نحنُ فيه يا أهل ودى ◆ أنكم غبتم ونحن حضور
فأغِذوا المسير بل إن قدرتم ◆ أن تطيروا مع النسيم فطيروا

دخل ابن الخياط المكى عليه ، فقبل يده ومدحه ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، فلما قبضها فرّقها على الناس ، وقال :

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (١/٢٦٦) وذكر أن وفاته لثمان بقين من المحرم سنة ١٦٩ ، وله ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى (١٠٦) .

لست بكفى كفه أبتغى الغنى　　ولم أدر أن الجود من كفه يُعْدِى

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى　　أفَدْتُ وأعدانى فضيعت ماعندى

و بلغ المهدى ذلك ، فأعطاه بكل درهم دينارا .

وجلس المهدى جلوسا عاما ، فدخل عليه رجل و بيده منديل فيه نعل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أهديتها لك ، فأخذها منه وقبلها ، ووضعها على عينيه ، وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فلما خرج قال لجلسائه : ماترون ؟ إنى أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلا عن أن يكون قد لبسها ، ولو كذبناه لقال للناس : أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّها علىّ ، وكان من يصدّقه أكثر ممن يكذبه ، إذ كان من شأن العامة الميل إلى اشكالها ، والنصرة للضعيف على القوى ، و إن كان ظالما ، فاشترينا لسانه ، وقبلنا هديته ، وصدّقنا قوله ، وكان الذى فعلناه أرجح وأنجح .

(٤٢٤)

أبو الشيص محمد بن عبدالله بن رزين الشاعر

محمد بن عبد الله بن رزين ، الشاعر المشهور ، الملقب بأبى الشِّيص ، وهو ابن عم دِعْبِل الخزاعى [١] .

توفى سنة ست وتسعين ومائة ، وقد كف بصره .

قال أبو الشيص وهو مشهور عنه :

وقَفَ الهوى بى حيث أنتِ فليس لى　　متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة فى هواك لذيذة　　حبا لذكرك فليلمنى اللُّوَّمُ

أشبهت أعدائى فصرت أحبهم　　إذ كان حظى منك حظى منهم

وأهنتنى فأهنت روحى عامدا　　ما مَنْ يهون عليك ممن يُكرم

(١) له ترجمة فى الأغانى لأبى الفرج (١٠٨/١٥ بولاق) وأسقط « عبد الله » فقال «اسمه محمد بن رزين بن سليمان» وله ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة (٥٣٥ أوربة) وذكر عبدالله ، وفى معاهد التنصيص (٥٣٦ بولاق) وفى تاريخ بغداد (٤٠١/٥

فأخذ بعض المغاربة هذا المعنى فقال :

هُدِّدت بالسلطان فيك ، وإنما　　أخشى صدودك لا من السلطان
أجد اللذاذة فى الملام ، فلو درَي　　أخَذَ الرُّشا منى الذى يَلْحانى

ولأبى الشيص رحمه الله تعالى :

لا تنكرى صَدِّى ولا إعراضى　　ليس المُقِلُّ عن الزمان براضِ
شيئان لا تصبو النساء إليهما　　حَلْىُ المشيب وحلة الإنفاض
حسر المشيب قناعه عن رأسه　　فرمينه بالصدّ والإعراض
ولربما جعلت محاسن وجهه　　لجفونها غرضاً من الأغراض

(٤٢٥)

أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى

محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين، الخزاعى ، الخراسانى، الأمير، أبوالعباس[١] كان جوادا ، ممدّحا ، أديبا ، شاعرا ، مؤلفا لأهل الفضل والأدب والإمرة والتقدم ، وَلاّه المتوكلُ على بغداد ، وعظم سلطانه فى دولة المعتز إلى أن مات بالخوانيق ، سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

ومن شعره ما كتبه إلى جارية له :

ماذا تقولين فى مَنْ شَفَّه سَقَم　　من جهد حبك حتى صار حيرانا

فأجابته :

إذا رأينا محبًّا قد أضَرَّ به　　جَهْدُ الصبابة أوليناه إحسانا

وقال فى حسن العشرة :

أواصلُ من هويت على خلال　　أذودُ بهنَّ لَيّاتِ المقال
وأحفظ سرّه والغيبَ منه　　وأرعى عهده فى كل حال

(١) له ترجمة وجيزة فى شذرات الذهب (١٢٨/٢) وقد ذكره الذهبى فى وفيات سنة ٢٥٣ (انظر النجوم الزاهرة ٣٤٠/٢) .

وفاء لا يحلّ به انتكاث ووِدّ لا تَخَوَّنُهُ الليالى[1]

وأوثره على عسر ويسر وينفذ حكمه فى سرّ مالى

وأغفر نبوة الإدلال منه إذا ما لم يكن غير الدلال

وما أنا بالملول ولا بجافٍ ولا الغدر المذمم من فعالى

وقال فى الأترنج :

جسم لجين قميصه ذهب ركب فيه بديع تركيب

فيه لمن شمه وأبصره لون محب وريح محبوب

(٤٢٦)

محمد بن عبد الله (ابن الأبار) القضاعى البلنسى

محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن ، الحافظ ، العلامة أبو عبدالله ، القُضَاعى ، البَلَنْسى ، الكاتب ، الأديب ، المعروف بابن الأبّار[2] .

ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، عنى الحديث ، وجَالَ فى الأندلس ، وكتب العالى والنازل ، وكان بصيرا بالرجال ، عالما بالتاريخ ، إماما فى العربية ، فقيها ، مفننا ، أخباريا ، فصيحا ، له يد فى البلاغة والإنشاء ، كامل الرياسة ، ذا رياسة وافية وأبهة وتجمل وافر .

وله من المصنفات « تكملة الصلة » لابن بَشْكوال ، كتاب « تحفة القادم » وكتاب « إيماض البرق » .

قتل مظلوما بتونس على يد صاحبها لأنه تخيل منه الخروج وشَقّ العصا ، وقيل : إن بعض أعدائه ذكرُ عند صاحب تونس أنه ألف تاريخا ، وأنه تكلم فيه فى جماعة ، فلما طلب وأحسّ بالهلاك قال لغلامه : خذ البغلة وامْضِ بها حيث شئت فهى لك ، وكان ذلك فى سنة ثمان وخمسين وستمائة .

---

(١) فى ب «وفاء لايحول بهانتكاث» ولعلها خير مما أثبتناه عن ث ، ولاتخونه : أى لا تنقصه .

(٢) له ترجمة وجيزة فى شذرات الذهب (٥/٢٩٥) ونفح الطيب (٣/٣٤٦) .

ومن شعره :

منظوم الخدّ مورده　　يكسونى السقم مجرده

شَفَّاف الدر له جسد　　يأبى ما أودع مجسده

فى وجنته من نعمته　　جمر بفؤادى موقده

ريم يرمى عن أكحله　　زرقا تُصْمِي من يصمده

متدانى الخطوة من ترف　　أترى الأحجال تقعده

ولاه الحسن وأمّره　　وأتاه السحر يؤيده

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ونهر كما ذابت سبائك فضة　　حكى بمحانيه انعطافَ الأراقم

إذا الشفق استولى عليه احمراره　　تراءى قضيبا مثل دامى الصوارم

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لم تدر ما خَلّدت عيناك فى خَلَدى　　من الغرام ولا ما كابدَتْ كبدى

أفديك من رائد رام الدنو فلم　　يسطعه من فَرَقٍ فى القلب متقد

خاف العيون فوافانى على عجل　　معطلا جيـــده إلا من الجيَدِ

عاطيته الكأس فاستحيت مدامتها　　من ذلك الشنَب المعسول والبرد

حتى إذا غازلت أجفانه سِنَـــة　　وصيرته يد الصهباء طوع يدى

أردتُ توسيده خدى وقلت له　　فقال كفك عندى أفضل الوسُدِ

فبات فى حرم لا غَـــدْرَ يذعره　　وبت ظمآن لم أصدر ولم أرد

بدر ألم وبدر الأفق ممتحق　　والجو مُحْلَولك الأرجاء من حسدى (١)

تحير الليـــل فيه أين مطلعه　　أما درى الليل أن البدر طوع يدى

---

(١) ممتحق : قد وقع عليه المحاق ، وفى نسخة « ممتحن » تحريف ، ومحلولك : شديد الظلمة ، وأصله شدة السواد ، والأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية .

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

زارنى خيفـــة الرقيب مريبا ... يتشكّى القضيبُ منـه الـكثيبا
رشأ رَاشَ لى سهام المنـــايا ... من جفـون تصمى بهن القلوبا
قال لى : ما ترى الرقيب مطـلا ... قلت : ذره أين المكان الرحيبـا
واسقنيها بخمـر عينيك صرفا ... واجعل الـكأس منك ثغراً شنيبا
عاطنى أكؤس الرضاب دِرَاكاً ... وأدرها على كوبا فكوبا
ثم لما أن نام من بعد نعس ... وتَلَقَّى الـكرى سميعاً مجيبـا
قال : لا بد أن تدبَّ إليـــه ... قلت : أبغى رشا وآخـــذ ذيبا
قال : فأبدأ بنــا وثَنِّ عليه ... قلت : كلا لقد رفعت قريبـا
فوثبنا على الغـــزال وثوبا ... ودببنا إلى الرقيب دبيبـا
فَهَلَ أبصرت أو سمعت بصب ... ناك محبـــوبه وناك الرقيبا

(٤٢٧)

جمال الدين محمد بن مالك الجيانى الطائى شيخ النحاة

محمد بن عبد الله بن مالك ، الإمام ، العلامة ، الأوحد ، جمال الدين ، الطائى ، الجيّانِى ، الشافعى ، النحوى ، نزيل دمشق .

ولد سنة ستمائة ، وسمع بدمشق ، وتصدّر بحلَب لإقراء العربية ، وصَرَف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية ، وأرْبى على المتقدمين ، وكان إماما فى القرءآت وعللها ، صنف فيها قصيدة دالية مرموزة فى قدر الشاطبية ، وأما اللغة فكان إليه المنتهى فيها ، وكان إماما فى العادلية ، فكان إذا صلى فيها يُشَيِّعه قاضى القضاة شمس الدين بن خَلّكان إلى بيته تعظيما له ، وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحراً لا يُشَق لُجَجُه ، وأما أطلاعه على أشعار العرب

---

(١) له ترجمة فى نفح الطيب (٤٢١/٢) وفى بغية الوعاة للسيوطى (ص ٥٣) وفى شذرات الذهب لابن العماد (٣٣٩/٥) .

التى يستشهد بها على النحو فكان أمراً عجيباً ، وكان الأئمة الأعلام يتحيرون فى أمره ، وأمّا الاُطلاع على الحديث فكان فيه غاية ، وكان أكثر ما يستشهد بالقرآن ، فإن كان ما فيه شاهدٌ عَدَل إلى الحديث[1] ، فإن لم يكن شىء عدل إلى أشعار العرب ، هذا مع ما هو عليه من الدين والعبادة وكثرة النوافل وحسن السّمْت وكمال العقل ، وانفرد عن المغاربة بشيئين : الكرم ، ومذهب الشافعى ، وأقام بدمشق مدة يصنف و يشتغل بالجامع و بالتربة العادلية ، وتخرج به جماعة ، وكان نظم الشعر عليه سهلا ، وصنف كتابَ « تسهيل الفوائد » مدحه سعد الدين ابن عربى بأبيات مليحة إلى الغاية وهى هذه :

إن الإمام جمال الدين جَمّله　　ربُّ العلا ولنَشرِ العلم أهله
أملى كتاباً له يسمى الفوائد لم　　يزل مفيداً لذِى لب تأمله
فكل مسألة فى النحو يجمعها　　إن الفوائد جمع لا نظير له

ومن تصانيفه « سبك المنظوم ، وفك المختوم » وكتاب « الكافية الشافية » ثلاثة آلاف بيت ، وشرحها ، و « الخلاصة » و « مختصر الشافية » و « إكمال الإعلام ، بمثلث الكلام » و « فَعَلَ وأفعل » و « المقدّمة الأسدية » وصنفها باسم ولده الأسد ، و « عدّة اللافظ ، وعمدة الحافظ » و « النظم الأوجز ، فيما يهمز » و « والاعتضاد ، فى الظاء والضاد » و « إعراب مشكل البخارى » .

وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين وستمائة .

---

(١) لم يكن النحاة من قبل ابن مالك يتخذون من الأحاديث شواهد على مايؤصلونه من القواعد لأن المحدثين استجازوا رواية الحديث بالمعنى ، فكان النحاة يرون أن اللفظ المروى لايلزم أن يكون اللفظ الصادر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا فى غير الأحاديث المروية فى معرض إثبات أن النبى صلوات الله وسلامه عليه كان أفصح العرب فإن مثل هذه الأحاديث تقوم القرائن على أن اللفظ هو اللفظ النبوى ، وقد تكلم ابن حيان فى شرح التسهيل كلاما وافيا فى هذا الموضوع .

قال شرف الدين الحصنى يرثيه بأبيات رحمه الله تعالى :

يا شَتَاتَ الأسماء والأفعال بعد مَوْت ابن مالك المفضال
وانحراف الحروف من بعد ضبط منه فى الانفصال والاتصال
مصدراً كان للعلوم بإذن الله من غير شبهة ومِحَال
عدم النعت والتعطف والتو كيد مستبدلا من الأبدال
ألم إعتراه أسكن منه حركات كانت بغير اعتلال
يا لها سكنة لهمز قضاءٍ أورثت طول مدة الانفصال
رفعوه فى نعشه فانتصبنا نَصْبَ تمييز كيف سير الجبال
صرفوه يا عُظْم ما فعلوه وهو عَدْل مُعَرف بالجمال
أدغموه فى الترب من غير مثل سالما من تغير الانتقال
وقفوا عند قبره ساعة الدفن وقوفاً ضرورة الأمثال
ومددنا الأكف نطلب قصراً مسكنا للنزيل من ذى الجلال
آخر الآى من سبا حظنا منه حظه جاء أول الأنفال
يا لسان الأعراب يا جامع الإعراب يا مفهما لكل مقال
يا فريد الزمان فى النظم والنثر وفى نقل مسندات العوالى
كم علوما بثثتها فى أناس علموا ما بثثت عند الزوال

(٢٤٨)

جمال الدين بن عبد الله محمد التلمسانى (حافى رأسه)

محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر ، العلامة ، جمال الدين ، التلمسانى ، محيي الدين النووى ، المعروف بحافى رأسه[1] .

(١) له ترجمة فى بغية الوعاة (ص ٥٧) وذكر نسبه هكذا « محمد بن عبدالله بن عبد العزيز بن عمر ، أبو عبد الله ، محيى الدين ، بن أبى محمد ، الزناتى ، الكلانى ، نسبه إلى قبيلة من البربر ، الإسكندرانى » وقال « ولد بتاهرت بظاهر تلمسانى » ثم قال « ومات فى رمضان من سنة ٦٩٣ » :

كان من أئمة العربية ، وكان يحفظ الإيضاح للفارسى ، ويقرىء بداره .

ولد بتلمسان سنة ست وستمائة ، وسمع من ابن رواحة وجماعة ، وتصدر للاشتغال زماناً ، أخذ عنه تاج الدين الفاكهانى وجماعة .

ولقب بحافى رأسه لحفرة كانت فى رأسه ، وقيل : إنه كان فى أول أمره مكشوف الرأس ، وقيل : رآه رئيس فى الثغر فأعطاه ثياباً جُدُدًا لبدنه ، فقال : هذا بدنى ، ورأسى حافٍ ، فأمر له بعمامة ، فلقب بحافى رأسه .

ومن شعره :

ومعتقد أن الرياسة فى الكِبْرِ فأصبح ممقوتاً بها وهو لا يَدْرِى

يجر ذيول الكبر طالبَ رفعةٍ ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

يا منكراً من بخل أهل الثغر ما عرف الورى أنكرت مالا ينكر

أقصر فقد صحت نتانة أهله ومن الثغور كما علمت الأبْخَرُ

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

ومعلمى الصبر الجميل بهجره فثنى فؤاداً عَنْه لم يك ينثنى

لابد من أجر لكل معلم وإلى السلو ثواب ما علمتنى

وكتب إلى الأمير نور الدين على بن مسعود الصوابى :

شكوت إليك نورَ الدين حالى وحسبى أن أرى وجه الصواب

وكُتْبِى بعتها ورهنت حتى بقيت من المجوس بلا كتاب

وتوفى سنة ثمانين وستمائة ، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه !.

(٤٢٩)

تاج الدين محمد بن عبد المنعم (ابن شقير)

محمد بن عبدالمنعم بن نصرالله بن جعفر بن أحمد بن حوارى ، الشيخ تاج الدين أبو المكارم ، التنوخى ، المعرّى الأصل ، الدمشقى ، الحنفى ، ويعرف بابن شقير ، الأديب الشاعر .

ولد سنة ست وستمائة ، وهو أخو المحدّث الأديب نصر الله .

وكانت وفاة تاج الدين سنة تسع وستين وستمائة .

ومن شعره :

ماضرّ قاضى الهوى العذرىّ حين وَلِى ... لو كان فى حكمه يقضى على ولى[1]

وما عليه وقد صرنا رعيته ... لو أنه مغمد عنا ظُبا المقل

يا حاكم الحب لا تحكم بسفك دمى ... إلا بفتوى فتور الأعين النجل

ويا غريم الأسى الخصم الألدّ هوى ... رفقا علىّ فجسمى فى هواك بلى

أخذت قلبى رهنا يوم كاظمة ... على بقايا دعاوٍ للهوى قِبَلِى

ورمت منى كفيلا بالأسى عبثا ... وأنت تعلم أنى بالغرام مَلِى

وقد قضى حاكم التبريح مجتهدا ... علىّ بالوجد حتى ينقضى أجلى

لذا قذفت شهود الدمع فيك عسى ... أنّ الوصال بجرح الجفن يثبت لى

لا تسطونّ بعسّال القوام على ... ضعفى فما آفتى إلا من الأسَلِ

هددتنى بالقلى حسبى الجفا وكفى ... (أنا الغريق فما خوفى من البلل)

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أمّا الوفاء فشىء ليس يتفق ... من بعد ماخُنْتَ ياقلبى بمن أثق

أغراك طرفى بما أغراك من فتن ... حتى سبتك القدود الهيف والحدق

وقد تشاركتما فى فتح باب هوى ... سدّت على سلوتى من دونه الطرق

سعيتما فى دمى بغيا فيالكما ... لفرط بغيكما التبريح والأرق

---

(١) الهوى العذرى : العشق المنسوب إلى بنى عذرة ، وهم قوم من العرب اشتهروا بالعشق ، وظهر فيهم كثير من العشاق ، وكلمة « ولى » فى صدر البيت فعل ماض من الولاية ، وفى عجز البيت مؤلفة من ثلاث كلمات : واو العطف ، ولام الجر ، وياء المتكلم .

حتام لا ترعوى ياقلب ذُبْ كمدا فحسبك المزعجان الشوق والأرق

لقيت صبا كئيبا نهب جند هوى لاقاتلى بك طول الدهر معتلق

طوراً بنجد وأحيانا بكاظمة وتارة لك يبدو بالحمى علق

وكل يوم تعنينى إلى أمل من دونه المرهفات البيض تمتشق

أبكى لكى تنطفى من أدمعى حرق وكلما فاض دمعى زادت الحرق

وكنت أسلو ولى صبر ولى رمق فكيف حالى ولا صبر ولا رمق

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وغزال سبا فؤادىَ منه ناظر راشق وقدّ رشيق

ريقه رائق السلافة والثغر حباب وخدّه الراووق

حَلّ صدغيه ثم قال: أفَرْقٌ بين هذين؟ قلت: فرقٌ دقيق (١)

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

واحيرة القمرين منه إذا بدا وإذا انثنى ياخجلة الأغصان

كتب الجمال وياله من كاتب سطرين من خديه بالريحان

وكان تاج الدين يلقب بالهدهد ، فأعطاه الملك الناصر ضَيْعة على نهر نورا ، فحسده جماعة ، وسَعَوْا على إخراجها من يده ، فكتب إلى الملك الناصر :

ما قدر دارى فى البناء فسعيهم فى هدمها قد زاد فى مقدارها

هَبْ أنها إيوان كسرى رفعة أوما بجودك كان أصل قرارها

فاكتب فإنى لا أعارض ، فكتب :

فالنصُّ جاء عن النبى محمد الهادى «أقرّوا الطير فى أوكارها»

وقال أيضا رحمه الله دو بيت :

---

(١) الهمزة فى « أفرق » للاستفهام ، وقوله « فرق دقيق » يريد : بينهما فرق دقيق ، وفيه تورية

أقسمت برشق المقلة النباله قلبى ولين القامة العساله
ما ألبسنى حلة سقم وضنى ياهند سوى جفونك القتاله

(٤٣٠)

شهاب الدين محمد بن عبد المنعم الخيمى، اليمنى المصرى

محمد بن عبد المنعم بن محمد بن شهاب الدين ، الخيمى ، الأنصارى ، اليمنى الأصل ، المصرى الدار(١)

حدَّث بجامع الترمذى ، عن ابن البناء المكى ، وحدث بكثير من مروياته ، رَوَى عنه الصقلى ، وابن منير ، وابن الطاهرى ، وكان هو المقدم على شعراء عصره مع المشاركة فى كثير من العلوم ، وشعره فى الذروة ، وكان يُعانى الخدم الديوانية ، وباشر وقف مدرسة الشافعى ، ومشهد الحسين ، وفيه أمانة ومعرفة ، وكان معروفا بالأجوبة المسكتة ، ولم يعرف عنه غضب ، عاش اثنتين وثمانين سنة وكانت وفاته بالقاهرة سنة خمس وثمانين وستمائة .

اتفق أن نجم الدين بن إسرائيل حج ، فرأى ورقة ملقاة فيها القصيدة التى لابن الخيمى البائية المشهورة ، فادعاها .

قال قطب الدين اليونينى فى تاريخه : إن ابن إسرائيل وابن الخيمى اتفقا واجتمعا بعد ذلك بحضرة جماعة من الأدباء ، وجرى الحديث ، فتحا كما إلى شرف الدين بن الفارض ، فقال : ينبغى لكل واحد منكما أن ينظم أبياتا على هذا الوزن والروى ، فنظم ابن الخيمى :

* لله قوم بجرعاء الحِمى غُيُبُ * القصيدة .

ونظم ابن إسرائيل :

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (٣٩٣/٥) وقال « ابن الخيمى شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد » فلعل كلمة « بن » الواقعة بين محمد وشهاب الدين زائدة فى أصول الكتاب .

* لم يقض من حَقّكم بعض الذى يجب *[1] القصيدة .

فلما وقف عليهما ابن الفارض قال لابن إسرائيل :

* لقد حكيت ولكن فاتك الشنب *

وحكم بالقصيدة لابن الخيمى، واستجاد بعض الحاضرين أبيات ابن اسرائيل ، وقال : مَنْ ينظم مثل هذا ما الحاجة له إلى ادعاء ما ليس له ؟ فابتدر ابن الخيمى وقال : هذه سرقة عادة ، لاسرقة حاجة ، وانفصل المجلس ، وسافر ابن إسرائيل لوقته من الديار المصرية ، وطلب ابن خلكان وهو نائب الحكم بالقاهرة الأبيات من ابن الخيمى ، فكتبها له ، وذيل فى آخرها أبياتا ، وسأله الحكم بينه و بين مَنِ ادّعاها :

والقصيدة المدّعاة هى هذه :

يامطلبا ليس لى فى غيره أرَبُ	إليك آل التقَصّى وانتهى الطلب[2]
وما أرانىَ أهلاً أن تواصلنى	حسبى عُلُواً بأنى فيك مكتئب
لكن ينازع شوق تارة أدبى	فأطلب الوصل لما يضعف الأدب[3]
ولست أبرح فى الحالين ذا قلق	نامٍ وشوق له فى أضلعى لهب
ومدمع كلما كفكفت صَيِّبه	صونا لذكرك يعصينى و ينسكب
و يدّعى فى الهوى دمعى مقاسمتى	وجدى وحزنى و يجرى وهو مختضب
كالطرف يزعم توحيد الحبيب ولا	يزال فى ليله للنجم يرتقب
ياصاحبى قد عدمت المسعدَيْنِ فسا	عدنى على وَصَبى لامسك الوصب
بالله إن جزت كثبانا بذى سلم	قف بى عليها وقل لى هذه الكثب

---

(١) سيأتى فى ٤٦١ أن هذا الصدر:

* لم يقض فى حبكم بعض الذى يجب *

(٢) الأرب : الحاجة ، والتقصى : البحث الدقيق .

(٣) «لما» ههنا : ظرف بمعنى حين ؛ فلا عمل لها فى لفظ الفعل المضارع الواقع بعدها

ليقضىَ الخدّ من أجراعها وطراً ... فى تربها ويؤدّى بعض مايجب

ومل إلى البان من شرق كاظمة ... فلى إلى البَانِ من شرقيها أرب

وخذ يمينا لمغنى تهتدى بشَذاَ ... نسيمِهِ الرطب إن ضلت بك النجبُ[1]

حيث الرضاب و بطحاها يروّضها ... دمع المحبين لا الأنداء والسحب

أكرم به منزلا تحميه هيبته ... عنى وأنواره لا السمر والقضب

دعنى أعلل نفساً عزّ مطلبها ... فيه وقلبا لغدر ليس ينقلب

ففيه عاينت قدماحسن من حسنت ... به الملاحة واعتزت به الرتب

أحيا إذا مت من شوق لرؤيته ... بأننى لهواه فيه منتسب

ولست أعجب من جسمى وصحته ... فى حبه إنما سقمى هو العجب

والَهفَ نفسىَ لو أجدى تلهفها ... غوثا وواحر با لو ينفع الحرب

يمضى الزمان وأشواقى مضاعفة ... ياللرّجال ولا وصل ولا سبب

يابارقا بأعالى الرقمتين بدا ... لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ويانسيما سرى من حى كاظمة ... بالله قل لىَ كيف البان والعذب

وكيف جيرة ذاك الحى هل حفظوا ... عهدا أراعيه إن شطوا إن قربوا

أم ضيعوا ومرادى منك ذكرهم ... هم الأحبة إن أعطوا و إن سلبوا

إن كان يرضيهم إبعاد عبدهم ... فالعبد منهم بذاك البعد مقترب

والهجر إن كان يرضيهم بلاسبب ... فإنه من لذيذ الوصل محتسب

و إن همُ احتجبوا عنى فإن لهم ... فى القلب مشهود حسن ليس يحتجب

قد نزه اللطف والإشراق بهجته ... عن أن يغيِّبها الأستار والحجب

ما ينتهى نَظَرى منهم إلى رتب ... فى الحسن إلا ولاحت فوقها رتب

---

(١) المغنى — بالغين المعجمة — اسم المكان من قولهم « غنى فلان بالمكان يغنى » من باب رضى يرضى — إذا أقام فيه ، ووقع فى أصول الكتاب « لمعنى » بالعين مهملة ، وهو خطأ ، والشذا : الريح الطيبة ، والنجب : جمع نجيبة ، وهى الناقة السريعة هنا .

وكلما لاح معنى من جمالهم لبَّاه شوق إلى معناه منتسب
أظل دهرى ولى من حبهم طرب ومن أليم اشتياقى نحوهم حَرَبُ

وكان الذى نظمه ابن إسرائيل رحمه الله تعالى :

لم يقض فى حبكم بعضَ الذى يجبُ صب متى ماجرَتْ ذكراكم يجب [1]
أحبابنا والمنى تُدْنِى زيارتكم ور بما حال من دون المنى الأدب
قاطعتمونى فأحزانى مُواصِلة وحلتمو فخلالى فيكم التعب
ما رَابَكم من حياتى بعد بعدكم وليس لى فى حياة بعدكم أرب
رحتم بقلبى وما كادت لتسلبه لولا قدودُكم الخطيَّة السلب
يا بارقا ببريق الحزن لاح لنا أأنت أم أسلمت أقمارها النقب
و يانسيما سرى والعطر يصحبه أجزت حيث مشين الخرّد العُرُبُ
أقسمت بالمقسمات الزهر تحجبها سُمْر العوالى والهندية القضب
لكدت تشبه برقا من ثغورهم يادر دمعى لولا الظَّلْم والشنب

والقصيدة التى نظمها ابن الخيمى ثانياً مع ابن إسرائيل :

لله قومٌ بجرعاء الحمي غُيُبُ جنوا علىَّ ولما أن جَنوْا عَتبُوا
يارب هم أخذوا قلبى فلم سَخِطوا و إنهم غصبوا عيشى فلم غضبوا
هم العُرَيْبُ بنجد مذ عرفتهم لم يبق لى معهم مال ولا نشب
شاكون للحرب لكن من قدودهم وفاتراتُ اللحاظ السمر والقضب
فما ألموا بحىٍّ أو ألم بهم إلا وغاروا عل الأبيات وانتهبوا
عهدت فى دمن البطحاء عهدهوى إليهم وتمادت بيننا حقب

---

(١) يجب فى صدر البيت فعل مضارع من قولهم «وجب الشىء على فلان يجب وجوبا» أى لزم فعله ، وفى عجز البيت فعل مضارع من قولهم «وجب قلب فلان يجب وجيبا» أى خفق واضطرب . وقد وقع فى ص ٤٥٩ :

* لم يقض من حقكم بعض الذى يجب *

فما أضاعوا قديم العهد بل حفظوا   لـكن لغيرىَ ذاك العهد قد نسبوا

مَنْ منصفى من لطيف منهم غنج   لَدْن القَوَام لإسرائيل ينتسب (١)

مبدل القول ظلما لا يفى بموا   عيد الوصال، ومنه الذنب والغضب

تُبين لثغتـــه بالراء نسبته   والمين منه مزور الوعد والـكذب

موحـد فيرى كل الوجود له   ملـكا و يبطل ما يأتى به النسب

فمن عجائبه حَدِّث ولا حرج   ما ينتهى فى المليح المطلق العجب

بدرا ولـكن هلالا لاح إذ هو بالـــوردى من شفق الخدين منتقب (٢)

فى كأس مبسمه من حـلو ريقته   خمـــر ودر ثناياه لها حَبَبُ

فلفظه أبدا سكران يسمعنا   من معرب اللحن ماينسى به الأدب

تَجـنى لواحـظه فينا ومنطقه   جنـاية يجتنى من مرها الضَّرَبُ

حلو الأحاديث والألحاظ ساحرها   تُلْقَى إذا نطق الألواح والـكتب

لم تنف ألفاظه معـنى يرق لنا   لقد شكت ظلمه الأشعار والخطب

فداؤه ماجرى فى الدمع من مُهَج   وما جرى فى سبيل الحب محتسَبُ

ويح المتيم شام البرق من إضم   فهزه كاهتزاز البارق الحرب

وأسكن البرق من وجد ومن كلف   فى قلبه فهـو فى أحشائه لَهَبُ

وكلما لاح منـــه بارق بعثت   ماء المدامع من أجفانه سحب

وما أعادت نُسَيمات الغوير له   أخبار ذى الأثل إلا هزها الطرب

واهاله أعرض الأحباب عنه وما   أجدَتْ رسائله الحسنى ولا القرب

---

(١) غنج ـ بفتح الغين وكسر النون ـ أراد أنه يتكسر فى كلامه ، ولدن القوام : يريد أنه يهتز فى سيره كما تهتز الأغصان .

(٢) الوردى : المنسوب إلى الورد ، شبه حمرة خده بالشفق أولا فى « شفق الخدين » ثم شبهه بالورد .

ونظم الشيخ عفيف الدين التلمسانى :

لولا الحمى وظباء بالحمى عُرُبُ ما كان فى البارق النَّجْدِىِّ لى أرب[1]
حلت عقود اصطبارى دونه حلل خفوقها فارتيا حاتى لها نجب
وفى رياض بيوت الحى من إضم وردجنىّ ومن أكمامه النقب
يسقى الأقاحىّ منها قرقف فإذا لاح الحباب عليها فاسمه الحبب[2]
يقضى بها لعيون الناظرين على كل القلوب قضاء ما له سبب
إلا تمارض أجفان إذا سبلت فمقتضى همها المسلوب لا السلب
وبى لذى الحلة الفيحاء غصن نقاً يهفو فيجذبه حِقْف فينجذب
لا تقدر الحجب أن تخفى محاسنه وإنما فى سناه الحجب تنحجب
أعاهد الراح أنى لا أفارقها من أجل أنّ الثنايا شبهها الحبب
وأرقب البرق ، لاسقياه من أربى لكنه مثل خديه له لهب
يا سالما فى الهوى مما أكابده رفقا بأحشاء صب شفه الوصب
فالأجر يا أملى إن كنت تكسبه من كل ذى كبد حراء يكتسب
يا بدر تمّ تجافى فى زيارته ما آن أن ينجلى عن أفقك السحب
صحا السكارى ومن رام فيك أما للسكر لا سبب يروى ولا نسب
قد آيس الصبر والسلوان أيسره وعاقت الصب عن آماله الوصب
وكلما لاح يا عينى وميض سنا تهمى وإن هب يا قلبى صَبًا تجب
فإن بكى لصباباتى عذول هو فلى بما فيه يبكى عاذلى طرب
ناشدتك الله يا روحى أذهبى كلفا بحب قوم عن الجرعاء قد ذهبوا
لا تسأليهم ذماما فى محبتهم فطالما قد وفى بالذمة العرب

---

(١) عرب ـ بضمتين ـ جمع عروب ، وهى المرأة المتحببة إلى زوجها .

(٢) الأقاحى : جمع أقحوانة ، وهى زهرة حمراء ، وأكثر الشعراء يشبهون بها الفم ، والقرقف : الخمر .

هم أهل ودى وهذا واجب لهم — وإنمـا ودّهم لى فهْو لا يجب
هم ألبسونى سقاما من جفونهم — أصبحت أرفل فيه وهو ينسحب
وصيرت أدمعى حُمْراً خدودُهم — فكيف أجحد ما منُّوا وما وهبوا
هل السلامة إلا أن أموت بهم — وجدا وإلا فبقيـاى هى العطب
إن يسلبوا البعض منى والجميع لهم — فإن أشرف جزأىَّ الذى سلبوا
لو تعلم العذبات المـائسات بمن — قد بان عنها إذن ما أخضرت العذب
ولودَرَى منهل الوادى الذى وردوا — من وارد ماءه ما اهتزه الطرب
إنى لأكظم أنفاسى إذا ذكروا — كيلا يحرّقهم من زفرتى اللهب
أسائل البان عن مَيْل النسيم بهم — سؤال من ليس يدرى فيه ما السبب
وتلك آثار لين فى قدودهم — جرت بها الريح فاهتزت بها القضب
تصحو السكارى ولا أصحو ظمأً بكم — ويسكر السكر من بعض الذى شربوا

ونظم الشيخ شهاب الدين محمود رحمه الله فى هذه المـادة :

قضَى وهٰذا الذى فى حبهم يَجِبُ — فى ذمة الوجد تلك الروح تُحْتَسَبُ
ما كان يوم رحيل الحى عن إضم — لروحه فى بقاء بعدهم أرب
صب بكى أسفا والشمل مجتمع — كأنه كان للتفريق يرتقب
نأوا فذابت عليهم روحُه كمدا — ما كان إلا النوى فى حتفه سبب[1]
لم يدر أنّ قدود السمر مشبهة — للبيض لو لم يكن أسماؤها القُضُبُ
وظن كأس الهوى يصحو الشريد بها — إذ أوهمته الثنـايا أنها الحبب
طوبى له لم يبدّل دِينَ حبهم — بل مات وهو إلى الإخلاص ينتسب
لو لم يمت فيهمُ ما عاش عندهم — حياتهُ من وفاء الحب تُكتسب

---

(١) نأوا : بعدوا وفارقوا ، والكمد : الحزن ، والنوى : البعد ، والحتف : الهلاك .

بانوا وفى الحى مَيْتٌ ناح بعدهم ... له الحمام وسَحَّتْ دمعها السحب
وشق غصن النقا من أجله حزنا ... جيوبه وأديرت حوله العذب
وشاهد الغيث أنفاساً يُصَعِّدها ... فعاد والبرق فى أحشائه لهب
يابارق الثغر لو لاحت ثغورهم ... وشمت بارقها ما فاتك الشنبُ
وياحيا جادهم إن لم تكن كَلِفًا ... مابالُ عينيك منها الماء ينسكب
ويا قضيب النقا لو لم تجد خبراً ... عند الصبا منهم ماهزك الطرب
بالله يانسمات الريح أين هم ... وهل نأوا أم دموعى دونهم حجب
بالله لما استقلوا عن ديارهمُ ... أحَنَّتِ الدار من شوق أم النُّجُبُ
وهل وجدت فؤادى فى رحالهم ... فإنه عندهم من بعض ما سلبوا
نَأَوْا غضابا وقلبى فى إسارهم ... ياليتهم غصبوا روحى وماغضبوا[1]
طوبى لقلب غدا فى الركب عندهم ... كأنه عندهم ضيف وهم عرب
وإن رجعت إليهم فاذكرى خبرى ... إنى شرقت بدمع العين مذ غربوا
ثم اذكرى سفح دمعى فى معاهدهم ... لا يذكر السَّفْحَ إلاَّ حنَّ مغترب[2]
عساك أن تعطفى نحوى معاطفهم ... فالغصن بالريح ينأى ثم يقترب

ومن شعر الشيخ شهاب الدين الخيمى :

كلفت ببدر فى مبادى الدجى بدا ... فعادلنا ضوء الصباح كما بدا
وحَجَّبَ عنا حسنه نور حسنه ... فمن ذلك الحسن الضلالة والهدى
فيا عاذلى دعنى ونار صبابتى ... عليه فإنى قد وجدت لها هدى
وهاك يدى ؛ إنى على ترك حبه ... مدى الدهر لا أعطيك ياعاذلى يداً

---

(١) فى ب ، ث « ولا غضبوا »

(٢) سفح دمعى : انصبابه وانسكابه ، والسفح : أسفل الجبل

فما العيش إلا أن أبيت مواصلا ... لبدرىَ أوفى حب بدرى مُسَهداً
فيانار قلبى حبذا أنت مصطَلًى ... ويادمع عينى حبذا أنت موردا[1]
ويا سَقَمى فى الحب أهلا ومرحبا ... ويا صحة السلوان شأنك والعدا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

سلام على بُعْد المزار وقربه ... سلام فتًى مازال عن عهد حبه
يعلله إن فاته طيب وصلكم ... لذيذ هواكم فى سويداء قلبه
ويلقى بخديه النسيم لأنه ... بمغناكم قد جرَّ ذيلا بِتُربه
ويعترض الركبان عَلَّ مبشرا ... بقربكم يقضى بتفريج كربه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

هل إلى برد الثنايا من سبيل ... لَشُوقٍ ذاب من حرّ الغليل
أو إلى الوصل وصول خلسةً ... لمحب بين واش وعـــذول
نعب الواشى ولو شاء اكتفى ... بوشاة ، من دموعى ونحولى
وبواش من كثير الطيب إن ... سمح المحبوب بالوصل القليل
وعذول لج فى عذلىَ إذ ... لم ير الخال على الخد الأسيل
لو رأى وجـه حبيبى عاذلى ... لتفارقنا على وجه جميـــل
حبذا وجه حبيبى جنة ... ذات ظل مدّ بالصدغ ظليل
لم يَرُقْ قلبى خليلٌ غـــيره ... إنه خــير حبيب وخليل
خـــدّه الناظر برد ناره ... وسلام إنها نار الخليل
وأنا المقتول كما شاء الهوى ... بالقوام اللَّدْن والطرف الكحيل
مُتُّ بالحب شهيدا فعسى ... فى جنان الخلد أن يقضى دخولى

---

(١) المصطلى : موضع الاصطلاء بالنار ، والمورد : الموضع الذى ينزل به الواردون للماء ، هذا أصلهما ، وهما هنا على التشبيه .

وقال رحمه الله تعالى وهو محموم :

صاح قل للطبيب ما هى حُمّى　　تلك نار اشتياق قلبى إليهم
وخروج المياه من جسمىَ المضـــنى بكا أعين المسام لديهم
ما شفانى بكاء عينىَ حتى　　ساعدتنى عيون جسمى عليهم

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

إنى سلوت عن الحبيب ولم يكن　　هذا لأنى فى الهوى غَـــدَّارُ
لـكنه اختار السلو وقال لى　　إنى علىّ من المحب أغار
فأطعته وسـلوتُهُ إذ بيننا　　فى العهد أن أختار ما يختار

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

أيامن سَلَوْا عنا ومالوا إلى الغدر　　وما لزموا أخلاق أهل الهوى العذرى
و بعد حلاوات التواصل والهوى　　جنوا مرّ طعم الهجر من علقم الصبر
إذا ما رجعتم عن محبتكم لنا　　مشاة رجعنا عن محبتكم بجرى
وإن كنتم فى الجهر عنا صددتم　　ففى سرنا عنكم نصد وفى الجهر
سكنتم فؤادى مرّة ورحلتم　　فأصبح منكم خاليا خالى السر
وقال لى العذال هل أنت راجع　　إذا رجعوا عن غدرهم قلت لاأدرى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ألَامُ على الخلاعة إذ شبابى　　ورونق جِدّتى ذهبا جميعا[1]
ومن ذهبت بِجِدّته الليالى　　فلا عجب إذا أضحى خليعا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

رأيت على خد المليح ذؤابة　　فعينى غراما بالذؤابة تهمع[2]

(١) الجدة - بكسر الجيم وتشديد الدال - أراد بها هنا الحداثة ، ورونقها : بهاؤها .

(٢) تهمع : تهطل الدمع وتسكبه

وقال لى الواشون : مالك باكيا ؟ فقلت : بعيني شعرة فهى تدمع

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

ياصاح يا صاح البدار البدار فالشرق قد أضحى وصاح الهزار (١)
وهبَّ مسكىّ نسيم الصبا فانهض شكورا زمن الابتكار
وقم بنا نحو ابنة الكرم أم الزهر زوج الماء أخت الهزار
ثم اجْلُها عذراء من ذاتها صيغت حلاها والحباب النثار
صهباء خمر قَرْقَف سلسل مدامة راحٌ سلاف عقار (٢)
كوجنة الساقى فلا غرو أن يخلع إذ تجلى عليها العذار
صفراء لا أملك فى حبها مالا ولا أملك عنها اصطبار
ولا أخاف النار من شربها لأننى أشربها وهى نار
وما أضعت المال فيها وقد بعت لها — وهى النضار — العقار
تملأُ أعطافى وسمعى بها سكرا ووقرا عن حديث الوقار
تشربها قبل فمى مقلتى ففى جفونى قبل سكرى انكسار
ما أذهبت عقلى ولكن أطا رته إلى أفق المعالى فطار
فعاطِنِى يا صاح كاساتها وأسقنى واشرب نهارا جهار
وهات فى يمناى من صرفها كاسا وأخرى هاتها فى اليسار
دعنى بها أقطع ليلى فما أطْوَلَهُ بعد الليالى القصار
إذ كان ربعٌ بلوى الجزع لى دارا وكان الحب لى فيه جار
ما كان أحلى ذلك العيش من عيش ، وأحلى الدار بالجزع دار

(١) البدار : المبادرة والإسراع ، والهزار : طائر
(٢) هذه الألفاظ كلها من أسماء الخمر

وقال رحمه الله لغزاً فى الملعقة :

وممدودة كَيَدِ المجتدى بكف على ساعد مسعد[1]
ترى بعضها فى فمى كاللسان وجملتها فى يدى كاليد

وقال رحمه الله فى سبحة سوداء :

وسبحة مسودَّة لونُهَا يحكى سواد القلب والناظر
كأننى عند اشتغالى بها أعُد أيامـك ياهاجرى

(٤٣١)

صريع الدلاء محمد بن عبدالواحد

محمد بن عبد الواحد[2]، الملقب بصريع الدلاء ، وقتيل الغواشى[3] .

كان شاعراً ماجناً ، غلب على شعره الهزل والمجون ، عارض مقصورة ابن دريد بمقصورة يقول فيها :

من لم يرد أن تنتقب نعاله يحملها فى كفـه إذا مشى
ومن أراد أن يصون رجْلَه فلبْسُهُ خـيرٌ له من الحفا
من دخلت فى عينه مسلة فاسأله من ساعته عن العمى
مَنْ أكل الفحم يُسَوِّدْ فمه وراح صحن خده مثل الدجى
من صفع الناس ولم يَدَعْهُمُ أن يصفعوه فعليهم اعتدى
من ناطح الكبش يفجر رأسه وسال من مفرقه شبه الدما
من أكل الكرش ولا يغسله سال على شاربه ذاك الدوا

---

(١) المجتدى : طالب الجدوى وهو العطاء

(٢) له ترجمة فى ابن خلكان ، وذكر أن اسمه على ويقال محمد ، وفى ابن كثير (١٣/١٢) وسماه « على بن عبد الواحد » تبعاً لابن خلكان ، وفى شذرات الذهب (١٩٧/٣) وفى حسن المحاضرة (ص ٢٥٧)

(٣) فى ب ، ث « قتيل الغوانى » محرفا عما أثبتناه موافقاً لابن خلكان والشذرات .

من طبخ الديك ولا يذبحه   طار من القدر إلى حيث يشا
من شرب المسهل فى فعل الدوا   أطال ترداداً إلى بيت الخلا
من مازح السبع ولا يعرفه   مازحه السبع مزاحاً بجفا[١]
من فاته العـلم وأخطاه الغنى   فذاك والكلب على حد سوا
والدرج يلفى بالغشا ملصقا   والسرج لا يلزق إلا بالغرا
والذقن شعر فى الوجوه نابتٌ   وإنما الإِست التى تحت الخصا
فاستمعوها فهى أولىٰ لكم   من زخرف القول ومن طول المِرَا

يقول فى آخرها مشيراً إلى ابن دريد :

فتلك كالدر يضىء لونها   وهذه فى وزنها مثل الحذا

ومن شعره يمدح فخر الملك من قصيدة[٢] :

كيف تلقى بؤسا دولة   فخـر الملك تمم بالإنعام
هذه ما بقى الجديدان تبقى   للتهانى مملكا ألف عام[٣]
كل يوم لنا بنعماك عيد   لا خلت منه سائر الأيام
فله الأنعم الجسام اللواتى   هن مثل الحياة فى الأجسام
لم يزل يطلب المحامد والعلـياء بين السيوف والأقلام
فلقد نال بالعـزائم مجدا   لم ينل مثله بحد الحسام
أدركَ المجدَ قاعدا وسواه   عاجز أن يناله من قيـام
لم يزل جوده يعطعط بالإفـضال مذ كان فى قفا الإعدام
فَهْوَ من حبه المكارم والجو   د يرى الكاملين فى الأحلام
قد كفتنا غيوث كفيه أن نبـسط كفا إلى سؤال الغمام
ورصصنا إليـه در الأمانى   ونظمنا إليـه در الكلام

(١) فى ب ، ث « ولم يعرفه » ولا يستقيم عليه وزن البيت
(٢) البيتان الأولان من هذه القصيدة غير مستقيمين .
(٣) الجديدان : الليل والنهار

وكانت وفاة صريع الدلاء فى شهور اثنتى عشرة وأربعمائة ، رحمه الله تعالى !

(٤٣٢)

أبو عبد الله ضياء الدين محمد بن عبد الواحد السعدى الحنبلى

محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل ، الحافظ ، الحجة ، الإمام ، ضياء الدين ، أبو عبد الله ، السعدى ، الدمشقى ، الصالحى ، صاحب التصانيف [(١)] .

ولد بالدير المبارك سنة تسع وستين وخمسمائة ، ولزم الحافظ عبد الغنى ، وتخرج به ، وحفظ القرآن ، وتفقه ، ورحل أولا إلى مصر سنة خمس وتسعين ، وسمع ، ورحل إلى بغداد بعد موت ابن كليب ، وسمع من ابن الجوزى وغيره ، ودخل هَمَذان ، ثم رجع إلى دمشق بعد الستمائة ، ثم رحل إلى أصفهان فدخلها ليلة وفاة الفراوى ، ورحل إلى مَرْوَ وعاد إلى حلب ، وسمع بها وبحرّان والموصل وعاد إلى دمشق بعلم كثير ، وحصل أصولا نفيسة فتح الله بها عليه هِبَةً وشراء ونسخاً ، وسمع بمكة وأكبَّ على الاشتغال لما رجع والتصنيف والنسخ ، وأجازه السِّلَفى وشهدة وابن برِّى وخلق كثير ، قال الشيخ شمسُ الدين : سمعت الشيخ جمال الدين المزى يقول : الحافظ ضياء الدين أعلم من الحافظ عبد الغنى .

ومن تصانيفه كتاب « الأحكام » ثلاث مجلدات « فضائل الأعمال » مجلد « الأحاديث المختارة » تسعين جزءاً « فضائل الشام » ثلاثة أجزاء « فضائل القرآن » جزء ، « صفة الجنة والنار » ، « مناقب أصحاب الحديث » ، « النهى عن سب الصحابة » « سِيَر المقادسة » كالحافظ عبد الغنى والشيخ أبى عمرو وغيرهم ، فى عدة مجلدات ، وله تصانيف كثيرة فى أجزاء عديدة .

وبنى مدرسة على باب الجامع المظفرى ، وأعانه عليها أهل الخير ، وجعلها

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (٥/٢٢٤) وفى البداية والنهاية (١٣/١٦٩) وفى النجوم الزاهرة (٦/٣٥٤)

دار حديث ، ووقف عليها كتبه وأجزاءه ، وفيها من وقف الموفق واليها عبد الرحمن والحافظ عبد الغنى وابن الحاجب وابن سلام وابن هائل والشيخ على الموصلى ، وقد نهبت فى نَكْبة الصالحية نوبة غازان ، وراح منها شىء كثير .

وكانت وفاة الشيخ الضياء سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، رحمه الله تعالى !

(٤٣٣)

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عبدالوهاب الحرانى الحنبلى

محمد بن عبد الوهاب ، أبو منصور ، بن منصور ، العلامة ، شمس الدين ، أبو عبد الله ، الحرانى ، الحنبلى .

كان إماماً بارعاً أصولياً ، من كبار الأئمة فى الفقه والأصول والخلاف ، تفقه على القاضى نجم الدين راجح الحنبلى والشيخ مجد الدين بن تيمية ، وقدم دمشق ، فقرأ الأصول والعربية على الشيخ نجم الدين القاسم ، ودخل مصر ، ولازم درس الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وناب فى القضاء عن تاج الدين ابن بنت الأعز ، فلما جعلت القضاة أربعةً ناب فى القضاء عن الشيخ شمس الدين ابن العماد ، ثم قدم دمشق ، وانتصب للإفادة ، وكان حسن العبارة ، طويل النَفَس فى البحث ، أعاد بالجَوْزية مدة ، وناب فى إمامة محراب الحنابلة ، ثم ابتلى بفالج أبطل نصفه الأيسر ، وثقل لسانه حتى لا يفهم من كلامه إلا القليل ، وبقى كذلك أربعة أشهر ، ومات سنة خمس وتسعين وستمائة .

وكان من أذكياء الناس ، روى عن ابن اللتى والموفق عبد اللطيف وجماعة ، ومات فى عشر السبعين ، وكان يقرأ تائية ابن الفارض ويبكى .

ومن شـعره ما ذكره الشيخ شهاب الدين محمود أنه أنشده إياه لغـزاً في شبابة :

منقبة مهما خَلَتْ مع محبها يزودها لثما وينظرها شزرا
وتصحيفها في كف من شئت فليقل إذا شئت في اليمنى وإن شئت في اليسرى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

طار قلبي يوم ساروا فرقا وسواء فاض دمعي أورَقاَ
حار في سُقْمِيَ من بعدهم كل من الحي داوى أورَقاَ
بعدهم لا ظل وادى المنحنى وكذا بانُ الحمى لا أوْرَقاَ

(٤٣٤)

محمد بن عتيق (ابن أبي كدية) القيرواني

محمد بن عتيق[١] أبي بكر بن أبي نصر ، اليمني ، القيرواني ، الأشـعري ، المتكلم ، المعروف بابن أبي كدية .

درس الأصول بالقيروان على أبي الحسن بن حاتم الأزدي ، صاحب ابن الباقلاني ، وسمع بمصر من القضاعي ، وقدم الشام ، وأخذ عنه أبو الفتح نصر الله ابن محمد المصيصي ، ودخل العراق ، وأقرأ العلوم بالنظامية ، وكان صلبا في الاعتقاد ، وسمع ابن عبد البر بالأندلس .

وتوفي ببغداد سنة اثنتي عشرة وخمسمائة .

سمع يوماً قائلا ينشد أبيات أبي العلا المعري :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحُقّ لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الأيام حـــتى كأننا زجاج ، ولـكن لا يعاد له سبك

فقال رحمه الله يرد عليه :

كذبت وبيت الله حِلْفَةَ صادق سيسبكنا بعد الثرى مَنْ له الملك[٢]

---

(١) له ترجمة في النجوم الزاهرة (٢١٧/٥) وسماه « محمد بن عتيق بن محمد »
(٢) في النجوم « سيسبكنا بعد النوى »

ونرجع أجساما صحاحا سليمة تعارفُ فى الفردوس ماعندنا شك

ومن شعره أيضاً سامحه الله تعالى :

كلام إلٰهى ثابت لا يفارقـــه وما دون رب العرش فالله خالقه

ومَنْ لم يقل هذا فقد صار ملحداً وصار إلى قول النصارى يوافقه

ودفن عند الأشعرى ، قال ابن الجوزى : كان يحفظ كتاب سيبويه .

(٤٣٥)

محمد بن حسول الهمدانى الكاتب

محمد بن على بن حسول ـ بالحاء المهملة والسين والمهملة ، و بعد الواو لام ـ الكاتب الهمدانى .

كان صَدْراً نبيلا ، له النظم والنثر ، وسمع من الصاحب بن عباد ومن ابن فارس صاحب المجمل .

توفى سنة خمسين وأر بعمائة .

ومن شعره فى أمْرَدَ علوى :

وأزهر من بنى الزهـــراء يرنو إلىَّ كا رنا الظبىُ الـكحيل[1]

نهانى الدينُ والإســـلام عنه فليس إلى مُقَبَّـلِهِ سبيل

إذا أرسلتُ ألحاظى إليـــه نهانى الله عنه والرســـولُ

ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى :

تقعـــد فوق لأىِّ معنًى للفضل للهمـــة النفيسه

إن غلط الدهر فيك يوما فليس فى الشرط أن تقيسه

كنت لنا مسجداً ، ولـكن قد صرت من بعده كنيسه

كم فارس أفضَتِ الليالى به إلى أن غـــدا فريسه

فلا تفاخـــر بمن تقَضى كان الخـــرامةَ هريسة

---

(١) يرنو : ينظر

(٢) الهريسة : نوع من الحلوى

ومن شعره أيضاً سامحه الله تعالى :

دخلت على الشيخ مستأنسا ... به وَهْوَ فى دسته الأرفع

وقد دخل الناس مثل الجراد ... فمن ساجدين ومن رُكَّع[1]

فهش ولكن لمردانه ... وقام ولكن على أربع

وأرسل فى كمه مخطة ... تدبُّ على صورة الضفدع

فهوَّ عنى ما تأملته ... وزعزع روحىَ من أضلعى[2]

وأعرض إعراض مستكبر ... تصدَّر مثلى ومستبدع

فأقبلت أضرط من جيفة ... وأفسو على السيد الأروع

وقمت وجددت فضل الوضوء ... وكنت قعدت وطهرى معى

ورام الخضوع الذى رامه ... أبى من أبيه ، فلم أخضع

وكيف أقبل كف امرىء ... إذا صنع الخير لم يصنع

فيقبضها عند بذل اللهى ... ويبسطها فى الجدا الرضع

وإنى وإن كنت ممن يهون ... عليه الكبر مستوضع[3]

ليعجبنى نتف شيب السبال ... وصفع قمَحْدُوة الأصلع

خراها ولو أنه ابن الفرات ... وحرها ولو أنه الأصمعى[3]

وقال يهجو بعض المتكبرين :

دخلت على الشيخ فيمن دخل ... فَفَرْبَلَ عصعصه وانتحل

وأظهر من نخوة الكبريا ... ء مالم أقدّر ومالم أخل

فقلت له مؤثراً نصحه ... وقد يقبل النصح ممن بخل

إذا كنت سيدنا سدتنا ... وإن كنت للخال فاذهب فخل

---

(١) مثل الجراد : أى كثيرين

(٢) فى هذا البيت قلق واضطراب

(٣) فى عجز هذا البيت قلق ولم يتجه لنا .

فقال اغتفـــر زَلّتى منعما　　فإنى نغل بزيت وخل
وكم من وزير كبير عرا　　ه عند قضاء الحقوق البخل

وقال يداعب ابن الحنان وكان يخضب :

سنى كسن أديب الـــعراق زين الظـــراف
ست وستـــون عاما　　ما بيننا من خـــلاف
لكنّ شيــبىَ بادٍ　　وشيبه فى غـــلاف

(٤٣٦)

محمد بن على الصورى الشاعر

محمد بن على بن محمد بن حُبَاب[1] الصورى ، الشاعر .

كان فصيحا ، توفى فى طرابلس وقد نيف على السبعين ، وكانت وفاته سنة ثلاث وستين وأربعمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

صَبٌّ جفاه حبيبه　　فخلا له تعـــذيبه
فالنار تضرم فى الجوا　　نح والغرام يذيبه
حتى بكى لما دها　　ه بعيده وقريبه
وتآمروا فى طبه　　كيما يخف لهيبه
فأتى الطبيب ومادَرَوْا　　أن الطبيب حبيبُه

(٤٣٧)

أبو بكر محمد بن على

محمد بن على بن محمد الدنيوى ، أبو بكر ، المؤدب .

سكن درب الدواب ببغداد ، وله أشعار فى الزهد والغزل ، توفى سنة

---

(١) له ترجمة فى النجوم الزاهرة (٥/٨٩) وذكر البيت الأول وحده

أربع عشرة وخمسمائة .

ومن شعره :

ومشمر الأذيال فى ممزوجــة	متبرجا تاجا من العقيان
بالجاشرية ظلّ يهتف سحرةً	ويصيح من طرب إلى الندمان
يا طيب لذة هــذه دنيا كم	لو أنها أبقت على الإنسان
أصبو إلى شرب الخمور وإنما	لصَبُوحكم لا للصلاة أذانى
طلعت شموس الراح من أيديهم	مثل النجوم وغِبْنَ فى الأبدان

(٤٣٨)

أبو سعد محمد بن على الكرمانى الكاتب

محمد بن على بن محمد بن المطلب ، أبو سعد ، الكرمانى ، الكاتب .

ولد ببغداد ، وقرأ طرفا صالحا من الأدب وأخبار الأوائل ، وسمع الحديث من ابن بشران ، وابن شاذان ، وكان كاتبا سديدا مليح الشعر ، إلا أنه كان قليله كثير الهجاء دقيق الفكر فيه ، قال ابن النجار : يشبه هجوه هجو ابن الرومى .

ومن شعره :

عزلت وما خنت فيما وليت	وغيرى يخــون فلا يعزل
فهــذا يدلُّ على أن من	تولى ويعزل لا يعقــل

وكتب إلى الوزير أبى نصر بن جهير :

هبنى كما زعم الواشون لازعموا	أخطأت حاشاى أو زَلَّتْ بى القدم
وهبك ضاقت عليك العذر من حرج	لم أجنه أيضيق العفو والكرم
ما أنصفتنى فى حكم الهوى أذن	تصغى لواشٍ وعن عذرى بها صمم [1]

---

(١) تصغى : تميل لتسمع ، والواشى : النمام الذى يفسد بين المتحابين

ومن شعره رحمه الله تعالى :

يا حسرتا مات حظى من قلوبكم ... وللحظوظ كما للنـــاس آجال
إن مت شوقا ولم أبلغ بكم أملى ... كم تحت هذى القبور الدرس آمال

توفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، ودفن بمقابر قريش ، رحمه الله !

(٤٣٩)

أبو بكر محيي الدين محمد بن على (ابن عربى) الصوفى

محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله ، الشيخ محيي الدين ، أبو بكر ، الطائى ، الحاتمى ، الأندلسى ، المعروف بابن عربى ، صاحب التصنيفات فى التصوف وغيره(١) .

ولد فى شهر رمضان سنة ستين وخمسمائة بمُرْسِية ، ذكر أنه سمع بمرسية من ابن بَشْكُوَال(٢) ، وسمع ببغداد ومكة ودمشق ، وسكن الروم ، ركب له يوما صاحبُ الروم فقال : هذا تذعرله الأسود ، فسُئل عن ذلك ، فقال : خدَمْتُ بمكة بعضَ الصلحاء ، فقال يوما : الله يذل لك أعز خلقه ، أو كما قال ، وقيل : إن صاحب الروم أمر له بدار تساوى مائة ألف درهم على ما قيل ، فلما كان يوما قال له بعض السؤال : شىء لله ، فقال : ما لى غير هذه الدار ، خذها لك .

قال ابن مسدى فى جملة ترجمته : كان ظاهرىَّ المذهب فى العبارات ، باطنى النظر فى الاعتقادات ، ثم حج ولم يرجع إلى بلده ، وروى عن السِّلَفى بالإجازة ، وبرع فى علم التصوف ، وله فيه مصنفات كثيرة ، ولقى جماعة من العلماء والمتعبدين .

قال الشيخ شمس الدين : وله توسيع فى الكلام ، وذكاء ، وقوة خاطر ،

---

(١) له ترجمة واسعة فى شذرات الذهب (٤/١٩٠) وفى نفح الطيب (٢/٣٦١ بتحقيقنا) وفى ابن كثير (١٣/١٥٦)

(٢) فى نسخة « سنة خمسين وستمائة » وهو غلط

وحافظة ، وتدقيق فى التصوف ، وتآليف جَمَّة فى العرفان ، ولولا شَطْحه فى الكلام لم يكن به بأس ، ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته فيرجى له الخير.

وقال الشيخ قطب الدين اليونينى فى ذيله على المرآة : وكان يقول أنا أعرف اسم الله الأعظم ، وأعرف الكيمياء .

وكانت وفاته فى دار القاضى محيى الدين بن الزكى ، وغسله الجمال بن عبد الخالق ومحيي الدين ، وكان عماد الدين بن النحاس يصب عليه ، وحمل إلى قاسيون(١) ، ودفن بتربة بنى الزكى .

وكان مولده فى سنة ستين وخمسمائة بمُرْسِية من الأندلس، ووفاته فى الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

ومن تصانيفه « الفتوحات المكية » عشرون مجلدا ، والتدبيرات الإلهية ، والتنزلات الموصلية ، وفصوص الحكم ، وعمل ابن سويدكين شرحا عليها سماه « نقش الفصوص » وهو من تلك المادة ، « والإسرا ، إلى المقام الأسْرٰى » نظما ونثراً ، وشرح خلع النعلين ، والأجوبة المسكتة عن سؤالات الحكيم الترمذى ، وتاج الرسائل ومنهاج الوسائل ، وكتاب العظمة ، وكتاب السبعة وهو كتاب البيان ، والحروف الثلاثة التى انعطفت أواخرها على أوائلها ، والتجليات ، ومفاتيح الغيب ، وكتاب الحق ، ومراتب علوم الوهب ، والإعلام بإشارات أهل الإلهام ، والعبادة والخلوة ، والمدخل إلى معرفة الأسماء ؛ وكنه مالا بدَّ منه ، والنقباء وحلية الأبدال ، والشروط فيما يلزم أهل طريق الله تعالى من الشروط ، وأسرار الخلوة ، وعقيدة أهل السنة ، والمقنع فى إيضاح السهل الممتنع ، وإشارات القولين ، وكتاب الهو والأحدية ، والاتحاد العشقى ،

---

(١) قاسيون : موضع بدمشق فيها مقابر أهلها ، وقد دفن بها كثير من العلماء والصالحين

والجلالة ، والأزل ، والقسم ، وعنقاء مغرب ، وختم الأولياء ، وشمس المغرب ، والشواهد ، ومناصحة النفس ، واليقين ، وتاج التراجم ، والقطب ، والإمامين ، ورسالة الانتصار ، والحجب ، والأنفاس العلوية فى المكاتبة ، وترجمان الأشواق ، والذخائر والاعلاق فى شرح ترجمان الأشواق ، ومواقع النجوم ، ومطالع أهلة الأسرار ، والمواعظ الحسنة ، والمبشرات ، وخطبة ترتيب العالم ، والجلال والجمال ، ومشكاة الأنوار فيما روى عن الله عز وجل من الأخبار ، وشرح الألفاظ التى اصطلحت عليها الصوفية ، ومحاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار، خمس مجلدات، وغير ذلك .

قال الشيخ محيي الدين بن عربى : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقلت : يا رسول الله ، أيما أفضل المَلَكُ أو النبى ؟ فقال : الملك ، فقلت : يارسول الله أريد على هذا برهان دليل إذا ذكرته عنك أصدق فيه ، فقال : ماجاء عن الله تعالى أنه قال « من ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه » .

وعلى الجملة فكان رجلا صالحا عظيما ، والذى نفهمه من كلامه حَسَن ، والمشكل علينا نَكِل أمره إلى الله تعالى ، وما كلفنا اتباعه ولا العمل بما قاله[1] ، وقد عظمه الشيخ جمال الدين ابن الزملكانى رحمه الله تعالى فى مصنفه الذى عمله فى الكلام على الملك والنبى والصديق والشهيد ، وهو مشهور ، فقال فى الفصل الثانى فى فضل الصديقية : قال الشيخ محيي الدين بن العربى البحر الزاخر فى المعارف الإلٰهية ، وذكر من كلامه جملة ، ثم قال فى آخر الفصل : إنما نقلت كلامه وكلامَ مَنْ يجرى مجراه من أهل الطريق لأنهم أعرف بحقائق هذه المقامات وأبصر بهالدخولهم فيها وتحققهم بها[1] ذوقا ، والمخبر عن الشىء ذوقا مخبر عن اليقين ، فاسأل به خبيرا ، انتهى .

---

(١) للعلماء كثير كلام فى ابن عربى وابن الفارض ، وهم من شأنهما فى خلاف ، وعند الله حقائق الأمور ، وبين يديه يجتمع الخصوم ، ولاعلم لنا إلاماعلمنا ؛ إنه هو العليم الحكيم .

ومن شعر الشيخ محيي الدين :

إذا حلّ ذِكرُكمُ خاطرى   فرشت خدودى مكان التراب
وأقعــد فى الذل على بابكم   قعود الأسارى لضرب الرقاب

وقال رحمه الله تعالى :

نفسى الفداء لبيضٍ خرّد عُرُبٍ   لعبن بى عند لَثْم الركن والحجر[1]
ما أستدل إذا ماتهت خلفهمُ   إلا بريحهمُ من طيِّبِ الأثر
غازلت من غزلى فيهنّ واحدةً   حسناء ليس لها أخت من البشر
إن أسفرت عن محيّاها أرتكَ سَنًا   مثل الغزالة إشراقا بلا غير
للشمس غُرّتها ، لليل طُرّتها   شمس وليل معاً من أحسن الصور

وقال فى كتاب ترجمان الأشواق :

سلام على سلمى ومَنْ حل بالحمى   وحق لمثــلى رقّة أن يسلما
وما ذا عليها أن ترد تحيـة   علينا،ولكن لااحتكام على الدُّمَى
سَرَوْا وظلام الليل أرخى سدوله   فقلت لها صبا غــريباً متيما
فأبدت ثناياها وأومض بارق   فلم أدر مَنْ شق الحنادس منهما
وقالت أما يكفيــه أنى بقلبه   يشاهدنى من كل وقت أما أما

وقال فيه أيضا سامحه الله تعالى :

درست عهودهم وإنّ هـواهم   أبدا جديد فى الحشا ما يدرس
هذى طلولهمُ وهذى الأدمع   ولذكرهم أبدا تذوب الأنفس
ناديت خلف ركابهم من حبهم   يا من غناه الحسن هاأنا مفلس

---

(١) البيض : جمع بيضاء ، والخرد : جمع خريدة ، وهى المرأة البكر ، والعرب : جمع عروب ، وهى المتحببة إلى زوجها من النساء

يا موقداً ناراً رويداً هــذه   نار الصبابة شأنكم فلتقبسوا[١]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ناحت مطوّقة فحنّ حزين   وشجاه ترجيع لها وحنين

جرت الدموع من العيون تفجعا   لحنينها فكأنهنّ عيون[٢]

طارحتها ثكلى بفقد وحيدها   والثكل من فقد الوحيد يكون[٣]

بى لاعج من حب رملة عالج   حيث الخيام بها وحيث العِينُ

من كل فاتكة اللحاظ مريضة   أجفانها لظُباً اللحاظ تكون

مازلت أجرع دمعتى من غلتى   أخفى الهوى عن عاذلى وأصون

حتى إذا صاح الغراب ببينهم   فضح الفراق صبابة المحزون(؟)

وصلوا السرى قطعوا البرى فلعِيسهم

تحت المحامل رنة وأنين

عاينت أسباب المنية عند ما   أرخوا أزمتها وشُدَّ وَضِينُ

إنَّ الفراق مع الغرام لقاتل   صعب الغرام مع اللقاء يهون

مالى عذول فى هواها إنها   معشوقة حسناء حيث تكون

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

ليت شعرى هل دروا   أى قلب ملكوا

وفؤادى لو درى   أى شعب سلكوا

أتراهم سلموا   أم تراهم هلكوا

حار أرباب الهوى   فى الهوى وارتبكوا

---

(١) قبس النار : أى أخذ منها جذوة

(٢) العيون فى صدر البيت: جمع عين ، وهى الباصرة ، وفى عجز البيت: جمع عين بمعنى مجرى الماء   (٣) الثكل : فقد الأم ولدها

(٤٤٠)

مهذب الدين محمد بن على الحلى الحيمى

محمد بن على بن على ، الأديب ، الكامل ، مهذب الدين ، الخيمى ، الحلى ، العراقى ، الشاعر .

شيخ معمر ، فاضل ، قال ابن النجار : كتب عنه بالقاهرة ، وله مصنفات كثيرة ، سمع وروى ، وتوفى سنة اثنتين وأربعين وستمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

أأصنام هذا الجيل طرا أكلكم يعوق أمّا فيكم يغوث ولا ودّ [1]

لقد طال ترددى إليكم فلم أجد سوى رب شان فى الغنى شأنه الرد

ومن شعره :

جننت فعوِّذْنِى فديتك إن لى شياطين شوق لاتفارق مضجعى

إذا استرقت أسرار وجدى تمردا بعثتُ عليها فى الدجى شُهُبَ أدمعى

ومن شعره الأبيات المشهورة ، وهو ما كتبه لابنه لما عصر :

عصروك أمثال اللصو ص ولم تفد تلك الأمانه

فإذا سلمت فخنهمُ إن السلامة فى الخيانه

وافعل كفعل بنى سناء الملك فى مال الخزانه

يقال: إن هذه الأبيات لماشاعت أمسك بنوسناء الملك وصودروا بسبب هذه الأبيات .

وقال ابن خلكان : أنشدنى مهذب الدين الخيمى ، وأخبرنى أنه كان بدمشق قد رسم السلطان بحلق لحية شخص له وجاهة بين الناس ، فحلق نصفها ، وحصل فيه شفاعة ، فعفى عنه فى الباقى ، فعمل فيه أبياتاً ولم يصرح باسمه :

---

(١) يعوق ، ويغوث ، وود : من أسماء الأصنام ، وقد ذكر الأولان فى القرآن الكريم على لسان نوح عليه الصلاة والسلام ، وقد ورى بهن الشاعر فى هذا البيت والمعنى المراد فى « يعوق » الفعل المضارع من « عاق فلان فلاناً » وفى « يغوث » المضارع من الغوث

زرت ابن آدم لما قيل قد حلقوا جميع لحيته من بعد ما ضُرِبا
فلم أر النصف محلوقا فمدت له مهنئا بالذى منها له وهبا
فقام ينشـــدنى والدمع يخنقه بيتين ما نظما مَيْناً ولا كذبا
إذا أتتك لحلق الذقن طائفـة فاخلع ثيابك منها ممعنا هربا
وإن أتوك وقالوا إنها نَصَفٌ فإن أطيب نصفيها الذى ذهبا

(٤٤١)

قاضى القضاة
محمد بن على
(ابن دقيق العيد)
المنفلوطى

محمد بن[1] على بن وهب بن مطيع ، الإمام ، العلامة ، شيخ الإسـلام ، تقى الدين أبو الفتـح بن دقيق العيـد ، القشيرى ، المنفلوطى ، المصرى ، المـالـكى ، الشافعى ، أحد الأعلام ، وقاضى القضاة .

ولد سنة خمس وعشرين وستمائة بناحية ينبع ، وتوفى يوم الجمعة حادى عشر صفر سنة اثنتين وسبعمائة .

سمع ابن المقير وابن رواح وابن الجميزى ، والسبط ، وجمع من ابن عبد الدائم والزين خالد ، وله التصانيف البديعـة ، كالإمام ، والإلمام ، وعـلوم الحديث ، وشرح عمدة الأحكام ، وشرح مقدمة المطرز فى أصول الفقه ، وجمع الأربعين فى الرواية عن رب العالمين ، وشرح بعض مختصر ابن الحاجب .

وكان إماما متفننا ، محدِّثا ، مجودا ، فقيها ، مدققا ، أصوليا ، أديبا ، شاعراً ، نحويا ، ذكيا ، غواصا على المعانى ، مجتهدا ، وافر العقل ، كثير السكينة ، بخيلا بالـكلام ، تام الورع ، شديد التدين ، مُديم السهر ، مكبا على المطالعة والجمع ، قلَّ أن ترى العيون مثله ، وكان سَمْحا جوادا ، وكان قد قهره الوسواس فى أمر المياه والنجاسات ، وله فى ذلك حكايات ووقائع كثيرة .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب (٦ / ٥) وفى البداية والنهاية لابن كثير (٢٧/١٤) وفى الطالع السعيد (ص ٣١٧) وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (٢٠٦/٨ دار الكتب) وفى الدر الكامنة لابن حجر (٩٢/٤)

وكان كثير التسرّى والتمتع ، وله عدّة أولاد ذكور بأسماء الصحابة العشرة .
تفقه بأبيه ، وبالشيخ عز الدين بن عبد السلام ، واشتهر اسمه فى حياة مشايخه ، وكان مالكيا ، ثم صا شافعيا .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

الحمد لله كم أسعى بعزمىَ فى نيل العُلا وقضاء الله ينكسه
كأنّنِي البدر أبغى الشرق والفلك الـ أعلى يعارض مسعاه فيعكسه

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

أأحباب قلبى والذين بذكرهم وترداده طـولَ الزمان تَعَلقِى
لئن غاب عن عينى بديع جمالكم وجار على الأبدان حكم التفرق
فما ضرنا بُعْــدُ المسافة بيننا سرائرنا تسرى إليكم فنلتقى

وقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا سائرا نحـو الحجاز مشمراً اجهد فديتك فى المسير وفى السرى
وإذا سهرت الليل فى طَلَب العلا فحذار ثم حذار من خُدَع الكرى
فالقصد حيث النور يشرق ساطعاً والطرف حيث ترى الثرى متعطرا
قف بالمنازل والمناهل من لَدُنْ وادى قباء إلى حمى أم القرى[(١)]
وَتَوَخَّ[(٢)] آثار النبى فضع بها متشرفا خـديك فى عَفْر الثرى
وإذا رأيت مهابط الوحى التى نشرت على الآفاق نورا أنورا
فاعلم بأنك ما رأيت شبيهها مذ كنت فى ماضى الزمان ولا ترى
ولقد أقول إذا الكواكب أشرقت وترفعت فى منتهى شرف الذُّرا
لا تفخرى زهوا فإن محمـــدا أعلى عُلاً منها وأشرفُ جوهرا

---

(١) أم القرى : مكة المكرمة
(٢) توخ : اقصد

نلنا به ما قد رأينا من علا ... مع ما نؤمل فى القيامة أن نرى
فسعادة أزليـــة سبقت ، وما ... هو ثابت أزلا فلن يتغـــيرا
وسيادة بارَى الأنام بها ولا ... سيما إذا قدموا عليه المحشرا
وبديـع لطف شمائل من دونها ... ماء الغمامة والنسيم إذا سرى
مع سَطوة لله فى يوم الوغى ... تعنو لشدة بأسها أسد الشرى(١)
شوقى لقرب جنابه وصحابه ... شوق يجل يسيرهُ أن يذكرا
أفنى كنوز الصبر من أشواقه ... وجرى على الأحشاء منه ما جرى
إن لاح صبح كان وجد مقلق ... أو جنّ ليل كان هما مسهرا(٢)

ومن شعره رحمه الله تعالى :

تهيم نفسى طربا عند ما ... أستملح البرق الحجازيا
ويستخف الوجد عقلى وقد ... لبست أثواب الحجا زيّا
ياهل أقضى حاجتى من منى ... وأنحر البزل المهـــاريا
وأرتوى من زمزم فهى لى ... أرقُّ من ريق المهـا ريا

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

تمنيت أن الشيب عاجل لمتى ... وقرب منى فى صباى مزاره
فآخذ من عصر الشباب نشاطَهُ ... وآخذ من عصر المشيب وقاره

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

عطيَّتُـــهُ إذا أعطى سرور ... فإن سلب الذى أعطى أثابا
فأى النعمتين أعـد فضلا ... وأحمد عنـد عقباها إيابا
أنعمتـه التى كانت سرورا ... أم الأخرى التى جلت ثوابا

---

(١) يوم الوغى : يوم الحرب والجهاد ، وتعنو : تخضع
(٢) هكذا وقع هذا البيت ، ولو كان « إن لاح صبح كان وجداً مقلقاً » لكان أتم تطابقاً مع عجز البيت

وقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لم يبق لى أمل سواك فإن يفت ودّعت أيام الحيـــاة وداعا
لا أستلذ لغـير وجهك منظراً وسوى حديثك لا أريد سماعا

وقال أيضا رحمه الله تعالى وعفا عنه :

أتعبت نفسك بين لذة كادح طلب الحياة و بين حرص مؤمِّلِ
وأضَعْتَ نفسك لاخلاعة ماجن حصَّلْتَ فيـه ولا وقار مبجل
وتركت حظ النفس فى الدنيا وفى الـــأخرى ورحت عن الجميع بمعزل

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لعمرى لقد قاسيت بالفقر شدّة وقعت بها فى حـــيرة وشتَاتِ
فإن بحت بالشكوى هتكت مروءتى و إن لم أبح بالصبر خفت مماتى
وأعظم به من نازل بملمـــة يزيل حيائى أو يزيل حيـاتى

وقال أيضاً رحمه الله دو بيت :

الجسم تذيبه حقوق الخدمة والقلب عذابه علو الهمهْ
والعمر بذاك ينقضى فى تعب والراحة ماتت فعليها الرحمهْ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا عصر شبيبتى ولهوى أرأيت ما أسرع ما انقضيت عنى ومضيت
قد كنت مساعدى على كيت وكيت واليوم فلو رأيت حالى لبكيت

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أفـكر فى حالى وقرب منيــتى وسيرى حثيثاً فى مصيرى إلى القبر[1]
فينشىء لى فـكرى سحائب للأسى تسحُّ همـوماً دونها وابل القطر[2]

---

(١) المنية : الموت ، وحثيثا : أى سيراً سريعا

(٢) تسح : تسكب ، والوابل : قليل المطر ، والقطر : هو المطر

إلى الله أشكو من وجودى فإننى تعبت به مذ كنت فى مُبْتدَا العمر
نروح ونغدو والمنايا فجائع تكدره والموت خاتمة الأمر

وله أيضا رحمه الله تعالى :

سَحاب فكرى لا يزال هاميا وليل همى لا أراهُ راحلا
قد أتعبتنى همتى وفطنتى فليتنى كنت مهينا جاهلا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرف الغمض ولا نستريح
وكَلَّتِ العيس وجَدَّ السرى واتسع الكرب وضاق الفسيح
وكادت الأنفس مما بها تزهق والأرواح منا تطيح
واختلف الأصحاب ماذا الذى يزيل من شكواهم أو يريح
فقيل تعريسهم ساعةً وقلت بل ذكراك وهو الصحيح

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا معرضا عنى وليس بمعرض بل ناقضا عهدى وليس بناقض
أتعبتنى بخلائق لك لم يفد فيهاوقد جمحت رياضة رائض
أرضيت أن تختار رفضى مذهبا فتشنِّعُ الأعداء أنك رافضى (١)

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

قد جرحَتْنَا يَدُ أيامنا وليس غير الله من آسِ
فلا ترُجَّ الخلق فى حاجة ليسوا بأهل لسوى الياس
ولا تزد شكوى إليهم فلا معنى لشكواك إلى قاسِ
وإن تخالط منهم معشراً هويت فى الدين على الراس

---

(١) فى قوله « رافضى » تورية ، المعنى المتبادر اسم الفاعل من « رفض فلان الشىء » إذا تركه ، والمعنى البعيد : الواحد من الرافضة ، وهم قوم من غلاة الشيعة

يأكل بعضٌ لحم بعضٍ ولا   يخاف فى الغيبة من باس
لا ورع فى الدين يحميهم   عنها ولا حشمة جلاس
فاهرب من الناس إلى ربهم   لا خير فى الخلطة بالناس

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

إذا كنت فى نجد وطيب نسيمها   تذكرت أهلى باللِّوَى فمُحَجَّر
وإن كنت فيهم ذُبْتُ شوقا ولوعة   إلى ساكنى نجد وعيل تصبرى (١)
وقد طال ما بين الفريقين قصتى   فمن لى بنجد بين أهلى ومعشرى

وقال أيضا نظما فى بعض الوزراء رحمه الله :

مقبل مدبر، بعيد قريب   محسن مذنب، عدوّ حبيب
عجب من عجائب البرّ والبحـــر ونوع فرد، وشكل غريب

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ذَرُوا فى السرى نحو الجناب الممنع   لذيذ الكرى واجْفُوا له كل مضجع (٢)
وأهدوا إذا جئتم إلى خير مربع   تحية مُضْنًى هائم القلب موجع
سريع إلى داعى الصبابة طيِّع

يقوم بأحكام الهوى ويقيمها   فكم ليلة قد نازلته همومها
فَسَامَرَهَا حتى تولت نجومها   له فكرة فيمن يحب يديمها
وطرف إلى اللقيا كثير التطلع

وكم ذاق فى أحواله طعم محنة   وكم عارضته من مواقف فتنة
وكم أنَّةٍ يأتى بها بعــد أنة   تَنِمُّ على سرّ له فى أكنة
وتخبر عن قلب له مُتَقَطِّع

---

(١) عيل : ضعف ، والتصبر : تكلف الصبر
(٢) ذروا : اتركوا ، والكرى : النوم

فنى صبره شـــوق أقام ملازما   وحب يحاشى أن يطيع اللوائمـا

وجفن يرى أن لا يرى الدهر نائما   وعقل ثوى فى سكرة الحب دائما[1]

وأقسم أن لا يستفيق ولا يَعِى

أقام على بعـد المزار متيما   وأبكاه برق بالحجاز تَبَسَّماَ

وشوَّقه أحبابه نظر الحمى   دعوه لأمر دونه تقطر الدما

فيا ويح نفس الصب ماذا له دُعِى

له عند ذكر المنحنى سفح عبرة   وبين الرجا والخوف موقف عبرة

فحينا يوافيه النعـيم بنظرة   وحينا ترى فى قلبه نار حسرة

يجىء إليه الموت من كل موضع

سلام على صفو الحياة وطيبها   إذا لم تفز عينى بلُقْيا حبيبها

ولم تحظ من إقباله بنصيبها   ولا استعطفته عبرتى بصبيبها[2]

ولا وقعت شكواى منه بموقع

موكل طرفى بالسهاد المؤرق   ومجرى دموعى كالحيا المتدفق

وملهب وجدٍ فى فؤادىَ محرق   (بعينك مايلقى الفؤاد ومالقى)

(وعندك ما تحوى وتخفيه أضلعى)

أضرت بى البلوى وذو الحب مبتلى   يعالج داء بين جنبيه معضـــلا

ويثقله من وجـــده ما تحملا   وتبعثه الشكوى فيشتاق منزلا

به يَتَلَقَّى راحة المتودع

مقرّ الذى دل الأنام بشرعه   على أصل دين الله حقا وفرعه

---

(١) ثوى : أقام

(٢) العبرة — بفتح العين — الدمعة ، وصبيبها : منسكبها

لنا مذهب العشاق فى قصد ربعه   به انضم شمل الدين من بعد صَدْعه

نُقيم به رسم البكا والتضرّع

ومستودع الأسرار عند صحابه   تحل به الأنوار مــلء رحابه

وتشريف من يختار قصد جنابه   هداية من يختار تأميــل بابه

بتقبيله وجــه الثرى المتضوّع [1]

وألبسنا ثوب التقى وشعــاره   أقام لنا شرع الهــدى ومناره

سقى الله عهد الهاشمى وداره   وجنبنا جــور العمى وعثاره

سحاباً من الرضوان ليس بمقلع

وأوجب ذل المشركين بجده   بَنَى العز للتوحيد من بعد هدمه

وأيده عنــد اللقاء بجنده   عزيز قضى رب السماء بسعده

فأورده للنصر أعذب مشرع

ظفرتم بتقريب النبي المقرّب [2]   أقول لركب سائرين ليثرب

وقصوا عليه كل سؤل ومطلب   فبثوا إليه كل شكوى ومتعب

فأنتم بمرأى للرسول ومسمع

لقد كان كهفا للعُفاة ومعقــلا   أما والذى آتاه مجــداً مؤثلا

ويمطرهم غيثا من الجود مسبلا   يُبَوِّئُهم سترا من الحلم مسدلا

وينزع فى إكرامه كل منزع

وألقى بها أنوار حق مؤبد   لقد شرّف الدنيا قدومُ محمد

فهم بين هاد للأنام ومهتدى   يزين به ورّاثه كل مشهد

ومثبت أصل فى الهدى ومفرع

---

(١) المتضوع : اسم الفاعل من « تضوع المكان » إذا انتشرت له ريح طيبة

(٢) يثرب : الاسم القديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

سلام على من شرّف الله قدره سلام محب عمر الدهر سرّه
له مطلب أفنى تمنيــه عمره وحاجات نفس لا تجاوز صدره
أعدَّ لها جاهَ الشفيع المشفع

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

آه من حيرة الفراق وياحســرة من خاب بعد ما قد تمنى
ليت شعرى أكان هجرى لمعنى عند أهل العقيق أم لا لمعنى

(٤٤٢)

شمس الدين محمد بن على الدهان الشاعر

محمد بن[1] على بن عمر، المازنى، الدهان، الشيخ شمس الدين، الدمشقى، الشاعر.

كان يعمل صناعة الدهان ، وينظم الشعر الرقيق ، ويدرى الموسيقا ، ويعمل الشعر ويلحنه ويغنى به المغنون ، وكان يلعب بالقانون .

توفى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة .

وكان قد ربّى مملوكا وهذبه وأحبه حبا مفرطا ، فمات ، فأسف عليه أسفا عظيما ورثاه بشعر كثير غنى به ونقله المغنون ، من ذلك :

تيم قلبى وزادنى أســفا بدر به البــدر قد غدا كلفا
مهفهف القدّ لينُ قامتــه عــلم غصن الأراكة الهيفا
يا راحــلا أودع الحشا حُرَقاً كدت بها أن أشارف التلفا
بعدك دمعى قـد كاد يغرقنى وكلمــا قلت قد كفى وكفا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى موشح :

بأبى غصن بانة حمــلا بَدْرَ دجى بالجمال قد كملا أهيف
فريد حسن ما ماس أو ســفرا

---

(١) له ترجمة فى النجوم الزاهرة (٢٥٢/٩) وفى المنهل الصافى ، وفى عقود الجمان ، وفى الدر الكامنة لابن حجر (٧٨/٤) وقال «مات فى رجب سنة ٧٢١» وله ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد فى وفيات سنة ٧٢٢ وقال « أوفى التى قبلها » يعنى سنة ٧٢١

إلا أغار القضيب والقمــرا
يبدى لنــا بابتسامهِ دررا
فى شهد لذ طعمه وحلا   كأن أنفاسه نسيم طلا   قرقف[1]

مورد الخدّ فاتر المُقَــلِ[2]
يفوق ظبى الكناس بالعمــل
وينثنى كالقضيب فى المَيــلِ
من حمل ردف مثل الكثيب علا   نِيطَ بخصر كأضلعى نحلا   مُخْطَف

ظبى من الترك يقنص الأسدا
مقرطق قــد أذابنى كمدا
حاز بديع الجمــال فانفردا
واهاً له لوهو جار أو عدلا   لمستهام بهجره نحــلا   مدنف

غزال سِرْبٍ جمــاله شَرَكُ
ســتر اصطبارى عليه منهتك
لــكل قلب هــواه مُنْتَهِك
علم قلبى الوَلُوعَ والغزلا   طرف له بالفتور قد كحلا   أوطف

لله يــوم به الزمان وَفَى
إذ منّ بالوصْلِ بعد طول جفا
حتى إذا ما اطمأنّ وانعطفــا
أسفر عنه اللثام ثم جلا   وردا بغير اللحاظ منه فلا   يقطف

فظَلْتُ من فرط شدّة الفرح

---

(١) القرقف : الخمر ، والخمر تكنى « أم الطلا »

(٢) المقل : جمع مقلة ، وهى العين الباصرة ، وفتورها : استرخاء أجفانها من غير علة ، وذلك عندهم من الجمال

إذ زارنى والرقيبُ لم يَلُحِ
أثم أقدامــــه من الفــــرح

وقلت إذ عَنْ صدوده عدلا   أهلا بمن بعد جفوة وقلا أسعف

(٤٤٣)

قاضى القضاة كمال الدين محمد بن على (ابن الزملكانى) الدمشق

محمد بن على بن عبد الواحد[١] ، الشيخ الإمام ، العلامة ، قاضى القضاة ، ذو الفنون ، جمال الإسلام ، كمال الدين ، ابن الزملكانى ، الأنصارى ، السماكى ، الدمشقى ، كبير الشافعية فى عصره .

ولد فى شوّال سنة سبع وستين ، وسمع من ابن علان والفخر على وابن الواسطى وابن القواس ، وطلب الحديث وقرأه ، وكان فصيحا متسرعا[٢] ، وكان بصيرا بالمذهب وأصوله ، قوى العربية ، قد أتقنها ذكاء ، وكان ذكيا ، صحيح الذهن ، صائب الفكرة ، تفقه على الشيخ تاج الدين ، وأفتى وله نيف وعشرون سنة ، وكان يضرب بذكائه المثل ، وقرأ العربية على الشيخ بدر الدين بن مالك ، وقرأ على قاضى القضاة شهاب الدين بن الخُوَيِّى وقاضى القضاة بهاء الدين بن الزكى وعلى شمس الدين الأيكى وصفى الدين الهندى ، وحفظ التنبيه والمنتخب فى أصول الفقه ، والمحصل فى أصول الدين ، وغير ذلك ، وكتب المنسوب ، وكان شكله حسنا ، ومنظره رائعا ، وتجمله فى بزته وهيئته غاية ، وشيبته منوّرة بنور الإسلام ، يكاد الورد يقتطف من وجنتيه ، وعقيدته صحيحة متمكنة أشعرية ، وفضائله عديدة ، وفواضله ربوعها مَشِيدة ، وكان كريم النفس ، علىّ الهمة ، حشمته وافرة ، صنف أشياء : منها رسالة فى الردّ على الشيخ تقى الدين بن تيمية فى مسألة

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب (٧٨/٦) وذكر فى مولده خلافاً . وفى البداية والنهاية لابن كثير (١٣١/١٤) والنجوم الزاهرة (٢٧٠/٩) وفى الدرر الكامنة (٧٤/٤)   (٢) كذا ، وأحسبه « متشرعا » بالشين المعجمة .

الطلاق ، ورسالة فى الرد عليه فى مسألة الزيارة ، ورسالة سماها « رابع أربعة » نظما ونثرا ، وشرح قطعة جيدة من المنهاج ، وتخرج به الأصحاب ، وانتفع به الطلبة ، ودرس بالشامية البرانية والظاهرية والرواحية ، ولى نظر ديوان الأفرم ، ونظر الخزانة ووكالة بيت المال ، وكتب فى ديوان الإنشاء ، ووقع فى الدست ، وله الإنشاء الجيد والتواقيع المليحة ، نقل إلى قضاء القضاة بحلب ومَدَارسها ، فأقام بها أكثر من سنتين ، واشتغل عليه الحلبيون ، ثم إن السلطان طلبه من حلب ليوليه قضاء دمشق لما نقل قاضى القضاة جلال الدين القزوينى إلى مصر ، وفرح الناس بذلك ، فمرض فى الطريق وأدركه الأجل فى بلبيس فى سادس عشر رمضان سنة سبع وعشرين وسبعمائة .

قيل : إنه سم فى الطريق ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وحكى ولده تقى الدين أن والده الشيخ كمال الدين قال له : يا ولدى ، أنا والله ميت ، ولا أتولى لا مصر ولا غيرها ، وما بقى بعد حلب ولاية أخرى ؛ لأنه فى الوقت الفلانى حضر إلى دمشق فلان الصالح فترددت إليه وخدمته وطلبت منه التسليك ، فأمرنى بالصوم مدة ، ثم أمرنى بصيام ثلاثة أيام أفطر فيها على الماء واللبان الذكر ، وكان فى آخر ليلة الثلاث آخر ليلة نصف شعبان ، فقال لى : الليلة تجىء إلى الجامع تتفرج أو تخلو بنفسك ؟ فقلت : أخلو بنفسى ، فقال : جيد ، ولا تزال تصلى حتى أجىء إليك ، فخلوت بنفسى أصلى ساعة جيدة ، فلما كنت فى الصلاة إذا به قد أقبل ، فلم أبطل الصلاة ، وإذا قد خيل لى قبة عظيمة بين السماء والأرض ، وظاهرها مَعَارج ومراق ، والناس يُصعدون فيها من الأرض إلى السماء ، فصعدت معهم ، فكنت أرى على كل مرقاة مكتوبا نظر الخزانة ، وعلى أخرى وأخرى ، وأخرى وكالة بيت المال ، التوقيع ، المدرسة الفلانية ، قضاء حلب ، فلما وصلت

إلى هذه المرقاة أشفقت من تلك الحالة ، ورجعت إلى حسى ، و بت ليلتى ، فلما اجتمعت بالشيخ قال : كيف كانت ليلتك ، جئت إليك وما قصرت لأنك اشتغلت بى ، والقبة التى رأيتها هى الدنيا ، والمراقى هى المراتب والوظائف والأرزاق ، وهذا الذى رأيته كله تناله والله يا عبد الرحمن ، وكل شىء رأيته نلته ، وكان آخر الكل قضاء حلب ، وقد قرب الأجل .

وكان الشيخ كمال الدين كثير التخيل ، شديد الاحتراز ، يتوهم أشياء بعيدة ويبنى عليها ، وتعب بذلك ، وعُودِى وحسد ، وعمل عليه ، ولطف الله تعالى به .

ومن نظامه قصيدة يذكر فيها الكعبة المعظمة ، و يمدح النبى صلى الله عليه وسلم ، رحمه الله تعالى ، وهى :

أهواكِ يا ربَّةَ الأستار أهواكِ ... وإن تباعد عَنْ مَغْنَاىَ مغناكِ

وأُعمِلُ العِيسَ والأشواق ترشدنى ... عسى يشاهد مَعْنَاكِ مُعَنَّاكِ

تهوى بها البيد لا تخشى الضلال ، وقد ... هدت ببرق الثنايا الغر مضناكِ

تَشُوقها نسمات الصبح سارية ... تسوقها نحو رؤياك برَيَّاكِ

يا ربة الحرم العالى الأمين لمن ... وافاكِ من أين هذا الأمن لولاكِ

إن شبهوا الخال بالمسك الذكى فهذا الخال من دونه المحكى والحاكى

أفدى بأسود قلبى نورَ أسوده ... مَنْ لى بتقبيله من بعد يمناكِ

إنى قصدتك لا ألوى على بشر ... ترمى النوى بى سراعا نحو مرماكِ

وقد حَطَطْتُ رحالى فى حماك عسى ... تنحط أوزار أثقالى بلقياكِ[1]

كما حططت بباب المصطفى أملى ... وقلت للنفس : بالمأمول بشراكِ

---

(١) فى النجوم :

* تحط أثقال أوزارى بلقياك *

وهى خير مما هنا .

محمد خـــير خلق الله كلهم وفاتح الخير ماحى كل إشراك
سما بأخمصه فوق السماء فكم أوطى أسافلها من علو أفلاك
ونال مرتبة ما نالها أحد من أنبياء ذوى فضل وأملاك
يا صاحب الجاه عند الله خالقه ما ردَّ جاهك إلا كل أفَّاكِ
أنت الوجيه على رغم العدا أبدا أنت الشفيع لفُتَّاك ونُسَّاك
يا فرقة الزيغ لا لقيت صالحة ولا سقى الله يوماً قلب مرضاك
ولا حظيت بجاه المصطفى أبدا ومن أعانك فى الدنيا ووالاك
ياأفضل الرسل يامولى الأنام ويا خير الخلائق من إنس وأملاك
هاقدقصدتك أشكو بعض ماصنعت بى الذنوبُ وهذا ملجأ الشا كى
قد قيدتنى ذنوبٌ عن بلوغ مَدَى قصدى إلى الفوزمنها فهىأشرا كى
فاستغفر الله لى واسأله عصمته فيما بَقِى وغِنًى من غـــير إمساك
عليك من ربك اللهِ الصلاة كما منا عليك السلام الطيب الزا كى

وعمل على هذه القصيدة كراريس ، وسماها « عجالة الرا كب » .

ومن شعره :

ياسائق الظعن قف بى ، هذه الـكُثُبُ عساى أقضى بها ما للهوى يجب[1]
فثم حى حيـــــاتى فى خيامهم فالموت إن بعدوا والعيش إن قربوا
لى فيهمُ قمر فى القلب مـــنزله لكنَّ طرفى له بالبعد يرتقب
لَدْن القوام رشـيق القد ذو هَيَف تغار من لينه الأغصان والقُضُبُ[2]
حـــلو المقبل معسول مراشفه يجول فيها رضابٌ طعمه الضَّرَبُ

(١) الظعن : جمع ظعينة ، وأصلها بضم الظاء والعين ، وسكنت العين للتخفيف ، والظعينة : الفرقة المسافرة ، والـكثب : جمع كثيب ، وهو التل من الرمل .
(٢) لدن القوام : لينه ، والهيف ـ بالتحريك ـ أراد به ضمور البطن

لا غرو إن لاح نشوان ففى فمه خمر ودر ثنـــاياه لها حَبَبُ[1]
ولائم لامنى فى البعد عنـه وفى قلبى من الشوق نيران لها لهب
فقلت : إنّ صروف الدهر تصرفنى عما أروم فمالى فى النوى سبب
ومذ رمانى زمانى فى البعاد ولم يرحم خضوعى ولما يبق لى نشب

ولما توفى إلى رحمة الله تعالى رثاه الشيخ جمال الدين بن نُبَاتة بقصيدة أولها :

بَلغا القاصدين أنّ الليالى قَبَضَتْ جملة العُلى بالكمال
وقفا فى مدارس العقل والنقـــل ونوحا معى على الأطلال
سائلاها عسى يجيب صداها أين ولى مجيب أهل السؤال
أين ولى بحر العلوم وأبقى بين أجفاننا الدموع لآلى
أين ذاك الذهن الذى قد ورثنا عنه ما فى الحشا من الاشتعال
أين تلك الأقلام يوم انتصار لعوالى الرماح يوم النزال
ينقل الناسُ عن حديث هداها طرقَ العلم عن متون العوالى
ومفيد الحيا من اللفظ حلوا حين كانت نوعاً من العَسّال

(٤٤٤)

محمد بن عمر (الملك المنصور) صاحب حماة

محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب[2] ، السلطان ، الملك المنصور ، ابن الملك المظفر تقى الدين ، بن الأمير نور الدين .

صاحبُ حَمَاةَ وابن صاحبها ، سمع الحديث بالإسكندرية من السِّلَفِى ، وكان شجاعاً ، يحب العلماء ، وجمع تاريخا على السنين فى عدة مجلّدات ، فيه فوائد .

---

(١) لا غرو : لا عجب ، والنشوان : المتمايل من السكر ، والحبب ـ بالتحريك ـ نفاخات تعلو وجه الخمر إذا مزجت بالماء .

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب (٥/٧٧) وفى تاريخ أبى الفداء (٣/١٣٢ الآستانة) وفى النجوم الزاهرة (٦/٢٥٠) .

قال شهاب الدين القوصى : قرأت عليه قطعة من كتابه « مضمار سرّ الحقائق ، وسير الخلائق » ، وهو كبير نفيس يدل على فضله ، لم يسبق إلى مثله ، وله كتاب سماه « طبقات الشعراء » يكون فى عشر مجلدات ، وجمع من الكتب مالا مزيد عليه ، وكان فى خدمته مايناهز مائتى متعمم من الفقهاء ، والأدباء ، والنحاة ، والمشتغلين بالحكمة ، والمنجمين ، والكتاب . وأقامت دولته ثلاثين سنة .

وتوفى سنة [سَبْعَ] عشرة وستمائة (١) .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

سُحَّا الدموعَ فإن القوم قد بَانُوا ... وأقفر الصبر لما أقفر البان
وأسعدانى بدمع بعد بينهم ... فالشان لما نأوا عنى له شان
لا تبعثوا فى نسيم الريح نَشْركم ... فإننى من نسيم الريح غَيْرَان
سقاهم الغيث من قبلىّ كاظمة ... سحا وروَّى ثراهم أينما كانوا

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

ادْعُنى باسمها فإنى مجيب ... وأْدْرِ أنى مما تحب قريب
حكم الحب أن أذِلَّ لديها ... نخوة الملك والغرام عجيب

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أرَبِى راح وريحا ... ن ومحبوب وشادى
والذى ساق لى الملـ ... ـك له دفع الأعادى

---

(١) وقع فى ب ، ث «سنة عشرة وستمائة» وهو خطأ ؛ وقد ذكرناه على الصواب كما ذكره الذهبى وابن تغرى بردى وابن العماد وأبو الفداء .

(٤٤٥)

صدر الدين محمد بن عمر ابن المرحل (ابن الوكيل)

محمد بن عمر بن مكى بن عبدالصمد [1] ، الشيخ ، الإمام ، العالم ، العلامة ، ذو الفنون ، البارع ، صدر الدين بن المرحل . ويعرف فى الشام بابن الوكيل ، المصرى الأصل ، العثمانى ، الشافعى .

أحد الأعلام ، وفريد أعجاب الزمان : فى الذكاء ، والحافظة ، والمذاكرة .

وُلد فى شوّال سنة خمس وستين بدمياط ، وتوفى بالقاهرة سنة ست عشرة وسبعمائة .

رثاه جماعة من شعراء مصر والشام ، وحصل التأسف عليه ، وقال الشيخ تقىّ الدين بن تيمية لما بلغه وفاته : أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين .

نشأ بدمشق ، وتفقه بوالده ، وبالشيخ شرف الدين المقدسى ، وأخذ الأصول عن صفى الدين الهندى ، وسمع من القاسم الإربلى ، والمسلم بن علان ، وجماعة ، وكان له عدّة محفوظات ، قيل : إنه حفظ المفصل فى مائة يوم ويوم ، والمقامات الحريرية فى خمسين يوماً ، وديوان المتنبى على ماقيل فى جمعة واحدة ، وكان من أذكياء زمانه ، فصيحا ، مناظرا ، لم يكن أحد من الشافعية يقوم بمناظرة الشيخ تقى الدين بن تيمية غيره ، وتخرج به الأصحاب والطلبة ، وكان بارعاً فى العقليات . وأما الفقه وأصول الفقه فكانا قد بقيا له طباعاً لايتكلفهما ، أفتى ، ودرّس ، وبعد صيته .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (٦/٤٠) وفى الدرر الكامنة لابن حجر (٤/١١٥) وفى النجوم الزاهرة (٩/٢٣٣) وذكر أنه ترجمه ترجمة وافية فى المنهل الصافى ، وترجمه أيضا فى طبقات الشافعية ، وفى عقود الجمان .

وَلِيَ مشيخة دار الحديث الأشرفية سبع سنين ، وجرت له أمور وتقلبات ، وكان مع اشتغاله يتنزه ويعاشر ، ونادمَ الأفرم نائب دمشق ، ثم توجه إلى مصر ، وأقام بها إلى أن عاد السلطان من الكرك سنة تسع وسبعمائة ، فجاء بعد ما خلص من واقعة الجاشنكير ، فإنه نسب إليه منها أشياء ، وعزم الصاحب فخر الدين بن الخليلي على القبض عليه تقرُّباً إلى خاطر السلطان ، فلما أحس بذلك فرَّ إلى السلطان على طريق البدرية ، ودخل على السلطان وهو بالرملة ، فعفا عنه ، وجاء إلى دمشق ، وتوجه إلى حلب ، وأقرأ بها ودرس ، وأقبل عليه الحلبيون إقبالا زائدا ، وعاشرهم ، وكان محفوظا ، لم يقع [شيء] بينه وبين أحد من الكبار إلا وعاد من أحب الناس فيه .

وكان حسَن الشكل ، تامّ الخلق ، حسن البزة ، حلو المجالسة ، طيب الفاكهة ، وعنده كرم مفرط ، كل ما يحصل له ينفقه بنفس متسعة ملوكية ، وكان يتردّد إلى الصلحاء ، ويلتمس دعاءهم ، ويطلب بركتهم .

قيل : إنه وقف له فقير ، وكانت ليلة عيد ، وقال له : شيء لله ، فالتفت إلى غلامه ، وقال : إيش معك ؟ قال : مائتا درهم ، قال : ادفعها إلى هذا الفقير ، فقال له : يا سيدى الليلة العيد وما معنا شيء ننفقه غدا ، قال : امض إلى القاضى كريم الدين ، وقل له : الشيخ يهنيك بالعيد ، فلما رأى كريم الدين غلام الشيخ ، قال : الشيخ يعوز نفقة فى هذا العيد ، ودفع له ألفى درهم وثلثمائة للغلام ، فلما حضر إلى الشيخ قال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسنة بعشرة ، مائتان بألفين .

وكان له مكارم كثيرة ، ولطف زائد ، وحسن عشرة .

وأما أوائل عشرته فما كان لها نظير ، لكنه ربما يحصل عنده مَلَل

فى آخر الحال ، حتى قال القائل فيه[1] :

وداد ابن الوكيل له شبيه … بلياد بن جلق فى المسالك
فأوّله حـــلىّ ثمّ طيب … وآخره زجاج مع لكالك

وشعره مليح إلى الغاية ، وكان ينظم الشعر ، والموشح ، والدوبيت ، والمخمس ، والزجل ، والبليق .

ومن تصانيفه ما جمعه فى سفينة ، وسماه « الأشباه والنظائر » يقال : إنه شىء غريب ، وعمل مجلدة فى السؤال الذى حضر من عند استدمر نائب طرابلس فى الفرق بين الملك، والنبىّ ، والشهيد ، والولىّ ، والعالم .

ومن شعره قصيدة بائية ، أولها :

ليذهبوا فى ملامى أيّةً ذهبوا … فى الخمر ، لا فضة تُبقى ولا ذهب[2]
لا تأســفنّ على مال تمزقه … أيدى سقاة الطلا والخرّد العُرُبُ
فما كسوا راحتى من راحها حللا … إلا وعرّوا فؤادى الهمّ واستلبوا
راحٌ بها راحتى فى راحتى حصلت … فتمّ عُجْبِى بها وازداد لى العجب
إذ ينبع الدرّ من حـــلو مذاقته … والتبر منسبك فى الكأس ينسكب
وليست الكيميا فى غيرها وجدت … وكل ما قيل فى أبوابها كَذِبُ
قيراط خمر على القنطار من حزن … يعود فى الحـــال أفراحاً وينقلب
عناصر أربع فى الكأس قد جمعت … وفوقها الفلك السيار والشهب

---

(١) البيتان فى الدرر الكامنة وقال « أظن القائل ابن الزملكانى » .
(٢) فى ب ، ث « فالخمر لا فضـة تبقى ولا ذهب » وما أثبتناه عن الشذرات وهو الصواب .

ماء ونار هـــواء أرضها قَدَحٌ　　وطرفها فلك والأنجـــم الحبب

ماالكأس عندى بأطراف الأنامل بل　　بالخمس تقبض لايحــلو لها الهرب

شَجَجْت بالماء منها الرأس مُوضِحَةً　　فخـــين أعقلها بالخمس لا عجب (١)

وما تركت بها الخمس التى وجبت　　وإن رأوا تركها من بعض ما يجب (٢)

وأن أقطب وجهاً حين تبسم لى　　فعند بسط المـوالى يحسن الأدب

عاطيتها من بنـــات الترك عاطية　　لحاظها للأسود الغُلْبِ قد غلبوا

هيفاء جارية للرّاح ساقيـــة　　من فوق ساقية تجرى وتنسرب

من وجهها وتَثَنِّيهَا وقامتها　　تخشى الأهلّةُ والقضبان والقضب

يا قلب أردافها مهما مررت بها　　قف بى عليها وقل لى هذه الكُثُبُ

وإن مررت بشَعْرٍ فوق قامتها　　بالله قل لىَ كيف البان والعذب

تريك وجنتها ما فى زجاجتها　　لـكن مذاقته للرّيق تنتسب

تحـكى الثنايا الذى أبدته من حَبَبٍ　　(لقد حكيت ولـكن فاتك الشنب)

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

وعارضٍ قد لام فى عارض　　وطاعن يطعن فى سنه

وقال لى : قد طلعت ذقنه　　فقلت : لا أفـكر فى ذقنه

وقال وهو فى غاية الحسن رحمه الله :

شبّ وجدى بشائب　　من سنا البدر أوجه

كلما شاب ينحنى　　بيض الله وجهـــه

---

(١) الموضحة : نوع من الشجاج ، ومن شج غيره هـذا النوع من الشجاج لزمته عقوبة شرعية ، والعقل : الدية التى تؤدى لأهل القتيل ، وأراد منه هنا المعنى اللغوى وهو الحبس كما أراد بالخمس أنامله (٢) الخمس ، هنا : الصلوات المـكتوبة .

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

ولما جلا فصل الخريف محاسنا وصفق ماء النهر إذ غرّد القُمْرِى
أتاه النسيم الرطب رَقَّصَ دَوْحَه فنقط وجه الماء بالذهب المصرى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

عيرتَنِى بالسقم طرفُكَ مشبهى ونحول جسمى مثل خصرك ناحلا
وأراك تشمت إذ أتيتك سائلا لا بدّ أن يأتى عذارك سائلا

وقال أيضاً :

رأيت فى طرفه اصفرارا سبا فؤادى ، فقلت : مهلا
أيا مليــك الأنام حسنا العفو من سيفك المحلّى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

بعيشك خَلِّ عاذلتى تلمنى ومِنْهَا فى ملامتها ومــنى(1)
فإن نجحَتْ فلا نجحت طريقى وأدركْتُ المنيــةَ لا التمنى
وإن خابت فلا خابت طريقى وإن كان الهوى ثانيه عنى
فيا غصن النقا ويجــل قدرا قوامُكَ أن أشــبهه بغصن
لحاظك بالمهَا فتكت عنادا ولا تسأل عن الظبى الأغَنِّ
وعطفك قد كسا الأغصان وجدا فمالت بالهــوى لا بالتثنى
ورقّتْ وُرْقُهَا فبكت عليها وفى الأفنان أبدت كل فنّ
وقد طارحتها شجنا فلما بكيت صبابة أخذت تغنى

وهذا يشبه قول الوَدَاعى رحمه الله(2) :

أقصى مناى أن أمر على الحمى ويلوح نَوْرُ رياضــه ويفوح

---

(1) منها : أى كذبها ، لـكن هذا الفعل إنما يستعمل لازما تقول « مان يمين مينا » بوزن باع يبيع بيعا — أى كذب .

(2) نسب صاحب النجوم الزاهرة هذين البيتين لصاحب الترجمة ابن المرحل .

حتى أُرِى سحب الحِمى كيف البكا   وأعــلِّمُ الورقاء كيف تنوح

وقال أيضا فى مليح اسمُهُ خليل :

تلك المعاطف أم غصونُ البانِ   لعبت ذوائبها على الـكُثْبان
وتضرّجت تلك الخدود فوردُهَا   قد شق قلبَ شقائق النعمان
ما يفعل الموت المبرِّحُ فى الورى   ما تفعل الأحداق فى الأبدان
أخليل قلبى وهو يوسف عصره   قلبى الـكليم رمَيْتَ فى النيران
فطمته مذ كان قلبى طائرا   ودعوته فأتى بغــير توان
يا نور عينى لا أراك ، وهكذا   إنســـان عينى لا يراه عيانى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أخفيت حبك عن جميع جوانحى   فوشَتْ عيونى والوشــاةُ عيونُ(١)
وَوَدِدْتُ أنّ جوانحى وجوارحى   مقلٌ تراك وما لهنّ جفون
وودِدت دمع الخــافقين لمقلتى   حتى غزير الدمع فيك يهون
يا ليت قيســا فى زمان صبابتى   حتى أريه العشق كيف يكونُ(٢)

وقال أيضا فى مليح يلقب بالحامض :

وبديع الجمــال معتدل القا   مة كالغصن والقنا الأملود
لقبوه بحامض وهو حــلو   قول من لم يَصِلْ إلى العنقود

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا وجنة هى جنة قد زخرفت   وردا ومن آسِ العذار تخضرت
عَيْن بنُورِ جمال وجهك متعت   وسوى جمالك أبصرت لا أبصرت

---

(١) عيون الأولى جمع عين بمعنى الباصرة ، والثانية جمع عين بمعنى الجاسوس .
(٢) أراد بقيس مجنون ليلى الذى اشتهر بالحب

وقال أيضا رحمه الله تعالى دو بيت :

في خدك خط مشرف الصدغ سطور	والشاهد ناظر على الفتك يدور
يا عارضـــه بالشرع لا تقتلني	الشـــاهد فاتك وذا خطك زور

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

تغنت في ذُرَى الأوراق وُرْق	فني الأفنان من طرب فنون[1]
وكم بسمت ثغور الزهر عجبا	وبالأكمام كم رقصت غصون

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وبي مَنْ قَسَا قلبا ولان معاطفا	إذا قلت أدناني يضاعف تبعيدي
أقرّ برق إذ أقـــول : أنا له	وكم قالها أيضا ولـكن لتهديدي

وقال أيضا :

إذا قلت : ثغرَكَ صُنْ باللثام	يقول : سيحميه صارم جفني
وإن قلت : قد صار من فتكه	كليلا ، يقول : عذاري مني[2]

وقال أيضا رحمه الله تعالى دو بيت :

كم قال معاطفي حكمها الأسل	والبيض سرقن ما حوته المقل
الآن أوامري عليهم حكمت	البيض تحـــدّ القنا وتعتقل

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

عانقت وبالعناق يشفى الوجد	حتى شفى الصب ومات الضد
من أخمصه لثمــا إلى وَجْنته	حتى اشتكت القضب وضج الورد

وقال موشح يعارض به السراج المختار :

ما أخجلَ قَدُّه غصونَ البان	بين الورَقِ

---

(١) ذرى الأوراق : أعلاها ، والورق: جمع ورقاء ، وهي الحمامة ، والأفنان : جمع فنن ــ بالتحريك ــ وهو الغصن

(٢) كليلا : ضعيفاً

إلا سلب المَهَامع الغزلان   حسن الحدَقِ (١)

قاسوا غلطا مَنْ حاز حسن البشر

بالبدر يلوح فى دياجى الشعر

لا كيد ولا كرامة للقمر

الحِب جماله مدى الأزمان   معناه بقى

وازداد سنًا وخُصَّ بالنقصان   بدرُ الأفق

الصحة والسقام فى مقلته

والجنة والجحيم فى وجنته

من شاهده يقول من دهشته

هذا وأبيك فرّ من رضوان   تحت الغسق

للأرض ، يعيذه من الشيطان   ربُّ الفلق

قد أنبته الله نباتاً حسنا

وازداد على المَدَى سناء وسَنَا

من جاد له بروحه ما غُبِنَا

قد زين حسنَه مع الإحسان   حسنُ الخلق

لو رمت لحسنه شبيها ثانى   لم يتفق

فى نرجس لحظه وزهر الثغر

روض نضر قطافه بالنظر

قد دبج خده بنبت الشعر

كالورد حواه ناعم الريحان   بالظل سُقِى

---

(١) المها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية ، تشبه بها النساء فى سعة العينين ، والحدق : جمع حدقة ، وهى العين

والقدّ يميل ميلة الأغصان للمعتنــــــق

أحيا وأموت فى هــــواه كمدا

من مات جوى فى حبـه قد سعدا

يا عاذل لا أترك وجدى أبدا

لا تعــذلنى فكلما تلحانى زادت حُرَقى

يستأهل من يهمُّ بالسلوان ضربَ العنق

القد وطرفه قنــــاة وحسام(١)

والحاجب واللحاظ قوس وسهام

والثغر مع الرضاب كأس ومدام

والدر منظم مع المرجان فى فيه نقى

قد رصع فوقـــه عقيق قان نظم النسق

وأما موشحة السراج المختار فهى :

مذ شمت سنا البروق من نعمان باتت حدقى

تذكى بمسيل دمعها الهتـــان نار الحرق

ما أومض بارق الحمى أو خفقـــا

إلا أوجـــد لى الأسى والحرقا

هذا سبب لحينى قد خلقــــــا

أمسى لوميضه بقلب عانى بادى القلق

لا أعلم فى الظلام ما يغشانى غير الأرق

أضنى جسدى فــراقُ إلفٍ نزحا

---

(١) القد : القوام ، والقناة : أراد بها الرمح ، وقد شبه القد بالرمح فى الاعتدال والاستقامة ، وشبه الطرف بالحسام فى الفتك

أفنى جَــلَدى ودمْعَ عينى نزحا[1]

كم صِحْتُ وزند لوعتى قد قدحا

لم تُبْقِ يد السقام من جثمانى غير الرمَقِ

ما أصنع والســلو منى فانى والوجد بقى

أهوى قمرا حــلو مذاق القُبَلِ

لم يكحل طرفه بغير الـكحل

تركى اللحظات فاتـكى المقـــل

زاهى الوجنات زائد الإحسان حــلو الخلق

عذب الرشفات ساحر الأجفان ساجى الحدق

ما حط لثامـــه وأرخى شعره

أوهزَّ معاطفا رشـــاقا نضره

إلا ويقول كل راء نظـــره

هذا قمـر بدا بلا نقصان تحت الغسق

أو شمس ضحى فى غصن فَيْنان غضٍّ الورق

ما أبـــدع معنى لاح فى صورته

إيناع عـــذاره على وجنتـــه

لما سقى الحيـــاة من ريقتـــه

فاعجب لنبات خده الرَّيحَانى من حيث سقى

يضحى ويبيت وهو فى النيران لم يحـــترق

والسراج المختار عارض بهذا موشح أحمد الموصلى ، وهو :

---

(١) الجلد : الصبر ، ونزح البئر : أى أخرج ماءه كله ، هذا أصل هذه المادة .

مذ غرّدت الوُرْقُ على الأغصان بين الورق
أجرت دمعى وفى فؤادى العانى أذكت حرقى

لما برزت فى الدوح تشدو وتنوح(١)
أضحى دمعى بساحة السفح سفوح
والفكر نديمى فى غَبوق وصَبوح

قد هيجت الذى به أضنانى منه قلقى
والقلب له من بعد صبرى الفانى الوجد بقى

ما لاح بُرَيْقُ رامة أو لمعا
إلا وسحاب مقلتى قد هَمَعَا(٢)
والجسم على المُزْمِعِ هجرى زمعا

بالنازح والنازح عن أوطانى ضاقت طرق
ما أصنع قد حملت من أحزانى ما لم أُطِقِ

قلبى بهوى ساكنه قد خفقا
والوجد حبيس واصطبارى طلقا
والصامت من سرى بدمعى نطقا

فى عشق منعم من الولدان أصبحت شقى
من جفوته ولم يزر أجفانى غيرُ الأرق

فالورد مع الشقيق من خديه
قد صانهما النرجس من عينيه
والآس هو السياج من صدغيه

---

(١) برزت : ظهرت ، والدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة ، وتشدو : تغنى .

(٢) همع المطر ونحوه : انسكب وهطل .

واللفظ وريق الأغيد الروحانى عند الحـذق
حلوان على غصن من المرّانِ غض رشق
الصاد من المقـلة من حققه
والنون من الحاجب من عرقه
واللام من العارض من علقه
قد سطره بالقـلم الريحانى رب الفلق
بالمسك على الكافور كالعنوان فوق الورق
ما أبدع وضع الخال فى وجنته[1]
خط الشكل الرفيع من نقطته
قد حير إقليدس فى هيئته[2]
كالعنبر فى نار الأسيل القانى للمنتشـق
فاعجب لعبير وهو فى النيران لم يحترق

ومن موشحات الشيخ صدر الدين قولُه :

صاحِ صاحَ الهَزَارْ قم نَحُثَّ الكؤوس
قد تجـلى النهار فَاجْلُ بنتَ القُـسُوس
ما علينا جنـاح إنَّ فصـل المصيف
قـد تولى وراح وتولى الخـريف
قمفذات الجنـاح ذاتُ رَمْزٍ لطيف
فى اقتـلاع الوقار من تروس الضروس
وانتهاب العقـار وسرور النـفوس

---

(١) الخال : نقطة سوداء فوق الخد ، وهى ممايستملح فىوجوه الحسان .
(٢) إقليدس : من فلاسفة اليونان المشهورين بالهندسة .

زَوَّجِ الماء براح ياشبيه القمــر
والشهود المــلاح والولى المطــر
والمغانى الفصــاح ساكنات الشجــر
وهى بكر تدار والسُّقَاة الشموس
والحبَــاب النِّثار فوق وجه العروس
إن عيشى الرغيد حين ألقى الصديق
وعداد جــديد وسلاف عتيق [1]
ثم ألقى شهيــد بسيوف الرحــيق
كم كذاذا الفشـــار وخيـــوط الرؤس
طاح عمرى وطار فى سماع الدروس

وكان الشيخ صدر الدين عارفاً بالطب علماً لا علاجا ، فاتفق أن شكا إليه الأفرم سوء هضم ، فركَّبَ له سفوفاً ، وأحضره ، فلما استعمله أفرط فى الإسهال جدًّا ، فأمسكه مماليكه ليقتلوه ، وأحضروا أمين الدين الحكيم لمعالجة الأفرم ، فعالجه باستفراغ تلك المواد التى اندفعت ، وأعطاه أمراق الفراريج ، ثم أعطاه المسكات حتى صلح حاله ، فلما صلحت حاله سأل الأفرم عن الشيخ صدر الدين فأخبره المماليك ما فعلوا به ، فأنكر ذلك عليهم ، ثم أحضره وقال له : يا صدر الدين ، جئت تروحنى غلطاً ، فقال له سليمان الحكيم : ياصدر الدين اشتغل بفقهك ، ودع عنك الطب ، فغلط المفتى يُسْتَدرك ، وغلطُ الطبيب ما يستدرك ، فقال الأفرم : صدق ، لا تخاطر ، ثم قال لمماليكه : مثل صدر الدين ما يتهم ، والله الذى جرى عليه منكم أصعب مما جرى علىّ ، وما أراد والله إلا الخير ، ثم سير له جملة دراهم وقماش .

---

(١) السلاف : الخمر ، والعتيق : القديم جداً

ولما أنكر البكرى استعارةَ البُسُط والقناديل من الجامع العمرى[1] بمصر لبعض كنائس القبط فى بعض مهماتهم ، ونُسِبت هذه الفعلة إلى كريم الدين ، طلع البكرى إلى حضرة السلطان ، وكلمه فى ذلك ، وأغلظ له فى القول ، وكاد[2] يجوز ذلك على السلطان لو لم يَمِلْ بعض القضاة الحاضرين على البكرى ، وقال : ما قصَّر الشيخ ، كالمستهزىء به ، فحينئذ أغلظ السلطان له ، وأمر بقَطْع لسانه ، فأتى الخبر إلى الشيخ صدر الدين وهو فى زاوية المسعودى ، فطلع إلى القلعة على حمار فارِهٍ اكتراه للسرعة ، فرأى البكرى وقد أُخِذَ ليمضى فيه ما أمر ، فلم يملك دموعَه أن تساقطت على خده ، واستمهل الشرطة ، ثم صعد الديوان والسلطانُ جالس به ، وتقدم إلى السلطان من غير استئذان وهو باكٍ ، فقال له السلطان : خير يا صدر الدين ، فزاد بكاؤه ونحيبُه ، ولم يقدر على مجاوبة السلطان ، فلم يزل السلطان يرفُقُ به ويقول له : خير ، ما بك ؟ إلى أن قدر على الكلام ، فقال له : هذا البكرى من العلماء الصلحاء ، وما أنكر إلا فى موضع الإنكار ، ولكنه لم يُحْسِنِ التلطف ، فقال له السلطان : إى والله أنا أعرف أنه خطية ، وانفتح الكلام ، ولم يزل الشيخ صدر الدين يرفق بالسلطان ويلاطفه حتى قال : خذه ورح وانصرف ، هذا كله يجرى والقضاة حضور وأمراء الدولة ملئوا الإيوان ، وما فيهم مَنْ أغاثه .

وكان إذا فرغ مما هو فيه مع أصحابه وعشيرته قام وتوضأ وصلى ومرّغ وجهه على التراب وبكى حتى بل ذقنه بالدموع ، ويستغفر الله تعالى ، ويسأله التوبة ، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه ! آمين .

---

(١) فى ب ، ث « الغمرى » .

(٢) فى ب ، ث « وكان يجوز ذلك »

(٤٤٦)

أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد (ابن اللبانة) الأندلسى

محمد بن عيسى بن محمد ، أبو بكر ، اللخمى ، الأندلسى[1] ، الشاعر ، المشهور بابن اللبانة ، وله كتاب مناقل الفتنة ، ونظم السلوك فى وعظ الملوك ، وسقيط الدرر ولقيط الزهر فى شعر بنى عباد .

وتوفى بميُورقه فى سنة سبع وخمسمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

هلا ثنــاك علىّ قلب مشفق ... لترى فرَاشا فى فِراش يحرق
أصبحت كالرمَقِ الذى لا يرتَجَى ... و بقيت كالنفس الذى لا يلحق
وغرقت فى دمعى عليك وعمنى ... طوق فهل سبب به أتعلق
أو خــدعة بتحية مقبولة ... فى جنب موعدك الذى لا يصدق
أنت المنية والمنى ، فيك استوى ... ظلُّ الغمامة والهجــير المحرق
لك قدّ ذابلة الوشيج ولونها ... لـكن سنانك أكحل لا أزرق
ويقال إنك أيكة حتى إذا ... غنيت قيل هو الحمام الأورق
لو فى يدى سحر وعندى رقية ... لجعلت قلبك بعض يوم يَعْشَقُ
ليذوق ما قد ذقت من ألم الهوى ... وترقّ لى ممــا تراه وتشفق

وقال أيضا يمدح المعتمد بن عباد :

بكت عند توديعى فما علم الركب ... أذاك سَقيطُ الطل أم لؤلؤ رطب
وتابعهــا سِربٌ وإنى لمخطىء ... نجوم الدياجى لا يقال له سرب
لئن وقفت شمس النهار ليُوشَعٍ ... لقد وقفت شمس الهوى لى والشهب
هفا بين عصف الريح والموج مثل ما ... هفا بين أضلاعى ملوى به القلب

---

(١) له ترجمة موجزة فى كتاب شذرات الذهب لابن العماد (٢٠/٤) وذكر أنه أخذها عن كتاب العبر

ومنها :

كأنى قَذَى فى مقلة وهو ناظر   بها والمجاديفُ التى حولها هُدْبُ

ومنها فى المديح :

حوى قَصَبات السبق عفواً ولو سعى   لها البرق خطفا جاء من دونها يكبو[1]

ويرتاح عند الجود حتى كأنه   وحاشاه نشوانُ يلذ له الشرب

سألت أخاه البحر عنه فقال لى :   شقيقىَ إلا أنه البارد العــذب

وقال أيضا رحمه الله ، موشح :

فى نرجس الأحداق   وسوسن الأجياد

نبت الهوى مغروس   بين القنَا الميَّــاد[2]

وفى نقا الـكافور   والمنــدل الرطب

والهــودج المزرور   بالوَشْى والعَصْــب

قضب من البلور   حُمِــينَ بالقضب

نادى بهـا المهجور   من شــدة الحب

أذابت الأشـواق   روحى على أجساد

أعارهــا الطاووس   من ريشــه أبْرَاد

كواعب أتراب   تشــابهت قداً

عضت على العنَّاب   بالـــبَرَدِ الأندا

أوصت بى الأوصاب   وأغرت الوجــدا

وأكثر الأحبــاب   أعدى من الأعدا

(١) يكبو : يتعثر

(٢) القنا : جمع قناة ، والمراد بها الغصن ، ويشبهون به قوام الحسان ، والمياد: الذى يهتز ويتمايل

تفترّ عن أعلاق لآلئ أفراد[1]
فيه اللمى محروس بألسن الأغماد
من جوهر الذكرى عطل نحور الحور
وقلد الدرا سُلالة المنصور
جاوز به البحرا وأخرق حجاب النور
وقل له شعرا بفضلك المشهور
جمعت فى الآفاق تنافرُ الأضداد
فأنت ليث الخِيسْ وأنت بدر النادى
خرجْتُ محتالا أبغى سنا البرق
أقطع أميالا غربا إلى شرق
مؤملا حالا يكون من وفق
فقال مَنْ قالا وفاه بالصدق
دع قطعك الآفاق يا أيها المرتاد
واقصد إلى باديس خير بنى حماد
يا من رجا الطّلاّ وأمل التعريس
إن شئت أن تحلا بطائل التأنيس
لا تعتمد إلا على علا باديس
من فرقه أعلى قدراً من البرجيس
مواطن الأرزاق أولئك الأمجاد
فاحطط رحال العيس وانفض بغاء الزاد

(١) يفتر : يضحك ، والأعلاق : جمع علق — بالكسر — وهو النفيس من كل شىء ، وأراد هنا الأسنان ، وشبهها باللالىء

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

شق النسيم كمامه   عن زاهــر يتبسّمْ
فلا تطع لمــلامَهْ   واشرب على الزير والبَمْ[1]
حيا النسيم بمندل   عن طيب زهر أنيق[2]
ونرجس الروض تخجل   منه خدود الشقيق
فانهض إلى الدنّ واقبل   منه سؤال الرحيق
وفُضّ منــه ختامه   عن مثل مسك مختم
تـكاد منه المدامه   للشّرْب أن تتـكلم
حاكت على النهر دِرْعًا   ريحُ الصبا فى الأصايل[3]
وأسبل القطر دمعاً   على جنوب الأصايل
فاسمع من العُود سَجْعا   تشق منــه الغلايل
ما رنمته حمــامه   من فوق غصن منعم
ولا ادعتــه كرامه   بنتُ الحسين بن مخدم
أما عــلىّ فإنى   ممن سمعت بذكره
والود يشهد عــنى   بمــا أبوح بفخره
وقد رأيت التمنّى   يختال فى ثوب بره
فى حلة من أسامه   بظاهر الحسن مُعْــلَم
متوج بالـكرامه   وبالسماح مخــتم
حَيًّا النسيم تلمسان   بواكف القطر هطال
فقد قضت كل إحسان   بجودها بابن شملال

---

(١) الزير والبم : ضربان من ألحان الغناء
(٢) المندل : ضرب من الطيب
(٣) الأصايل : جمع أصيل ، وهو الوقت قبيل الغروب

وقصرت كل إنسان عما حواه من إجلال
ندب بذل همامه ربيعة بن مكدم
وما حـواه أسامه فى عصره المتقـدم
قد جاءك المتنـبى يا سيف هذا الزمان
يختال فى ثوب عجب بمـا حوى من معان
يشدو ارتجالا فيسبى كل الوجوه الحسان
هذا المليح فى العمامه لو أنه متـلثم
لقلت هذى غمامه غطت على قمر التـم

(٤٤٧)

أبو الحسنى محمد بن القاسم (مانى الموسوس)

محمد بن القاسم ، أبو الحسن ، المعروف بمانى الموسوس [١] .
من أهـل مصر ، قدِمَ بغـداد أيام المتوكل ، وكان من أظرَف الناس وألطفهم .
توفى سنة خمس وأر بعين ومائتين .
ومن شعره رحمه الله تعالى :

زعموا أن من تشاغل بالـلذات عمن يحبـه يتسلّى
كذبوا والذى تقاد له البُدْ نُ ومن عاذ بالطواف وصلّى
إن نار الهوى أحر من الجمـر على قلب عاشق يتقلّى

وقال :

دعا طرفهُ طرفى فأقبل مسرعا وأثر فى خديه فاقتصّ من قلبى
شـكوت إليه مالقيت من الهوى فقال على رسلى فمتّ فـاذنبى

---

(١) له ترجمة فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى (٨٤/٢٠ بولاق) ووقع فيه كنيته « أبو الحسين »

وقال رحمه الله تعالى :

ذنبي إليه خضوعي حين أبصره ... وطول شوقي إليه حين أذكره
وما جرحْتُ بدمع العين وجنته ... إلا ومن كبدي يقتص محجره
نفسي على بُخْله تفديه من قمر ... وإن رماني بذنب ليس يغفره
وعاذل باصطبار القلب يأمرني ... فقلت : من أين لي قلب فأهجره

وذكر صاحب الأغاني أن محمد بن عبد الله بن طاهر عزم على الصَّبُوح ، وعنده الحسن بن محمد بن طالوت ، فقال له محمد : نحتاج أن يكون معنا مَنْ نأنس به ونلتذ بمنادمته ، فمن ترى أن يكون ؟ فقال له ابن طالوت : قد خطر ببالي مَنْ ليس علينا بمنادمته ثقل ، قد خلا من إبرام المجالسين ، وبرىء من ثقل المؤانسين ، خفيف الوطأة إذا أدنيته ، سريع الوثبة إذا أمرته ، قال : مَنْ هو ؟ قال : ماني الموسوس ، فتقدم إلى صاحب الشرطة يطلبه بإحضاره ، فلم يكن بأسرع من أن قبض عليه ووافى به باب محمد ، فلما مثل بين يديه وسلم ردّ عليه السلام ، وقال له : ما آن لك أن تزورنا مع شوقنا إليك ؟ فقال له ماني : أعز الله الأمير ، الشوق شديد ، والوُد عتيد ، والحجاب صعب ، ولو سهل الأذن لسهلت عليَّ الزيارة ، فقال له محمد : لقد لطفت في الاستئذان ، وأمره بالجلوس ، فجلس ، وكان قد أُطعم قبل أن يدخل ، وأدخل إلى الحمام وأخذ من شعره ، وألبس ثياباً نظافاً .

وأتى محمد بن عبد الله بن طاهر بجارية كان يحب السماع منها ، فكان أول ما غنته :

ولست بناسٍ إذ غدوا وتحملوا ... دموعي على الخدين من شدة الوجد[1]

---

(١) تحملوا : ارتحلوا وأخذوا في الظعن ، و « دموعي » مفعول به لناس ، وعطف عليه قوله في البيت التالي « وقولي »

وقولى وقد زالت بعينى حمولهم   بواكر تُحْدَى: لا يكن آخر العهد

فقال مانى : أتأذن لى أيها الأمير؟ قال : فى ماذا ؟ قال : فى استحسان ما أسمع ، قال : نعم، قال : أحسنتِ فإن رأيتِ أن تزيدى فى هذا الشعر هذين البيتين :

وقفت أناجى الربع والدمع حائر   بمقلة موقوف على الضر والجهد

ولم يُعْدِنى هذا الأمير بعَدْلِهِ   على ظالم قد لج فى الهجر والصد[1]

فقال له محمد : ومن أى شىء استعديت يا مانى ؟ قال : لا من ظلم أيها الأمير ، ولكن تحرك شوق وكان ساكنا ، ثم غنت :

حَجَبوها عن الرياح لأنى   قلت للريح : بلغيها السلاما

لو رَضُوا بالحجاب هان، ولكن   منعوها يوم الرياح الكلاما

فطرب محمد وشرب ، فقال مانى : أيها الأمير ما على قائل هذين البيتين لو أضاف إليهما :

فتنفستُ ثم قلت لطَيْفى   وَيْكَ لو زرت طيفها إلماما

حَيِّها بالسلام سرا وإلا   يمنعوها لشقوتى أن تناما

فقال محمد : أحسنت يا مانى ، ثم غنت :

يا خليلىَّ ساعة لا تريما   وعلى ذى صبابة فأقيما[2]

ما مررنا بدار زينبَ إلا   فضَح الدمع سرنا المكتوما

فقال مانى : لولا هيبة الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يَرِدان على سمع ذى لب فيصدران إلا على استحسان لها ، فقال له محمد : الرغبة فى حسن ما تأتى به حائلة عن كل رهبة ، فهاتِ ماعندك ، فقال :

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخـــر بطرفٍ لغادرته هَشيما

---

(١) أعدى فلان فلانا على فلان : أى انتصف له منه وأخذ بحقه

(٢) لاتريما : لا تبرحا ، يريد لا تفارقانى

وإذا ما تبسمت خِلْتَ ما يبـــدو من الثغر لؤلؤا منظوما

وفى الخبر طول ، وهذا القدر كافٍ منه ، رحمه الله تعالى !

(٤٤٨)

أبو الفتح ناصر الدين السلطان محمد بن قلاوون

محمد بن قلاوون[1] ، السلطان ، الملك الناصر ، ناصر الدين ، أبو الفتح ، محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون .

ولد الملك الناصر سنة أربع وثمانين وستمائة ، وتوفى يوم الأربعاء تاسع عشر ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ودفن بالمدرسة المنصورية بين القصرين ، على والده .

وكان ملكا عظيما ، دانت له البلاد ، وملك الأطراف بالطاعة ، لما قتل الأشرف خليل وقع الاتفاق أن يكون ذلك السلطان الملك النـاصر أخوه هو السلطان وزين الدين كتبغا هو النائب والشجاعى وزيرا ، واستقر الأمر على ذلك سنة ، ثم تسلطن كتبغا ، وتسمى بالملك العادل ، وخطب له بمصر والشام ، وزينت له البلاد ، ثم تسلطن لاجين ، وتسمى بالملك المنصور ، وقتل فى سنة ست وتسعين ، فخف الأمراء للملك الناصر ، وأحضروه من الـكرك ، وهذه سلطنته الثانية ، وعمره يومئذ خمس عشرة سنة ، فأقام إلى سنة ثمان وسبعمائة ، وذهب إلى الـكرك متبرما من سلار والجاشنـكير وحَجْرهم عليه ومنعهم له من التصرف ، وأعرض عن مصر ، فوثب الجاشنكير على السلطنة ، وتسلطن ، وفى سنة تسع وسبعمائة خرج السلطان من الـكرك وطلب دمشق ودخل من باب السر إلى قلعة دمشق ، وجاء الخبر بنزول الملك الجاشنكير عن الملك وهروبه وهروب

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (٦/١٣٤) وفى الدرر الـكامنة لابن حجر (٤/١٤٤) وانظر الجزء التـاسع من النجوم الزاهرة فإن أكثره فى ترجمته

سلار ، ورحل الملك الناصر طالب مصر فدخلها ، فلما استقر بها وهى سلطنته الثالثة ومد السماط قبض على اثنين وثلاثين أميراً وأمَّرَ غيرهم ، وصفا له الوقت إلى حين وفاته ، رحمه الله تعالى ! .

(٤٤٩)

محب الدين محمد بن محمود (ابن النجار) البغدادى

محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن(١) .

هو الحافظ الكبير محب الدين بن النجار البغدادى ، صاحب التاريخ .

ولد فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، سمع من ابن كليب وابن الجوزى وأصحاب ابن الحصين وجماعة ، وله الرحلة الواسعة إلى الشام ومصر والحجاز وأصبهان وخراسان ومرو وهَرَاة ونيسابور ، وسمع الكثير ، وحصل الأصول والمسانيد ، وصنف التاريخ الذى ذَيّلَ به على تاريخ الخطيب ، واستدرك فيه على الخطيب ، فجاء فى ثلاثين مجلدا ، دل على تبحره فى هذا الشأن وسعة حفظه ، وكان إماما ثقة حجة مقرئا مجودا حسن المحاضرة كيّسا متواضعا ، اشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ ، ورحَلَ سبعا وعشرين سنة ، يقال : إنه حضر مع تاج الدين الكندى فى مجلس المعظم عيسى والأشرف موسى لأنه ذكره وأثنى عليه ، فقال له الأشرف : أحضره ، فسأله السلطان عن وفاة الشافعى متى كانت ؟ فبهت ، وهذا من التعجيز لمثل هذا الحافظ الكبير المقدار ، فسبحان مَنْ له الكمال ، وله كتاب القمر المنير فى المسند الكبير ، ذكر كل صحابى وما له من الحديث ، وله كتاب كنز الإمام فى معرفة السيَرِ والأحكام ، والمختلف والمؤتلف ، ذيل به على ابن ما كولا ، والمتفق والمفترق ، ونسبة المحدثين إلى الآباء

---

(١) له ترجمة فى كتاب إرشاد الأريب لياقوت (٤٩/١٩)

والبلدان ، كتاب عواليه ، كتاب معجمه ، جنة الناظرين فى معرفة التابعين ، الكمال فى معرفة الرجال ، العقد الفائق فى عيون أخبار الدنيا ومحاسن تواريخ الخلائق ، الدرة الثمينة فى أخبار المدينة ، نزهة الورى فى أخبار أم القُرَى ، روضة الأولياء فى مسجد إيلياء ، الأزهار فى أنواع الأشعار ، سلوة الوحيد ، غرر الفوائد ست مجلدات ، مناقب الشافعى ، ووقَفَ كتبه بالنظامية ، والزهر فى محاسن شعراء أهل العصر ، كتاب نحا فيه نحو « نشوار المحاضرة » مما التقطه من أفواه الرجال ، نزهة الطرف فى أخبار أهل الظَّرْف ، إخبار المشتاق إلى أخبار العشاق ، الشافى فى الطب ، قال ياقوت فى معجم الأدباء : أنشدنى لنفسه قال :

وقائل قال يوم العيد لى ورأى ... تململى ودموع العين تنهمر :
مالى أراك حزينا باكيا أسِفا ... كأن قلبك فيه النار تستعر
فقلت : إنى بعيد الدار عن وطن ... ومُمْلِق الكف والأحباب قد هجروا

ونظر إلى غلام تركى حسن الصورة فرمد باقى يومه فقال :

وقائل قال : قد نظرت إلى ... وجه مليح فاعتادك الرمد
فقلت : إن الشمس المنيرة قد ... يعشى بها الناظر الذى يقد

(٤٥٠)

شمس الدين محمد بن محمود الأصفهانى

محمد بن محمود بن محمد بن عبدالكافى ، العلامة ، شمس الدين ، الأصفهانى [١] ، الأصولى .

قدم الشام بعد الخمسين وستمائة ، وناظر الفقهاء ، واشتهرت فضيلتُه ، وانتهت إليه الرياسة فى معرفة الأصول ، وشرح المحصول للامام فخر الدين شرحا كبيراً

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (٤٠٦/٥) وذكره الذهبى فى وفيات شهر رجب من سنة ٦٨٨ (انظر النجوم الزاهرة (٣٨٢/٧)

حافلا ، وصنف كتاب القواعد مشتملا على أصول الدين والفقه والمنطق والخلاف، وهو أحسن تصانيفه ، وله غاية الطلب فى المنطق ، وله معرفة جيدة فى العربية والأدب والشعر ، ولكنه كان قليل البضاعة فى الفقه والسنة ، ولى قضاء المنبج فى أيام الناصر ، ثم دخل مصر ، وولى قضاء قوص ، ثم قضاء الكرك ، ورجع إلى مصر ، وولى تدريس الصالحية ، وتدريس مشهد الحسين ، وأعاد وأفاد ، ثم ولى تدريس الشافعىّ ، وتخرج به خلق ، ورحل إليه الطلبة ، كتب عنه علم الدين البرزالى وغيره .

مولده بأصبهان سنة ستَّ عشرَةَ ، وتوفى سنة ثمان وثمانين وستمائة ، رحمه الله تعالى !

(٤٥١)

جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى الرويفعى المصرى

محمد بن مكرّم — بتشديد الراء — بن على بن أحمد ، الأنصارى [١] ، الرويفعى ، ثم المصرى ، القاضى جمال الدين بن المكرم ، من ولد رويفع بن ثابت الأنصارى .

ولد أول سنة ثلاثين وستمائة ، وكان فاضلا ، وعنده تشيع بلا رَفضٍ ، مات فى شعبان سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

خدم فى الإنشاء بمصر ، ثم ولى نظر طرابلس ، وكان كثير الحفظ ، اختصر كتبا كثيرة ، وله النظم والنثر ، فمن شعره رحمه الله :

ضع كتابى إذا أتاك إلى الأر　　ض وقَلِّبْه فى يديك لماما

فعلى خَتْمه وفى جانبيـــه　　قُبَـــل قد وضعتهنّ تُؤَاما

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب (٦/٢٦) وفى الدرر الكامنة (٤/٢٦٢) والمترجم صاحب كتاب «لسان العرب» أحد الموسوعات الكبرى فى اللغة مفرداتها وشواهدها

كان قصدى بها مباشرة الأر ض وكفيك بالتثامى إذا ما

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

الناس قد أثموا فينـــا بظنهم وصدّقوا بالذى أدرِى وتدرينا
ماذا يضرّك فى تصديق قولهم بأن نحقق ما فينا يظنـــونا
حَملى وحملك ذنباً واحداً ثقـــة بالعفو أجملُ من إثم الورى فينا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

توهم فينا الناس أمراً وصممت على ذاك منهم أنفسٌ وقلوب
وظنوا و بعضُ الظن إثم وكلهم لأقواله فينا عليـــه ذنوب
تعالَىْ نحقق ظنهـم لنريحهم من الإثم فينا مرّة ونتوب

أخذه من قول القائل حيث يقول :

قم بنا تفديك نفسى نجعل الشك يقينـا
فإلى كم يا حبيـــبى يأثمُ القائل فينا ؟

وأخذ هذا من قول الأول :

لا أنس لا أنس قولها بمنًى ويحك إنّ الوشاة قد علموا
ونمّ واش بنا ، فقلت لهـا هل لك ياهند فى الذى زعموا
قالت لماذا ترى فقلت لها كيلا تضيع الظنون والتهم

ومن شعر ابن المكرم رحمه الله تعالى :

بالله إن جزت بوادى الأراك وقبلَتْ أغصـانه الخضر فاك
أبعث إلى المملوك من بعضه فإننى والله مالى ســواك[1]

---

(١) فى قوله « مالى سواك » تورية ، يحتمل أنه ليس له غصن من أغصـان الأراك الذى يسمى « السواك » وهو المعنى القريب ، ويحتمل أنه ليس له غيره ، وهو المعنى البعيد المراد .

(٤٥٢)

بهاء الدين محمد بن مكى (بن الدجاجية) الدمشقى

محمد بن مكى بن محمد بن الحسن بن عبد الله ، القرشى ، الدمشقى ، العدل ، الأديب ، بهاء الدين ابن الدجاجية[1] .

كان يجيد النظم ، روى عنه الدمياطى ، ومن شعره رحمه الله تعالى :

ما راح عندكم النسيم ولا غدا ... إلا ليأخذ عند عبدكم يدا
أحباب قلبى ذلك القلق الذى ... قد كاد يأخذنى عليكم ما هدا
كدرتم بعد الصفا وغدرتم ... بعد الوفا وبخلتم بعد الجدَا
وجعلتم الريان منزل حيكم ... ولكُمْ محبٌ مات فيه من الصدا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

من أين لقدك ذا الهيَفُ ... قد حار الواصف ما يصف
الرمح الأسمر يحسده ... والغصن الأخضر والألف
فتبارك مَنْ أنشاك لقد ... فى الخلق تفاضلت النطف
يا أحسن بل يا أظرف مَنْ ... زِينَتْ بذؤابته الكتف
وقاك الله تعالى العين ... وعن أعطافك تنصرف[2]
كل الأقمار بلدتنا ... بضياء جبينك قد خسفوا
فاحكم فلأنت أميرهم ... فيهم فبيابك قد وقفوا
راقت أخلاقك للغربا ... ء فكيف بمن بك قد ألفوا
قسماً بهواك وما أحلى ... قسم العشاق إذا حلفوا
وبمن خاضوا غمرات منى ... وحصى الجمرات بها حذفوا
لاحُلْتُ عن الميثاق ولو ... أودى بحشاشتىَ التلف

---

(١) له ترجمة موجزة جداً فى شذرات الذهب (٢٨٩/٥) وفى النجوم الزاهرة (٧١/٧)

(٢) فى ب ، ث « وعن اعظامك تنصرف » .

يلحاني قــوم ما فهموا   ما شأني فيك ، وما عرفوا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

إلى سَلَمِ الجرعاء أهـدى سلامه   فماذا على من قد لحاه ولامه

تجلد حتى لم يدع معظم الجوى   لرائيه إلا جِـلْده وعظامه

وقال أيضاً :

غرّته غُـرّته لما سرى   ظنّ بأنّ الصبح قد أسفرا

أقبـل يسعى خَفِراً خائفاً   على ذمام الوعد أن يخفرا

يحق يا قوم لمن قـدُّه الـ   ـخطار أن لا يرهب الأخطرا

ضممته إذ نام سماره   كما يضم البطل الأسمـرا

بتنا وما فى ليلنا من كرى   كأنما النوم غدا منكرا

وقال أيضاً رحمه الله دو بيت :

ما عـذر فتى مامد للهو يدا   والدوح قد اكتسى ثياباً جددا

مالت طرباً أغصانه راقصة   لمّـا صدح الطير عليها وشدا

وكانت وفاته فى شهور سنة سبع وخمسين وستمائة ، رحمه الله تعالى !

(٤٥٣)

شرف الدين محمد بن موسى المقدسى الكاتب

محمد بن موسى الكاتب ، شرف الدين ، المقدسى [١] .

كان كاتب أمير سلاح ، ثم كتب الإنشاء بقلعة الجبل ، كان حسن الأخلاق كريم العشرة ، محتملا ، فيه كرم ، وله خط حسن ، ونظم كثير ونثر .

قال أبو حيان : جالسته مراراً وكتبت عنه ، وقرأ علينا من نظمه ، وخمس شذور الذهب تخميساً حسنا ، أنشدنى من لفظه رحمه الله تعالى :

---

(١) له ترجمة فى الدرر الكامنة لابن حجر (٤/٢٦٩) وفى شذرات الذهب لابن العماد (٦/٣٢) وذكر أنه توفى فى سنه ٧١٢هـ وفى النجوم الزاهرة (٩/٢٢٣) وذكر أن وفاته فى خامس عشر شعبان

تبسم فاستبكى ببـــارق ثغره سحائب جفن ما أحلت بعارض
مليح أصبناه بعـــين ونظرة فمن أجل هذا قد أصيب بعارض

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

بى فرط ميل إلى الغزلان والغزل فكيف لا يقصر العذال عن عذلى
مالوا على ولاموا فى الهوى عبثا مَنْ لم يمل سمعُه مذ كان للملل
أضحى الغرام غريمى فى هوى رشإ يغنيه عن كُحْله ما فيه من كَحَل
فالبدر من حسنه قد راح ذا كَلَف والورد من خده قد راح ذا خجل
تشاغلَ الناس فى الأسمار بى و به و إننى عن حديث الناس فى شُغُلِ

وقال أيضاً فى مليح اسمه سالم :

وأهيف تهفو نحو بانة قــده قلوب تبث الشجو فهى حمائم[1]
عجبت له إذ دام توريد خــده وما الورد فى حال على الغصن دائم
وأعجب من ذا أن حية شَعْره تَجُولُ على أعطافه وهو سالم

ومن شعره قصيدة بديعة فى معناها ، وهى :

ما مِلْتُ عنك لجفوة ومــلال يوما ، ولا خطر السلو ببـالى
يا مانحا جسمى السقام ، ومانعا طرفى المنــام ، وتاركى كالآل
عمن أخذت جواز منعى ريقك الــمعسول يا ذا المعطف العسال
عن شعرك الفحام أم عن ثغرك الــنظام أم عن طرفك الغزال
فأجابنى : أنا مالك أهل الهوى والحسن أضحى شافِعِى وجمالى
وشقائق النعمان أضحى ثابتا فى وجنتى وحماه رَشْق نبالى
فالصبر أحمد للمحب إذا ابتلى فى الحب من محن الهوى بسؤالى

---

(١) الأهيف : الضامر البطن ، وتهفو : تميل ، وبانة قده : من إضافة المشبه به للمشبه ، يريد قوامه الذى يشبه غصن البانة فى الاعتدال

وعلى أسارى الحب فى سجن الهوى ... بين الملاح عرفت بالقفال[1]
وقتلت معتزلىّ فى شرع الهوى ... وطرفت بالتنبيه عـين السالى
وتفقه العشاق فىّ فكل من ... نقل الصحيح أجزته بوصالى
والجوهرىُّ غدا بثغرى ساكنا ... يحمى الصحاح بقدىَ الميـال
وشهود حسنى لو نظرت إليهـم ... بين الأنام عجبت من أفعالى
جرح البكاء عيونهم وقلوبهـم ... وزكوا لقذف الدمع فى الأطلال
والشاهد المجروح عندى صادق ... هل فى قضاة العاشقين مثالى
وعلى رحيق الثغر صارم مقلتى ... ولّيته ولـكل ثغـر والى
وعلى مقامات الغرام شـواهد ... جسمى الحريرى والبديع مثالى
ولبست من حلل الجمال مفصَّلا ... حسن الملابس مذهب الغزال
ولحسنى الـكشاف فى جمل الضيا ... لمعا لإيضاح الفصيح مقالى
وأتى المطرز نحو خدّى راقما ... طرز العـذار وحار فى أشكالى
والواقدىُّ بنار هجرى والجفا ... وكلته فلكل سال صالى
وبلفظى الفراء يفرى قلب من ... وافى يناظر ناظرى بنصال
ومصارع العشاق بين خيامنا ... ومقاتل الفرسان يوم نزال
ورفضت نوم العاشقين فكل من ... ذكر الفراق فدمعه متوال
ولدىَّ سـلوان المطاع سفاهة ... لمتـيم أوثقته بحبالى
وخصصت إخوان الصفا برسائلى ... ولهـم صفا ودّى وهم آمالى
والبيهقىّ بوجـه كل معنف ... فى موقف التوديع والترحال
وبوجهىَ النقاش راح مفسراً ... سـور الملاحة من دليل دلالى

(١) فى هذه القصيدة تورية بكثير من أسماء المؤلفين وألقابهم كالقفال والجوهرى والبديع ، وبكثير من أسماء الكتب كالصحاح والمفصل والـكشاف ، وبكثير من قواعد الفنون كنقل الصحيح وأجزته .

ورقيبىَ الكلبىّ قــد أخسأته بوقوفه فى باب ذل ســؤالى
ومجاهـــد أضحى علىّ مقاتلا خوفاً من الرقباء والعذال[1]
وأبو نعيم منعما فى حِلْيــتى إذ بات يمليهـــا على النقال
وبطلعتى زاد المسير ومَبْسِمِى الــضحاك والمنثور حســن لآلى
ومحاسنى قوت القلوب تـكرّما ومناقب الأبرار حسن فعــالى
ولخدىَ الزهرىّ جنات المنى أضحى بها الثورى من أعمالى
وبمنطقى قس الفصاحة واعـظ فى فترة الأجفان للضلاَّل
وقميصُ حسنى قدّ من قبل الهوى بيـــدى اليمين وتارة بشمالى
والثعلبىّ رأى الوجوه بجهـده وحلا له فى النقل وجه الحال
وعلى أبى الجود اشتغلْتُ ونافع على كثير وعاصم متوالى
ولحسنى الأنساب يرويها عن الــعدل الزكى بصحة النقال
فــيراه للتمييز نصبا واجبا ورفعت عنه الهجر من أفعالى
ولىَ الخلافة فى الملاح فلحظى الســفاح والمنصور فى أقوالى
وعلى محــلى فى الجمال رواية فى راية نشرت ليوم جـدال
ومدينة العلم السخاوى أصبحت فى راحتى فعرفت بالبذال
قال الأوائل ما رأينا مثــله غصن رطيب مثمر بهـــلال
قد عمه الحسن القريب، وخاَله ما فى البرية منـــه قلب خال
فوصـــلت عشاق فلام معنفى فأجبته هـــذا الذى يبقى لى
القوم أبناء السبيل وعنــدنا تعطى زكاة الحسن كالأموال
قد طال ما نقلوا حديث محاسنى فهمُ عدولى صحةً ورجالى

---

(١) مجاهد، ومقاتل، وأبو نعيم: من أسماء المحدثين، ومناقب الأبرار، والحلية وزاد المسير وقوت القلوب: من أسماء الكتب.

هذى القصـيدة بالأئمة شرفت قدرى وُفُقْتُ بها على أمثالى
فكأنها العقد النظيم وهم بها الـــدرّ الثمين مكللا بلآلى

(٤٥٤)

أمير المؤمنين محمد بن هارون (الأمين بن الرشيد)

محمد بن هارون ، أمير المؤمنين الأمين بن أمير المؤمنين الرشيد بن المهدى [١].

كان ولى العهد بعد أبيه ، وكان من أحسن الشباب صورة ، أبيض ، طويلا ، ذا قوّة مفرطة و بطش وشجاعة وفصاحة وأدب و بلاغة ، ولـكنه كان سيء الرأى ، كثير التبذير ، أرعن ، عاش سبعا وعشرين سنة .

وآخر أمره خلع ثم أسر ، وقتل صبرا فى المحرّم سنة سبع [٢] وتسعين ومائة ، وطيف برأسه ؛ لأنه فى سنة خمس وتسعين خلع أخاه المأمون وعقد لعلىّ بن عيسى ابن ماهان على الجبال ونهاوند وقم وقاشان ، وأمر له بمائتى ألف دينار ، وأعطى لجنده مالا عظيما ، وفرّق على أهل بغداد ثلاثة آلاف ألف درهم ، وسارت العساكر لملتقى المأمون وعليهم ابن ماهان ، فلقيهم طاهر بن الحسين من قبل المأمون ، وهو فى أقل من أربعة آلاف فارس ، فـكسرهم ، وقتل ابن ماهان ، ولما وصل الخبر إلى الأمين قال : دعونى فإن كوثرا الخادم صاد سمكتين وأنا سمكة ، وقيل : إنّ جيش ابن ماهان كان أربعين ألف فارس ، وندم الأمين على خلع المأمون ، ثم جهز عبد الرحمن بن جبلة الأنبارى فى أربعين ألف فارس ، فسار إلى همذان فلقيه طاهر فقتله وكسر جيشه بعد حروب عظيمة ، وسار طاهر وقد خلت البلاد وتقدّم إلى الأهواز ، ثم تقدّم ونزل بباب الأنبار ، ثم سار وأحاط بمدينة المنصور ، فخرج الأمين فى حرّاقة هاربا ، فلما سمع طاهر بذلك خرج إليه ورماه بالنشاب

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ١١٦) وذكر فيه وفى شذرات الذهب (١/٣٥٠) أن قتله كان فى المحرم سنة ١٩٨ .

(٢) فى ب ، ث « تسع وتسعين ومائة » وانظر الهامشة ١ فى ص ٥٣٢ الآتية.

فانكفأت الحرّاقة وغرق الأمين ومَنْ كان معه ، فَسَبَح حتى صار إلى بستان موسى ، فعرفه محمد بن حميد ، فصاح بأصحابه ، ثم أخذ برجله ، وحمل على برذون إلى بين يدى طاهر ، فأمر بقتله ، وقطع رأسه ، ونصبه على حائط بستان ، ونودى عليه : هذا رأس محمد المخلوع ، ثم بعث به وبالبردة والقضيب والمصلّى مع ابن عمه محمد بن المصعب إلى المأمون ، وقال : قد بعثت إليك بالدنيا وهو رأس محمد الأمين وبالآخرة وهى البردة والقضيب ، فأمر المأمون لمحمد بن المصعب بألف ألف درهم ، ولما رأى رأس الأمين سجد .

وكان قتله سنة سبع وتسعين ومائة[1] ، وخلافته أربع سنين ، وكان الرشيد يَعْرف بالفِراسة ما يجرى بين الأمين والمأمون ، فكان ينشد :

محمدُ لا تُبْغِضْ أخاكَ فإنه ... يعودُ عليك البَغْىُ إن كنت باغيا
فلا تَعْجلاً فالدهر فيه كفاية ... إذا مال بالأقوام لم يُبْقِ باقيا

وفى الأمين يقول أبو الهول الحميرى :

ملك أبوه وأمه من نَبْعَةٍ ... منها سراج الأمّة الوهاج
شربوا بمكة فى ذُرَى بطحائها ... ماء النبوّة ليس فيه مزاج

يريد أن أباه وأمه من هاشم .

ومن شعر الأمين :

ما يريد الناس من صب بمن يهوى كئيب
كوثر دينى ودنيا ى وسقمى وطبيبى
أحمق الناس الذى يلحى محبا فى حبيب

---

(١) اتفقت ب ، ث هنا على «سبع وتسعين ومائة» مع وقوع «تسع وتسعين» فى صدر الترجمة ، وقد ذكرنا فى ص ٥٣١ أن السيوطى وصاحب الشذرات يحددان مقتله فى المحرم من ١٩٨ .

(٤٥٥)

أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد بن هارون (المعتصم بن الرشيد)

محمد بن هارون ، أبو إسحاق ، المعتصم بن الرشيد[١] .

ولد سنة ثمانين ومائة ، وأمه أمّ ولد اسمها ماردة .

بويع بعد المأمون بعهد منه إليه فى رابع عشر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، وكان أبيض ، أصهب اللحية طويلها ، رَبْع القامة ، ذا شجاعة وقوة وهمة عاليــة .

وكان يقال له «المثمن» لأنه ثامن خلفاء بنى العباس ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر ، وفتح ثمان فتوح ، وقَتَل ثمانية أعداء : بابك ، وباطش ، ومازيّار ، والأفشين ، وعجيف ، وفاروت ، وقائد الرافضة ، ورئيس الزنادقة ، وخلف من الذهب ثمانية آلاف ألف دينار ، ومن الدراهم مثلها ، ومن الخيل ثمانين ألف فرس ، وثمانية آلاف مملوك ، وثمانية آلاف جارية ، وبنى ثمانى قصور .

وكان عريا من العلم ، كان معه مملوك يتعلم فى الـكتاب ، فقال له أبوه : مات يا محمد غلامك ، فقال : نعم واستراح من الـكتاب ، فقال له أبوه : إن كان الـكُتّاب ليبلغ منك هذا ، دَعُوه ولا تعلموه .

وغزا عَمُّورِيّة وفتحها ، وقتل ثلاثين ألفا ، وسَبَى مثلهم .

وكان من أهيب الخلفاء ، وامتحَنَ العلماء فى القول بخَلْق القرآن ، وقال أحمد بن أبى دُوَاد : كان المعتصم يخرج يده إلىّ ويقول : عَضّ ساعدى بأكبر قوتك ، فأقول : ما تطيب نفسى ، فيقول : إنه لا يضرنى ، فأروم ذلك ، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنان .

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ١٣٢) وفى شذرات الذهب لابن العماد (٢/٦٣) وذكر أن وفاته فى شهر ربيع الأول، وانظر النجوم (٢/٢٥٠)

وقبض يوماً على جندى أخذ ابنا لامرأة فأمره برده ، فأبى ، فقبض عليه ، فسمعت صوت عظامه ، ثم أطلقه ، فسقط ، وكان ذلك فى حياة المأمون ، وجعل زند رجل بين إصبعيه فكسره .

وكان موته فى شهور سنة سبع وعشرين ومائتين ، وصلى عليه ابنه الواثق . ولكثرة عسكره وضيقِ بغداد عليه بنى سامرا ، وانتقل إليها بعسكره ، وذلك سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وعلق له خمسون ألف مخلاة ، ولما احتضر قال : ذهبت الحيلة ، ولم يزل يكررها حتى صَمَت .

ومن شعره ما أورده ابن المرزبان فى المعجم :

قَرِّبِ النحّام واعجل يا غلام   واطرح السرج عليه واللجام
أعلِم الأتراك أنى خائض   لُجَةَ الموت فمن شاء أقام

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لم يزل بابك حتى   صار للعالم عبرة
ركب الفيل ومن يركَبُ فيلا فهو شهره

وقال فى غلامه عجيب رحمه الله تعالى :

إنى هَوِيتُ عجيبا   هَوىً أراه عجيبا
طبيب مابى من الحب لاعدمْتُ الطبيبا
الوجه منه كبدر   والقدُّ يحكى القَضيبا

(٤٥٦)

أمير المؤمنين محمدبن هارون (المهتدى بن الواثق)

محمدبن هارون ، أميرالمؤمنين ، الخليفة الصالح ، المهتدى بن الواثق بن المعتصم ابن الرشيد [١] .

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ١٤٥) وفى شذرات الذهب لابن العماد (١٣٢/٢) وانظر النجوم الزاهرة (٢٤/٣) واسم الواثق هارون كاسم جده الرشيد

ولد فى خلافة جدّه سنة بضع عشرة ومائتين ، و بو يع له بالخلافة وله بضع وثلاثون سنة .

وكاق أسمر ، رقيقاً ، مليح الوجه ، ورعا ، متعبداً ، عادلا ، قويا فى أمر الله ، بطلا ، شجاعاً ، لكنه لم يجد ناصراً ولا معيناً على الخير ، وكان يلبس فى الليل جبة صوف وكساء ويصلى فيهما ، ويفطر فى رمضان على خبز وملح وزيت وخل ، ويقول : فكرت بأنه كان فى بنى أمية عمر بن عبد العزيز — وكان من التقلل والتقشف على ما بلغنا — فغِرْتُ على بنى هاشم ، وأخذت نفسى بذلك ، وكان قد طرح الملاهى ، وحرّم الغناء ، وحسم أصحاب السلطان عن الظلم ، وكان شديداً على الدواوين فخرج عليه الأتراك ، فحار بهم بنفسه ، وجرح ، فأسروه ، وقلعوه ، وقتلوه سنة ست وخمسين ومائتين[١] .

قال العمرانى : إن الأتراك عَصَروا خصاه حتى مات ، وبايعوا أحمد بن المتوكل ولقبوه المعتمد على الله ، وذلك فى سادس عشر رجب سنة ست وخمسين ، وكانت خلافة المهتدى سنة إلا خمسة عشر يوماً .

جلس يوماً للمظالم فاستعدى رجل على ابن له ، فأحضره ، وحكم عليه ، وردّ الحق للرجل ، فقال الرجل : أنت والله يا أمير المؤمنين كما قال الأعشى :

حكمتوه فقضى بينكم أَبْلَجُ مثل القمر الزاهر
لا يَقْبَلُ الرِّشْوَة فى حكمه ولا يبالى غَبَنَ الخاسر

فقال المهتدى : أما أنت فجزاك الله خيرا ، وأما أنا فإنى والله ما جلست حتى قرأت قوله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن

---

(١) ذكر ابن العماد فى الشذرات أن مقتله كان فى شهر رجب من سنة ٢٥٦.

كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين) قال الإسكافى : فما رأيت باكيًا أكثر من ذلك اليوم .

ومدحه البحترى بقصيدة منها :

هجرت الملاهى خشية وتفرّدا بآيات ذكر الله يتلى حكيمها

وما تحسن الدنيا إذا هى لم تعن بآخــرة حسناء يبقى نعيمها

وخلف من الولد سبعة عشر ذكرا وست بنات ، وأولاده أعيان أهل بغداد ، وهم الخطباء بالجوامع والعدول ، ولم يبق ببغداد أكثر من ولده ، رحمه الله تعالى !

(٤٥٧)

محمد بن هاشم الخالدى

محمد بن هاشم بن وعلة بن عثمان بن بلاد الخالدى[(١)] .

مضى ذكر أخيه سعيد فى حرف السين المهملة .

كانا شاعرين اشتركا فى كثير من الشعر ونسب إليهما معاً ، وكلاهما من خواص سيف الدولة بن حمدان ، والخالدية : قرية من قرى الموصل .

وتوفى فى سنة ثمانين وثلثمائة تقريبا .

وكانا خازنى كتب سيف الدولة ، وقد اختارا من الدواوين كثيراً ، وجمعا مجاميع أدبية .

ومن شعر محمد المذكور من أبيات :

وصنع شقائق النعمان يحكى يواقيتا نظمن على اقتران

وأحيانا تشبهها خـــدوداً كستها الريح ثوباً أرجوانى

شقائق مثل أقـــداح ملاء وخشخاش كفارغة القنانى

---

(١) له ترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (١٨٣/٢ بتحقيقنا) وانظر مع ذلك فهرست ابن النديم ١٦٩ ومعجم البلدان فى الكلام على الخالدية ووقع فى مكان «عثمان ابن بلاد» «عرام بن يزيد» وذكر بقية النسب .

ولما غازَلتْهَا الريح خِلنا ... بها جَيْشَىْ وَغًى يتقاتلان
تخال به ثغـــوراً باسمات ... إذا ما افتر نَوْر الأقحوان
وآذريونه قد شبهـــوه ... بتشبيه صحيح فى المعانى
بكأس من عقيق فيه مسك ... وهذا الحق أيد بالبيان

(٤٥٨)

أبو الوليد محمد بن يحيى بن حزم

محمد بن يحيى بن حزم .

من شعراء الذخيرة ، قال ابن بسام : أحلى الناس شعرا ، لاسيما إذا عاتب أو عتب ، وهو ابن عم الفقيه أبى محمد بن حزم ، وكنيته أبو الوليد .

ومن شعره :

أتجزع من دمعى وأنت أسلته ... ومن نار أحشائى ومنك لهيبها
وتزعم أن النفس غيرَكَ عُلِّقت ... وأنت ـ ولا منٌّ عليك ـ حبيبها
إذا طلعت شمس عليك بسلوة ... أثار الهوى بين الضلوع غروبها

ومن شعره رحمه الله من قصيدة :

والشمس ترمق من محاجر أرمد ... والظل يركض فى النسيم الوانى
والراح تأخذ من معاطف أغيد ... أخذ الصبا من عطف غصن البان
ملنا نؤمل غـــير ذلك منزلا ... والراح يقصر خطوه فيدانى
ثم اعتنقنا والوشاة بمعـــزل ... وقد التقت فى جفنه سِنَتَانِ[1]
والبدر يرمينى بمقـــلة حاسد ... لو يستطيع لكان حيث يرانى

وله أيضا رحمه الله تعالى :

وكم ليلة عاقَرْتُ فى ظلّها المنى ... وقد طرفت من أعين الرقباء[2]

---

(١) السنة ـ بكسر السين وفتح النون مخففة ـ النوم .
(٢) عاقر الخمر : أى تناولها وتعاطاها .

وفى ساعدى حلو الشمايل مترف لعـوب بيأسى تارة ورجائى
أطارِحُه حـــلو العتاب وربما تَغاضب فاسترضيته ببكائى
وفى لفظه من سَوْرة الراح فَتْرة تمتُّ إلى ألحـــاظه بولائى
وقد عابثته الراح حتى رمت به نَقِى بين ثَدْيَىْ بردتى وردائى
على حاجة فى النفس لو شئت نلتها ولـكن حمتنى عفتى وحيائى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وكم ليلة بات الهوى يستفزنى ولا رقبة دون الأمانى ولا ستر
وفى ساعدى بدر على غصن بانة يردمكانى بين لبـــاتهِ البدر
وفى لحظه كالسكر لا عن مدامة ولولا اعتراض الشك قلت هو السكر
فـلم يك إلا ما أباح لى التقى ولم يبق إلا أن تحل لى الخمر

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

كم ليلة ضمت عليه ساعدى والمسك يأخذ منـه ما يعطيه
والبدر من حسد يحمحم حوله ما ضر مجدك لو شركتك فيه

وتوفى بعد الخمسمائة ، رحمه الله تعالى !.

(٤٥٩)

مجير الدين محمد بن يعقوب (ابن تميم) الإسعردى

محمد بن يعقوب بن على[١] ، مجير الدين بن تميم ، الإسعردى ، وهو سبط فخر الدين بن تميم .

سكن حَماة ، وخدم الملك المنصور ، وكان جنديا محتشما شجاعا مطبوعا كريم الأخلاق، بديع النظم، رقيقه ، لطيف التخيل .

توفى بحماة سنة أربع وثمانين وستمائة .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (٥ / ٣٨٩) وفى النجـوم الزاهرة (٣٦٧/٧) .

وهو فى التضمين الذى عاناه فى فضلائه المتأخرين آية ، وفى صحة المعانى والذوق اللطيف غاية ؛ لأنه يأخذ المعنى الأول ، ويحل تركيبه ، وينقله بألفاظه إلى معنى ثان ، حتى كأن الناظم الأول إنما أراد به المعنى الثانى ، وقد أكثر من ذلك حتى قال :

أطالع كل ديوان أراه ... ولم أزجُرْ عن التضمين طيرى

أضمن كل بيت فيه معنًى ... فشعرى نصفه من شعر غيرى[1]

ومنه قوله يرثى قدحا :

أيا قَدَحًا قد صَدَّع الدهر شمله ... فأصبح بعد الراح قد جاور التربا

سأبكيك فى وقت الصَّبوح وإننى ... سأكثر فى وقت الغبوق لك الندبا[2]

وإن قَطَبت شمس المدام لفقدها ... لأنك كنت الشرق للشمس والغربا

ومنه قوله أيضا رحمه الله تعالى :

أهديته قدحا فإن أنصفته ... أوسعته لجماله تقبيلا

نَظَمَتْ به الصهباء در حبابها ... حتى تصير لرأسه إكليلا

ومنه قوله رحمه الله تعالى :

لَوَ انَّكَ إذ شربناها كؤسا ... ملئن من المدام الأرجوانى

حسبت سُقاتها دارت علينا ... بأشربة وقفْنَ بلا أوانى

ومنه قوله أيضا :

إن كان راووق المدامة عند ما ... تاب الأمير بكى بدمع قانى

فاليوم ينشد وهو يبكى عند ما ... شرب المدامة من يد السلطان

يا عينُ صار الدمع عندك عادة ... تبكين فى فرح وفى أحزان

---

(١) فى الشذرات ❊ أضمن كل بيت نصف بيت ❊

(٢) الصبوح — بفتح الصاد — شرب الغداة ، والغبوق — بفتح الغين — شرب العشى ، وأراد أول النهار وآخره .

ومنه قوله رحمه الله تعالى :

قالوا فلان تولّى نتف عارضه ليصبح الحسن منه غير منتقل
فقلت سَدَّ طريق الشَّعْر يعجزه ومن يسد طريق العارض الهطل

وقال أيضا رحمه الله تعالى يهجو كحالا :

دَعوا الشمس من كحل العيون فكفه يسوق إلى الطرف الصحيح الدواهيا
فكم ذهبت من ناظر بسواده وألقت بياضا خلفها ومآقيا

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

لو كنت فى الحمام والحنَّا على أعطافه وبجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة سال النضار بها وقام الماء

وقال فى مليح كان عند خصى فانتقل إلى غيره :

يقول ويبدى للخصىّ اعتذاره برغبته فى غيره واجتنابه
رأيتك مخصيا فملت إلى الذى له فضلة عن جسمه فى إهابه

وقال أيضا رحمه الله تعالى فى فوّارة :

لقد نزهت عينى أنابيب بركة تقابلنى أمواجها بالعجائب
أنابيب لجت فى علو كأنما تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

وقال أيضا رحمه الله تعالى فى عوّادة :

جاءت بعود كلما لعبت به لعبت بىَ الأشجانُ والتبريح
غنت فجاوبها ولم يك قبلها شجر الأراك مع الحمام ينوح

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا ليلة قصُرَت بزَوْرَةِ غادة سفرت فأغنى وجهها عن بدرها[1]

---

(١) الغادة : المرأة الناعمة ، وسفرت : أزالت عن وجهها النقاب .

حتى إذا خافت هجوم صباحها نشرت ثلاث ذوائب من شعرها

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

وأهيف مثل البدر غصنُ قوامه عليه قلوب العاشقين تطير

يدور عذاراهُ لتقبيل وجنة على مثلها كان الخصيب يدور

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ولم أنس قول الورد والنار قد سطت عليه فأمسى دمعه يتحدّر

ترفق فما هذى دموعى التى ترى ولكنها روحى تذوب فتقطر

وقال فى جارية تحمل فانوسا :

يقول لها الفانوس لما بدت له وفى قلبه نار من الوجد تسعر

خذى بيدى ثم اكشفى الثوبَ وانظرى ضنى جسدي لكننى أتستر

وقال فى مليح يشرب من بركة :

أفدى الذى أهوى بفيه شاربا من بركة راقت وكانت مَشْرَعا[1]

أبدت لعينى وجهه وخياله فأرتنى القمرين فى وقت معا

[وقال][2] :

طوبى لمرآة الحبيب فإنها حملت براحة غصن بانٍ أينعا

واستقبلت قمر السماء بوجها فأرتنى القمرين فى وقت معا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وليلة بت أسقى فى غياهبها راحا تسلُّ شبابى من يد الهرم

ما زلت أشربها حتى نظرت إلى غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

---

(١) المشرع : موضع ورود الماء .

(٢) زيادة يستدعيها المقام ، وإن كان البيتان قبلها والبيتان بعدها من وزن واحد وقافية واحدة ، وجهها أن الشطر المضمن ـ وهو قوله *فأرتنى القمرين فى وقت معا* ـ مكرر فى كل منهما .

ألا رب يوم قد تقضّى ببركة أقمت به فيما جرى متفكرا
بعينى رأيت الماء فيها وقد هوى على رأسه من شاهق فتكسرا

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

تأمل إلى الدولاب والنهر إذ جرى ودمعُهما بين الرياض غزير
كأن نسيم الروض قد ضاع منهما فأصبح ذا يبكى وذاك يدور

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ونهرٍ حالف الأهــواء حتى غدا طوعاً لهـا فى كل أمر
إذا سرقت حلى الأغصان ألقت إليه بها فيأخـذها و يجرى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لم أنس قول الورد حين جنيته ودموعُه خوفَ الحريق تُراق
لا تعجلوا فى أخذ روحى واصبروا فإليكم هذا الحديث يساق[1]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

سبقت إليك من الحديقة وردة وَافَتْكَ قبـل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك إذ رأتك فجمعت فمها إليـك كطالبٍ تقبيلا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

كيف السبيل للثم مَنْ أحببته فى روضة للزهـــر فيها مَعْرك
مابين منثور وناظـــر نرجس مع أقحوان وصفُه لا يُدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا ترنو إليــه وثغر هذا يضحك

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أيا حسنها من روضة ضاع نَشْرُها فنادت عليه فى الرياض طيور[2]
ودولابها كادت تُعَد ضلوعه لـكثرة ما يبـكى به و يدور

---

(١) نظم المثل « إليك يساق الحديث » .

(٢) ضاع : انتشر وذكا ، والنشر ـ بالفتح ـ طيب الرائحة .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى — فى موقف ما الموت عنه بمَعْزِلِ[1]
لترى أنابيب القناة على يدى — تجرى دماً من تحت ظل القسطل[2]

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

راقبت غفوة مَنْ أحب ولم أكن — أدرى بأن الريح من رقبائه
حتى هممت بأن أقبل خده — هبت وغطت وجهه بقبائه

وقال فى بستانه :

لى بستان كبير — نَجْده أصبح غوراً
دارت الأيام حتى — كبشه قد صار ثوراً

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

زار الحمى فتعطرت أنفاسه — شغفا بمن تصبو إليه الأنفُسُ
وأحب رؤيته فأنبت نرجسا — إن الرياض عيونهن النرجس

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

قالوا : رأيناك كل وقت — تهيم بالشرب والغناء
فقلت : إنى فتى قنوع — أعيش بالماء والهواء

وقال أيضا :

لو كان فيض الدمع يَرْجع مَنْ نأى — عنى بكيت لسائر الأعضاء
قلبى له قبر ، وتلك عجيبة — أن تقبر الأموات فى الأحياء

وقد اجتاز ليلة بدار بعض أصحابه ومعه شمعة فطفئت ، وقد أوقدها من داره ، وقال :

---

(١) تشهدنى : ترانى ، والوغى : الحرب .

(٢) القسطل — بزنة جعفر — التراب الذى يثور من تصادم الفرسان .

يا أيها المولى الشريف ومَنْ له ... فضل يفوق به على أهل الأدب
لما أزرتك شمعتى لتنيرها ... جاءت تحدث عن سراجك بالعجب
وافتــه حاسرة فقبل رأسها ... وأعادها نحوى بتــاج من ذهب

وقال أيضاً :

إن تاه ثغر الأقاحى فى تشبهه ... بثغر حِبِّىَ واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسما ... لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وقال فى مليح يطيل حمل الكأس :

قالوا : الذى تهواه يحبس كأسه ... فى كفه من غير ذنب موجب
فأجبتهم كفوا الملام فإنه ... قمر ينزه طرفه فى كوكب

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

تركت بمصر يوسفا وَهْوَ أمرد ... وقلت لخِلِّ قاصدٍ مصرَ يا فتى
لك الحمد بالرحمن عَرِّجْ بيوسف ... لتخبرنى عن نمل خديه هل أتى

وقال يفاخر بين السماء والأرض :

يا جاعل الأفق مثل الأرض حجته ... بالشمس إذ بزغت والبدر حين وَضَحْ
كم من شموس وأقمار إذا سرحت ... فى الأرض طرتْ إليها خفة وفرح
ولا تقل قزحٌ فى الجـــو زينه ... فى كل غصن ترى فى الأرض قَوْسُ قزح

وقال فى مليح ينظر فى المرآة :

وأهيف ظل بالمرآة مُغْرًى ... يواظب رؤية الوجه المليح[1]
يقول : طلبت معشوقاً جميلا ... فلما لم أجده عشقت روحى

---

(١) الأهيف : الضامر البطن ، ومغرى : مولع ومغرم .

وقال فى رَشَإٍ مليح :

وقد ساعدتنى مذ دفنت قوامه حمامةُ أيْكٍ بالغرام تنوح[1]
فكنت وإياها لأجل قوامه كلانا على الغصن الرطيب ينوح

وقال يهجو ، رحمه الله تعالى :

أنت بين اثنتين يانجل داو د وكلتاهما مَقَـرُّ السيادهْ
ليس تنفك راكبا أيْرَ عبد مُسْبَطِراً أوحاملاخُفَّ غاده[2]
أىُّ ماء لحر وجهك يبقى بين ذل البغا وذل القياده ؟

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى :

لمن أبوح بشعرى حين أنظمه أم من أخُصُّ بما فيه من الزبد
إمَّا جهول فلا يدرى مَوَاقعه أو فاضل فَهْوَ لايخلو من الحسد

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

حاذر أصابع مَنْ ظلمت ؛ فإنه يدعو بقلب فى الدجى مكسور
فالورد ماألقـاه فى جمر الغضى إلا الدعا بأصابـع المنثور

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

رعى الله وادى النيربن ؛ فإننى قطعت به يوماً لذيذاً من العمر
دَرَىأننى قد جئته متـنزها فمدَّ لأقدامى بساطا من الزهر
وأخدَمَنِى الماء الزلال فحيثما الـتفتُّ رأيت الماء فى خدمتى يجرى

وقال أيضاً ، سامحه الله تعالى :

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس الـمزرور قال ، وقَوْلُه لا يُدْفَع :

(١) كذا فى ب ، ث ، ولعله « بالغرام تبوح » .
(٢) مسبطراً : مضطجعاً ممتداً

فتح عيونك فى سواى فإنما   عندى قبالة كل عين إصبع

وقال أيضا ، سامحه الله تعالى :

ومدامـــة كاساتُهَا   تعطى الأمان من الزمان

قد أحكمت علم النجو   م وأتقنت سحر البيان

فإذا حساها الشــاربو   ن وأوقعتهم فى الأمانى

بدأت بإخراج الضمـــير وبعده عقد اللسان

(٤٦٠)

شهاب الدين محمد بن يوسف الشيبانى التلعفرى الشاعر

محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة ، الأديب ، البارع ، شهاب الدين ، الشيبانى ، التَّلَّعْفَرِى ، الشاعر المشهور .

وُلِدَ بالموصل سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، واشتغل بالأدب ، ومدح الملوك والأعيان ، وكان خليعاً معاشراً ، امْتُحِنَ بالقمار ، وكلما أعطاه الملك الأشرف شيئاً قامر به ، فطرده إلى حلب ، فمدح العـزيز ، فأحسن إليه ، وقرر له رسوماً ، فسلك معـه ذلك المسلك ، فنـودى فى حلب : أى من قامر مع الشهاب التلعفرى قطعت يده ، فضاقت عليه الأرض ، فجاء إلى دمشق .

ولم يزل يستجدى ويقامر حـتى بقى فى أتون حمام ، وفى الآخر نادم صاحب حماةَ .

توفى سنة خمس وسبعين وستمائة .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب (٥/٣٤٩) وفى النجوم الزاهرة (٧/٢٥٥) والتلعفرى ـ بفتح التاء وتشديد اللام مفتوحة أو تخفيفها وسكون العين وفتح الفاء ـ نسبة إلى تل أعفر ، وهو موضع بناحية الموصل . وذكره الذهبى فى وفيات سنة ٦٧٥ ، وديوان شعره مطبوع مراراً

ومن شعره :

أقلعتُ إلا عن العـــقار وتبت إلا من القمار(١)

فالكاس والقمْرُ ليس يخلو منهم يمينى ولا يسارى(٢)

وقال الشيخ شهاب الدين بن غانم ، رحمه الله تعالى : أنشدنى التلعفرى لنفسه :

جريت بحمراء الكميت إلى الشقرا مقر الهوى حسنا وأعرضت عن مقرا

ولم أخلِ بالخلخال من كأسها يدى وأثبت فى تاريخ ماسرنى شطرا

وأبصرت ما بين الميـــادين سائلا فلم أر إلا أن أقابله نهـــــرا

ولا ســيما والروض من حوله له بساط وقد مد النســيم له نشرا

فلله أيام تـــــــولت بجانبى يزيد ؛ فقد كانت ببهجتها العمرا

وما كان مقصودى يزيد وبرده ولكنّ قصدى كان أن أنظر الزهرا

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

أيطرق فى الدجى منكم خيال وطرفى ساهر ؟ هذا محال

سَقَتْ أيامنا بأراك حُزْوَى وهاتيك الربى سحبٌ ثقالُ

منازل للصبا ما زال شملى له فيها بمن أهوى اتصال

دموعى بعـــدها دال وميم على خـــدى له ميم ودال(٣)

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى من أبيات :

وإذا الثنية أشرقت وشممت من أرجائها أرجاً كنشر عبير

سل هضبها المنصوب أين حديثه الـــمرفوع عن ذيل الصَّبا المجرور

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

حتّام أرفُل فى هـــواك وتغفل وإلام أهزل من جفاك وتهزل

---

(١) أقلعت عن كذا : تركته ، والعقار : الخمر

(٢) فى ب «فالكأس والعض» (٣) فى الديوان « على خدى بهاميم ودال » .

يا مُضْرِما فى مهجتى بصدوده ... حُرَقًا يكاد لهنّ يذبل يذبل[1]
القلب دل عليك أنك فى الدجى ... قمر السماء ؛ لأنه لك منزل
هب أن خدكّ قد أصيب بعارض ... ما بال صدغك راح وهومسلسل
قسما بحاجبك الذى لم ينعقد ... إلا أرانى السبى وهو مُحَلَّلُ
وبماء ثغرك من سلافة ريقةٍ ... عذبت فقيل هى الرحيق السلسل
لو لا مُقَبلك المنظم عقـــده ... ما بات من يهواك وهو مقبل
حزنى وحزنك إن لغا مَنْ لامنى ... ونحوتَ هجرى مجمل ومفصل
لو كنت فى شرح المحبة عادلا ... يا ظالمى ما كنت عنى تعدل[2]
يا آمرى من نصحه بسُـــلُوه ... إن الســـلو كما تقول لأجمل
لـكن يعز خلاص قلب متيم ... تركته أيدى الهجر وهو مبلبل
هيهات كلا لا نجاة لمن غدا ... من جسمه فى كل عضو مقتَلُ

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى :

أرأيت غـــيرك يا حياة الأنفس ... من يحرسُ الورد الجنىّ بنرجس
أم هل سمعت بشمس أفق أشرقت ... من قبل وجهك فى ظلام الحندس[3]
ما من يدير بمقلتيه ووجنتيـــه وراحتيه لنا ثلاثة أكوس
ما زاغ عن نهج الصواب مشبه ... منك الجبين بشمعة فى المجلس
أنسيت ليلتنا وقد أخذ الـكرى ... بزمام هاتيـــك العيون النُعَّسِ
إذ قلت أين الراح قلت مغالطا ... يغنيك عنها رشف ثغرى الألْعَسِ
فضممت منك إلىّ غصناً لم يكن ... دون الغلائل بالخمائل مكتسى

---

(١) يذبل الأول اسم جبل ، ويذبل الثانى فعل مضارع ماضيه « ذبل الغصن » أى جف ورقه

(٢) عادلا : من العدل الذى هو ضد الظلم ، وتعدل : تنحرف وتميل

(٣) فى الديوان « بشمس أنس » .

يا حسنها من ليلة ما شانها إلا تبلج صبحها المتنفس
فوّقت للرّقباء فيها أسهما من مقلتيك لها حواجبُك القِسى
ما كنت أطمع قبلها فى مثلها فأعدْتنِي من مثلها لم أيأس

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى :

تولهى بك شىء عنك غير خفى فراقب الله فى الهجران لى وخَفِ
واعدل عن الظلم واعدل فى النفوس ولا تجُرْ على المستهام المغرم الدنف[1]
يارائشا أسهما من لحظ ناظره فوّق فغير فؤادى ليس من هَدَفِ[2]
سبحان معطيك خصرا غير مختصر لى فى العذاب وعطفا غير منعطف
إذا شكوت لترثى لى وترحم ما تراه من جسمى َالمضنى ومن كَلَفِي
يردنى آيسا من ذاك عارضك السلامى والمنثنى من قدِّك الألفِي[3]
أحبابنا بنواحى الغوطتين سقى ربو عكم وابل من دمعى َ الذرف
قد كنت قبل النوى أشكو الصدود فوا لهفى على الصد يومى ذا ويا أسفى
جادتكِ ياساحتى جيرون سارية من السوارى الثقال الوكف الوطف
ولا تعدَّاك يابا ناس منهمر يهمى على القصر والميدان والشرف
ملاعب كم بها من شادن غنج حلو الشمائل معسول اللمى ترف
مُحجَّبٌ بالتجنى والدلال رخيم اللفظ أحور مطبوع على صَلَفِ
بخده كل ما بالوردِ من ضرج وقدّه كل ما بالبان من هَيَفِ

وقال أيضا ، سامحه الله تعالى :

يذكرنى برق الحمى المتألق زمانا تولى بالحمى وهو مونق

---

(١) الدنف – بفتح الدال وكسر النون – المريض

(٢) فوق السهم : سدده نحو الرمية ، والهدف : ما يرمى إليه

(٣) الألفى : أى المنسوب إلى الألف التى هى من حروف الهجاء ، يريد أنه معتدل منتصب كالألف ، وفى الديوان « عارضك الآسى »

ويرتاح قلبى للنسيم إذا سرى ويطرب ذاك الحمام المطوّق
سقى بانة الجرعاء إن أخلف الحيا وضنّ حيا من عبرتى يتدفق[١]
ولا حاد عن تلك المعاطف صَيِّبٌ من المُزْنِ أو من مقلة الصب مغدق[٢]
منازل تصبينى إليها نُسَيْمة لها أرج أرجاؤها منه تعبق
عدمت عذولى كم يعنف فى الهوى حليف غرام نال منه التشوّق
إذا لامنى أنشدته متمثلا (بودّى لو يهوى العذول ويعشق)
كلفت بأحوى من بنى الترك أحور له غصن قدّ بالذوائب مورق
رشيق التثنى والمعاطف ألعس الـمراشف يُصمى طرفه حين يرمق
حمى بحسام اللحظ خدّا موردا غدت منه أكمام الشقيق تشقق
له ناظر فى ضمنه وهو أسود عدوّ لأرباب الصبابة أزرق

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

ألمّ بى طيفه إلمامَ مختلسٍ فأشرقت بسناهُ ظلمة الغلس[٣]
حكى على بُعْدِهِ لى منه بدر دجى على قضيب بغير الدل لم يَمِس
طيف غنيت به عن شَيْمِ بارقةٍ وعن تلقى صبا مسكية النفس
أراحَنِى من مواعيد مزخرفة أجريت منهن آمالى على يَبَسِ
فبت فى نعمة لليل سابغة ممتعا باللمى والثغر واللعَسِ
أردِّدُ الطرف فى خد نَضَارته وقف على مُشْتَقٍ منها ومقتبس
خدّ متى قلت إن الورد يشبهه قال الجمال : تأمل ذا وذا وقس
شققت أكمام صون عن شقائقه بالرغم من نرجس فى الأعين النعس

---

(١) الحيا : المطر ، وضن : بخل بالماء ، و « حيا من عبرتى » هو فاعل سقى فى أول البيت (٢) الصيب : المطر المتتابع ، ومغدق : كثير الماء

(٣) فى ب ، ث « طيفه النمام مختلسا » وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

فيالها زورة ما كان لى طمع فيها لعلمى بخلق الزائر الشرس

بات الغــرام لها فى مأتم وأنا بمنة عظمت للطيف فى عُرُس

وافى بمن لم أخلْ أنى أفوز به لما على طرفه دونى من الحرس

فلاعدمتُ الكرى من محسن أجِدُ الإيمان بالأنس لى ممن إليه نسى

وقال أيضا رحمه الله من أبيات :

فى ثغره والقوام اللّدْنِ أنفُ غِنًى عن أبرق الجزع بل عن بانة الوادى

سبحان مَطْلِعِ بدر التم منه على غصن رطيب من الأغصان مياد

سكرت من نشوة فى مقلتيه صَحَا منها وزاد ضلالى وجهُهُ الهادى

ما ضرنى ما أقاسى فيه من سقم ومن ضَنًى لو غدا من بعض عُوّادى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أىّ دمع من الجفون أسالَهْ إذ أتته مع النسيم رساله

حَمّلته الرياض أسرار عَرْفٍ أودعتها السحائب الهطاله

ياخليلىّ ، وللخليل حُقُوق واجبات الأداء فى كل حاله

سلْ عقيق الحمى وقُلْ إذ تراه خاليا من ظبائه المختاله

أين تلك المراشف العسليا ت وتلك المعاطف العساله[1]

وليالٍ قضيتها كلآل بغزال تغار منه الغزاله

بأبى اللحاظ والريق والألــفاظ ، كل مدامة سلسا له

ونقى الجبين والخد والثغــر ، فطوبى لمن حساجر ياله

وطويل الصدود والشعر والمطـــل ، ومن لى بأن يديم مطاله

مِنْ بنى الترك كلما جذب القو س رأينا فى كفه بدر هاله

---

(١) المراشف : جمع مرشف ، وأراد به الفم ، والعسليات : المنسوبة إلى العسل ، والمعاطف : جمع معطف ، وأراد به القوام ، والعسالة : التى تهتز كالرمح

يقع الوهم حين يرمى فلا ند ... رى يداه أم عينه النّبّاله

قلت لما لوى ديون وصالى ... وَهْو مُثْرٍ وقادر لا محاله[1]

بيننا الشرع قال مر بى فعندى ... من صفاتى لكل دعوى دلاله

وشهودى من خال خدى ومن قد ... ى شهود معروفة بالعداله

أنا وكلت مقلتى فى دِمَا الخلـ ... ـق فقالت قَبِلْتُ هذى الوكاله

وكتب إليه الأديبُ شهاب الدين العمادى[2] بهذه الموشحة يمدحه بها :

بات طرفى يتشكّى الأرقَا ... وتوالت أدمُعِى لا ترتقى

ليت أيامى ببانات اللوى ... غفلت عنها لُوَيْلَاتُ النوى

عاذلاتى باعتلاقى بالهوى ... كيف سلوانى وقلبى والجوى

أقسما فى الحب لن يفترقا ... وجفونى أقسمت لا تلتقى

ولقد هِمْتُ بذى قد نضِر ... قامة البانة منها تنهصر

ذى رُضاب بارد الظَّلْم خصر ... فى فؤادى منه نار تستعر

رشأ قلبى به قد علقا ... جل من صَوَّره من عَلَقِ

سال عن سالفه المسك فنم[3]

وشذا المسك أبى أن يكتتم

مذ تبدى وتثنى وابتسم

خلته بدرا على غصن نقا ... باسما عن أنفس الدرّ نقى

ساد بالدَّلِّ وفرط الخفر ... سانحات الظَّبيَات العفر

مثل ما فاق فتى التلعفرى ... قالَةَ الشعر بوشى الحبر

---

(١) لوى الدين : مطله

(٢) فى الديوان « شهاب الدين العزازى » وهو كذلك فى موشحة التلعفرى

(٣) هذه الأشطر الثلاثة تنقص رابعاً ليتم نسق الموشحة ، وليس فى الأصول غير ما أثبتناه

أريحيّ خص لما خلقا ... بسخا النفس وحسن الخلق
شيمةأصفى من الراح الشمول ... همة أوفت على العلياء طول
نَبْعةجَرّتْ على النجم الذيول ... دوحة طابت فروعا وأصول
سح جودا فى ذَرَاها ورَقَا ... فكساها يانعات الورق
شاعر فاق فحول الشعرا ... بقواف مثل إطراق الكرا
باسمات تجتلى منها الورى ... ثغرا يبسم أو زهرا يرى
كلما لاح سناها مشرقا ... سجد الغرب لنور المشرق
أيها الموفى على عهد الزمن ... كرما محضا وفضلا ومنن
حاكه الخادم من غير ثمن ... جالب الوشى لصنعاء اليمن
فاسْتَمِعْهَا زادَكَ الله بقا ... مدحة لم يحكها ابن نقى

فأجابه شهاب الدين التلعفرى رحمه الله تعالى :

ليس يروى ما بقلبى من ظما ... غير برق لائح من إضم
إن تبدى لك بانُ الأجرع ... وأثيلات النقا من لعلع
يا خليلى قف على الدار معى ... وتأمل كم بها من مصرع
واحترز واحذرفأحداق الدُّمَى ... كم أراقت فى رباها من دم
حظ قلبى فى الغرام الوَلَهُ ... فعذولى فيه مالى وَلَهُ
حَسْبِيَ الليل فما أطوَلَهُ ... لم يزل آخره أوله
فى هوى أهيف معسول اللمى ... ريقه كم قد شفى من ألم
سائلى عن أحمد مما حوى ... من خلال هى للداء دوى[1]
ما سواه وهو يا صاح سوى ... ناشر من كل فن ما انطوى
بحر آداب وفضل قد طما ... فاخش من آذيِّهِ الملتطم[2]

---

(١) دوى : أصله « دواء » فقصره ، وكتب بالياء ليتفق مع ما قبله وما بعده
(٢) الآذى ــ بالياء المشددة ــ الموج

العزازىُّ الشهــاب الثاقب   شــكره فرض علينا واجبْ
فهو إذ تبلوه نعم الصاحب   سهمه فى كل فن صائب[1]
جائل فى حَلْبة الفضل كما   جال فى يوم الوغى شهمٌ كَمِى[2]
شــاعر أبدع فى أشعاره   ومتى أنــكرت قولى بَارِهِ[3]
لو جرى مهيار فى مضماره   والخــوارزمى فى آثاره
قلت عُودا وارجعا من أنتما   ذا امرؤ القيس إليه ينتمى

وكان بالقاهرة قد عشق صبياً يلقب بالنجم ، فسافر ، ووجد عليه وحزن ، فــكتب إليه عز الدين بن امسينا بهذه الأبيات يسأله عن حاله و يسليه :

يا خليــلىَّ حدثانى بعــلم   كيف حال الشهاب بعد النجم
واقصصا لى حديثه فلقد قلَّ   اصطبارى وزاد فــكرى ووهمى
فمن المستحيل بعد رواح الر   وح عنــد الورى بقاء الجسم
ثم قولاله مقــــال أخ بر   شفيق بغــــير ظن ووهم
يا شهــــابا أنوار بهجته الغرا   ءتجــــلو عنا دياجى الظلم
إن تناءى فلا أقل من الإلمــــام   شوقا من الديار برسم
فاصرف الهم عن فؤادك إن أمــــكن   تصريفه بإبنة كرم

فأجابه الشهاب التلعفرى رحمه الله :

بأبى أنت يا خليــــلى وأمّى   أنت قوسى إذا رمَيْتُ وسهمى
أنت والله لى حســام جُرَاز   فيــه للنائبات أعظم حَسْم
كيف أخشى ذلى ولى منك عز   ما ترقّتْ إليــــه همة نجم
نَظَمَتْ فيك للمعــــالى عقودا   معجزات جميعُ نثرى ونظمى

---

(١) تبلوه : تخبره وتمتحنه
(٢) الشهم : الشجاع ، والـكمى : المتكمى فى سلاحه ، أى المستتر فيه لـكثرة السلاح (٣) باره : فعل أمر من المباراة ، وهى المجاراة فى المادح ليعلم السابق

سيدى ما يطيق عبدك يشكو ما يقاسى من فرط وجد وغم
مذ توَلَّى نجمى علمت بأنى هابط فى جميع أمرى ونجمى
الليالى عندى ظلام وظلم بعد ذاك اللمى وذاك الظلم
جملةُ الأمر أن لى بعده دمعا كجدْوَاك فى انسكاب وسَجْم

وقال أيضا ، سامحه الله تعالى :

مالى ولمصر لاسقاها ربى غيثا غدقا من ساريات السحب
بالروح دخلتها وبالقلب فلا بالروح خرجت لاولا بالقلب

(٤٦١)

أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطى النحوى

محمد بن يوسف[1] بن على بن يوسف بن حيان ، الشيخ الإمام الحافظ العلامة ، فريد العصر ، وشيخ الزمان ، وإمام النحاة ، أثير الدين ، أبو حيان ، الغرناطى .

قرأ القرآن بالروايات ، وسمع الحديث ببلاد الأندلس وجزيرة إفريقية وثغر الإسكندرية وبلاد مصر والحجاز ، وحَصَّل الإجازات من الشام والعراق وغير ذلك واجتهد وطلب وحصل وكتب ، وله إقبال على الطلبة الأذكياء ، وعنده تعظيم لهم ، نَظَم ونثر ، وله الموشحات البديعة ، وهو ثَبْتٌ فيما ينقله ، محرر لما يقوله ، عارف باللغة ، ضابط لألفاظها ، وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما ، وله اليد الطُّولىٰ فى التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم وتقييد أسمائهم ، خصوصا المغاربة ، على ما يتلفظون به من إمالة وترخيم وترقيق وتفخيم ، وهو الذى جَسَّر الناس على مصنفات جمال الدين ابن مالك ، ورغبهم فى قراءتها ، وشرح لهم غامضها ، وخاض بهم لججها ، وفتح لهم مقفلها ، والتزم أن لا يقرىء أحدا إلا إن كان فى سيبويه أو فى التسهيل لابن

(١) له ترجمة فى بغية الوعاة للسيوطى (ص ١٢١) وفى نفح الطيب للمقرى (٢٨٩/٣ بتحقيقنا) وفى شذرات الذهب لابن العماد (١٤٥/٦) وفى النجوم الزاهرة (١١١/١٠) وفى الدرر الكامنة لابن حجر (٣٠٢/٤) وهو من نفزة — بكسر النون وسكون الفاء — قبيلة من البربر

مالك أو فى مصنفاته ، ولما قدم من البلاد لازم الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله تعالى وأخذ عنه كتب الأدب ، وكان حسن العمة ، مليح الوجه ، زاهر اللون مُشْرَبًا بحمرة ، منور الشيب .

مولده بغَرْناطة فى شهور سنة أربع وخمسين وستمائة ، وتوفى بالديار المصرية فى أوائل سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى !.

ومن نظمه :

سبق الدمع بالمسيل المطايا ... إذ نوَي من أحب عنى نُقْلَهْ

وأجاد السطور فى صفحة الخد ... ولِمْ لا يجيد وهو ابن مُقْلَه ؟

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

يقول لى العذول ولم أطِعْهُ ... تسلَّ فقد بدا للحِبِّ لحيه

تخيل أنها شانت حبيبى ... وعندى أنها زين وحِلْيَهْ

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

شوقى لذاك المحيا الزاهر الزاهى ... شوق شديد وجسمى الواهن الواهى

أسهرت طرفى ودلَّهت الفؤاد هوى ... والطرف والقلب منى الساهر الساهى

نهبت قلبى وتنهى أن أبوح بما ... تلقاه واشوقه للناهب الناهى

بهرت كل مليح بالبهاء فما ... فى النيرين شبيه الباهر الباهى

لهجت بالحب لما أن لهوت به ... عن كل شىء فويح اللاهج اللاهى

وقال أيضاً ، سامحه الله تعالى :

رَاضَ حبيبى عارضٌ قد بدا ... يا حُسْنه من عارض رائض(١)

وظن قوم أن قلبى سلا ... والأصل لا يُعْتَدّ بالعارض(٢)

---

(١) راضه : ذلله وسهل قياده ، والعارض : الشعر الذى ينبت فى الخد

(٢) فى نسخة « فظن قوم »

وقال أيضاً ، سامحه الله تعالى :

تعشقته شيخا كأن مشيبه ... على وجنتيه ياسمين على ورد
أخا الفضل يدرى مايراد من الهوى ... أمِنْتُ عليه من رقيب ومن ضد
وقال الورى قسمان فى شرعة الهوى ... لسود اللحى ناس وناس إلى المُرْدِ
ألا إننى لو كنت أصبو لأمرد ... صبوت إلى هيفاء مائسة القد
وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركا ... فأحببت أن أبقى بأبيضهم وحدى

وقال فى مليح أحْدَبَ رحمه الله :

تعشقته أحـدبا كيسا ... يحاكى نحيبا حنين البغـام[1]
إذا كدت أسقط من فوقـه ... تعلقت من ظهره بالسَّـنَام

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

عداتى لهم فضل على ومنـة ... فلا أذهَبَ الرحمن عنى الأعاديا
هُمُ بحثوا عن زلتى فاجتنبتها ... وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

رجاؤك فلسا قد غدا فى حبائلى ... قنيصا رجاء للنتاج من العُقمِ
أأتعب فى تحصيله وأضيعه ... إذاً كنت معتاضا من البرء بالسقم

وقال أيضاً رحمه الله فى مليح فحام :

وعُلِّقته مسودَّ عين ووَفْرة ... وثوب يعانى صنعة الفحم عن قصد[2]
كأن خطوط الفحم فى وجَناته ... لطاخة مسك فى جَنِيّ من الورد

وقال أيضا رحمه الله موشحة :

إن كان ليل داج ... وخاننـا الإصباح

---

(١) البغام : صوت الظبية ، وفى النفح * يحاكى نحيبا حنين النعام *
(٢) الوفرة — بفتح الواو وسكون الفاء — الشعر

فنــورها الوهاج يغـنى عن المصباح
ســلافة تبــدو كالكوكب الأزهر
مزاجها شهــــد وعَرْفُها عنـــبر
ياحبـــذا الوِرْدُ منها وإن أسكر
قلـــبى بها قد هاج فما ترانى صـــاح
عن ذلك المنهاج وعن هوى ياصاح
وبى رشـــا أهيف قد لجّ فى بعــــدى
بدر فــــلا يخْسَفْ منه سنا الخـــد
بلحظــــه المرهف يسطو على الأسْدِ
كسطوة الحجـــاج فى النـــاس والسفاح
فما ترى من ناج من لحظــه السفاح
علل بالمســـك قلبى رشا أحـــور
منعـــم المَسْكِ ذو مبسم أعطـــر[(١)]
ريـاه كالمســـك وريقـــه سكر
غصن على رجــراج طاعت له الأرواح
فحبـــذا الآراج إن هبت الأرياح
مهـــلا أبا القاسم على أبى حيـــان
ما إن له عاصم من لحظك الفتان
وهجـــرك الدائم قد طال بالهـــيان
فدمعه أمـــواج وسرّه قــــد لاح[(٢)]

---

(١) المسك ــ بالفتح ــ الجلد ، يريد أن جلده ناعم
(٢) فى نفح الطيب « وسره قد باح »

لـكنه ما عاج ولا أطاع الـلاح
يا رُبَّ ذى بهتان يعــذل فى الراح[1]
وفى هوى الغـزلان دافعت بالراح
وقلتُ لا سلوان عن ذاك يالاح
سبع الوجوه والتاج هى منيـة الأفراح[2]
فاختر لى يازجاج قُمْصَال وزوج أقداح[3]

وقال يعارض موشح ابن العفيف التلمسانى :

عاذلى فى الأهيف الأنس لو رآه كان قد عـذرا
رشأ قد زانه الحـوَرُ غُصُن من فوقه قمَر
قمر من سحبـه الشَّعَرُ ثَغَر فى فيه أم درر
حال بين الدر واللعس خمرة من ذاقها سكرا
رجـة بالردف أم كَسَل رِيقة بالثغـر أم عسل
وردة بالخدّ أم خجـل [كَحَل بالعَيْنِ أم كُحُلُ][4]
يا لها من أعين نُعُسِ جلبت للناظر السهرَا
مذ نأى عن مقلتىَّ سَنِى ما أذيقا لذة الوسن
طال ما ألقاه من شجن عجباً ضـدّان فى بدن
بفؤادى جذوة القَبَسِ و بعيــنى الماء منفجرا
قد أتانى الله بالفرج إذ دنا منى أبو الفرج
قمر قد حــل بالمهج كيف لا يخشى من الوهج
غـيرهُ لو صابه نفسى ظنه من حَـرِّه شَرَرَا

---

(١) فى النجوم عن سكردان السلطان « يعذلنى فى الراح »
(٢) فى النجوم « هى منية الأرواح »
(٣) فى ب « من كل روح أرواح » وما أثبتناه عن نفح الطيب ، والقمصال : كلة مغربية معناها الوعاء الذى يستعمل للشرب وأصلها لاتينى (٤) زيادة عن النفح

نصب العينين لى شركا فانثنى والقلب قد ملكا
قمـــر أضحى له فلكا قال لى يوما وقد ضحكا :
أتجى من أرض أندلس نحو مصر تعشق القمرا ؟

والموشحة التى لشمس الدين محمد بن التلمسانى رحمه الله فى هذا الوزن هى :

قمـــر يجلو دُجى الغَلَسِ بَهَرَ الأبصار مذ ظهـــرا [1]
آمِنٌ من شبهة الـكلف ذبت فى حبيه بالـكلف
لم يزل يسعى على تلف بركاب الدَّلِّ والصلَفِ [2]
آه لولا أعين الحرس نلت منه الوصل مقتدرا
يا أمـــيراً جار مذ وليا كيف لا ترثى لمن بليا
فبثغر منك قد جليـــا قد حلا طعما وقد حليا
وبمـا أوتيت من كَيَسِ جُـدْ فما أبقيت مصطَبِرَا
بدر تم فى الجمال سَـــنِى ولهـــذا لقبوه سنى
قد ســـبانى لذة الوسن بمحيـــا باهر حسن
هو خَشْفِى وهو مفترسى فأروعن أعجوبتى خبرا
لك خـــد يا أبا الفرج زِينَ بالتوريد والضَّرَجِ
وحديث عاطـــر الأرج كم سبى قلبا بلا حــــرج
لو رآك الغصن لم يَمِسِ أو رآك البـــدر لاستترا
يا مذيبا مهجـــتى كمدا فقت فى الحسن البدور مدا
يا كحيلا كحـــله اعتمدا عجباً أن تبرئ الرمـــدا
وبسقم الناظرين كسى جفنك السحار فانكسرا

(١) يجلو : يكشف ويمحو ، والدجى : جمع دجية ، وهى الظلام الشديد ، وبهر الأبصار : غلبها

(٢) الصلف ـ بالتحريك ـ التيه والـكبر.

ومدحه محيي الدين بن عبد الظاهر بقوله :

قد قيل لما أن سمعت مباحثا ... فى الذات قرّرها أجـــل مفيد
هذا أبو حيان قلت صـــدقتم ... وبررتم هذا هو التوحيـــدى

وأمّا ما صنفه فهو : البحر المحيط فى تفسير القرآن العظيم ، إتحاف الأريب بما فى القرآن من الغريب ، كتاب الأسفار الملخص من كتاب الصفار ، شرح سيبويه ، كتاب التجريد لأحكام سيبويه ، كتاب التذييل والتكميل فى شرح التسهيل ، كتاب التسجيل من شرح التسهيل ، كتاب التذكرة ، كتاب المبدع فى التصريف، كتاب الموفور ، كتاب التقريب ، كتاب التدريب ، كتاب غاية الإحسان ، كتاب النكت الحسان ، كتاب الشذا [1] فى مسألة كذا ، كتاب الفصل فى أحكام الفصل ، كتاب اللمحة ، كتاب الشذور، كتاب الارتضاء فى الفرق بين الضاد والظاء ، كتاب عقد اللآلى ، كتاب نكت الأمالى، كتاب النافع فى قراءة نافع، الأثير فى قراءة ابن كثير ، الورد الغمر فى قراءة أبى عمرو، الروض الباسم فى قراءة عاصم ، المزن الغامر فى قراءة ابن عامر ، الرمزة فى قراءة حمزة، النائى فى قراءة الكسائى ، النثر الجلى فى قراءة زيد بن على ، الوهاج فى اختصار المنهاج ، النور الأحلى واختصار المحلى ، الحلل الحالية فى أسانيد القراءات العالية ، الإعلام بأركان الإسلام ، نثر الدرر ونظم الزهر ، قطر الحبى فى جواب أسئلة الذهبى ، نوافث السّحر فى دماثة الشعر ، تحفة النَّدُس فى نحاة الأندلس ، الأبيات الوافية فى علم القافية ، مشيخة ابن أبى المنصور، الإدراك للسان الأتراك ، زهو الملك فى نحو الترك ، نفحة المسك فى سيرة الترك ، الأفعال فى لسان الترك ، منطق الخرس فى لسان الفرس، ومما لم يكمل تصنيفه : كتاب مسلك الرشد فى تجريد مسائل نهاية ابن رشد ، منهج

---

(١) فى ب ، ث « كتاب الشفا ، فى مسألة كذا »

السالك فى الكلام على ألفية ابن مالك ، نهاية الإعراب فى علم التصريف والإعراب ، رجز مجانى القصر فى شعراء العصر ، المخبور فى لسان اليحمور ، رحمه الله !

(٤٦٢)

محمود بن حسن الوراق

محمود بن حسن الوارق .

أكثر شعره فى المواعظ والحكم ، روى عنه ابن أبى الدنيا ، وتوفى فى خلافة المعتصم فى حدود الثلاثين والمائتين[١] .

ومن شعره ، رحمه الله :

ما إن بكيت زمانا ... إلا بكيت عليه
ولا ذممت صديقا ... إلا رجعت إليـــه

وقال أيضا ، سامحه الله تعالى :

وما صاحب السبعين والعَشْر بعدها ... بأقرب ممن حنكته النوائـــل[٢]
ولكنّ آمالا يؤمِّلها الفـــتى ... وفيهنّ للراجين حق وباطـــل

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى :

يا ناظراً يرنو بعيـــنى راقد ... ومشاهد للأمر غير مشاهد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى ... درك الجنـان بها وفوز العابد
ونسيت أنّ الله أخرج آدما ... منها إلى الدنيا بذنب واحـد

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أليس عجباً بأن الفـتى ... يصاب بنقص الذى فى يديه
فمن بين باكٍ له مُوجَعٍ ... وبين معز معز إليه

---

(١) ولى المعتصم الخلافة سنة ثمان عشرة ومائتين ، ومدة خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، ومات يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين (انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٣٣ والترجمة رقم ٤٥٥ من كتابنا هذا)

(٢) فى ب « حنكته القوابل »

ويسلبه الشيبُ شَرْخَ الشباب فليس يعزيه خلق عليه

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

سَقْياً لأيام خلت وكأنّ أوجهها رياض

أيام يحيينا الهوى وتميتنا الحدَقُ المِرَاضُ

وقال أيضا :

أىّ جهل يكون أَبْيَنَ من جهـــلٍ أرانى أضحى عليه وأمسى

أبغض الناس إن ظننت على الظنّ وأنسى اليقين من علم نفسى

وقال أيضا :

إذا أعطاك قَتَّرَ حين يعطى وإن لم يعط قال أبى القضاء[1]

يُبَخِّلُ ربه سَفَهًا وظلما ويعذر نفســه فيما يشاء

وقال أيضا :

الدهر لا يبقى على حالةٍ لكنه يُقْبِل أو يُدْبِر

فإن تلقّاك بمكروهه فاصبر فإنّ الدهر لا يصبر

وقال أيضا :

تعصى الإلهَ وأنت تظهر حبه هذا محال فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وقال أيضا :

دَارِ الصديق إذا استشاط تغضبا فالغيظ يُخرج كامن الأحقاد[2]

ولربمـــا كان التغضب باحثا لمثالب الآباء والأجـــداد

---

(١) قتر : ضيق وأعطى قليلا

(٢) استشاط : ثار وتحرق من الغضب

وقال أيضا :

تعزَّ بحسن الصبر عن كل هالك فني الصبر مَسْلاة الهموم اللوازم
إذا أنت لم تَسْلُ اصطباراً وحِسْبة سلوت على الأيام مثل البهائم

وقال أيضا :

لبست صروف الدهر كهلا وناشئا وجرّبت حاليه على العسر واليسر
فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر

وقال أيضا ، سامحه الله تعالى :

أيا رب قد أحسنت عوداً وبَدْأة إلىّ فلم ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة فعذرى إقرارى بأن ليس لى عذر

(٤٦٣)

شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحنبلى[1]

شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد ، العلامة ، البارع ، البليغ ، الكاتب ، الحافظ ، ابن الشيخ ، الحلبي ، الدمشقى ، الحنبلى .

وكان مولده بدمشق سنة أربع وأربعين وستمائة ، وتوفى فى شهور سنة خمس وعشرين[2] وسبعمائة .

كتب المنسوب ، ونسخ الكثير ، وتفقه على ابن النجار وغيره ، وتأدب على ابن مالك ، ولازم الشيخ مجد الدين بن الظهير ، وسلك طريقته فى النظم وأربى عليه ، وحذا حذوه فى الكتابة ، ونقله الوزير شمس الدين بن السلعوس إلى مصر ، وتقدم ببلاغتـه وبديع كتابته وإنشائه وسكونه وتواضعه ، وأقام بالديار المصرية إلى توفى القاضى شرف الدين بن فضل الله ، فجهز إلى دمشق

(١) له ترجمة فى الدرر الكامنة لابن حجر (٣٢٤/٤) وفى شذرات الذهب لابن العماد (٦٩/٦) وفيه « محمود بن سليمان » وفى النجوم الزاهرة (٢٦٤/٩) وفيه « محمود بن سليمان » أيضاً

(٢) وقع فى ب ، ث « سنة خمس وخمسين وسبعمائة » وهو خطأ تصحيحه عن الدرر والشذرات والنجوم

صاحب ديوان إنشائه ، فأقام على المنصب ثمانية أعوام ، وتوفى رحمه الله ، وصلى عليه الأمير سيف الدين تنكز ، ودفن فى تربته بسفح قاسيون .

وله من التصانيف : مقامة العشاق ، وكتاب منازل الأحباب ، وحسن التوسل ، وأسنى المنائح فى أسنى المدائح .

وكان ممن أتقن الفنين المنظوم والمنثور ، كتب إليه السراج الوراق ملغزاً فى سجاده :

يا إماما ألفاظه الغرُّ فى الأسـماع تزرى بالدر فى الأسماط[1]

وشهابا تجاوز الشهب قدرا فغدت عن علاه ذات انحطاط

أى أنثى وطئت منها حلالا مستبيحاً ما لا يباح لواطى

لم أحاول تقبيلها غير خمس حال زهدى فيها وحال اغتباطى

وهى فى صورة خماسية ما فقهتْ لا ولا دنت للتواطى

وهى مملوكة وعنـد أناس هى ست على اختلاف التعاطى

ونصيب الإيمان يسعى إليها طالب الله وهو عبد خاطى

وأرى أن تحلها بيمين وبسار فقد غدت فى رباط

فكتب إليه الجواب، رحمه الله تعالى :

يا سراجا لما سمت باسمه الشمـس غدا البدر دونها فى انحطاط

أنت بحرٌ نداك موجٌ وألفا ظك در وصنع يمناك شاطى

لا تلمنى إذا نظمت معانيـك فمن در فيك كان التقاطى

أنت ألغزت فى اسم ذات رقاع لم تجاهد وكم غدت فى رباط

خمساها عشر وللعشر فيها خطوات براحة وانبساط

حازها تابع المحلى فحاز الـسبق من دونه بغير اشتراط

---

(١) الغر : جمع أغر ، واللفظ الأغر : هو الفصيح البادى الفصاحة ، والأسماط جمع سمط - بالكسر - وهو الخيط تنظم فيه اللآلىء .

مذ علاها فى أول الصف أضحى   كسليمان فوق متن البساط

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

رأتنى وقد نال منى النحول   وفاضت دموعى على الخد فَيْضَا

فقالت : بعينى هـــذا السقام   فقلت : صدقتِ ، وبالخصر أيضا

وهذا يشبه قول الأرَّجانى رحمه الله تعالى :

غالطتنى إذ كست جسمى الضنى   كسوة عرَّت من اللحم العظاما

ثم قالت : أنت عندى فى الهوى   مثل عينى ، صدقتْ لـكن سقاما

وقال أيضا ، سامحه الله تعالى :

رق العذول لمـا ألقى بكم ورثى   لمـا رأى صدّكم عن صبكم عبثا

نـكثتم حبل ودّى بعــــد قوّته   وطالمـا قلتم لا كان مَنْ نـكثا[1]

أين الوفاء الذى كنا نظن ؟ وما   هذا الجفاء الذى من بعده حدثا ؟

فآه نفثة مصــــدور بهجركم   ومن يَذُقْ هجر من يشتاقه نفثا

رجوت يوم نواه لو تَلَبَّثَ لى   لأشتكى بعض ما ألقى فما لبثا[2]

وكم شـكوت الذى ألقاه منه فما   أوى لذلى ولا ألوى ولا اكترثا

وكم حلفت بأنى لا أعاتبــــه   ولست أوّل صب فى الهوى حنثا

ويح المحب مَـــتى صدّت حبائبه   يوماً قضى وإذا ما واصلوا بُعثا

قضى فناحت عليه الوُرْقُ من حزن   فسَجْعُها بين أثناء النشيـــد رِثَا

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

قل لى عن الحمام كيف دخلتها   يا صاحبى لتَسُرَّ خـلا مشفقا

أدخلتها وأولئك الأقوام قد   شدوا المـآزر فوق كثبان النَّقَا

---

(١) نـكثتم الحبل : نقضتموه ، وأخذ هذه العبارة من قوله تعالى (ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنـكاثا)

(٢) تلبث : انتظر ، ومثله لبث

وقال أيضا :

ورأيته فى المـاء يسبح مرّة ... والشَّعْرُ قد رفت عليه ظلاله
فظننت أن البدر قابل وجهه ... وجه الغدير فلاح فيه خياله

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

رأيت فى بستان نخل لنا ... بدر دجى يغرس أشجارا
فقلت: إن أعجب هذا الذى ... يغرســـه أثمر أقمـارا

وقال أيضا ، وكتب بها إلى فتح الدين بن عبد الظاهر :

هل البـــدر إلا ما حواه لثامها ... أو الصبح إلا ما جلاه ابتسامها
أو النار إلا ما بدا فوق خدها ... سناها وفى قلب المحب ضرامها[١]
أقامت بقلـــبى إذ أقام بحبها ... فدارتُهاَ قلبى ودارى خيامها
مهاة نقًا لو يســـتطاع اقتناصها ... وكعبة حسن لو يطاع استلامها
إذا ما نَضَتْ عنها اللثام وأسفرت ... تقشّع عن شمس النهار غمامها[٢]
نهاية حظى أن أقبــل تربها ... وأيسر حـــظ للثام التثامها
تريك مُحيًّا الشمس فى ليل شعرها ... على قيد رمح قدُّها وقوامها
وتزهى على البـــدر المنير فإنها ... مدى الدهر لا يخشى السرار تمامها
تغـــنى على أردافها وُرْقُ حليها ... إذا ناح فى هيف الغصون حمامها
تردّد بين الخمر والسحر لحظها ... وحازهما والدر أيضـــا كلامها
كلانا نَشاَوى غير أن جفونها ... مدام المعـــنى والدلال مدامها
وليـــلة زارت والثريا كأنها ... نظاماً وحسنا عقدُهاَ وابتسامها
وحَيَّتْ فأحيت ما أمات صدودها ... وردّت فردّ الروح فىّ سلامها

(١) سناها : ضوءها ونورها ، وضرامها : احتراقها ولهيبها
(٢) نضت اللثام : خلعته وأزاحته

وقالت بعينى ذا الغزال الذى أرى فقلت وهل بَلواى إلا سقامها
فأبدت ثناياها فقل فى خميــلة بدا نَوْرها وانشق عنها كِمَامُها[1]
وأبعدت لا بل سمط درّ تصونه بأصداف ياقوت لماها ختِامها
وقالت ، وما للعــين عهد بطيفها ولا النوم مذ صدت وعز مرامها :
لقد أتعبت عينى جفونك فى الدجى فقلت : سلى جفنيك أين منامها
وما علمت أنّ الرُّقاد وقد جفت كمثل حياتى فى يديها زمامها
وكم ليلة سامرت فيها نجومها كأنى راع ضل عنــه سَوَامها
كأنّ الثرَيا والهــلال وداره حــوته وقد زان الثريا ٱلتئامها
حباب طفا من حول رفرف فضة بكف فتاة طاف بالراح جَامُهَا
كأنّ نجوماً فى المجرّة خرّد ســواق رماها فى غدير زحامها[2]
كأنّ رياضا قد تسلسل ماؤها فشقت أقاحيها وشاق خزامها
كأن سنا الجوزاء إكليل جوهر أضاءت لآليــه فراق انتظامها
كأنّ لدى النسرين فى الجو غلمة رماة رَمَى ذا دون هذا سهامها
كأنّ سهيلا والنجوم وراءه صفوف صــلاة قام فيها إمامها
كأنّ الدجى هيجاء حرب نجومه أسنتها والبرق فيها حسامها
كأن النجوم الهاديات فوارس تساقط ما بين الأســنة هامها
كأن ســنا المريخ شعلة قابس تلوح على بعد ويخفى ضرامها
كأنّ السُّهى صب سَهاَ نحو إلفه يراعى الليــالى جفنه لا ينامها
كأن خفوق القلب قلب متيم رأى بلدة الأحباب أقوى مُقَامُهَا
كأن ثريّا أفقه فى انبساطها يمين كريم لا يُخَاف انضمامها

---

(١) النور ــ بالفتح ــ أراد به الزهر ، والكمام : غلاف الزهور

(٢) الخرد : جمع خريدة ، وأصلها اللؤلؤ التى لم تثقب ، وتستعار للمرأة التى لم يمسسها رجل

كأنّ بفتح الدين فى جوده اقتدت   فروّى الروابى والإكام انز كامها

وقال رحمه الله تعالى يرثى شابا جميلا فقد :

إنّ من تهواه قد ظعنا   فاندُبِ الأطلال والدِّمَنَا[1]

واخدع القلب الذى صحبوا   وخداع التافرين عَنَاَ[2]

واسْلُ طيب الحياة فقد   صرتَ لا قلباً ولا سكنا

لا تقل أرجو الإياب فكم   نازح بعد البعاد دنا

فهو دهر كان ملتهياً   عنكم والآن قد فطنا

جيرة والله بَعْدَهم   لم أجد حُسْناً ولا حَسَنا

سلبوا روحى فليتهمُ   عوّضونى عودهم ثمنا

ودروا أنى أموت بهم   فكسونى بالضنا كفنا

ماعلى الحادى العجول بهم   حرج لو يحبس البدنا

فعسى روحى معلقة   بهمُ أن تذكر الوطنا

قلت للبدر المنير ، وقد   غاب من أرْبىٰ عليه سَنَا :[3]

غِبْ أوِ اطْلُعْ إن أردت فما   فيك لى عن من فقدت غنا

أنبأتنى الشمس عنه وعن   بدرها إذ غاب واقترنا

نحن كنا إخوة شرفا   فأصاب الدهر أحسننا

وسألت الروح بعدهم   هل أمالت نسمة غصننا

أو تمشت فى خمائله   ذاتُ طَوْق تبعث الشجنا

أو سقاه الطل مضطجعاً   فلوى أعطافه وثَنَىٰ

قال لى ذاك النسيم نأى   مذ تناءَوْا والغرام وَنَىٰ

(١) ظعن : سافر وفارقنا ، والدمن : جمع دمنة ـ بالكسر ـ وهى أثر الديار

(٢) عنا . أصله « عناء » فقصره ، ومعناه المشقة

(٣) أربى : زاد ، والسنا ـ بالقصر ـ الضوء والنور

وعيون النور قد رمدت　　وغناء الورق عاد عنا
فإذا ملنا فلا طرب　　بل لأن الوُرْق حَنَّ لنا
سادَتِي هل بعد بعدكم　　ترجع الأيام تجمعنا
أرتجى واليأس يهزأ بى　　أن يضم الدهر أُلفتنا
وضلال الحب غادر لى　　فيكم بعد المنون مُنَىٰ
إن قضى صب يهيم على　　فقد أحباب نأوا فأنا
فسقاكم كل سارية　　من دموعى تخجل المزنا[1]

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى :

يامن أضاف إلى الجمال جميلا　　لا كنتُ إن طاوعت فيك عذولا
عوضْتَنِي من نار هجرك جنة　　فسكنت ظلا من رضاك ظليلا
وحللتَ من أحشاى ربعاً دارساً　　فغدا بقربك عامراً مأهولا
وفنيت حين منحتنى سقما به　　أشبهت خصرك رقة ونُحُولا
وكففت لحظك بالفتور تلطفا　　كيلا أبيت بحدّه مقتولا
وسلكت بى فى الحب أحسن مسلك　　لم يبق لى نحو السلو سبيلا
ولرب ليل مثل وجهك بدره　　ودجاه مثل مديد شعرك طولا
أرسلْتَ لى فيه الخيال فكان لى　　دون الأنيس مؤانساً وخليلا
إن لم أجُدْ للوجد فيك بمهجتى　　لانال قلبى من وصالك سُولاَ

وقال أيضا ، سامحه الله تعالى :

تقضَّى زمانى فى انتظار وصاله　　ومات اصطبارى والغرام بحاله
قضيبُ نقاً قد كنت أرجو انعطافه　　فرحت لحينى آيسا من خياله

---

(١) السارية ، السحابة تهب بالمطر عشية ، والمزن : المطر ، وأصله بضم الميم وسكون الزاى ، ولكنه ضم الزاى هنا إتباعا لضمة الميم

أعرض من وجد بعسال قدّه ومعسول فيـه بالعذيب وصاله
أليس من التبريح أنّ مزاره قريب ونيل الشهب دون مناله[١]
لئن عمه بالحسن ياقوت خـدّه فقد خصه بالصون عنبرُ خاله
إذا ماشكوت الوجد قال أخو الهوى صبابته تغنيه عن شرح حاله
وإن رُمتُ وصلا قال لى أنت مُدّعٍ فأعرض عنه خيفة من جداله
وما ذاك عيا غـير أنّ دليله علىّ عليه شاهـد من دلاله

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

نمّ بأسرار الحمى نسـيمه فذاع من سرّ الهوى مكتومه[٢]
روى حديثا عن أهيل رامة جدَّد ما أبْلىٰ الهوى قديمه
إلى كئيب دنف ، عـذابُهُ فى حب جيران النقا نعيمُهُ
يروم أن يعطف من ذاك الحمى عليه من بعد الصدود رِيمُهُ
ياصنما مقلته صـادٌ له والحاجب النون وفوه ميمه
طوبى لمن فى راحتيك راحه وأنت يا كل المنىٰ نديمُهُ
إن تاهَ فى معوج صدغيك فقد هـداه من فرقك مستقيمه
آنس قلبى نار طور خـدّه فهو كما شاء الهوى كليمه[٣]

وقال أيضاً رحمه الله يعاتب محبوبا :

عذرتم ولولا العذر ما كان لى عذر فجاء على قصدى وقصدكم الأمر
وجَدْتم مجالا للفتى وكذا أنا فما ضاق لى يوما ولا لـكم صدر
فلا أشتكى منكم ملالا لأنـكم هجرتم بحمد الله إذ طاب لى الهجر
فإن تدّعوا عنا اصطبارا فهكذا أتانا بلا دعوى كما نشتهى الصبر

---

(١) التبريح : الإجهاد ، وقد أخذ معنى هذا البيت من قول الأول:
فيا دارها بالحزن إن مزارها قريب ، ولـكن دون ذلك أهوال
(٢) ذاع : انتشر (٣) الـكليم: هنا المجروح ، وأخذ ألفاظ هذا البيت من قوله تعالى فى قصة موسى (آنس من جانب الطور نارا) .

وإن تشكروا حكم البعاد فللنوى علينا أيادٍ لايقوم بها الشكر
وكنت أظنّ الصبر مرّا مذاقه فذذقته أيقنت أنّ الهوى المر
فكونوا كما شئتم فإنا كما نشا صحونا جميعا وانجلى ذلك السكر
فكم تهت من قد هناك وطلعة بغصن ولا غصن و بدر ولا بدر
وإن كان زيد صدّكم عن وصالنا فلم تخطئوا شيئا كذا صدّنا عمرو
وإن كنتم أنسيتم العهد فاسألوا ليخبركم هل مرّ يوما له ذكر
تقضى الهوى منا ومنكم فكلنا سواء ولكن منكم بدأ الشر
ولا ستر فى أمر عرفنا به الذى لنا عندكم حتى استوى السرّ والجهر
فلا مقلة عبرى بأجفانها قذى ولا كبد حرّى بأثنائها جمر
ولا زادنا حب جوى كل ليلة ولا سلوة الأيام موعدها الحشر (١)
وكنا كما شاء الغرام كأننا لفرط امتزاج بيننا الماء والخمر (٢)
فكم ليلة ما شاب إظلامها دجى وكم ليلة بالهجر ما شابها فجر
فأعقبكم ذاك الوفاء ملالة فلا بأس هذا الغدر شيمته الغدر
وإنى وإن ألفيت فى ذاك راحة و بانت يدى منكم وراحتها صفر
لمثنٍ ، ولكن لا يقابل هجركم سوى الهجر لاعتب ممض ولاهجر

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ما ضرّ من شفع الصدود ببعده لو علل الكلف المشوق بوعده
أو لو شفاه بزورة بعد النوى ليرى الذى فعل البعاد بعبده
ظبى من الأتراك خالٍ باله من حال ملآن الفؤاد بوجده
ريان من ماء الشباب إذا مشى يثنى الغصون على تثنى قده

---

(١) يشير إلى قول أبى صخر الهذلى :

فياحبها زدنى جوى كل ليلة وياسلوة الأيام موعدك الحشر

(٢) يشير بهذا البيت إلى قول أبى فراس الحمدانى :

وعاديت قومى فى هواك وإنهم وإياى لولا حبك الماء والخمر

ما كنت أشكو من قساوة قلبه ... لو أنه أعدته رقــة خده

أبكى ويضحكه التدلل عن نقا ... بَرَدٍ شفاه محبــه فى بَرْده

وأمير حسن ناظرى والقلب من ... أعوانه أبدا علىَّ وجنــده

علما بأن اللحظ منه صارم ... عَضْب وما حذرا مواقع حَده

لو زارنى لفضضت ختم رُضَابه ... ما بغيتى فى ورده أو ورده

وأجلت كفى فى مجال نطاقه ... فى غوره وكففتها عن نجده(١)

قالوا به سقم فقلت لعــله ... فى جفنه أو خصره أو عهده

يا سالبى طول الرقاد ، وإنما ... أسفى على فقد الخيال لفقده

لولا انتظار الطيف يطرق فى الكرى ... ما راح دمعى سائلا فى ورده

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

أيا رشأ بتُّ من حبــه ... فقيد الكرى قلق المضجع

ومَنْ أصبحت نار وجدى به ... تؤججها فى الحشـا أدمعى(٢)

ومن إن تُدِمْ مقلتى لحظهـا ... إلى وجهــه تَدْمَ أو تدمع

ومن حاز قلبىَ طوعا لديه ... متى يدعــه لحظه يتبع

دمى لك فارفع شَبا السيف من ... لحـاظك عن مهجتى أوضع

وحكم حيـاتىَ فى راحتيك ... فخذهـا إن اخترتها أودع

فَصُنْ دا المحيا الذى فى سناهُ ... دليـل على قـدره المبدع

فما ربة الخدر إن أسفرت ... بأخوَجَ منـك إلى البرقع

ولاح يعنفنى فى الغـرام ... وهل يسمع اللوم مَنْ لا يعى

وأنـكر ما يدعى من هواه ... وسقمىَ يُثْبت ما يدعى

---

(١) أجلت : حركت ، ومجال نطاقه : وسطه ، وأراد بغوره ما انخفض منه وهو الخصر ، وأراد بنجده ما ارتفع منه وهو الردف

(٢) تؤججها : توقدها وتشعلها

رآك فساعدنى فى الحنين ... وأضحى على من لحانى معى

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

أعلىّ فى حب الديار ملام؟ ... أم هل تذكرها علىّ حرام؟

أم هل أذم إذا ذكرت منازلا ... فارقتها ولها على ذمام؟[1]

دار الأحبة والهوى وشبيبة ... ذهبت وجيران على كرام

فارقتهم فأرِقْتُ من وجدى بهم ... أفهل لهم أو للكرى إلمام؟[2]

كانوا حياتى وابتليت بفقدهم ... فعليهمُ وعلى الحياة سلام

أشتاقها شوق الغريب مزاره ... سفها، وإلا أين منى الشام

وتروقنى خُدَعُ المنى منها وقد ... بعد المَدَى وتمادت الأيام

وتلذ لى سنة الكرى، لا رغبة ... فى النوم، بل لتعيدها الأحلام

وتمثل الأوهام لى أنى بها ... ثاوٍ وَلذَّاتُ الهوى أوهام[3]

فكأن ربع تشوقى وخيالها ... دمن ألم بها فقال سلام

ليس الغرام بها لأن نسيمها ... دانٍ وثغر رياضها بسَّامُ

بل للديار إذ الشباب مطاوع ... فيها وأيام الزمان وسام

إذ لا نخاف بها الوشاة وحولنا ... فيها العيون وعندنا النمام

والورد خد، والبنفسج عارض ... والنور ثغر، والقضيب قوَام

والراح ريق أو حديث رائق ... والنَّقْلُ لثم، والقِيان حَمَام

ولقد نقلت إلى الأجل، وإنما ... عصر الصبا أيامه الأيام

لو عاد لى عصر الشباب رأيتها ... بعيون صب ملؤهن غرام

---

(١) ذمام : عهد

(٢) أرقت : سهرت ، والوجد : شدة الحب ، والإلمام : الزيارة

(٣) ثاو : مقيم

وله أيضا ، رحمه الله تعالى :

يا ليلة بات ثغر الكأس معتنق فيها فِدَاك سوادُ القلب والحدق

إن كنت أنشرت صبا ميتا فلقد أمات فقدك ما أبقيت من رمق[1]

سمحت لى برشاً أدرى الوشاة به جبينهُ والشذا من نَشْره العَبِقِ

فى روضة كلما ماست معاطفه فيها تسترت الأغصان بالورق

وبات يطفىء بالعذب المبرد من لماه ما أضرمَتْ خداه من حرقى[2]

وبت حاوِىَ بدر التم إذ بيدى طوَّقتُ أسود ذاك الشعر فى عنقى

وجاء يسعى بها حمراء قابلها بوجهه فبدت شمسين فى أفق

بكر حَبَتها ثناياه الحبَاب كما خداه ألقت عليها حمرة الشفق

فقال دونكها إن شئت من قدحى أو من لَمى شفتى اللعساء أو حدقى

كل مدام وإن شككت هاشفتى وهذه الكأس فاختر ماتشا وذُقِ

فيالها ليـــلة قضيتها عجبا الشمس مغتبقى والبدر معتنقى

وكتب إليه علاء الدين بن غانم من حصن صهيون :

إليك شهابَ الدين نشكو متاعبا فأنت الذى مازلت ترثى لمن شكا

إلى الله نشكو حصن صهيون إننا إلى الرفق فيها لم نجد قط مسلكا

لتغييره وجه الوجود مقطب عليه وعين الشمس زالت من البكا

أصَمَّ صراخُ الرعد فيه مسامع الـــبرايا وستر البرق وجدا تهتكا

فأجابه شهاب الدين رحمهما الله تعالى :

ألم يكفنى شوق إليه وأدمع عليه إذا ماجادت الغيث أمسكا

وأنىَ مذ فارقت لا ذقتُ بُعْدَهُ محياه لم أصحب حميما سوى البكا

---

(١) أنشرت صبا : بعثته من بعد الموت ، والرمق ــ بالتحريك ــ بقية الحياة فى البدن

(٢) اللمى ، فى الأصل : سمرة مستملحة فى الشفة ، وأرادماء الفم ، من إطلاق اسم الشىء على ما يجاوره

إلى أن شكا حالا غدوت لحملها ... أكابد من همى به فوق ما شكا
وحرّك أشجانى، على أنّ فى الحشا ... لها باعثا من نفسها ومحرّكا
فيا نازحا أودى بقلبى ، ولم يزل ... بإخلاصه فى حبه متمسكا[(١)]
وحقّكَ لو عاينت مافى جوانحى ... لساءك ، أو مافى ضميرى لسرّكا
جوًى لو غدا فى حصن صهيون بعضه ... تزلزل أو أخنى عليه تدكدكا
وتوحيد وجد لو تقسم لم تجد ... على الأرض فى دين المودّةِ مشركا
فصبراً على أنى وقد غبت رمته ... فلم ألق نحو الصبر بعدك مسلكا
فهل هُوَ إلا البرق أومض مَوْهناً ... لديك ليحكى نار وجدى فأحكا
أو القطر يهمى وهو مذ شَطَّتِ النوى ... رأى عبرتى تجرى فمثّلها لكا[(٢)]
أو الشمس أخفت وجهها عنك كى ترى ... وقد غبت عنى وحشة الأفق بعدكا
عساك ترى الرأى الموفق بعدها ... فإن الذى أغراك من قبل غركا

(٤٦٤)

شمس الدين محمود الكوفى الواعظ الحنفى

شمس الدين محمود الكوفى الحنفى الواعظ .

فمن شعره رحمه الله تعالى وعفا عنه :

ملابس الصبر نبليها وتبلينا ... ومدة الهجر نُفْنيها وتفنينا
شوقا إلى أوجــه مُتْنَا بفرقتها ... حزناً وكانت تُحَيينا فتُحْيينا
أحــزاننا بها لا تنقضى ، ولنا ... شوق إلى ساكنى يبرين يبرينا[(٣)]
يا دهر قدمَسَّنا من بعدهم حرق ... من الفراق إلى التكفين تكفينا
وعَدْتَنَا بالتــلاقى ثم تخلفنا ... فكم نرى منك تلويناً وتلوينا[(٤)]
ديارهم دَرَسَتْ من بعدما درست ... نفسى بها من تلاقينا تلاقينا

---

(١) النازح : البعيد ، وأودى : أهلك

(٢) القطر — بالفتح — المطر ، ويهمى : ينصب بشدة

(٣) يبرين : موضع ، ويبرينا : ينحلنا ويسقمنا

(٤) تلوينا الأول : تغيرا على ألوان شتى ، وتلوينا : مضارع معناه تَمطلنا وتسوف فى إنجاز الوعد

متعت فيها إلى حـين فوا أسفا ... إذ عشت حتى رأيت الحين والحينا
كنا جميعاً وكان الدهـر يُسْعِدُنا ... والـكائنات بكأس الأمن تسقينا
فالآن قرت عيون الحاسـدين بنا ... بما جرى واشْتَفَتْ منا أعادينا
فصار يرحمنا من كان يأملنا ... وعاد يبعدنا من كان يدنينا
وبات يخـذلنا من كان ينصرنا ... وصار يرخصنا من كان يُغْلِينا
واليوم أَلْطَفُ كل العالمـين بنا ... مَنْ عن أحبتنا أضحى يعزينا
ليت العذول يرى مَنْ فيه يعذلنا ... لعـله إذ يرى عينا يراعينا
إلى مَتَى نحمل البلوى وعاذلنا ... بغـير ما هو يعنينا يعنينا
ما ضرَّ عـذالنا لو أنهم رفقوا ... فعذلهم ليس يسلينا ويسلينا
حمائم الدوح فى الأغصان نائحة ... كما ننوح فنحكيها وتحكينا
تشجو وتندب من شوق لمن فقدت ... ومن فَقَدْنا فنشجيها وتشجينا
قد نسرت يا أحبانا جـراحنا ... ومالنا غـير لقيا كم يداوينا
أمراضنا من كلام الشامتين بنا ... فهـل زمان يشفينا ويشفينا ؟
إنا عطاش إلى أخباركم ، فمتى ... يأتى رسـول يروّينا ويروينا ؟
بنـا إلى عـزكم فقر ومسكنة ... فهل بشـير يغنينا فيغنينا ؟

وقال أيضاً ، سامحه الله تعالى :

أرفق بصب لا يريد سـواكا ... قد صار من فرط السقام سواكا[1]
أسكنته رَبْعَ الغرام ، فيـاله ... من ساكن لا يستطيع حراكا
يا بدر مَنْ أفتاك فى سَفْك الدما ... حـتى تُسُلِّطَ طرفك الفتاكا
كم لى بأكناف الأجيرع وقفة ... عَلِّى عَلَى وادى الأراك أراكا

(١) سواك الأول بمعنى غيرك ، والمراد أنه لايحب غيرك ، وسواك الثانى بمعنى العود الذى يستاك به ، والمراد أنه قد أصبح ناحل الجسد .

كم صامت بالوجـــد ينطق حاله هذا ، وَكم شاكٍ فؤادىَ شا كا ؟
ضرب الغرام على النفوس سُرَادقا والحسن مدَّ على العقول شبا كا
كيف الخلاص من الحمى وبربعه الـــغزلان تنصِبُ للأسود شرا كا
وا رحمتاً لذوى الهوى من جاهل متعقل ومغـــفل يتذا كىٰ
قالوا هلـكت بحبه فرحمت مَنْ مِنْ جهله عَدَّ النجاة هلا كا
كفوا فما أحلى عذابى فى الهوى عندى ، إذا كان المعذب ذا كا
يا صاحبى عَرِّجْ بجرعاء الحمى فهنـــاك رؤية من تراه هنا كا
عرب يعـــز المحتمى بجنابهم والعُرْبُ مازالت تعـــز كذا كا

وقال أيضاً فى حطلو شاه مملوك علاء الدين الجوينى ، رحمه الله :

آه ولا أعذل إن قلت آه قد قتلتنى مقلتا حطلو شاه
فعارضاه واشرَحا قصتى له ، وما قد فعلا عارضاه[1]
لم يفتتن من لا رأى حسنه ولا سبى يا قوم مَنْ لا سباه
خاطرت بالروح لذ كرى له غاية ما فى الباب دقوا قفاه

فبلغت الأبيات عــلاء الدين الجوينى ، فـكتب إليه : حرمة الشيب والآداب ، تمنعنا عن غاية ما فى الباب ، وقد رسمنا لملوكك حطلو شاه يأتى إليك كل نهار كرَّتين .

(٤٦٥)

شمس الدين محمد بن القاسم الواسطى ، الواعظ

محمد بن القاسم بن أبى البدر ، الملحى ، شمس الدين ، الواعظ ، الواسطى[2] .

توفى آخر جمعة من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، وقد ناهز السبعين ، رحمه الله تعالى ! .

---

(١) عارضاه الأول فعل أمر من المعارضة مسند لألف الاثنين ، ومراده به جادلاه وناقشاه ، وعارضاه الثانى مثنى عارض ، وهو الشعر الذى ينبت على الخد .

(٢) له ترجمة فى الدرر الكامنة لابن حجر (٤ / ١٤٣) وفيه « المليحى » وفيه أيضا « ومات بواسط فى سنة ٧٤٤ » .

فمن شعره :

رعى الله ربعاً كنتمُ فيه جيرتى وعيشاً تقضَّى معْكمُ يا أحبتى
وحَيَّا زمانا كان يجمع بيننا ونحن جميعاً فى سرور ولذة
ولا غيرت أيدى الزمان منازلا نزلتم رُباها يا أهيل مودّتى
ولا أقفرت تلك الديار التى بها تقضت ليالى أنسنا وتولت[1]
إذا ماجرى تذكاركم فى مسامعى جرى دمع عينى فوق صفحة وجنتى
فلله ما أحلى قديم حديثكم وأطيب عندى من عشاىَ وغدوتى[2]
أحبة قلبى ، أين أنسى بقربكم ؟ لقد هدنى من بعدكم طول وحشتى
تعجلتمُ بالبعد لما عرفتكم فما وقع التعريف إلا لشقوتى
أحنّ إليكم كلما هبت الصبا على أثلاث الرقمتين ورَقَّتِ
ويطلبكم قلبى على البعد والنوى وأين سبيلى بعدكم ؟ أينَ حيلتى ؟
نظرت إلى الأحباب يوم وداعهم فكانت من الأحباب آخر نظرتى
وناديتهم : هذا الرحيل ، متى اللقا ؟ ألا خبرونى كم على الصبر مدّتى ؟
وقلت لهم : قلبى لديكم وديعة يسافر معكم فاحفظوا لى وديعتى
عسى تسمح الأيام تجمع شملنا وترجع أوطارى ولذتى التى[3]
ويطرب سمعى من لذيذ حديثكم وتنظر عينى أنجمى وأهِلّتِى

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى :

أنوح إذا الحادى بذكركم غنَّى وأبكى إذا ما البرق من نحوكم عنَّا
وكيف شكا قلبى تداويت باسمكم ونعم الدوا أنتم على قلبىَ المُضْنَى
بكم ولهى ، لا بالعذيب ولا النقا ، وأنتم مرادى ، لا سعاد ولا لبنى

---

(١) أقفرت : خلت .
(٢) كذا فى ب ، ث ، ولعله « وأطيب عندى فى عشائى » :
(٣) يريد « ولذتى التى تولت » مثلا .

لقد عاش من أنتم من العمر حظه ... ومات التى فى غيركم عمره يفنى
يلذ لىَ الليل الطويل بذكركم ... فما أطيب الليل الطويل إذا جَنَّا
أحبتَنَا أين المواثيق بيننا ... زمانَ خلونا بالحمى وتعاهدنا
ظننا كمُ للعمر ذُخْراً وعُدة ... فيا قرب ما خيبتم فيكمُ الظنا
سمعتم من الأعداء قولهم بنا ... ومن أجل ما قالوا تغيرتمُ عنا
تغيرتمُ عنا بصحبة غيرنا ... وأظهرتم الهجران ، ما هكذا كنا
وأقسمتمُ أن لا تحولوا عن الوفا ... فحُلتم عن العهد القديم وما حُلنا
أأحبابنا ما كان أهنأ عيشنا ... ولكنه ولَّى لطيف بدا وَهْنَاَ
مررنا على أوطانكم بعد بعدكم ... فمذ نحن شاهدنا أماكنكم نُحْنَا
ولما تخيلنا جمالكم بها ... وقفنا على تلك الديار وسلمنا
سلام على العيش الذى بكمُ مضى ... فما كان أشهاه لدىَّ وما أهنا[1]
ليالىَ كان الدهر معنى موافقا ... فلما نأيتم ما رأيت له مَغْنَى
لئن عاد ذاك العيش يا سادتى بكم ... وعدنا إلى تلك الديار كما كنا
غفرت لأيامى جميعَ ذنوبها ... وقلت لك الإنعام عندىَ والحسنى

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

بدا البرق من حُزْوَى فهاج حنينه ... وهبت صبا نجد فزاد أنينه
وَغَنَّى له الحادى بأيام حاجر ... ففاضت بأمطار الدموع جفونه
وذِكْرُه العيشَ الذى كان وانقضى ... فكاد جَوًى يطرا عليه جنونه
غريب بعيد الدار فارق أهله ... كئيب وحيدٌ بان عنه قرينه
مريض إذا هب النسيم من الحمى ... يطيب له خَفَّاقه وسكونه

---

(١) فى ث « لما كان أشهاه » وأصل «أهنا» أهنأ ـ بالهمز ـ فسهلت الهمزة بقلبها ألفا لانفتاح ما قبلها .

تحمل أثقـــال الغرام ، وماله معين على حمل الغرام يُعينه
وصان الهوى فى قلبه كل جهده فلما نأى الأحباب بان مَصُونُه
وظن بأن الدهر يجمع شمله بمن يتمنـــاهم فخابت ظنونه
أهَيْلَ الحمى بنتم فدمعىَ مطلق وقلبىَ قد ضاقت عليه شجونه
أهيل الحمى لا أوحش الربع منكم لقد كنتم للربع زَيْناً يزينـه
مررت على الوادى وكان زمانكم بلابلُه تشـــدو وتجرى عيونُه
فأبصرته من بعدكم وهو قد عفا وأقفر منـــه سَهلُه وحزونه
فناديته : أين الذين عهدتهم هنا وغدير العيش صافٍ مَعينه ؟
فقال لى الوادى : نأوا وترحلوا وهذا فؤادى للتنائى حزينه
فقلت : وهل يسخو الزمان بعَوْدهم ؟ فقال : لعل الدهر يسخو خؤونه
إلى أن يعود الماء فى النهر جاريا تموت به أطيـــاره وغصونه
وكم مات صب بالتوقع والمنى ولم تُقْضَ من خصم الزمان ديونه

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

هنيئاً لمن أمسى وأنت حبيبه ولو أن نيران الغرام تذيبـه
وطوبى لقلب أنت ساكن سره ولو بان عنـــه إلْفُه وقريبه
وواها لمطرود عن الباب مُبْعَد لقد ضاق فى هذا الوجود رحيبه
وحقك ما مَنْ ذاق وصلك ميت يحق عليـــه نَدْبه ونَحِيبه[1]
أيا غاية الآمال مَنْ أنت أنسه فـكل بلاء عنـده يستطيبه
ومن أنت راض عنه فى طى عيبه فـــا ضره والله من يستعيبه[2]
وما ضر صبا أن يبيت وماله نصيب من الدنيا وأنت نصيبه

(١) الندب : البكاء على الميت خاصة ، والنحيب : البكاء مطلقا .
(٢) يستعيبه : يذكر عيوبه .

عُبَيْدُك فى باب التطفل واقف ... إذا لم تجبه أنت مَنْ ذا يجيبه
غريب عن الأوطان يبكى لذلة ... وهل ذاق طعم الذل إلا غريبه
فقير من الأعمال أنت غناؤه ... مريض من الآثام أنت طبيبه
تقضت ليـــاليه وفات زمانه ... ولم يدر حتى لاح منه مشيبه
غدا خاسرا فالعار يكفيه والعنا ... وقد آن من ضوء النهار مغيبه

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى :

سلام عليكم هل تراكم علمتم ... بما نال قلبى منـــذ ساعة بنتم[(١)]
وهل عندكم ما عند قلبى من الأسى ... وهل مثلَ وجدى للفراق وجدتم
أيا ســـادتى والله عهدى بلذتى ... وطيب حياتى منذ كنت وكنتم
ليالى كانت كالنهار منـــيرة ... سهرت بهـــا من طيبها وسهرتم
فلا كان يوم كان آخر عهدكم ... وقد أسرع الحادى سحيرا وسرتم
ولا كان يوم فيه خُلِّفت بعدكم ... ونحن بوقفات الوداع نســـلم
ترحلت عنكم كارها غير طائع ... أؤخر أقـــداما وأخرى أقدم
وودعتـــكم والقلبُ يأبى وداعكم ... وفى كبدى نار الأسى تتضرَّمُ[(٢)]
علمت من الأيام كل كريهة ... ولـــكنَّ هذا البعد ما كنت أعلم
حرمتم جفونى أن ترى غير شخصكم ... كما للذيذ النوم عنهـــا حرمتم
وعينى حرمتم أن تراكم كأنما ... لقاؤكم طيبٌ وجفنىَ مُحْـــرِم[(٣)]
ولما حدا حادى الفراق بشملنا ... وأنجدتُ سرا والأحبـــة أتهموا
وأصبح منكم منزل الأنس خاليا ... تبين عليـــه وحشة وهو مظلم
وأضمرتُ توديعا له وهو ساكت ... ولـــكن لسان الحال منه يكلم

---

(١) بنتم : فارقتم وظعنتم .

(٢) تتضرم : تشتعل ويزيد احتراقها .

(٣) محرم : حاج أو معتمر ، والشريعة تحرم الطيب عليهما.

وقالت لى الأوطان : هل عودة بهم؟ فقلت لها : ربى بذلك يعلم

وأنشده شخص هذين البيتين :

أيامنا بالحمى حيّيت أياما وزادك الله إجلالا وإكراما
بالأمس قد كنت أحلى ما بأنفسنا فما أصابك حتى صرت أحلاما ؟

وسأله أن يزيد عليها ، فقال :

يا سادةً جرحوا قلبي ببينهم وحملوه على الآلام آلاما
لله ليلات أنس كنّ لى بكم عصيت فيهن عذالا ولُوّاما
كانت لنا من عطيات الزمان فما دامت علينا ولا المعطى لها دامَا

وقال رحمه الله تعالى موشحا :

نَشَرَتْ ريحُ الصبا رَوْحَ الصباح فصبا المشتاق
وبكى عصر الصبا الماضى وناح من جوى الإشفاق
قَدَحَتْ فى العود نسماتُ الربيع لهب الأزهار
وانثنت ترقُم بالوشى البديع جارى الأنهار
فكست عن برده البرد الخليع حلو النوار
وبدت فى خضرة الماء القراح صفرةُ الأوراق
كطراز مُذْهَب فوق وشاح صنعة الخلاق
مثل الورد على الماء المعين مثل الإنسان
زهرة العمر له فى الأربعين وبدا النقصان
ولقد تُعْجِله بعض السنين تكسر الأغصان
أقم الحد فما المعنى مزاح وافتح الآماق[1]

---

(١) الآماق : جمع موق ، وأصله طرف العين مما يلى الأنف ، وأراد هنا العين كلها ، من باب إطلاق اسم جزء الشى على كله .

وادخر ما استطعت من فعل الصلاح قبل أن تعتاق
مثل الدنيا كبيت العنكبوت أمره موهون[1]
من بها أيامه سَهْوًا تفوت فهو المحزون
فسعيد مَنْ عن الهم استراح وابتغى ما راق
وإذا خف من الطير الجناح أدرك السباق
ما لأهل النوم فى الليل نصيب مِنْ لقا المحبوب
لا ولا تلقى بعيدا كالقريب يدرك المطلوب
وكذا من لا يرى وجه الحبيب أنه مكروب
فدع النومَ فصبحُ الشيب لاح مسفر الإشراق
وانقضى ليل الصبا الداجى وراح مثل ركب ساق
أين أهل الأرض من أيام عاد أين أهل الأرض ؟
وقرون ملأوا هذى البلاد طولها والعرض
سيعود الكل فى يوم المعاد إذ يقوم العرض
كلهم يسعى إذا ما الصور صاح شاخصَ الأحداق[2]
فلكم من أوجه ثم صِبَاح حظها الإحراق
سيمور الفلك الأعلى المحيط من علا الأفلاك
ويضيق الخرق من هذا البسيط وترى الأملاك
عندها كل خليل وخليط قلبه ينساك
وترى الأعين يجرى بالسفاح دمعها الدفاق
زائدات فوق أمواه البطاح تبلغ الأعناق

---

(١) سقط من هنا بيت يكون آخر صدره مثال « العنكبوت » وآخره على مثال « موهون » ليتم نسق الموشحة ، ولم نعثر على هذا الساقط فى أحد الأصول .

(٢) الصور : الذى ينفخ فيه عند بعث الموتى من قبورهم .

أرتجى ربى ويكفينى الرجا　　فهو الغفـــار
والنبىّ المصطفى بـدر الدجا　　أحمد المختار
مَنْ على سنته ســـار نجا　　من لهيب النار
مرشد الخلق إلى سُبْل النجاح　　طاهر الأعراق
ذا الندا بحر العطايا والسماح　　طيب الأخلاق

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

ما غردت الورق مع الإشراق　　فـوق الوَرَقِ(١)
إلا وحملت من جوى الأشواق　　ما لم أطِـقِ
ما نسمت الصبا صباحا وسرت　　إلا بمسـيرها لروحى أسَرَتْ
بالله ولا ذكرت أيامكم　　إلا ومدامعى من الشوق جرت
أصبو فإذا ما التهبت بى نارى　　ظلت حـرق
تبكى أسفا لعل دمعى الجارى　　يطفى حـرق
أيامكم قضيت عيشا رغـدا　　بنتم فبقيت بعـدكم منفردا
ما أوحش دنياى إذا لم أذكركم　　لا أوحشنى الزمان منكم أبدا
يامصطبحى الصفو عن الأكدار　　يا مغتبـــق
من بعدكم غرقت فى تيـــار　　بحـــر الغرق
من يوم عدمتكم عدمت الفرحا　　واغتصت بغصة الجوى والبرحا
والقلب سقاه دهره بعدكم　　كأسا ، وإلى الآن فما عاد صحا
سكران من الغـرام والتذكار　　بادى القَلَـقِ
ظمآنَ إلى أهليه والجـــار　　حِلْف الأرق

---

(١) غردت : غنت ، والورق ـ بالضم ـ جمع ورقاء ، وهى الحمامه ، والورق ـ بالتحريك ـ جمع ورقة ، وأراد ورق الغصون .

ودعتكم وعبرتي تندفق … والقلب بنار وجده يحترق
ناديت قفوا بالله لى أنظركم … هيهات نعود بعدها نتفق
قد كان تَبَقَّى لى من أوطارى … بعضُ الرمَقِ
فاسترجع منى بيد الأقدار … ما كان بقى
ما أشوقنى إلى قدوم الغياب … ما أشوقنى إلى وجوه الأحباب
إن عاد لى الزمان يوما بهم … لم يبق على الزمان والله عتاب
أو إن آمنت بقربهم أسرارى … بعد الفرق
حدثتهم بكل ضيم طارى … للقلب بقى

وله أيضاً ، سامحه الله تعالى :

كلُّهم يبكى على إلف جفاه … أو حبيب مات
وأنا أبكى على طيب الحياه … وزمان فات
أين عمرى ؟ وعلى عمرىَ آه … حلف الحسرات[1]
زار كالطيف وولى بسلام … حامل الأوزار[2]
لم يكن إلا كطيف فى المنام … أو كطير طار
كلما أفكر فى عمر الشباب … ونزول الشيب
وفعال لىَ أحصاها الكتاب … كم بها من عيب
كدت أن أحثو على رأسى التراب … وأشق الجيب
وأنادى من يعزى المستهام … فاقد الأوطار[3]
وقته فات وما نال المرام … وكفاه العار
كلما قلت عسى قلبى الشقى … يبلغ الآمال

---

(١) فى ب، ث «وعلى عمرى واه» وفيهما «خلف الحسرات» تحريف ماأثبتناه .
(٢) الأوزار : جمع وزر ـ بالكسر ـ وهو الذنب والجريمة .
(٣) الأوطار : جمع وطر ـ بالتحريك ـ وهو الحاجة .

وأنال الخـير مما قد بقى ويجود الحـال
حطنى الدهر فكم ذا أرتقى والمدى قد طال
وكأنْ قد جاءنى داعى الحِمَام بلغ الإنـذار[١]
فانثنت بعدى أغاريد الحَمَام تنـدب الآثار
بان مَنْ كانوا لقلبى مؤنسين من جميع الناس[٢]
رحلوا فاليوم لى قلب حزين دائم الوسـواس
فترانى خاضعا للشـامتين مطـرقا بالراس
غائصا فى بحر فكر وغرام مَوْجُه زخـار
لا أبالى مَنْ رحل أو من أقام من جوى الأفكار
أين من كانوا لضَيْمى مُشْتَكى ولِأسـرارى
أين من كانوا لظهرى متـكا أين أنصـارى
بينما هم مثـل بستان زكا نهـره جارى
هبَّ فيهم عاصف الموت الزوام بهوى الإعصار
فإذا النبت به عَصْف حُطَام نهـره قد غار[٣]
جز بأطلال خلت بعد السكن واندب الأطلال
أين سكانك يا هذى الدِّمَنْ والعلا والمـال
إنها إن لم يكن فيها سكن ليقول الحـال
ههنـا كنا جميعا بانتظام فى الذى نختـار
أصبحت دارهُمُ بعـد الزحام ما بهـا دَيّار
أيها الخاطى بليل الخاطئين لاح ضوء الفجر

(١) الحمام ــ بكسر الحاء ــ الموت
(٢) بان : فارق ورحل
(٣) غار : نضب وذهب ماؤه

انتبه قبـل لحاق الأولين　　ومضيق الحجـر
واصطبر فالله يجزى الصابرين　　بعظيم الأجـر
فبيوم وبشهر وبعـــام　　تنقضى الأعمار
وجزاء الخلق فى يوم القيام　　جنــة أو نار
ليس لى غير إلهى ذى الكرم　　غافـر الزلات
والنبىّ المصطفى بدر الظلم　　صاحب الآيات
أحمد الهادى الرسول المحتشم　　سـيد السادات
بدر حق يخجل البدر التمام　　مشرق الأنوار
الذى كان تغشــاه الغمام　　وهو فى الأسفار
سـلم الله عليه وعلى　　آله الأعيـان
وعلى صِدّيقه تاج العـــلا　　سابق الإيمـان
وعلى الفاروق مأمون الملا　　والرضا عثمان
وعلى فارس الجيش الهمام　　الفتى الكرّار
وعلى أولاده الزهر الكرام　　خـــيرة الأخيار[1]

وقال رحمه الله تعالى كان كان :

دع عنك شرب الهليلج　　يا من فؤاده به حمى
واترك ذنوبك أى من　　ما يحمـــل التعذيب
أهوال يوم القيامـــه　　حدث عن البحر لا حرج
أقـل ما فى التربه　　الطفل منـه يشيب
القـبر قال نبيـك　　أوّل منازل الآخره

(١) الزهر : جمع أزهر ، والمراد به الأبيض .

من أوّل الدن دِرْدِى والله الأخير عجيب
من بالأمل يتمسك مثل الذى يقبض الهوى
ومن من الثلج يبتنو لا يأمن التخريب
من العذاب دليله أى المنازل يسكنوا
ومن لإبليس يتبع ينضر لاشيء يصيب[1]
من تاب عن ذنب واحد وذنب آخر عاد فعل
كمن هرب من رشه قعد حذا مزريب[2]
على الطبيب النسخة وما عليه المزوره
من أهلكه تخليطه ما يلتزم بو طبيب[3]
إن كنت فحلا ثابت فما تميل مع الهوى
الفحل للقلع آمن وما يخاف اللهيب
خليت أرض الجنه ما فيها نخله واحده
واختبرت أرض الدنيا جريب خلف جريب
بدرب دينار تعبر نسيت درب المقبره
لو جزت فى درب صالح عرفت درب حبيب
عاملت دنياك مدّه فعامل الله مثلها
إن ريت أنك تخسر فارجع وقل تجريب
إذا خلوت بنفسك فعلت مالا ينبغى
أى من خلا أين تخلو والحق منك قريب
ترمى ليوسف قلبك فى منقلب جب الهوى
وعند يعقوب تبكى تقول أكله الذيب

(١) ينضر : يرى وينظر .
(٢) يريد أن من يفعل ذلك كمثل من هرب من رشاش الماء فقعد تحت الميزاب
(٣) أى : فما يلتزم به طبيب .

أفنيت بندق عمـــرك	فى رمى عصفور الهوى[١]
وللجليـــل ما عرفته	لإيش بقيت تصيب
تدب فوقك نمـــله	إيدك تمـــد لضربها
يا من يرض النمـــله	كم فى الـــتراب دبيب
تم العمـــل يا سبيطر	لا تتبع نسر الأمـــل
رأى عقاب المظـــالم	القـــوس فى التعقيب
نسف قـــربانك	فى سحت الحـــرام
وما تسـل يوم تخرج	من الجميع سليب
حـلوان قولك وسمتك	لكن مراره داخـــله
مالك إلى الحق موصـل	فـكيف توصل للطبيب
قل للفقيه المهـــذب	قلبك يكن فى تبصره
فإن تنبيـــه قلبك	تتمـة التهذيب
لا بد ذى حركاتك	بعـد التصرف تنجـزم
وواو جمعـك وهيئتـك	تخـرج بلا ترتيب
اذخـر انفسك ذخيره	عسى تراها فى غـدا
لمـا تعـذب وغـيرك	بمـا قد جمعت يطيب
لا بدَّلك أن تفلس	ولا يغرك ذا الغـنى
ولو ورثت الدنيـــا	بالفـــرض والتعصيب[٢]
أى من بشوطه واقف	فى منصف العمـــر انتبه
واسرع فشمس حياتك	تبقى القليـــل وتغيب

(١) أصل البندق حجارة صغار تصاد بها العصافير ونحوها :

(٢) هذا من اصطلاح علم الميراث ، والوارث بالفرض : جماعة عدهم الله تعالى فى القرآن الكريم ، وذكر لكل واحد منهم نصيبا معيناً فى التركة ، والوارث بالتعصيب : كل وارث يأخذ الباقى بعد الفروض إذا انفرد .

شرفك بالنفس ماهو بالنعش والنقش والنسب
قد قال « سَلْمان منا » ولم يكن بنسيب[1]
من خاط ثوب المعالى بلا جميـــل يحمله
أصبح وســتره شهره وبان وفيـــه وريب
واسط مقام الفصاحــة بغداد دار الأذكيا
وأنا فقـــير حصل لى من كل أرض نصيب
فصار معجـــون قلبى يشفى القلوب من المرض
ولا يشـــوبُه مراره لأنّ فيـــه تركيب

وقال أيضا سامحه الله تعالى دو بيت :

لما رأت العين بياض الشعرات فاضت أسفاً وقرحتها العبرات
ثم التفتت إلى الصبا وهى تقول قف صل على العمر صلاة الأموات

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

ما يلمع بارق بذات العلمين إلا وتعين كل عين لى عين
تالله ولا أنظر يوماً حسـنا إلا ويقول خاطرى أين وأين

وقال أيضا :

فى أى بطاله وفى أى زمان أستبدل فى الهوى فلانا بفلان
أرجو بدلا هيهات ولّى عمرى قد كان من الصبا ومنى ما كان

(٤٦٦)

التاج الصرخدى

التاج الصرخدى ، رحمه الله تعالى !

من شعره :

عجبا لقدك ما ترنح مائلا إلا وقد سلب الغصون شمائلا

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق سلمان الفارسى « سلمان منا » فهو يشير إلى هذا الحديث .

ولسقم جفنك كيف صح بكسرة فيه ، وأصبح باللواحظ نابلا
ولناظر حاز الولاية فاغتدى من غير عزل للمعاطف عاملا
وإذا علمت بأن ثغـرك مَنْهَلٌ فى روضة فعلامَ تَحْرِم سائلا ؟
فى بحر خدك راح صُدْغك زورقا فلحبسه مد العذار سَلاَسلا
وأظن موج الحسن يقذف عنبراً أضحى له نبت السوالف ساحلا
ومن العجائب أنّ سائل أدمعى قد جاء يستجدى عذارك سائلا

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

ما للفؤاد إذا ذكرتك يخفق والدمع من عينى يسحُّ ويدفق
وإذا رأيتك فاللسان يصيبه خرس ، ودمعى بالصبابة ينطق
ما ذاك إلا أنّ قلبى مُوثَقٌ بالأسر منك وأن دمعى مطلق
لا غرو إن خفق الفؤاد فإنه فى المعطف من غصن القوام معلق
وبمهجتى بدر له من قدّه رمح عليه من الذوابة سنجق
أضحى بقلبى ساكناً ووشاحه أبداً كمسكنه يجول ويقلق
يا قاطعا نومى ولم يسرق له حسنا وليس النوم ممن يسرق
عينى التى سرقت نصاب الحسن من وجه عليه من الملاحة رونق
قالوا : انتظر منه زيارة طيفه فلسوف يأتيك الخيال ويطرق
فأجبته والقلب من أشجانه مُثْرٍ ومن حسن التصبر مملق
مالى وللطيف الطروق ، وإنما كلفى به وله أحب وأعشق

(٤٦٧)

أبو إسحاق مزبد المدنى

مزبد — بالزاى والباء المشدّدة المكسورة ودال مهملة[١] — أبو إسحاق ، المدنى.

---

(١) قال السيد المرتضى فى تاج العروس (٢/٣٦١) : « ومزبد كمحدث : اسم رجل ، صاحب النوادر ، وضبطه عبد الغنى وابن ماكولا كمعظم (يريد بفتح الباء المشددة) وكذا وجد بخط الشرف الدمياطى ، وقال : إنه وجده بخط الوزير المغربى ، قال الحافظ : ووجد بخط الذهبى ساكن الزاى مكسور الموحدة » اهـ

كان كثير المجون ، حلو النادرة ، له أخبار كثيرة فى البخل ، فإنه كان مُبَخَّلا إلى الغاية .

قيل : إنه صبّ عليه الماء يوماً ، فسألته امرأته عن ذلك ، فقال : جلدت عُميرَة ، ثم إنه رآها بعد أيام تصبّ عليها الماء ، فسألها عن ذلك ، فقالت : جاءت عميرة فجلدتنى

وأحضره بعض ولاة المدينة ، وقد اتهمه بشرب الخمر ، فاستنكهه[1] ، فلم يجد له رائحة ، فقال : قيئوه ، فقال : ومن يضمن عشائى ؟ أصلحك الله ! .

وقيل له : هل لك فى الخروج إلى قبا والعقيق ، وأخذ ناحية قبور الشهداء ، فإن يومنا كما ترى طَيِّبٌ ؟ فقال : اليوم الأربعاء ، ولست أبرحُ من منزلى ، قالوا : وما تكره من يوم الأربعاء ، وفيه وُلدَ يونس بن مَتّى ؟ فقال : بأبى أنتم وأمى فقد التقمه الحوت ، قالوا : فهذا اليوم الذى نصر الله فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ، قال : أجل ، ولكن بعد إذ زاغت الأبصار ، و بلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا[2] .

وهبّتْ يوماً ريحٌ شديدةٌ ، فصاحَ الناس : القيامة ، القيامة ، فقال مزبد : هذه القيامة على الريق بِلا دابةِ الأرْضِ ، ولا الدَّجّالِ ، ولا يأجوج ومأجوج ؟! .

ومرض يوماً ، فقال له الطبيب : احْتَمِ ، قال : يا هذا أنا ما أقدرُ على شىء إلا على الأمانى ، أفأحتمى منها ؟ .

ورآه إنسان وهو بالرّها وعليه جبة خزّ ، فقال : هَبْ لى هذه الجبة ، فقال : ما أملك غيرها ، فقال الرجل : فإن الله تعالى يقول : (وَيُؤْثِرُونَ

---

(١) استنكهه : طلب منه أن يشمه ريح فمه

(٢) هذا لفظ الآية الكريمة ، وفى ث « وظنوا بالله الظنونا » .

عَلَى أنفُسِهِمْ ولو كان بهمْ خَصَاصَةٌ)[1]، فقال : اللهُ أرحم بعباده من أن ينزل هذه الآية بالرَّها فى كانون ، وإنما نزلتْ بالحجازِ فى حزيرانَ ، وتموز ، وآب[2] .

ونظر يوماً إلى امرأته وهى تصعد فى سلم ، فقال لها : أنت طالق إن صعدت ، وأنت طالقٌ إن نزلت ، وأنت طالقٌ إن وقفت ، فرمت بنفسها إلى الأرض ، فقال لها : فداك أبى وأمى ! إن مات مالك احتاج الناس إليك لأحكامهم .

واشترى يوماً جارية فسُئل عنها ، فقال : فيها خلتان من خلال الجنة : البرد ، والسعة .

وقيل له : ما بالُ حمارك يتبلد إذا رجع إلى منزله ؟ قال : لأنه يعلم سوء المنقلب .

وقيل له : أيولدُ لابن ثمانين وَلدٌ ؟ قال : نعم ، إذا كان لهُ جارٌ ابن ثلاثين سنة .

وسمع رجلا يقول : عن ابن عباس أنه قال : مَنْ نَوَى حجة فعاقه عنها عائقٌ كتبت له ، فقال مزبد : ما خرج كرًى أرخص من العام .

وطلب منه بعض جيرانه ملعقة ، فقال : ايت لنا ما نأكله بالأصابع ! .

وهبّتْ ريحٌ بالمدينة صفراء أنكرها الناس وفزعوا ، فجعل مزبد يدقُ أبواب جيرانه ، ويقول : لا تعجلوا بالتوبة ، فإنما هى وحياتكم زَوْبَعة ، والساعة تنكشف .

وكان مرّةً نائماً فى المسجد ، فدخل إنسان ، فصلى ، وقال : يا رب أنا

---

(١) الخصاصة ـ بفتح الخاء المعجمة ـ الحاجة والافتقار

(٢) كانون : شهر من شهور الشتاء ، وحزيران وتموز وآب : شهور الصيف

أصلى . وهذا نائمٌ ، فقال : يابارد ، سَلْ حاجتك ولا تُحَرِّشه علينا .

وصلى يوما ، فلما فرغ دعا ، فقالت امرأته : اللهمَّ أشركنى فى دعائه ، فلما سمعها ، قال : اللهمَّ أصلينى [(١)] .

وغضب يوما عليه بعضُ الولاة ، فأمر الحجامَ بحلق لحيته ، فقال له الحجام : انفخ شـدقيك حتى أتمـكن من الحلاقة ، فقال : الوالى أمرك بحلق لحيتى ، أو تعلمنى الزمر ؟ .

وقيل له : كيف حبك لأبى بكر وعمر ؟ فقال : ما ترك الطعام فى قلبى حبا لأحد .

ودخل يوما على بعض العـلويين ، فجعل يعبثُ به ويؤذيه ، فتنفس الصعداء ، وقال : صلوات الله على عيسى بن مريم ، فإن أمته معه فى راحة ، لم يخلف عليهم من يؤذيهم .

وباع جارية على أنها تحسن الطبخ ، فلم تحسن شيئا ، فطلب إلى القاضى ، وطولب بأن يحلف على أنها تحسن الطبخ ، فاندفع وحلف أيمانا مُغلظة أنه دفع إليها مرّة جرادة ، فعملت منها خمسة ألوان من الطعام ، وفضل منها شريحة للقديد ، سـوى الجنب ، فإنها عملته جوذابة ، فضحك مَنْ حضر ، ويئس الخصم من الوصول إلى شىء منه ، فخلى سبيله .

وجمع مرّة فى بيته بين متعاشقين ، فتعاتبا ساعة ، ثم إنّ العشيق مدّ يده فقالت : دع هذا ، فليس هذا موضعه ، فسمعها مزبد ، فقال : يا زانية ، فأين موضعه ؟ بين الركن والمقام ؟ والله ما بنيت هذه الدار إلا للقِحاب والقوّادين ، ولا اشتُرِى خشبها إلا من دراهم القمار ، فأىُّ موضع أحقُّ بالزنا منها ؟ ونوادره كثيرة .

---

(١) «أصلينى» بالياء قبل النون — هكذا وقع فى ب ، ث ، ومعناه أحرقنى بالنار ومن حق العربية أن تحذف الياء ، ولعل أصل الكلمة « اصلبنى » بباء موحدة

(٤٦٨)

مظفر الذهبي الشاعر

مظفر الذهبي ، رحمه الله !

من شعره :

راحت تدير بمقلتيها الرّاحا فغبقت من أحداقها أقداحا[1]
وجلت لنا من تحت ليل غدائر قبل الصباح من الجبين صباحا
ناديتها : رفقا بصبّ مدنف قد مال من سكر الغرام وطاحا
قد مسه قرح الصدود فبرؤه لو كان يرشف من لماك قراحا
فتبسمت دلاًّ وقالت : هكذا يُلْفَى ملحا من أحب ملاحا
قم فاهصر الغصن الرطيب وكسر الـــرُّمّانَ فيه وعضض التفاحا

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

سنّ الظُّبي من لحظه الوسْنان ودنا فَرَاشَ سهامه ورمانى[2]
و بدا فذاب البدر من حسد له فلذاك ما ينفك فى نقصان
ماء النعيم يرفّ من وجناته يسقى رياض شقائق النعمان
قالت عقود نهوده لقوامه : من أنبت الرمّان فى المرّان ؟

وقال أيضا ، سامحه الله تعالى :

زمرُّدُ شاربه الأخضر ينم على ثغره الجوهرى
وريق اللمى طعمه سكر وذاك النبات من السكر

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى :

لقد خاب مَنْ يرجو رجوع شبابه بصبغة نيل تنتهى وتحُولُ
كأنّ بقاياها بصفحة خدّهِ سهام المنايا والنصول تصول

---

(١) غبقت : شربت ، ووقع فى ب « فعشقت »

(٢) الظبي : جمع ظبة — بضم الظاء فيهما — وهو حد السيف ، وراش السهم : ألزق عليه الريش

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

مَنْ منصفى من ساحر ساخر   يزيد من ذلى لديه اعتزاز
مذ وشحت خدّاه بالعارض الـــمرقوم قال الناس دار الطراز

وقال أيضا ، سامحه الله تعالى :

وأمرد ضاق عن معاملتى   أودعْتُ فاه خفيف دينار
فقال: بهرجت ذا الخفيف لنا   فقلت : والضرب خارج الدار

(٤٦٩)

فخر القضاة
ابن بصاقة

فخر القضاة ابن بُصَاقة .

من شعره فى المحفة المحمولة على البغال ملغزا :

وحاملة محمولة غير أنها   إذا حملت ألقت سريعاً جنينَهَا
وأ كثر ما تحويه يوما وليلة   وتضجر منه أن يدوم قرينَهَا
منعمة لم ترض خدمة نفسها   فغلمانها من حولها يخدمونها
لها جسد مابين روحين يغتدى   فلولاهما كان الترهب دونها
وقد شبهت بالعرش فى أن تحتها   ثمانية من فوقهم يحملونها

وقال أيضا رحمه الله فى البيضة ملغزا :

ومولودة لا روح فيها ، وإنها   لتقبل نفخ الروح بعد ولادها
وتسمو على الأقران فى حومة الوغى   ولـكن سُمُوًّا لم يكن بمرادها
إذا جمعت فالنقص يعرو حروفها   ولـكنها تزداد عند انفرادها[1]

وقال أيضا رحمه الله فى السيف ملغزا :

وأبيض وضاح الجبين صَحِبته   فأحْسَنَ حتى ما أقوم بشكره

---

(١) جمع البيضة بيض ، بنقص حرف فى الجمع عن أحرف المفرد ، وهذاهوالذى يعنيه بهذا البيت

إذا خذلتني أسرتي وتباعدت ... أخِلاّي عن نصري حباني بنصره
يواصلني في شدّتي منه قاطع ... يخفف عني في رجائي بهجره
شددت يدي منه على قائم بما ... أكلفه يلقى الأعادي بصدره
صبور على الشكوى فلو دست خدّه ... على رِقّةٍ فيه وثقت بصبره
إذا نابني خطب جليل ندبته ... فيهتز منـــه مستقل بأمره[1]
يخف غداة الروع مهما نهرته ... فيغرق في بحر العجاج بنهره
ويمضي إذا أرسلته في مهمة ... فما يتلقاني مقيما لعـــذره
غدا فاخرا بين الأنام بحدّه ... وراح أبيًّا عن أبيـه بفخره
فغص خلفه إن كنت تؤثر كشفه ... ولا تدّع التقصير عن طول بحره
فهأنا عنه قد كشفت؛ لأنني ... حلفت له أن لا أبوح بسرّه

وقال أيضا رحمه الله في الرمح :

ولي صاحب قد كمل الله خلقه ... وليس به نقص يعاب فيذكر
عصيّ ثقيل إن أطيلَ عنانه ... مطيع خفيف الشكل حين يقصر
يسابقني يوم النزال إلى العدى ... فإن لم أؤخره فما يتأخر
ويؤمَنُ منه الشرّ ما دام قائما ... ولكن إذا ما نام يُخشى ويحذر
أنال به في الروع مهما اعتقلته ... مراما إذا أطلقتُه يتعـــذر
تعدّى على أعـدائه متنصلا ... إليهم وما أبدى اعتذارا فيعذر
ترى منه أميا إلى الخط ينتمي ... ومُغْرًى بغزو الروم وهو مزنّر[2]
عجبت له من صامت وهو أجوف ... ومن مستطيل الشكل وهو مدور
ومن طاعن في السنّ ليس بمنحنٍ ... ومن أرعن مذ عاش وهو موقر
تفكر إذا ما رمت إفشاء سره ... فهأنا قد أظهرته وهو مضمـر

---

(١) نابني : نزل بي ، والخطب : الأمر الشديد ، وندبته : دعوته وطلبته

(٢) الرماح تنسب إلى الخط ، وهو مرفأ من مرافىء بلاد اليمن

وقال أيضا رحمه الله فى الخيمة :

ومرفوعة منصوبة قد نصبتهـــا ولـكنه رفع يؤول إلى خَفْضِ
تعين على حــرّ الزمان وبرده بلا حسب زاكٍ ولا كرم مَحْض
وتصبح للاَّجى إليها وقاية لبعض الأذى الطارى على الجسم لا العرض
تقوم على رجلـين طورا وتارة تقوم على رجل بلا عَرَج مُنْض
إذا حضرت كانت عقيلة خدرها وإن تبد لم تلزم مكانا على الأرض
قصـــدت كريما خيمةُ ليبينها وقصد الـكريم الخيم من جملة الفرض

يا رافع لواء الأدباء ، ودافع لوى الغرباء ، هذا اللغز ممهد موطا ، مكشوف لا مُغطا ، وقد سطر مفرداً ومجموعاً ، وذكر مقيسا ومرفوعاً ، إلا أنه قد استخفى وهو مظهر ، وأسَرّ وهو مجهر ، وتعامى وهو بصير ، وتطاول وهو قصير ، وتصام وهو سميع ، وتعاصى وهو مطيع ، ومثل مولاى من عرف وكره ، ولم يعمل فـكره ، والآمر له علىّ أمره ، وطال للأولياء عمره .

وكتب إلى قرطاى[1] وهو ساكن عند نهر عيسى :

أمولاى إنى مذ رأيتك ساكنا على نهر عيسى لم أزل دائم الفكر
لأنك بحر بالمـكارم زاخـر ومن عجب أن يسكن البحر فى النهر

وقال أيضا ، رحمه الله :

على ورد خدّيه وآسِ عذاره يليق بمن يهواه خلع عذاره
وأبذل جهدى فى مداراة قلبه ولولا الهوى يعتادنى لم أداره
أرى جنة فى خده ، غير أننى أرى جل نارى شبّ من جلناره[2]
كغصن النقا فى لينِهِ واعتداله وريم الفلا فى جيده ونفاره
سكرت بكأس من رحيق رُضَابِهِ ولم أدر أن الموت عقبى خماره

---

(١) كذا ، ولعله « قراطاى »

(٢) جل نارى : معظم مايشتعل بقلبى من نار حبه ، والجلنار : نبت له وردة حمراء

حرف النون

(٤٧٠)

نصيب الأصغر الشاعر

نصيب الشاعر ، الأصغر(١) .

اشتراه المهدىّ فأعتقه ، ووجهه المهدىّ إلى اليمن فى شراء إبل مَهْرية ، ووجه معه رجلا من الشيعة ، وكتب معه إلى عامل اليمن بعشرين ألف دينار ، فمدّ نصيبٌ يدَه إلى الدنانير ينفقها ، ويشرب بها ، ويشترى الجوارى ، فكتبَ الشيعى بخبره إلى المهدى ، فأمر بحمله موثقا فى الحديد ، فلما دخل على المهدى أنشده:

تأوّبنى ثقل من الهمّ موجع ... فأرق عينى والخليّون هُجّـَعُ
هموم أطافت ، لو أطاف يسيرها ... بسلمى لظلت صُمُّها تتصـدّع(٢)
ولـكنها نيطت فنـــاء بحملها ... جهيز المنايا حائن النفس يجزع
وعادت بلاد الله ظلماء حِنْدِساً ... فخلت دجى ظلمائها لا تقشع
إليك أمير المؤمنين ولم أجـــد ... سواك مُجيرا منك يدنى ويمنع
تلمست هل من شافع لى فلم أجد ... سوى رحمة أعطا كها الله تشفع
لئن جلت الأجرام منى وأفظعت ... لَعفوك من جرمى أجل وأوسع
لئن لم تَسَعْنِى يا ابن عم محمد ... فما عَجَزت منى وسائل أربع
طبعت عليها صبغةً ، ثم لم تزل ... على صالح الأخلاق والله تُطْبَع(٣)
تعاميك عن ذى الذنب يرجى صلاحه ... وأنت ترى ما كان يأتى ويصنع
وعفوك عَمَّنْ لو تكون جزيته ... لطارت به فى الجوّ نكباء زَعْزَعُ
وأنك لا تنفك تنعش عاثراً ... ولم تعترضه حين يكبو ويخمع
وحلمك عن ذى الجهل من بعدما جرى ... به عَنَق من طائش الجهل أسقع
ففيهنّ لى إمّا شفعن منافع ... وفى الأربع الأولى إليهنّ أفزع

---

(١) له ترجمة فى كتاب الأغانى لأبى الفرج (٢٠/٢٥ بولاق) ولقب هذا بالأصغر تمييزاً له عن نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان والد عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى العادل (٢) سلمى : أحد جبلى طيء ، والآخر أجأ

(٣) فى الأغانى « على صالح الأخلاق والدين تطبع »

مناصحتى بالفعل إن كنت نائبا إذا كان دانٍ منك بالقول يخدع
وثانية ظنى بك الخـــير عادة وإن قلت عبد ظاهر الغش مسبعُ[1]
وثالثة أنى على ماهويتـــه وإن أكثر الأعدَا علىّ وشنعوا[2]
ورابعة أنى إليك يسوقنى ولائى فمولاك الذى لا يضيع
وإنى لمولاك الذى إن جفوته أتى مُستكيناً خاضعاً يتضرّع
وإنى لمولاك الضعيف فأعْفِنِى فإنى لعفوٍ منك أهْلٌ وموضِعُ

فقطع عليه المهدى الإنشاد وقال : من أعتقك يا ابن السوداء ؟ فأومأ بيده إلى الهادى وقال : الأميرموسى ياأميرالمؤمنين ، فقال مخاطبا لولده موسى : أعتقته يابنىّ ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين ، فأمضى المهدى ذلك ، وأمر بحديده ففك عنه ، وخلع عليه عدّة من الخلع الخز والوشى والسواد والبياض ، ووصله بألفى دينار ، وأمر له بجارية يقال لها جعفرة جميلة فائقة من روقة الرقيق ، فقال له سالم قيم دار الرقيق : لا أدفعها إليك أو تعطينى ألف دينار ، فقال قصيدته رحمه الله :

أآذن الحى فانصاعوا بِترْحال فهاج بينُهُمُ شوقى و بلبالى

وقام بها بين يدى المهدى ، فلما قال :

مازلتَ تبذل لى الأموال مجتهداً حتى لأصبحت ذا أهل وذا مال
زوّجْتَنِى يا ابن خير الناس جارية ما كان أمثالها يهدى لأمثالى
زوّجتنى بضـة بيضاء ناعمة كأنها درة فى كف لآلى
حتى توهمت أنّ الله عجلهـا يا ابن الخلائف لى من خير أعمالى
فسالنى سالمٌ ألفـــا فقلت له أنَّى لىَ الألف يا قُبِّحْتَ من سَالِ
هيهات ألفك إلا أن أجىء بها من فضل مولى لطيف المنّ مفضال

---

(١) فى الأغانى « وثانية ظنى بك الخير غانيا »
(٢) وفيه « وإن أكثر الأعداء فى وشنعوا »

فأمر له المهدى بألف دينار ، ولسالم بألف درهم .

ومرّ نصيب بباب الفضل بن يحيى ، فقال :

ما لقينا من جود فضل بن يحيى   جعل النـاس كلهم شعراء

وكانت وفاته بعد السبعين ومائة ، رحمه الله تعالى !

(٤٧١)

النصير الحمامى الشاعر

النصير الحمّامى .

قال أثير الدين أبو حيان : كان بمصر ، وكان كيس الأخلاق ، وكان يتحرّف باكتراء الحمامات ، وأسنّ وضعف عن ذلك ، وكان يستجدى بالشِّعر ، توفى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة .

ومن شعره ، رحمه الله تعالى وعفا عنه :

لا تقل ما حييت إلا بخـير   ليكون الجواب خيرا لديكا

قد سمعت الصَّدَى وذاك جماد   كل شيء تقول ردّ عليكا

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

أقول والكأس قد تبـدى   فى كف أحوى أغن أحور[1]

خربت بيتى وبيت غيرى   وأصـل ذا كعبك المدوّر

وقال أيضا ، سامحه الله تعالى :

إن الغزال الذى هام الفؤاد به   استأنس اليوم عندى بعد ما نفرَا

أظهرتها ظاهريات وقد رقصت   فيها الأسود رآها الظبى فانكسرا

---

(١) الأحوى : الأسمر ، والأنثى حواء ، والأغن : الذى فى صوته غنة ، وكأنما يتكلم من أنفه ، والأحور : الذى اشتد سواد سواد عينه واشتد بياض بياضها .

وقال أيضا رحمه الله تعالى موشح :

فكم من الإسراف أسرى فى كفيه من خطر[١]
عقلى وحلو الجانى ألجانى ركوبه الغَرر[٢]
أزرى الجبين الحالى بالحال ممن قد اعتدى
إذ فاق بالكمال كمالى أشفى وأنكدا
ممن أتته الدوالى دوالى قلبى من الردى
ومذ بذلت مالى أومالى باللحظ إذ نظر[٣]
وقال إذ لوى للوالى يرفع له الخبر
يا غصن بان مائل مائل عنى لشقوتى
وترثى لدمعى السائل يا سائل عن حال قصتى
لا تطع العاذل يا عاذل وارفق بمهجتى
وإن تزدنى قائل فى قائل أفوز بالظفر
كى ينجلى فاضل الفاضل من حالى الغير
يا منتهى آمالى أمالى فى الحب من مجير
أرثى لجسمى البالى يا بالى وأرحم فى أسير
فقد بذلت الغالى يا غالى فى القدر يا أمير
وفيك قد ألقى لى يا قالى لهجرك الضرر
وقطعت أوصالى يا صالى تقتلنى سقر
إن جزت بين السرب فسر بى عن حيهم قليل
ومل بهم وعج بى فعجبى قلبى بهم بخيل

(١) الإسراف : مصدر أسرف ، ومعناه التبذير ، والأسرى : جمع أسير

(٢) الجانى الأول اسم الفاعل من « جنى فلان جناية » وألجانى : مؤلف من فعل ماض هو ألجأ سهلت همزته الأخيرة ومن نون الوقاية وياء المتكلم ، وقس على هذا ما تراه فى أبيات الموشحة كلها

(٣) أو مالى : أراد « أومأ لى »

وقف بهم يا صحبي وصح بى   ابكوا على القتيل

وإن يقضى نحبى فنح بى   فى السهل والوعر

وانزل بهم والطف بى وطف بى   فى البدو والحضر

لم أنس إذ عنانى أعنانى   والليل قد هدى

وقال إذ حيانى أحيانى   روحى لك الفدا

واهتز بالأردان أردانى   إذ قام منشدا

وطائر الأفنان أفنانى   إذ ناح فى السحر

وهاتف الأذان أذانى   إذ نَبّه البشر

أما لدائى الراقى من راق   قدرا على الأنام

زها بحسن الساقى والساق   من ريقه المدام

به فؤادى باق والباق   فى لجة الغرام

وسنة الخلاق أخلاق   بالصبر إذ هجر

ولذ المذاق مذاق   فى حبه السهر

هل من فتى يسعى فى إسعاف   بالقرب من رَشاَ

إن سال بالأرداف أردافى   قلبى مع الحشا

مكمل الأوصاف أوصى فى   قتلى وأدهشا

يا طلعة الهلال هلالى   فى الحب منتظر

يا غاية الآمال أمالى   من الهوى مفر

(٤٧٢)

النصر الأدفوى الشاعر

النصر الأدفوى .

ومن شعره[١] :

فوقع : يعطى أن قصيدته كذا وكذا ، فاستحسن البلغاء هذا منه .

وكان مرة أصابه ألم فى عينيه ، فدخل إليه خواصه وفيهم شخص يلقب

(١) سقط من الأصول ما رواه من الشعر

بالحمراء ، فقال له وقد كلمه : يا مولانا أبصرتنى ، فقال : لا ، بل شممتك
ومات بالرعاف وهو نازل بعسكره على بونة آخرِ مدن إفريقية .

ومن شعره رحمه الله تعالى فى الخوف :

تفضل بطعم له ملبس صلابة وجـه لئيم حكى
إذا بز عن جسمه ثوبه أتاك كما يمضغ المصطكى

وقال يصف الرمح من قصيدة ، وهو معنى غريب :

وأسمر غر شيب بالنقع رأسه إلى أن أتى بعد القشيب مشيب
مددت به كفى إليه كأنه رِشاءٌ ، ومن قلب الكمى قليب

(٤٧٣)

السيدة نفيسة بنت الحسن ابن زيد

السيدة نفيسة بنة أبى محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ! .[١]

دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق ، رضى الله عنه ! وقيل : بل دخلت مع أبيها الحسن ، وإن قبره بمصر[٢] . لكنه غير مشهور ، وإنه كان واليا على المدينة من قبل أبى جعفر المنصور ، وأقام بالولاية مدة خمس سنين ، ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شىء له ، وحبسه ببغداد ، فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور وولى المهدى ، فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شىء ذهب له ، ولم يزل معه ، فلما حج المهدى كان فى حملته ، فلما انتهى إلى الحاجر مات

---

(١) لها ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (٢/٢١)

(٢) فى الشذرات (١/٢٦٥) أنه كان أمير المنصور على المدينة وخافه على نفسه فحبسه ثم أخرجه المهدى وقربه ولم يزل معه حتى مات معه بطريق مكة فى سنة ١٦٨ عن خمس وثمانين سنة

هناك ، وذلك فى سنة ثمان وستين ومائة ، وهو ابن خمس وثلاثين[١] سنة ، وصلى عليه على بن المهدى فى الحاجر على خمسة أميال من المدينة ، وقيل : إنه توفى ببغداد ودفن بمقبرة الخيزران ، والصحيح أنه مات بالحاجر ، هكذا قاله الخطيب فى تاريخه[٢] ، والله أعلم .

وكانت نفيسة من النساء الصالحات التقيات ، ويروى أنّ الإمام الشافعى رضى الله عنه لما دخل مصر فى التاريخ المذكور فى ترجمته حضر إليها ، وسمع عليها الحديث ، وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم ، وهو إلى الآن باق كما كان ، ولما توفى الشافعى رضى الله عنه أدخلت جنازته إليها ، وصلت عليه فى دارها ، وكان [بيتها] فى موضع مشهدها اليوم ، ولم تزل به إلى أن توفيت فى شهر رمضان سنة ثمان ومائتين[٣] ، رحمهما الله تعالى !

---

(١) كذا فى ب ، ث ، والذى فى الشذرات (١/٢٦٥) أنه مات وله من العمر خمس وثمانون سنة ، وانظر الهامشة ٢ فى صفحة ٦٠٧

(٢) فى الشذرات (٢/٢١) «وقيل : قدمت مصر مع ابنها» وهو محرف عما حكاه المؤلف ، وأصله « عن أبيها »

(٣) فى الشذرات « ولما ماتت هم زوجها إسحاق بحملها إلى المدينة ، فأبى أهل مصر ، فدفنت بين القاهرة ومصر »

حرف الهاء

(٤٧٤)

الشريف
أبو السعادات
هبة الله بن على
(ابن الشجرى)

الشريف[١] أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد بن حمزة الحسنى[٢]، المعروف بابن الشجرى، البغدادى.

كان إماماً فى النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها، كامل الفضائل، متضلعا من الآداب، صنف فيها عدّة تصانيف، فمن ذلك كتاب «الأمالى» وهو أكبرُ تآليفه وأكثرها إفادة، أملاه فى أربعة وثمانين مجلسا، وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب، وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر أبى الطيب المتنبى، تكلم عليها، وذكر ماقاله الشراح فيها، وزاد من عنده ماسَنَح له، وهو من الكتب المتعة، ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن الخَشّاب المتقدم ذكره، والتمس منه سماعه عليه، فلم يجبه إلى ذلك، فعاداه وردّ عليه فى مواضع من الكتاب، ونسبه فيها إلى الخطأ، فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الردّ، فردّ عليه فى ردّه، وبين وجوه غلطه، وجمعه كتابا سماه «الانتصار» وهو على صغر حجمه مفيد جدًّا، وسمعه عليه الناس، وجمع أيضا كتابا سماه «الحماسة» ضاهى به حماسةَ أبى تمام الطائى، وهو كتاب غريب مليح أحْسَن فيه، وله فى النحو عدّة تصانيف، وله «ما اتفق لفظه واختلف معناه» وشرح «اللمع» لابن جنى، وشرح «التصريف الملوكى».

وكان حسن الكلام، حلو الألفاظ، فصيحا، جيد اللسان والتفهيم، وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبى الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفى وأبى على محمد بن سعيد بن نبهان الكاتب وغيرهما.

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب لابن العماد (٤ / ١٣٢) وفى بغية الوعاة (ص ٤٠٧) وفى معجم الأدباء لياقوت (١٩ / ٢٨٢) وفى ابن خلكان (الترجمة رقم ٧٤٥ بتحقيقنا).

(٢) فى الشذرات (٤/١٣٢) «الحسينى»

وذكره الحافظ أبو سعيد[1] بن السمعانى فى كتاب «الذيل» وقال : اجتمعنا فى دار الوزير أبى القاسم على بن طراد الزينبى وقت قراءتى عليه الحديث ، وعلقت عنه شيئا من الشعر فى المدرسة ، ثم مضيت إليه وقرأت عليه جزءاً من أمالى أبى العباس ثعلب النحوى .

وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنبارى النحوى المقدم ذكره فى كتابه الذى سماه مناقب الأدباء، أن العلامة أبا القاسم محمودا الزمخشرى المقدم ذكره لما قَدِمَ بغداد قاصداً الحجَّ فى بعض أسفاره مضى إلى زيارته شيخُنَا أبو السعادات ابن الشجرى ، ومضينا إليه معه ، فلما اجتمع به شيخنا أبو السعادات أنشده قول المتنبى :

وأستكثر الأخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صغر الْخَبَرَ الْخُبْرُ[2]

ثم أنشده فى ذلك رحمه الله تعالى :

كانت مساءلةُ الركبان تخبرنى ... عن جعفر بن فلاح أحْسَنَ الخبر

ثم التقينا فـلا والله ما سمعت ... أذْنِى بأحْسَنَ مماقد رأى بصرى

وهذان البيتان قد تقدم ذكرهما فى ترجمة جعفر بن فلاح ، وهما منسوبان إلى أبى القاسم محمد بن هانىء الأندلسى ، وقد تقدم ذكره أيضاً ، وينسبان إلى غيره أيضاً ، والله أعلم .

قال ابن الأنبارى : فقال العلامة الزمخشرى : روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخيل قال له «يا زيد ، ماوصف لى أحد فى الجاهلية فرأيته فى الإسلام إلا رأيته دون ما وصف لى غيرك» قال ابن الأنبارى : فخرجنا من عنده ونحن نعجب ، كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشرى بالحديث وهو

---

(١) ويقال «أبو سعد» كما يأتى قريبا فى ص ٦١٧ (وانظر ابن خلكان) :

(٢) فى ب ، ث والشذرات «وأستكبر» ،

رجل أعجمى ؟ وهذا الكلام وإن لم يكن عين كلام ابن الأنبارى فهو فى معناه لأنى لم أنقله من الكتاب ، بل وقفت عليه منذ زمان ، وعَلِقَ معناه بخاطرى ، وإنما ذكرت هذا لأن الناظر فيه قد يقف على كتاب ابن الأنبارى فيجد ما بين الكلامين اختلافا ، فيظنّ أنى تسامحت فى النقل .

وكان أبو السعادات المذكور نقيب الطالبيين بالكَرْخ نيابةً عن والده الطاهر ، وله شعر حسن ، فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن على بن محمد بن جهير ، وأولها :

هذى السديرة والغدير الطافح ... فاحفظ فؤادك إننى لك ناصح

ياسِدْرَةَ الوادى الذى إن ضله الـ ... ـسارى هَداهُ نشره المتفاوح

هل عائد قبل الممات لمغرم ... عيشٌ تقضَّى فى ظلالك صالح

ما أنصف الرشأ الضنين بنظرة ... لما دعا مصفى الصبابة طامح[(١)]

شَطَّ المزار به وبوّئَ منزلا ... بصميم قلبك ؛ فهو دان نازح

غصن يعطفه النسيم وفوقه ... قمر يحف به ظلام جانح

وإذا العيون تساهمته لحاظها ... لم يرو منه الناظر المتراوح

ولقد مررنا بالعقيق فشاقنَا ... فيه مراتعُ للمها ومسارح

ظلنا به نبكى فكم من مُضْمِر ... وجدا أذاع هواه دمع سافح

بَرَتِ السنون رسومها فكأنّما ... تلك العراصُ المقفرات نواضح[(٢)]

يا صاحِبيّ تأمّلا حُيّيتما ... وسقى دياركما المُلِثُّ الرائحُ

أدُمى بدت لعيوننا أم ربرب ... أم خرد أكفالهنّ رواجح ؟

---

(١) فى الشذرات « مصفى المودة » .

(٢) وفيه « برت الشؤون » وفى ب ، ث « تلك العراض » .

أم هذه مُقَــلُ الصِّوار رَنَتْ لنا . خلل البراقع أم قَنًا وصفائح[1]
لم تبق جارحــة وقد واجهننا إلا وهن لها بهن ً جوارح[2]
كيف ارتجاع القلب عن أسر الهوى ومن الشقاوة أن يراضَ القارح
لو بَلّه من ماء ضارج شربة ما أثرت للوجــد فيه لوافح

قال : ومن هنا يخرج إلى المديح ، فأضربت عنه خوف الإطاله ، ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه ؛ ليستدل به على المراد من طريقه فيه .

ومن شعره أيضا :

هل الوجد خافٍ والدموعُ شهودُ وهل مكذب قول الوشاة جُحود
وحتى متى تفنى شؤونك بالبكى وقد حدّ حدًّا للبــكاء لبيد
وإنى وإن جفت قناتى كبرة لذو مِرّة فى النائبــات جَلِيدُ

وفيها إشارة إلى أبيات لبيد بن ربيعة العامرى :

تمنّى ابنتــاى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر؟
فقوما فنوحا بالذى تعــلمانه ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضاع ، ولا خان العهود ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يَبْكِ حولا كاملا فقداعتذر

وإلى هذا أشار أبو تمام الطائى بقوله :

ظعنوا فكان بكاى حولاً بعدهم ثمّ ارعويت ، وذاك حكم لبيد

وقال الشريف أبو السعادات المذكور : أنشدنى أبو إسماعيل الحسين الطغرائى (قلت : وقد تقدم ذكره) لنفسه :

---

(١) الصوار : القطيع من بقر الوحش ، وفى الشذرات « الصرار » تحريف.
(٢) فى الشذرات « إلا وهن لبازهن جوارح » ولعل ما هنا محرف عن « وهن لنابهن » .

إذا ما لم تكن ملكا مطاعا فكن عبداً لمالكه مطيعا
وإن لم تملك الدنيا جميعا كما تهواه فاتركه جميعا
هما سببان من ملك ونبل ينيلان الفتى الشرفَ الرفيعا
فمن يقنع من الدنيا بشيء سوى هذين قد يحيا وضيعا

وكان بين أبي السعادات المذكور، وبين أبي محمد الحسن بن أحمد ابن محمد بن جكينا، البغدادي، الحريمي، الشاعر المشهور — وهو المذكور في ترجمة أبي محمد القاسم بن علي الحريري، صاحب المقامات — تنافسٌ جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل، فلما وقف على شعره عمل فيه قوله :

يا سيدي والذي يعيذك من نظم قريض يصدا به الفكر
مالك من جدكَ النبيّ سوى أنك ما ينبغي لك الشعر[1]

وشعره وما جرياتُه كثيرة، والاختصار أولى .

وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة .

وتوفي يوم الخميس، السادس والعشرين[2] من شهر رمضان، سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة .

ودفن من الغد في داره بالكَرْخ من بغداد، رحمه الله تعالى !.

(٤٧٥)

أبو القاسم هبة الله بن الحسين (البديع الاسطرلابي)

أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف بن محمد، وقيل : أحمد، المنعوت بالبديع الإسطرلابي، الشاعر، المشهور، أحد الأدباء الفضلاء[3] .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى في حق الرسول صلى الله عليه وسلم : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) .

(٢) في الشذرات « يوم الخميس ثاني عشري رمضان » .

(٣) له ترجمة في معجم الأدباء لياقوت (١٩/٢٧٣) ذكر فيها البيتين اللذين على الهمزة المتصلة بالهاء، والبيتين اللذين على الراء، وفي ابن خلكان (الترجمة رقم ٧٤٦ بتحقيقنا) .

كان وحيدَ زمانِهِ فى عمل الآلات الفلكية ، متقنا لهذه الصناعة ، وحصل له من جهة أعملها مال جزيل فى خلافة الإمام المسترشد ، ولما مات لم يخلفه فى شغله مثله ، وقد ذكره أبو المعالى الحظيرى فى كتابه الذى سماه « زينة الدهر » وذكره العمادُ الأصبهانى فى كتاب « الخريدة » وكل منهما أثنى عليه ، وأورد عدة مقاطيع من شعره ، فمن ذلك :

أهدى لمجلسه الكريم ، وإنما أهدى له ما حزت من نعمائه

كالبحر يمطره السحاب ، وماله فضل عليه لأنه من مائه

وهذان البيتان من أشهَرِ شعره ، وقد قيل : إنهما لغيره .

وله أيضاً :

أذاقنى حمـرة المنايا لما اكتسى خضرة العذار [1]

وقد تبدَّى السواد فيه وكارتى بَعْدُ فى العيار

هكذا وجدت هذين البيتين فى «زينة الدهر» تأليف أبى المعالى الحظيرى ، منسوبين إلى البديع المذكور .

ورأيت فى موضع آخر أنهما لأبى محمد بن جكينا المذكور فى ترجمة الشريف ابن الشجرى ، والله أعلم .

وهذه العبارة من اصطلاح البغاددة ، فإنهم كانوا يقولون « كارتى فى العيار » يعنى أنه ناشب معه لم يتخلص منه ، والكارة عندهم فى الدقيق بمثابة الحملة فى ديار مصر .

ومن شعره أيضا ، رحمه الله :

---

(١) المنايا : جمع منية ، وهى الموت ، وإضافة الحمرة إليها من إضافة الصفة للموصوف ، أى الموت الأحمر ، وكذلك قوله «خضرة العذار» أى العذار الأخضر ، والعذار : الشعر النابت على الوجه

قال قوم عشقته أمرد الخد　　وقد قيل : إنه نكريش
قلت:فرخ الطاووس أحسن ما كا　　ن إذا ما علا عليه الريش

قوله « نكريش » لفظة أعجمية ، والأصل فيها نيك ريش ، معناه لحية جيدة ، وهو على ماتقرر من اصطلاح العجم أنهم يقدمون و يؤخرون فى ألفاظهم المركبة ؛ فنيك جيد ، وريش لحية .

وكان كثير الخلاعة ، يستعمل المجون فى أشعاره ، حتى يُفضِى به إلى الفحش فى اللفظ ، فلهذا اقتصرت له على هذه النبذة مع كثرة شعره ، وكان قد جمعه ودوّنه ، واختار ديوان ابن حجاج ، ورتبه على مائة وأحد وأربعين بابا ، وجعل كل باب فى فنّ من فنون شعره ، وقفاه ، وسماه « درّة التاج ، من شعر ابن الحجاج » ، وكان ظريفا فى جميع حركاته .

وتوفى سنة أربع وثلاثين[1] وخمسمائة ، بعلة الفالج ، ودفن بمقبرَة الوَردية ، بالجانب الشرقى من بغداد ، رحمه الله تعالى ! .

(٤٧٦)

هارون الرّشيد[2]

أمير المؤمنين هارون الرشيد

مكث فى الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوما .

وتوفى بطُوسَ ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة من الهجرة ، وكان قد حج تسع حجج ، وغزا ثمان غزوات ، قال الشاعر ، رحمه الله تعالى :

ألِفَ الحج والجهاد فما ينـ　　ـفك من غزوتين فى كل عام

وكان من أهل العلم والأدب .

---

(١) فى معجم الأدباء « أربع وثلاثين ومائة » تحريف .

(٢) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ١١١) وفى شذرات الذهب لابن العماد (١/٣٣٤) ، وكنية الرشيد « أبو جعفر » .

ومن شعره أيضا :

مَلَكَ الثلاث الآنِسات عنانى وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرِيّةُ كلها وأطيعهن وهن فى عصيان
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قَوِينَ أعز من سلطانى

قتل البرامكة سنة سبع وثمانين ومائة ، ونهب ديارهم وأموالهم ، وفى أيامه هاجت عصبية أبى الهندام بالشام ، وخرج عطاف بن الوليد السامرى بالموصل ، والوليد بن طريف ، وهدم سور الموصل ، وخرج الخزر من باب الأبواب ، وخرج عمر الشاذى من شهرزور ، والله أعلم .

(٤٧٧)

أبوالقاسم هبة الله بن الفضل (ابن القطان) الشاعر

أبو القاسم[١] هبة الله بن الفضل بن عبدالعزيز بن محمد بن الحسين بن الفضل ابن يعقوب بن يوسف بن غانم المتولى ، المعروف بابن القطان ، الشاعر المشهور ، البغدادى .

قد سبق شىء من شعره وطرف من خبره فى ترجمة حَيْصَ بَيْصَ فى حرف السين ، وفى ترجمة ابن السوادى فى أواخر حرف العين[٢] .

وكان أبو القاسم المذكور قد سمع الحديث من جماعة من المشايخ ، وسُمِعَ عليه ، وكان غاية فى الخلاعة والمجون ، كثير المزاح والمداعبة ، مغرى بالولوع بالمتعجرفين والهجاء لهم ، وله فى ذلك نوادر ووقائع وحكايات ظريفة ، وله ديوان شعر .

وقد ذكره أبو سعد السمعانى[٣] فى كتاب « الذيل » فقال : شاعر مجود ،

---

(١) له ترجمة فى وفيات الأعيان لابن خلكان (الترجمة رقم ٧٤٧ بتحقيقنا) وفى آبائه زيادة عما هنا ، وفيه أن وفاته فى شهر رمضان من سنة ٥٥٨ .

(٢) هذا كلام ابن خلكان ، ولم يسبق للمؤلف .

(٣) ويقال « أبو سعيد » كما مضى قريباً فى ص ٦١١ من هذا الجزء (وانظر ترجمته فى ابن خلكان رقم ٣٦٨ بتحقيقنا) .

مليح الشعر ، رقيق الطبع ، إلا أن الغالب عليه الهجاء ، وهو ممَّنْ يتقى ، لسانه ثلاب ، ثم قال : كتبت عنه حديثين لا غير ، وعلقت عنه مقطعات من شعره .

وذكر الحافظ السِّلَفى أباه أبا عبد الله الفضل بن عبد العزيز وقال : إن بعض أولاد المحدثين سأله عن مولده فقال : سنة ثمان عشرة وأربعمائة ليلة الجمعة رابع عشر رجب ، وقال أبو غالب شجاع بن فارس الذهلى : مات يوم الأربعاء ، ودفن من الغد لست بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، ودفن بمقبرة معروف الكرخى .

وذكر العماد الأصبهانى فى كتاب « الخريدة » أبا القاسم المذكور ، فقال : وكان مجمعا على ظرفه ولطفه ، وله ديوان شعر أكثره جيد ، وعبث فيه بجماعة من الأعيان وثَلَبهم ، ولم يسلم منه أحد لا الخليفة ولا غيره ، وأخبرنى بعضُ المشايخ أنه رآه وقال : كنت يومئذ صبيا ، فلم آخذ عنه شيئا ، لكننى رأيته قاعداً على طرف دكان عطار ببغداد والناسُ يقولون : هذا ابن الفضل الهجَّاء ، وسمع الحديث من جماعة منهم أبوه وأبو طاهر محمد بن الحسن الباقلانى وأبو الفضل أحمد بن الحسن بن جيرون الأمين وأبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن محمد بن طلحة بن محمد بن عثمان الكرخى ، وغيرهم .

وله مع حَيْصَ بَيْصَ (١) ماجريات ، فمن ذلك أن الحيص بيص خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين أبى الحسن على بن طراد الزينبى ، فنبَحَ عليه جَرْوُ كلب ، وكان متقلداً بسيف ، فوكزه بعقب السيف ، فمات ، فبلغ ذلك ابن الفضل المذكور فنظم أبياتا ، وضمنها بيتين لبعض العرب قَتَل أخوه أبنا له فقدم إليه ببغداد ليقتاد منه ، فألقى السيف من يده وأنشدها ، والبيتان المذكوران يوجدانِ

---

(١) الحيص بيص : لقب لشاعر اسمه سعد بن محمد بن سعد ، ويقرأ بفتح آخر الكلمتين ، وهو من تركيب الأعلام كتركيب خمسة عشر ونحوه ، وترجمته فى ابن خلكان ٢٤٤ .

فى الباب الأول من الحماسة ، ثم إن ابن الفضل المذكور كتب الأبيات فى ورقة وعلقها فى عنق كلبة لها أجْرٍ ، ورتب معها مَنْ طردها وأولادَهَا إلى باب دار الوزير كالمستغيثة ، فأخذت الورقة من عنقها ، وعرضت على الوزير ، فإذا فيها :

يا أهل بغداد إنَّ الحَيْصَ بَيْصَ أتى ... بفعلة أكسبته الخزىَ فى البلد
هو الجرىّ الذى أبدى تشاجُعَه ... على جُرَىٍ ضعيف البطش والجَلَدِ[1]
وليس فى يده مال يَدِيهِ بهِ ... ولم يكن بِبَواء عنـه فى القَوَد
فأنشدتْ أمه من بعد ما احتسبت ... دَمَ الأبيلق عند الواحد الصَّمَدِ :
(أقول للنفس تأسـاء وتعزية ... إحْدَى يدىَ أصابتنى ولم تُرِدِ
كلاهما خَلَف من فَقْد صاحبه ... هذا أخِى حين أدعوه وذا ولدى)

والبيت الثالث مأخوذ من قول بعضهم :

قومٌ إذا ما جنى جانيهمُ أمنوا ... من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قَوَدَا[2]

وهومن جملة أبيات فى الكراس الذىأوله لقى بشار ، وينظر فى الحماسة[3] ، وهذا التضمين فى غاية الحسن ، ولمأسمع مثله — مع كثرة ما يستعمل التضمين فى أشعارهم — إلا ما أنشدنى الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد المعروف بابن الخيمى المذكور فى ترجمة الشيخ تاج الدين الكندى فى حرف الزاى لنفسه أخبرنى أنه كان بدمشق وقد رَسَم السلطان بحَلْق لحية شخص له وجاهة بين الناس ، فحلق بعضها ، وحصلت فيه شفاعة ، فعفَا عنه فى الباقى ، فعمل فيه ولم يصرح باسمه بل رمزه وستره ، وهو :

زرت ابن آدم لما قيل قد حَلَقوا ... جميعَ لحيته من بعد ما ضربا
فلم أرَ النصف محلوقا فقُلْتُ له ... مُهنيًا بالذى منهـــا له وهبا

---

(١) فى نسخة عند ابن خلكان « هو الجبان الذى » .

(٢) فى ب ، ث « أن يقبلوا قودا »

(٣) هكذا فى ث ، ووقع فى ب « لقى إشارة فنظر فى الحارة » ولا معنى له .

فقــام ينشدنى والدمع يخنقه بيتين ما نظما مَيْنا ولا كذبا
(إذا أتتك لحلق الذقن طائفة فاُخلع ثيابك منها ممعنا هربا
وإن أتوك وقالوا إنها نَصَف فإن أطيب نصفيها الذى ذهبا)

والبيتان الأخيران منها فى الحماسة أيضاً فى باب مذمة النساء ، لــكن الأول منهما فيه تغيير ، فإن بيت الحماسة :

لا تنكحنَّ عجوزا إن أتيت بها واخْلَعْ ثيابك منها مُمْعِناً هربا

وحضر ليلةً الحيصَ بيصَ وابنُ الفضل المذكور على السِّماط عند الوزير فى شهر رمضان ، فأخذ ابن الفضل قَطَاةَ[1] مشوية وقدمها إلى الحيص بيْصَ ، فقال الحيص بيْصَ للوزير : يا مولانا هذا الرجل يؤذينى ، فقال الوزير : كيف ذلك ؟ قال : لأنه يشير إلى قول الشاعر :

تميم بُطْرق اللؤم أهدى من القطا ولو سَلَكَتْ سُبْلَ المكارم ضَلَّتِ

وكان الحيص بيْصَ تميمياً كما تقـدم فى ترجمته ، وهـذا البيت للطرِمّاح ابن حكيم الشاعر ، وهو من جملة أبيات ، ومن بعد هذا البيت :

أرى الليل يجلوه النهار ، ولا أرى خلالَ المخازى عن تميم تجلت
ولو أن برغوثا على ظهر قارة يكر على صفى تميم لولت

ودخل ابنُ الفضل المذكور يوماً على الوزير المذكور الزينبى ، وعنده الحيص بيص ، فقال : قد عملت بيتين لا يمكن أن يعمل مثلهما ، ولا لهما ثالث ؛ لأنى قد استوفيت المعنى فيهما ، فقال له الوزير : هاتهما ، فأنشد :

زار الخيال نحيلاً مثل مُرْسله فما شفَانِىَ منه الضم والقُبَلُ
ما زارنى قط إلا كى يُوافقنى على الرقاد فينفيه ويرتحل

فالتفت الوزير إلى الحيص بيص وقال له : ما تقول فى دعواه ؟ فقال : إن

---

(١) القطاة : طائر مثل الحمام ، وانظر إلى قول عروة :

كأن قطاة علقت بجناحها على كبدى من شدة الخفقان

أعادهما سمع لهما الوزير ثالثاً، فقال له الوزير : أَعِدْهُمَا، فأعادهما، فوقف الحيص بيص لحظة وأنشد :

وما دَرَى أن نومى حيلة نُصِبت　　لطَيْفه حين أعيا اليقظة الحيل

فاستحسن الوزير ذلك منه .

وسمعتُ لبعض المعاصرين ولم أتحقق أيهما له حتى أعينه، وقد أخذ هذا المعنى ونظمه وأحسن فيه، وهو :

يا ضرة القمرين مَنْ لمتيم　　أرديتِهِ وأحلْتِ ذاكِ على القضَا

وحياة حبك لم يَنَمْ عن سلوة　　بل كان ذلك للخيال تعرضا

لاتأسفى إنْ زارطيفك فى الكرى　　ما كان إلا مثل شخصك معرضا

ثم وجدت هذه الأبيات لأبى العلاء بن أبى الندىّ المعروف .

ولما هجا قاضى القضاة جلال الدين الزينبى بالقصيدة الكافية المقدم ذكرها فى ترجمة ابن السوادى، ولولا طولها لذكرتها، سَيَّر إليه أحد الغلمان فأحضره وصفعه وحبسه، فلما طال حبسه كتب إلى مجد الدين بن الصاحب أستاذ دار الخليفة رحمه الله تعالى :

إليك أطَلَّ مجدَ الدين أشكو　　بَلاَءً حلّ لَسْتُ له مُطِيقا

وقوما بَلّغــوا عنى مُحَالا　　إلى قاضى القضاة النّذْب سيقا

فأحضرنى بباب الحكم خَصْمٌ　　غليظ جرنى كُمًّا وزيقـــا

وأخفق نعــله بالصفع رأسى　　إلى أن أوجس القلب الخفوقا

على الخصم الألد وقد صفعنا　　إلى أن ما تهدَّيْنَا الطريقا

فيامولاى هَبْ ذا الإفك حقا　　أيحبس بعد ما استوفى الحقوقا ؟

ولما خرج من الحبس أنشد رحمه الله :

هــــذا الذى طرف بى أنه　　قد غض من قدرى وآذانى

والحبس ما غــــير لى خاطرا　　والصــــفع مالين آذانى

وقد سبق فى ترجمة الحيص أبياتُه الميمية فى هجوه ، وجواب الحيص بيص عنها .

ولما ولى الزينبى المذكور الوزارة دخل عليه ابن الفضل المذكور والمجلس محتفل بأعيان الرؤساء ، وقد اجتمعوا للهناء ، فوقف بين يديه ، ودعا له ، وأظهر السرور والفرح ورقص ، فقال الوزير لبعض مَنْ يُفْضى إليه بسره : قبح الله هذا الشيخ ! فإنه يشير برقصه إلى ماتقول العامّة فى أمثالها « ارقص للقرد فى زمانه » وقد نظم هذا المعنى فى أبيات وكتبها إلى بعض الرؤساء ، وهى :

يا كمال الدين الذى　　　هو شخص مشخص

والرئيس الذى به　　　ذَنْبُ دهرى يمحَّصُ

خذ حديثى فإنه　　　نبأ سوف يرخص

كلما قلت قد تبغـــدد قومى تحمصصوا

ليس إلا سترٌ يُشَا　　　ل وباب مجصص

وغواش على الرؤ　　　س عليها المقرنص

والرواشين والمنـــا　　　ظر والخيل ترقص

وأنا القرد كل يو　　　م لـكلب أحفص

كل من صفق الزما　　　ن له قمت أرقص

محن لا يفيد ذا النـــون منها التبرصص

فمتى أسمع النـدا　　　ء وقد جاء مَخلص

ومثل هذا قول بعضهم :

إذا رأيتَ امرأ وَضيعاً　　　قد رفع الدهر من مكانه

فكن سميعا له مطيعا　　　مُعَظِّما من عظيم شانه

فقد سمعنا بأن كسرى　　　قال قديما لترجمانه :

إذا زمان السباع ولّى　　　أُرقص إلى القرد فى زمانه

حرف الواو

(٤٧٨)

أبو حذيفة
واصل بن عطاء
شيخ المعتزلة
(الغزال)

أبو حذيفة واصل[١] بن عطاء المعتزلى ، المعروف بالغزّالِ ، مولى بنى ضبة ، وقيل : مولى بنى مخزوم .

وكان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين فى علوم الكلام وغيرها ، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا .

قال أبو العباس المبرد فى حقه فى كتاب الكامل : كان واصل بن عطاء أحَدَ الأعاجيب ، وذلك أنه كان ألثَغ قبيح اللثغة فى الراء ، فكان يخلص كلامه من الراء ، ولا يُفْطَن لذلك ؛ لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه ، ففى ذلك يقول شاعر من المعتزلة ، وهو أبو طروق الضبى ، يمدحه بإطالة الخطب واجتنابه الراء ، على كثرة ترددها فى الكلام حتى كأنها ليست فيه :

عليم بإبدال الحروف ، وقامع ... لكل خطيب يغلبُ الحقَّ باطلُهْ

وقال الآخر :

ويجعل البر قمحا فى تصرّفه ... وخالف الراء حتى احتال للشَّعَرِ

ولم يطق مَطَرا والقول يعجله ... فعاذَ بالغيث إشفاقا من المطر

ومما يحكى عنه وقد ذكر بشار بن برد فقال : أما لهذا الأعمى المكتنى بأبى معاذ مَنْ يقتله ؟ أما والله لولا أن الغِيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه ، ثم لا يكون إلا سَدُوسياً أو عقلياً ، فقال « هذا الأعمى » ولم يقل بشار ، ولا أبو برد ، ولا الضرير ، وقال « من أخلاق الغالية » ولم يقل المغيرية ، ولا المنصورية ، وقال « لبعثت » ولم يقل أرسلت ، وقال « فى مضجعه » ولم يقل على مرقده ، ولم يقل على فراشه ، وقال « يبعج » ولم يقل يبقر ، وذكر

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت (١٤٣/١٩) وفى وفيات الأعيان لابن خلكان (الترجمة رقم ٧٣٩ بتحقيقنا) .

بنى عقيل لأن بشاراً كان يتوالى إليهم ، وذكر بنى سدوس لأنه كان نازلا فيهم
وله من التصانيف : كتاب أصناف المرجئة ، كتاب فى التوبة ، كتاب فى المنزلة بين المنزلتين ، كتاب خطبته التى أخرج منها الراء ، كتاب معانى القرآن ، كتاب الخطب فى التوحيد والعدل ، كتاب ما جرى بينه و بين عمرو بن عُبَيد ، كتاب السبيل إلى معرفة الحق ، كتاب فى الدعوة ، كتاب طبقات أهل العلم والجهل ، وغير ذلك .

وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتوفى سنة إحدى وثلاثين ومائة ، رحمه الله تعالى !

(٤٧٩)

أبو زيد وثيمة بن موسى بن الفرات ، الوشاء ، الفارسى

أبو زيد وثيمة بن موسى بن الفرات ، الوشاء ، الفارسى [١] .

كان قد خرج من بلده إلى البصرة ، ثم سافر إلى مصر ، وارتحل منها إلى الأندلس تاجراً ، وكان يتجر فى الوَشْىِ ، وصنف كتابا فى أخبار الردة ، وذكر فيه القبائل التى ارتدت بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، والسرايا التى سيرها إليهم أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، وصورة مقاتلتهم ، وما جرى بينهم و بين المسلمين فى ذلك ، ومَنْ عاد منهم إلى الإسلام ، وقتال مانعى الزكاة ، وما جرى لخالد بن الوليد المخزومى رضى الله عنه مع مالك بن نُوَيرة اليربوعى أخى متمم بن نُوَيرة الشاعر المشهور صاحب المراثى المشهورة فى أخيه مالك ، وصورة قتله ، وما قاله متمم من الشعر فى ذلك ، وما قاله غيره ، وهو كتاب جيد يشتمل على فوائد كثيرة ، وقد تقدم فى ترجمة أبى عبد الله محمد الواقدى أنه صنف فى

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت (١٩/٢٤٧) وفى وفيات الأعيان لابن خلكان (الترجمة رقم ٧٤٠ بتحقيقنا) وفيه وفى ث «أبو يزيد» وما أثبتناه موافق لما فى ب وفى المعجم .

الردة كتاباً أجاد فيه ، ولم أعرف لوثيمة المذكور من التصانيف سوى هـذا الـكتاب ، وهو رجل مشهور ، وذكره أبو الوليد بن الفَرَضى صاحب تاريخ الأندلس فى كتابه ، وذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى كتاب « جذوة المقتبس » وأبو سعيد بن يونس فى كتاب « تاريخ مصر » وأبو سعيد السمعانى فى كتاب « الأنساب » فى ترجمة الوشاء ، فقال : كان يتجر فى الوشى ، وهو نوع من الثياب المعمولة من الإبريسم ، فعرف به جماعة ، فمنهم وثيمة المذكور

ثم إنّ وثيمة عاد من الأندلس إلى مصر ومات بها يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين ومائتين ، رحمه الله تعالى !.

قال أبو سعيد بن يونس المصرى فى تاريخه : كان لوثيمة ولد يقال له أبو رفاعة عمارة بن وثيمة ، حدّث عن أبى صالح كاتب الليث بن سعد وعن أبيه وثيمة وغيرهما ، وصنف تاريخاً على السنين ، وحدث به ، ومولده بمصر، وتوفى ليلة الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين .

وإذ ذكرنا متمم بن نويرة وأخاهُ مالـكا ، فلابد من ذكر طرف من أخبارهما فإنها مستملحة .

مالك بن نويرة والردافة عند العرب

كان مالك بن نويرة المذكور رجلا سَرِيًّا نبيلا ، يردف الملوك ، وللردافة موضعان: أحدهما أن يُرْدِفه[1] الملك على دابته فى صيد أوغيره من مواضع الأنس ، والموضع الثانى أنبل[2] ، وهو أن يَخْلُفَ الملك إذا قام عن مجلس الحـكم لينظر بين الناس بعده . وهو الذى يضرب به المثل فيقال « مَرْعًى ولا كالسَّعْدَان[3] ، وماء ولا كصدّاء ، وفتى ولا كمالك » وكان فارساً شاعراً مطاعا فى قومه ، ولما ارتدت العرب بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بمنع الزكاة كان مالك المذكور من

---

(١) يردفه : يركبه خلفه ، وهو « رديف » .
(٢) أنبل : أعظم شأنا وأكبر قدراً .
(٣) السعدان : نبت تدر عليه الإبل ، وصداء : اسم ماء بعينه .

جملتهم ، ولما خرج خالد بن الوليد رضى الله عنه لقتالهم فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه نزل على مالك وهومقدم قومه بنى يَرْبُوع ـ وقد أخذ زكاتهم ، وتصرف فيها ـ فكلمه خالد فى معناها ، فقال مالك : أنا آتى بالصلاة دون الزكاة ، فقال له خالد : أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً لا تقبل واحدة دون أخرى ، فقال مالك : يا خالد ابعثنا إلى أبى بكر فيكون هو الذى يحكم فينا ، فقد بعثت إليه غيرنا ممن جُرْمُه أكبر من جرمنا ، فقال خالد : لا أقالنى الله إن أقلتك ، وتقدم إلى ضِرَار بن الأزور بضَرْب عنقه ، فالتفت مالك إلى زوجته أم متمم وقال لخالد : هذه التى قَتَلَتنى ، وكانت فى غاية الجمال ، فقال له خالد : بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام ، فقال مالك : أنا على الإسلام ، فقال خالد : يا ضِرار اضرب عنقه ، فضرب عنقه ، وجعل رأسه أثفية لِقِدْرٍ ، وكان من أكثر الناس شَعْراً كما تقدم ذكره ، فكانت القدر على رأسه حتى نضج الطعام ، وما خَلَصت النار إلى شَوَاه من كثرة شعره .

قال ابن الكلبى فى جمهرة النسب : قتل مالك يوم البِطاح ، وجاء أخوه متمم ، فكان يرثيه ، وقبض خالد امرأته ، فقيل : إنه اشتراها من الفىء وتزوج بها ، وقيل : إنها اعتدَّت بثلاث حِيَض ثم خطبها إلى نفسه فأجابته ، فقال لابن عمر وأبى قتادة رضى الله عنهما : تحضران النكاح ، فأبيا ، وقال له ابن عمر رضى الله عنه : تكتب إلى أبى بكر رضى الله عنه وتذكر له أمرها ، فأبى ، وتزوجها ، فقال فى ذلك أبو زهير السعدى :

ألا قل لحى أوطِئوا بالسنابك ... تطاول هذا الليل من بعد مالك[1]

قضى خالد بَغْياً عليه لعِرْسِه ... وكان له فيها هَوًى قبل ذلك[2]

---

(١) السنابك : حوافر الخيل .

(٢) عرس الرجل ـ بكسر العين ـ زوجه .

فأمضى هواه خالد غيرَ عاطفٍ عنان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل ، وأصبح خالد إلى غير شيء هالكا فى الهوالك
فمن لليتامى والأرامل بعـــده ومن للرجال المعدمين الصعالك؟

ولما بلغ الخبر أبا بكر رضى الله عنه قال عمر لأبى بكر رضى الله عنه : إن خالدا قد زنى فارجُمْه ، قال : ما كنت لأرجمه فإنه تأول فأخطأ ، قال : فإنه قتل مسلما فاقتله به ، قال : ما كنت لأقتله به ؛ إنه تأول فأخطأ ، قال : فاعزله ، قال : ما كنت لأشيمَ(١) سيفاً سلّه الله عليهم أبدا

هكذا سرَد هذه الواقعة وثيمة المذكور والواقدى فى كتابيهما ، والعهدة عليهما .

(١) شام السيف يشيمه : وضعه فى غمده .

حرف الياء

(٤٨٠)

أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار ، المصرى

أبوالحسين يحيى بن عبد العظيم ، الجزار ، المصرى .

من شعره رحمه الله تعالى :

لئن قطع الغيث الطريق فبغلتى ... وحاشاك قبقابى وجوختى الدار[1]

وإن قيل لى : لاتخشَ فهى عَبُورة ... خشيت على علمى بأنىَ جزار

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى :

أحبابنا ما لليــلى بعد فرقتكم ... كأنما هو مخلوق بلا سَحَرِ

أنفقت أيام عمــرى فى محبتكم ... وقد نأيتم ، فلا أنتم ولا عمرى

وقال أيضاً ، سامحه الله تعالى :

وكم وكم قــد دق أبوابه ... عليه فى الليل نسيمُ الصَّبَا

فقال: مَنْ؟ قال: رسول الشتا ، ... فقال : لا أهلا ولا مرحبــا

وقال من قصيدة :

وكم قابلت تركيا بمدحى ... فكاد لما أحاول منه يختنق

ويلطمنى إذا ما قلت الطن ... ويرمقنى إذا ما قلت يرمق

وتسقط حرمتى أبدا لديه ... فلو أنى عطست لقال يشمق

وقال رحمه الله من قصيدة :

طالمـا كنت قبلها تحفظ الخبــزَ ولـكن بالبخل فى الصندوق

ليت شعرى ماذا تقول إذا ما ... رُمْتَ شتمى ؟ قل لى بأى طريق

علم الله ما مضيت رســولا ... قط من عنــد إبنتى لعشيق

لا ولا بِتُّ فى مكان طفيليــا كغيرى فى طاعة وفســوق

---

(١) القبقاب : مايلبس فى القدم من الخشب ، وأراد بالجوخة مايتدثر به من اللباس ، وهذه كناية عن عوزه وشدة فاقته .

لا ولا جئت بالرجال إلى بيـــتى وكاشرت عنهم فى السوق

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

لبست بيتى وقـد زررت أبوابى — علىَّ حتى غسلت اليـوم أثوابى

وقد أزال الشتا ما كان من حمقى — دعنى فمستوقد الحمـــام أولى بى

أنام فى الزبل كى يَدْفا به جسدى — مابين جمـــرٍ به ما بين أصحابى

أو فوق قدر هريسٍ بتُّ أحرسها — مع الـكلاب على دكان علابى

ما كنت أعرف ماضَرْبُ المقارع أو — قاسيت وقع الندى من فوق أجنابى

وما تراقصتِ الأعضاء فى جسدى — إلا وقد صفقت بالبرد أنيـــابى

وقال فى زوجة أبيه وكانت طرشاء :

تزوج الشيخُ أبى شيخةً — ليس لهـــا عقل ولا ذهن

لو برزت صورتُها فى الدجى — ما جسرت تنظرها الجنُّ

كأنها فى فرشها رمة — وشعرها من حولها قطن

وقائل يقول : ما ســـنها — فقلت ما فى فَمِهـــاَ سن (١)

وقال فيها وقد مات أبوه :

أذابت كلى الشيخ تلك العجوزُ — وأرْدَتْهُ أنفـــاسُها المرديه (٢)

وقد كان أوصى لها بالصداق — فما فى مصيبتـــه تعـــزيه

لأنىَ ما خِلْتُ أن القتيــــل — يُوصِى لقـــــاتله بالديه

وأهدى إلى الصاحب كمال الدين بن العديم سجادة خضراء ، وكتب معها :
المملوك سجادة أبى الحسين الجزار :

أيها الصاحب الأجل كمال الد — ين لا زلتَ ملجأ للغـــريب

---

(١) فى ب،ث « وقائل قال ما سنها » ولا يستقيم معه الوزن .

(٢) أردته : أهلكته ، والمردية : المهلكة .

كن مجـــيرى لأننى قد تغر بـــت لـكونى وقعت عند الأديب

أنا سجادة سئمت من الطـــىِّ فهَبْ لى نَشْراً فنَشْرُك طيبى

طال شوقى إلى السجود ، وكم لى من شروق فى بيته وغروب ؟

و إذا ما أتاه ضـــيف أرانى منه عند الصلاة وَجْهَ مريب

لم يرقـــه أخضرارلونى ، وهيهات ! وما راعه اسوداد الذنوب

فأقِل عثرتى ووفر بإحســـانك من وجهك الكريم نصيبى

واجبُرِ اليوم كسر قلبى فلا زلـــت مدى الدهر جابرا للقلوب

إن حسن فى الآراء العالية أسعدها الله أن ينصب محرابى إلى القبلة بعد رفعه ، و يخفض عيشى بالتسبيح والتقديس بعد صَرْمه وقطمه[1] ، و يجعلنى مؤهلة بين يديه لصالح الأعمال ، و يؤمننى العُثَّ الذى يعترى الصوف لعدم الاستعمال ، فعَلَ جار يا على عوائد اصطناعه ، سالكا سبل أخلاقه وطباعه ، والسلام .

وقال أيضا ، رحمه الله تعالى :

إذا كنت تعـــلم ما فى الصدور وتعـــلم خائنة الأعين

وتعلم صحة فقرى إليـــك فإنىَ عن شرح حالى غَنى

أسِيء فتحسن لى دائمـــا وهل للمسىء ســـوى المحسن

وحقـــك مالىَ من قـــدرة على كشف ضُرٍّ إذا مسنى

فـــلا تلزمنِّى بغـــير الدعاء فـــذلك ما ليس بالممكن

(٤٨١)

أبو زكرياء يحيى ، صاحب إفريقية

يحيى صاحب إفريقية ، أبوزكرياءَ .

كان أبوه نائبا لآل عبد المؤمن على إفريقية ، فلما توفى والده تغلب عل إفريقية

---

(١) فى ث « بعد حرمه وقطمه » ولعلها محرفة عما أثبتناه ، أوعن « بعد جزمه وقطمه » .

وتونس ، وامتدّت أيامه ، واشتغل عنه بنو عبد المؤمن بأنفسهم ، وتوفى سنة سبع وأربعين وستمائة .

وأصله من برابر مَصْمودة .

كان يباشر الأمور بنفسه ، ولا يركن إلى أحد ، وكان كثيراً مايتستر بالليل ، ويخرج الأموال ، ويقصد مواضع الفقراء والأيتام ، وعمّ جميع المستحقين بالعطاء، وكان الفقراء يدعون له بكل مكان ، وفى كل يوم يجلس فى مجلس مخصوص ، ويحضر الأمراء والجند والوافدون ، ولا يأنف أن يتكلم فى جليل الأمور وحقيرها ، ثم يُطعم الناس ، فإذا حضر وزير الأموال انقلب إلى مكان آخر مع مَنْ يشرفه بالحضور من الفضلاء من فقيه وأديب ومنجم وطبيب ، فإذا فرغ من هؤلاء دخل إلى داره واستراح إلى أذان العصر ، فيخرج إلى موضع آخر غير الموضعين الأوّلين يتفقد فيه الأمور الخاصة بقصره ، فإذا أذن المغرب دخل إلى ما هنأه الله به من اللذات ، ولم يقطع صلاة الجمعة فى الجامع ، ولايخل بها ، ويجلس يوم السبت فى القبة العظمى وحوله أقاربه وشيوخ دولته على مراتبهم ، وتُقْرأ عليه المظالم بحضرة القاضى وغيره ، ويجزم الحكم ، ويفصله ، وله فى ذلك أخبار ظريفة

ورفع له طائفة أخرى من الشعراء قصائد فوقع عليها بما رآه ، وكان منهم شاعر يعرف بابن المحطية ، وكان فى قصيدته خطأ[1] .

(٤٨٢)

يوسف بن زيلاق ، الشاعر

يوسف بن زيلاق .

ومن شعره :

إلى الله أشكو هاجرى ومعنفى عليه ؛ فكل جائر فى احتكامه

---

(١) كذا بالأصل ، وظاهر أن الكلام لم يتم لا فى أوله ولا فى آخره .

حبيب نأى عنى الكرى بملاله ... وواشٍ دنا منى الأسى بملامه
غريب المعانى قام عذر صبابتى ... بحسن عذاريه ولين قوامه
تفرد قلبى دونه بهمومه ... وشارك جسمى خصره فى سقامه
سقى الله ليلا حين جاد بوصله ... وقد كان لا يسخو بردّ سلامه
فطاف كمثل الظبى عند التفاته ... بحمراء مثل الجمر عند اضطرامه
كسا المَزْجُ أعلاها حَبابا كأنه ... ثناياه أبداهنّ حسنُ ابتسامه
شككنا فلم نعرف أمنظوم عقده ... من الدرأم من ثغره أم كلامه
ولم ندر هذا السكرمن سحرطرْفه ... ومن خدّه والريق أم من مدامه

وقال أيضا، رحمه الله تعالى :

يفديك جفنٌ بمائه شرقُ ... جار عليه البكاءُ والأرق
ومهجة لم تزل حشاشتها ... منك بنار الجفاءِ تحترق
يا قمراً أصبحَتْ محاسنه ... تنهب ألبابنا وتسترق
تجمعت فيك للورى فتن ... على تلاف النفوس تتفق
طرف كحيل ووجنة كسيَتْ ... حمرة دمعى ومبسم يَقَقٌ[(١)]
جالت على عطفه ذؤابته ... كالغصن زانت فروعَه الورقُ
ذَاكَ لى جنة معجلة ... ما وجدوا مثلها ولا رزقوا
هم حسدونى عليك فاختلفوا ... بكل زور عليك واختلقوا[(٢)]
سعوا بتفريقنا ؛ فلا اجتمعوا ... على وصال يوما ولا اتفقوا !
فأين كانوا وأدمعى بدد ... تركض فى وجنَتى وتستبق
ومقلتى حشوها السهاد وأحشاءُ ضلوعى يعتادها الحرق

---

(١) يقق ـ بالتحريك ـ شديد البياض ، ويقال «أبيض يقق» كما يقال «أحمر قان» و «أصفر فاقع» و «أسود قاتم» .

(٢) اختلقوا : كذبوا واخترعوا ، واختلفوا ـ بالفاء ـ ترددوا .

ماذا يضرّ الوشاة أنهم رقّوا لقلبى الموجوع أو رفقوا
بمن كسا وجنتيك من حلل الـحُسْن رياضاً نسيمها عبق
وأطلع البدرَ من جبينك محفوفا بصُدْغٍ كأنه الغسق
لا تثن عطفا إلى الوشاة فما سلاك قلبى ، لكنهم عشقوا
أنت بحالى أدرى وحالهم قد وضحت فى حديثنا الطرق
ما كنت يوما إليك معتذراً لو أنهم فى مقالهم صدقوا

وقال أيضاً :

أظهرَتْ حسن معانيه الشَّمول فاختفى اللائم واستحيا العذول[1]
وثنت منه الحميَّا قامة علَّمتْ بانَ الحمى كيف يميل
رشأ يفتك فى عشاقه صارم من لحظه الساجى صقيل
أصل وجدى فيه فرع مرسل مثل ليلى فاحم اللون طويل[2]
وفم عذب وثغر أشنب خَصِر من برده يشفى الغليل[3]
أنا للجفوة منه قابل ولأعباء تجنيه حمول
وأمور الحب من أعجبها أن ترى القاتل يهواه القتيل

وقال أيضاً رحمه الله تعالى ، وكان يبيت كثيراً بالجامع الأموى ، أو هو ليوسف ابن لؤلؤ الذهبى رحمه الله تعالى :

طال نومى بالجامع الرحب والبرْ دُ مبيدى وليس منه خلاص
كيف أدفا فيه وتحتى بلاط ورخام حولى وفوقى رصاص

وقال ابن زيلاق أيضاً :

لك السلامة من وجدى ومن حُرَقِ وما تعانيه أجفانى من الأرق

---

(١) الشمول ، والحميا : من أسماء الخمر .

(٢) الفرع ، هنا : الشعر ، وفيه تورية ، ومرسل ، ومثل ليلى ، وفاحم ، وطويل : كلها من أوصاف الشعر . (٣) أشنب : طيب الريح ، وخصر : بارد

أدرت فينا كؤوس الشوق مُتْرَعة   وأسكرتنا حميـــاها فلم نُفِقِ(١)
يا مظهراً لمحياه وطـــــرته   فضيلة الجمع بين الصبح والغسق(٢)
حملتُ مهجتيَ الأسقام فاحتملت   وزدتها بعده بعـداً فلم تطق
مهما نسيت فلا أنسى زيارته   فى خفية لابساً ثوبا من الفرق
نشوان تســتر عطفيه ذوائبه   كما أكتسى الغُصُنُ الميال بالورق
يسعى إلىّ براح من مُقبـــله   يلذ مصطبَحِي فيها ومغتبقى
لا أسأل الليل عن بدر السماء إذا   رقدت فيه و بدرُ الأرض معتنقى

وقال ابن زيلاق أيضاً ، رحمه الله تعالى :

ثنى مثل قدِّ السَّمْهرى ولينه   وجرد غصنا مرهفا من جفونه(٣)
و بات يرينا كيف يجتمع الدجى   مع الصبح فى أصداغه وجبينه
وكيف قران الشمس والبدر كلما   غدا يلثم الكأس التى بيمينه
و بت أفـــدّيه بنفس بذلتها   غراما لمحفوظ الجمال مَصُــونِهِ
وأرخص دمع العين وجداً بمبسم   يقابله من دره بثمينـــه
سقى ذلك الوادى و إن فتكت بنا   نحورُ حـــواريه وأعين عِينِهِ
ولازال مبيض الأقاحىّ ضاحكا   به كل منهلّ الغمام هَتُــونِهِ

وقال ، سامحه الله تعالى :

بعثت لنا من سحر مُقْلتك الوسْنَى   سهاداً يذود الجفن أن يألف الجفنا
وأبرزت وجها يخجل البدر طالعا   ومِسْتَ بقدّ علم الهَيَفَ الغصنا
وأبصر جسمى حسن خصرك ناحلا   فحا كاه ، لـكن زاد فى رقة المعنى
أسمراء إن أطلقت بالهجر عبرتى   فإن لقلبي من تباريحه سجنا

---

(١) مترعة : ملأى .
(٢) محياه : أراد وجهه ، وأراد أنه أبيض مثل الصبح .
(٣) السمهرى : الرمح ، شبه به قده فى اعتداله .

و إن تحتمى بالبيض والسمر فالهوى يهوّن عند العاشق الضرب والطعنا
وما الشوق إلا أن أزورك معلنا فلا مضمراً خوفاً ولا طالبا إذنا
وألقاك لاأخشى العيون ، وأثنى ولو حجبت أسد الشرى ذلك المغنى (١)

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى :

أريقته فى الكأس أم صرف خمره وهذا حَبَاب المزج أم سمط ثغره
تَضُوع بأيدينا وقد قام ساقيا بِصِنفين من بشر المدام ونَشْره
له جنة فى وجنتيه ، وإنما تعارضنا من دونها نار هجره
وصبحُ جبينٍ نهتدى بضيائه إذا ما ضللنا فى غياهب شعره
لئن كان دمعى مطلقا لجفانه ففى أسره قلبى المعنَّى بأسره
وليل طويل العمر أحوى كأنه غدائر من أهواه أو يوم غدره
إذا حسنت فيه المنى من ضلالها هدانا إلى مطلوبها نور بدره

وقال أيضاً :

بدالنا من جبينه قمر تضل فى ليل شعره الفِكَرُ
ظبى غرير فى طرفه سِنَةٌ يلذ فيها للعاشق السهر
جديدُ بُرْدِ الشباب حف بريحان وورد بخدّه نَضِرُ
ولا رعت مقلة نباتَ عِذَا ريه فيحتاج عنه نعتذر
جوامع الحسن فيه جامعة فالقلب وَقْف عليه والبصر

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى :

ألمّ وأعين الرقباء وسْنَى كما تمّ الهلال سنا وسنا
ومال بعطفه مَرَحُ التصابى كما عطفت نسيم الروض غصنا

---

(١) المغنى : المسكن يقيم فيه القوم ، وأصله اسم مكان من قولهم « غنى فلان بالمكان يغنى » مثل رضى يرضى — إذا أقام .

وخص رياض خديه شقيق ... يلوح عليه خال عمّ حسنا
وطاف بقهوة لم تُبق فيها ... مصاحبة الليالى غير معنى
فخلْنا الشمسَ طالعة علينا ... وقد برزت من الراووق وَهْنا
فلا تحفل بأعلام المصلّى ... ولا تسأل بها طللا ومغنى
ومل نحو الخلاعة والتصابى ... إذا فنّ مضى جددت فنا
وعاط الكأس أحور ذا دلال ... أغن يناسب الظبى الأغنا[1]
يظن حمامة تشدو بغصن ... إذا ما مال معتدلا وغنى[2]

وقال رحمه الله تعالى موشحا :

يا نديمىّ ، بالرضاب قفا ... فهى لى مذهب[3]
وأديراها خمرة قرقفا ... لونها مُذْهب
خلت فيها الحباب حين صفا ... أنجُما تغرب
حجبت بالبهاء والحسن ... عن عيون البَشَرْ
وبدت فى الخفاءِ كالوهم ... تجتنى بالفِكَرْ
لا تخالف يا منيتى أمرى ... وارعنى بالرحيق[4]
ما ترى صحبتى من السكر ... ليس منهم مفيق
نحن قوم من شيعة الخمر ... ونحب العتيق[5]
قد نفضنا عنّا به الحزن ... بسماع الوتر
وحمانا من واصب الهم ... وعدُك المنتظر
صاح لا تستمع من اللاحى ... واطرح ما يقول

(١) الأحور : أراد به مليح العينين ، والأغن : ذو الغنة وكأنه يتكلم من أنفه
(٢) تشدو : تغنى . (٣) الرضاب : الريق .
(٤) فى ب « وادعنى بالرحيق » .
(٥) العتيق : القديم من الخمر ، وهو أيضا لقب أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى ذكره بعد ذكر لفظ « شيعة » تورية .

فمن العيب إن تبت صاحى من كؤوس الشَّمُول
فاكْسُ راح النديم بالراح واعص قول العذول
ما ترى العذل فى الصبا يغنى عن بنت خدر
لعليل تشفى من السقم فاقض منها وطر
حث شمس الكؤوس يا بدرى فالندامى نجوم (١)
واسقنيها كأنها تبرى من بنات الروم
ضحكت فى ثغورها الزهر ببكاء الغيوم (٢)
وتغنَّتْ بأطيب اللحن صادحات الشجر
ناطقات بألسن عُجم طاب شرب السحر
حثها بيننا رَشًا وسنان نلت منه الأمان
ناعس الطرف بابلى الأجفان باسِمٌ عن جُمَان
قد سكرنا من لحظه الفتان قبل خمر الدنان
رب خمر شربت من جفن واجتنيت الزهر
من خدود تحمى عن اللثم بسيوف الحَوَرْ

وقال أيضاً :

أمحل صبوتنا ، تحيــة مغرم يهدى السلام على البعاد برغمه
أثرَى ثرى ذاك الجناب من الحيا الـغادى ومَنْ لى لو ظفرت بلثمه
و بشعب ذاك الحىِّ مثل غزاله فى غنجه وملاله وقوامه
دمعى ومبسمه ، لكل منهما معنى عنيت بنثره و بنظمه
والخصرُ منه والجفونُ وعهدُه كل كساجسمى النحولَ بسقمه
متلونٌ أصْلَى بجمرة حربه طورا ، وطورا أستريح بسلمه

(١) حث الكأس يحثها : أدارها على الشرب .
(٢) بكاء الغيوم : أراد الماء لأن أصله المطر وهو ينزل بعد الغيم .

ويسيء بي فعلا ويحسن ثغره لثمـا فيشفع ذا لذا في جرمه

وقال أيضا :

ما وجه عُذْرك والكؤوس تُدَار ضاقت بمن جهل الصبا أعـذار
سفَرت لك اللذات واتسعت بها الـأوقات واجتمعت لك الأوطار[1]
أوما تَرَى حسن الربيع وقد غدا يختال في حـبراته آذار[2]
ساق يسوق إلى السرور، ومطرب حسن الغنـاء، وروضة، وعقار[3]
روض كما ترضى العيون يزينه زهر تسر بحسنه الأسـرار
وجداول نشأت بهن حـدائق ضحكت خلال فروعها الأنوار
وكأنما أشجارهن عرائس تجلى، ومن در السحاب نِثـار
تشدو حمائمهـا ويرقص دَوْحُها غِبَّ الصَّبا وتصفق الأنهار
فأدِمْ لنا أفراحنا بمدامـة لم تتصل بصفائهـا الأكدار
حمراء تبدو في الكؤوس كأنها ذَهَب عليه من اللُّجـين إزار
يسعى عليك بهـا غرير أهيف نومُ المحب إذا جفـاه غِرار
وسنان فيه للغزالة وابنهـا وجـه وطرف فاتر ونفـار
رشأ ولكن في القلوب كِناسه قمر ولكن أفقـه الأزرار
ظهرت غـدائره فزادت وجهه نورا، وتشرق في الدجى الأقمار
وافاك يحمل مثل ما في خـده ماء به تروى القـلوب ونار
في مجلس تمت لساكنه المنى وتكفَّلَتْ بسعوده الأقـدار

وقال أيضاً :

سل عن فؤادٍ بنار الهجر تحرقه وناظـر بتجنيه تؤرقـه

---

(١) سفرت : أراد ظهرت وانجلت عنها العوائق ، والأوطار : جمع وطر ، وهو الحاجة .

(٢) آذار : اسم شهر من شهور الربيع .

(٣) العقار : من أسماء الخمر .

ولا تُرَجِّ سلوّا من غريم هوى موكل بجديد الصبر يُخلقه[1]
أهواهُ معتدل الأعطاف مائلها يجور فيّ إذا ما اهتز مورقه
غصن ولكن بماء الحسن منبته بدر ولكن من الأزرار مشرقه
يجلو الظلام محياه ويعذب مجـناه وتحلو ثناياه ومنطقه
ملاحة تسترقُ القلب رقتها ونظم ثغر يروقُ العينَ رونقه
ثلاثة منه أعـداني السقام بها مجرى الوشاح ومجناه وموثقه
ألقى الرماح بقلب غير مكترث وأتقِى طرفه الساجي وأفرقه[2]
فالأبيض العضب ما تبديه مقلته والأسمر اللَّدْن ما يحويه قرطقه

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى :

قم لا عدمتك فالرياح تُغربل والرعد يطحن والغمائم تنخل
والمسك قد عَجَنَ الثرى بسحيقه والعود يحرق والحُميّا تشعـل
والدنّ تنور توقد جمـرُه الـصهباء باطنَـه وفار المنزل[3]
هي قوت أرواح عنت بحصادها الأيدى كما اكتنف الدياس الأرجل
واللون تبر ، والحقيقة جـوهر والريح مسك ، والمذاقة فوفل
والبرد قد ولى ، فمالك راقـدا متدثراً يأيها المـزَّمل ؟
أو ما ترى فصل الربيع وحسنه والروض يضحك والحيا يتهلل
والغيم كالكافور ينثر لؤلؤاً والجو مسك والغدير مصندل
وبدت بدائع زهرها لك جنة قد زخرفت فنعيمها متعجل
نسجت يد الإبداع وَشْىَ رقومها فلأجل ذاك النسج عينى تغزل
فمصفـر ومبيض ومطوس ومريش ومرقش ومكلل

---

(١) يخلقه : يبليه ويرثه .

(٢) أتقى : أراد أتحاشاه ، وفى ب ، ث « وألتقى » والساجى : أى الساكن وأفرقه : أخافه .

(٣) كذا ، ولا يتجه لى معنى « وفار المنزل »

ومدبج ومكتب ومـذهب ومفضض باللازورد مكحل

جَلَّ المكوِّنُ أعينا ما زانها كحل، ومبدع صبغة لا تَنصل[1]

فاذا اجتليت فكل شبر نزهة وإذا ظمئت فكل باع مَنهل

وهزارها شحرورها ورشانها سمانها درّاجها والبلبـل

هذا يحادث ذا بأحسن منطق فإذا شدا الثانى أعاد الأول

ويضم مأتمها الفواختَ سحرة فكأنهن مُفجّعات ثُـكّل

وعلى الغدير شباك تبر حاكها شمس الضحى، وسَنا دروع تصقل

روض ومعشوق وحسن حمائم وصَفَاء ساقية وراحٌ سلسل

وطلال غادية فسيفُ بروقها ماضٍ وطيبُ هوائها مستقبل

والشمس تجنح للغروب فثوبها الـذهبى مصفر البقاع مجلل

ما للمسرة عن حمانا مخرج كلا، ولا واشٍ علينا يدخل

ياحبذا الشرف المطل وديرها الـعالى وطيب فضائه والهيكل

ورواقه وبهاؤه وجـواره والعيش فيه والهواء الأعدل

ومحاسن الحدباء مشرقة على كل البلاد لها الفخار الأفضل

يا طيب صحته وبهجته ونا قوس الصباح على الصَّبوح يُحَيعل

مغنى أقام به الرشيد وحله الـمنصور والمأمون والمتوكل

يا ساحة الحدباء تُرْبُكِ إثمد للناظرين، فما الدخول فحومل؟

هبنى أحاول غيرها أو أبتغى عوضا عن الأوطان أو أتبدَّل

فعن الذين عهدتهم بفنائها أهلى وجيرانى بمن أستبدل

فالدهـر لايبقى على حالاته فيجور أحيانا وطوراً يعـدل

صبرا فكل ملمة من بعدها فرج وكل عسير أمر يسهل

---

(١) نصل الصباغ : ذهب وتكشف .

وقال أيضاً :

وإذا شكوت من الزمان ومَسَّنِي ضيم ونَكْس صَفْدَنِي إعسار
وعلمتُم أنى بكم متعلق فعلى علاكم، لاعلَىَّ، العار

(٤٨٣)

مظفر الدين يونس بن ممدود (الملك الجواد)

يونس[1] بن ممدود بن محمد بن أيوب ، السلطان ، الملك الجواد ، مظفر الدين ، ابن الملك العادل أبي بكر .

كان فى خدمة عمه الكامل ، فوقع بينهما ، فسار إلى عمه المعظم ، فأقبل عليه ، ثم عاد إلى مصر واصطلح مع الكامل ، فلما مات الأشرف جاء مع الكامل إلى دمشق ، وكان جواداً كلقبه ، ولكن كان حوله ظَلَمَة ، وكان يحب الصالحين والفقراء ، وتقلبت به الأحوال ، وعجز عن مملكة دمشق ، وكاتب الصالح نجم الدين أيوب ، فقدم وسلم إليه دمشق ، وعوضه سنجار وعانة ، وسار إلى الشرق فلم يتم له الأمر ، وأخذ منه سنجار ، و بقى بيده عانة ، فسار إلى بغداد ، وقدم على الخليفة فأكرمه ، فباعه عانة بذهب كثير ، ثم سار إلى مصر وافدا على عمه الصالح ، فهم بالقبض عليه ، فتسحب إلى الكرك إلى الملك الناصر داود ، فقبض عليه ، ثم انفلت منه ، وقدم على الصالح إسماعيل صاحب دمشق ، فلم يهش له ، فقصد ملك الفرنج الذى كان بصيدا و بيروت ، فأكرمه ، وشهد مع الفرنج وقعة قلنسوة ، قتل فيها ألف مسلم ، ثم بعث إليه الصالح الأمير ناصر الدين بن يغمور ليحتال عليه بخديعة ، فيقال : إن ابن يغمور اتفق معه على مَسْك الصالح إسماعيل ، ثم إن الصالح ظفر بهم فسجن الجواد بقلعة عزتا وسجن ابن يغمور بقلعة دمشق ، فطلب الفرنج الجواد من الصالح ، وقالوا : لابد منه ، فأظهر أنه مات ، ويقال : إنه خنقه ، وأخرج من السجن ميتاً ، ودفن بقاسيون بتربة المعظم سنة إحدى وأربعين وستمائة ، ويقال : إن أمه كانت فرنجية ، والله أعلم .

---

(١) له ترجمة قصيرة فى شذرات الذهب لابن العماد (٥/٢١٢) .

فهرس الجزء الثانى

من كتاب « فوات الوفيات » لابن شاكر الكتبى

(١) النجمة التى تلى سنة الوفاة تشير إلى أن فيها خلافا .

(١) بعد الخمسمائة .　(٢) فى حدود الثلاثين ومائة .

(١) بعد السبعمائة .

---

(١) فى حدود المائتين.

(٢) فى حدود السبعين من الهجرة .

(٣) فى حدود الثمانين من الهجرة .

(٤) فى حدود العشرين والمائتين .

(١) فى عشر التسعين والثلاثمائه .

(١) بعد الأربعين والمائتين .

(١) بعد الخمسمائة.

(٢) فى حدود الخمسمائة

(١) بعد السبعمائة .

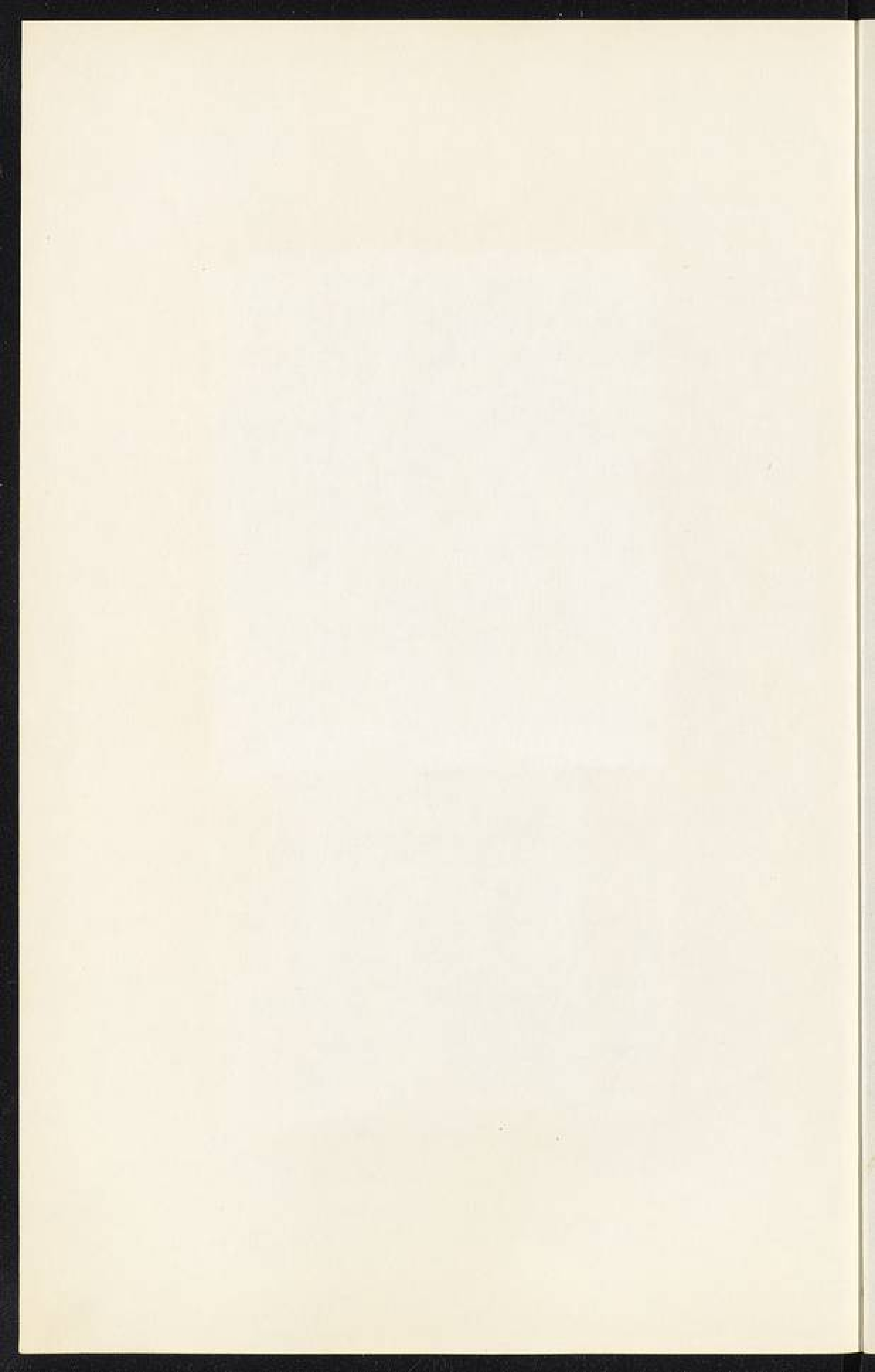
---

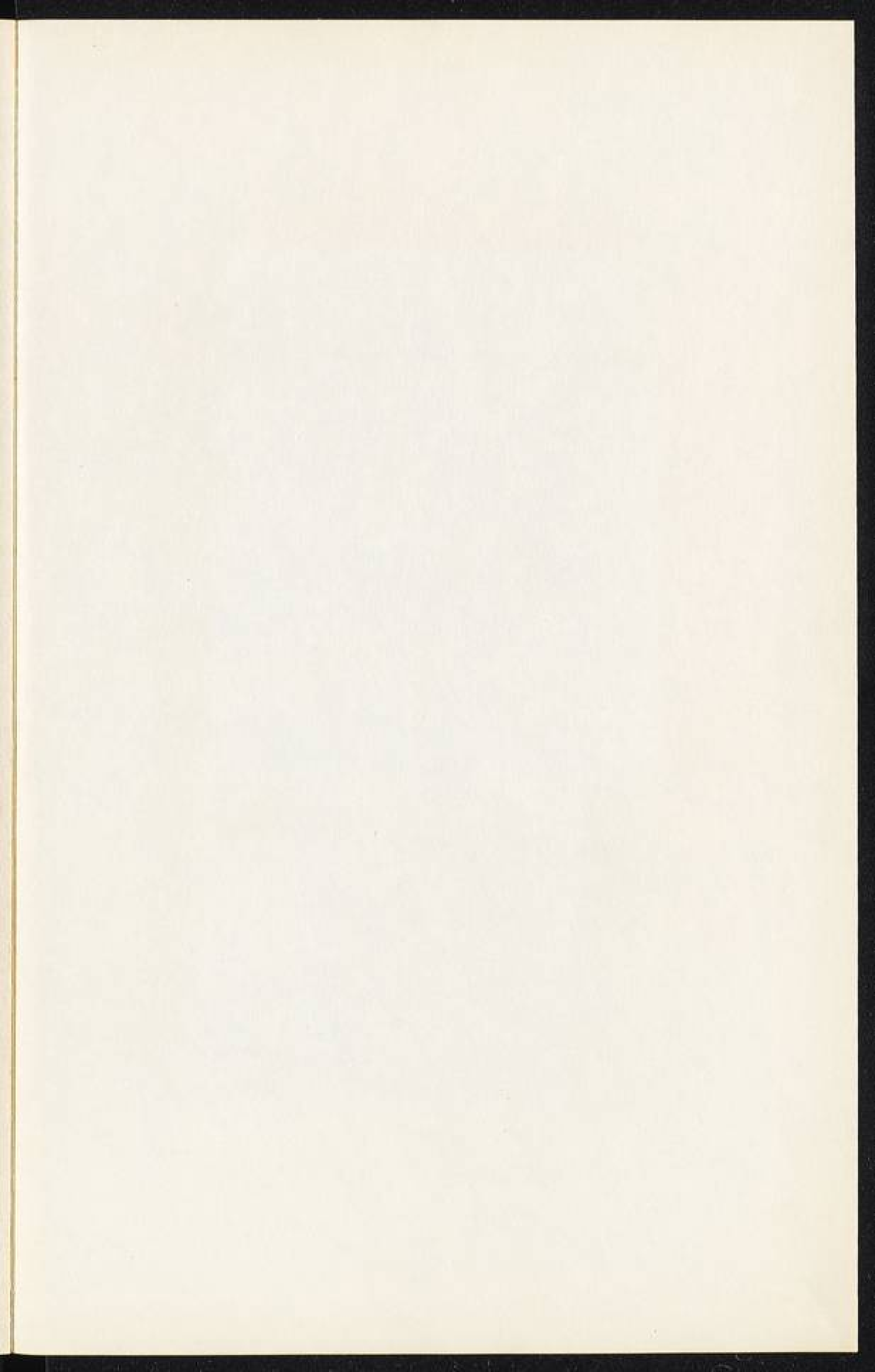
(١) صاحب « لسان العرب » (٢) سنة ثمانين وثلثمائة تقريباً .

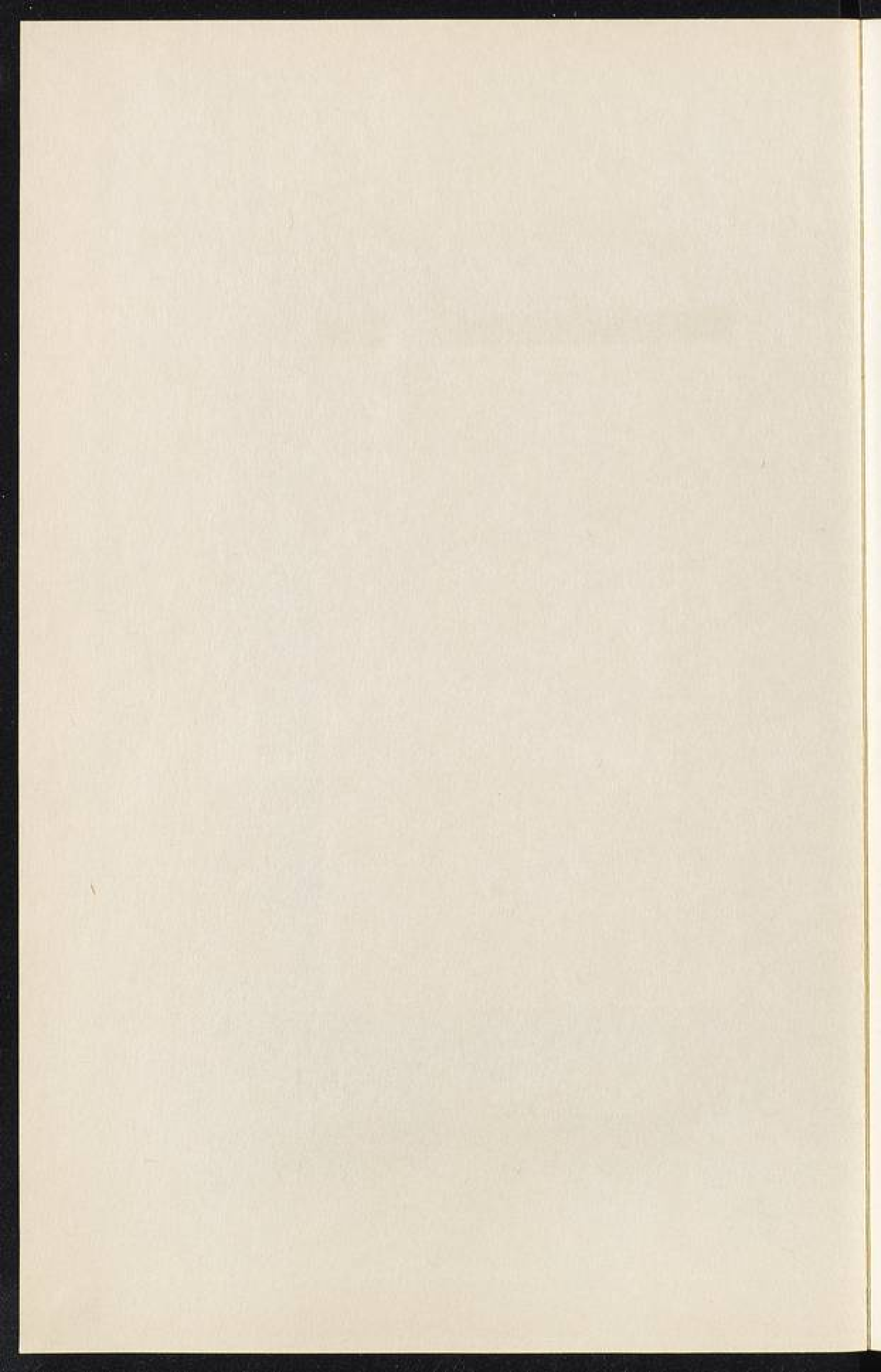
(١) بعد الخمسمائة .

(٢) فى حدود الثلاثين والمائتين .

تمت الفهرست والحمد لله أولا وآخراً ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه








893.79
K961 V2 C1

